

جامعة محمد بوضياف للمسيلة

كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي



الرقم التسلسلي :
رقم التسجيل : DL/13/10

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب العربي
تخصص : أدب عربي

العنوان

الأمثال الشعبية الجزائرية بين التأثر والتأثير
- دراسة تناصية دلالية -

إعداد الطالب
لخضر حلبي

تاريخ المناقشة: 04 فيفري 2016
 أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة :

| | | | |
|--------------|----------------------------|----------------|----------------------|
| رئيسا | جامعة الحاج لخضر- باتنة | أستاذ ت ع | أ.د/ الطيب بودربالة |
| مشرفا ومحررا | جامعة محمد بوضياف- المسيلة | أستاذ ت ع | أ.د/ فتحي بوخالفة |
| متحنا | جامعة محمد بوضياف- المسيلة | أستاذ محاضر(أ) | د/ عمار بن لقربيشي |
| متحنا | جامعة محمد بوضياف- المسيلة | أستاذ محاضر(أ) | د/ عبد الرحمن بن يطو |
| متحنا | جامعة البويرة | أستاذ محاضر(أ) | د/ صبيحة قاسي |
| متحنا | جامعة تizi وزو | أستاذ محاضر(أ) | د/ راوية يحياوي |

السنة الجامعية: 2016/2015

مقدمة

ة

مقدمة

لقد اطلعت على الكثير من الأمثال الشعبية الجزائرية أثناء تحضيري مذكرة الماجستير ، الموسومة بـ: صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية . وهذا ما لفت انتباهي إلى تأثير الكثير من الأمثال الشعبية بالมوروث الثقافي العربي الإسلامي ، كما لاحظت تأثيرها في الكثير من مجالات الحياة: النفسية والاجتماعية والأدبية... بفضل تداولها في مختلف الأوساط؛ مما شوّقني إلى أن يكون موضوع بحثي في أطروحة الدكتوراه، في مجال تأثر الأمثال وتأثيرها . وبخاصة أن الأمثال وظفتها الكتب الدينية - بتصوير المعنوي بالمحسوس - بقصد الإقناع والإفهام والتوضيح والاعتبار والترغيب والترهيب وغيرها . كما أن كل المجتمعات الإنسانية اعتمدت الأمثال لتثبيت تجاربها وحكمها، ولخصتها في هذه الكلمات الوجيزة، التي اعتنت بشكلها فجعلته في قالب موسيقي جميل، لذلـ للسامعين حفظوه، ورددوه لما فيه من متعة وفائدة.

ومن هذا المنطلق كان عنوان أطروحتي:

الأمثال الشعبية الجزائرية بين التأثر والتأثير - دراسة تناصية دلالية.

والأمثال الشعبية الجزائرية لم تأت من فراغ؛ لأن الشعب الجزائري تكون من اختلاط الكثير من الأجناس التي وفدت عليه، للعيش أو التجارة، أو قصد الغزو والسيطرة عليه والاستيلاء على خيرات بلاده، فطابت الحياة لهذه الأجناس في الجزائر فاستوطنوها، وامتنعوا بأهلها، ونجم عن ذلك، شعب له عقلية وشخصية وخاصية تميّزه عن غيره.

ومن الأجناس الذين احتك بهم الشعب الجزائري - قديما - الفينيقيون والرومان من الشمال، وبقدر ما تركوا بصماتهم الثقافية سادية كانت أو معنوية - بقدر ما ذابوا في الشعب الجزائري، وصاروا جزءا من مكوناته، أو طردوا إلى بلدانهم التي أتوا منها . ومن الشرق جاء الفتح الإسلامي وما رافقه من قبائل عربية، فاعتنق الشعب الجزائري الدين الإسلامي الموحد، وتمسكوا بعقيدته السمحاء، وتصاهمروا وامتنعوا بحاملي لواء هذا الدين، وتعلموا لغته التي هيمنت مع مرور الأيام على الحياة العامة، وانصهرت جميع الثقافات في بوتقة الثقافة الجديدة الوافدة.

وفي ظل هذا الحراك الثقافي تكونت الأمثال الشعبية الجزائرية. فما مدى تأثيرها بالموروث الثقافي العربي الإسلامي؟ وما مدى تأثيرها في مختلف مجالات الحياة؟ هذا ما سوف أقاربه من خلال الدراسة التناصية الدلالية في هذه الأطروحة.

لقد تناول بعض الدارسين موضوع الأمثال بكيفيات مختلفة؛ فمنهم من جمع، ومنهم من شرح حسب مجالات الحياة الاجتماعية، ومنهم من تطرق إلى أساليب الأمثال وأهدافها؛ فكتاب محمد بن أبي شنب: أمثال الجزائر والمغرب، فيه عدد كبير من الأمثال، غير أنه اقتصر على شرح المعنى بالفرنسية، مع الإشارة إلى ما يماثله من صيغ أخرى ، وكذلك الحال مع كتاب، راجح خدوسي: موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية. أما كتاب الأمثال الشعبية الجزائرية لقادة بوتارن، وكتاب أمثال جزائرية لعبد الحميد بن هدوقة، فعبارة عن مجموعة من الأمثال قسمت حسب المعاني إلى مجالات، وتم شرحها بإيجاز. أما أهم كتابين تناولا الأمثال الشعبية الجزائرية بالدراسة البنوية فهما كتاب: الألغاز الشعبية الجزائرية، وكتاب الأمثال الشعبية الجزائرية لعبد المالك مرتاب. أما ما وقع في يدي من كتب أجنبية فأهمها كتاب:

Jean-Loup Chiflet (99 Proverbes à foutre à la Poubelle).

وكتاب: Charlotte SCHAPIRA (Les stéréotypes en français proverbes et autres فالأول لشرح المعاني ونقدتها، والثاني لبيان أنواع صيغها وتركيبها. formules). وهذه المجموعة، وما يشبهها كتاب عز الدين جلاوجي: الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف. وكتاب جعكور مسعود: حكم وأمثال شعبية جزائرية. لم تطرق سبيكة كافية- إلى تأثير الأمثال وتأثيرها في مختلف مناحي الحياة. فجاء هذا البحث ليكمل ويوحد ما تم التطرق إليه.

ومما صعب مهمنتي في هذا البحث قلة الدراسات المتخصصة في مجال بحثي، كما أن ما استطعت أن أحصل عليه من كتب الأمثال الشعبية. غير كاف ليعتمد في أطروحة دكتوراه. وعليه لجأت إلى دراسات و كتب في غير اختصاص الأدب الشعبي، وظفتها لخدمة بحثي؛ لأن دراسة الأمثال الشعبية تعدّ في نظري-امتداداً لدراسة الأجناس الأدبية الفصيحة الأخرى.

ولتحقيق ما أصبو إليه، وهو إبراز التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية الجزائرية، ارتأيت أن تكون خطة البحث منطقة من ألفاظ عنوان الأطروحة نفسها، فقسمتها على أربعة فصول تسبقها مقدمة، وتعقبها خاتمة. وكل فصل يبدأ بتمهيد، وينتهي بخلاصة. وهي كالتالي:

الفصل الأول: تعريف المثل. وجعلته ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: المثل في التراث العربي، وفيه تطرق إلى معنى التراث، ثم معنى المثل عند أهل اللغة وأهل البيان، وعُرّجت إلى ماضيه ومورده، والفرق بينه وبين الحكمة، ثم تحدثت عن أنواع المثل، وذكرت كتب الأمثال القديمة المطبوعة.

المبحث الثاني: المثل في النصوص الدينية. وبدأت بالمثل في القرآن الكريم، أنواعه وبلاغته، مع التمثيل لذلك بالمثل الموجز السائر في القرآن الكريم، ثم المثل القياسي، وما يسمى بالأمثال الكامنة. انتقلت إلى أمثال الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنواعها وبلاغتها. فذكرت الأمثال الموجزة، والأمثال المفصلة. ثم تطرق إلى المثل في الإنجيل، وأعطيت نماذج من إنجيل: مرقس، وإنجيل: يوحا.

المبحث الثالث: تعريف المثل الشعبي. عرفته لغة واصطلاحاً، مع التركيز على المثل الموجز السائر ثم تطرق إلى نشأته، وخصائصه، ومميزاته، وأهميته ودوره، وختمت المبحث بمصنفات كتب الأمثال الشعبية الجزائرية. وأنهيت الفصل بخلاصة.

الفصل الثاني: التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية. وجعلته ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: التأثير والتأثر. وفيه عرفت التأثير والتأثر في اللغة وفي الاصطلاح، ثم تطرق إلى بداية العلوم وتطور الحضارات، في ظل التأثير والتأثر، ثم تناولت تأثير الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الغربية في بعض المجالات، وكان تركيز على التأثير في المجال الأدبي، وقدّمت نماذج من تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي - قديماً -

النموذج الأول: تأثير العربية، وكتاب "طوق الحمام" لابن حزم، في كتاب: "الحب محمود" لصاحبها: "خوان رويث".

النموذج الثاني: تأثير قصة حي بن يقطان، لابن طفيل في قصة "النقار" لـ (بلتسار جراثيان). وفي قصة "رو宾سون كروز" لـ (دانيل ديفو).

انتقلت إلى تأثير الأدب الغربي في الأدب العربي، وكنموذج لذلك ذكرت تأثر (المازني) في قصيده: "فتى في سياق الموت"، بمقطوعة: (توماس هود الإنجليزي)، "سرير الموت".

المبحث الثاني: التأثر والتأثير في الأمثال الشعبية. بدأته بهيمنة اللغة العربية على مختلف مجالات الحياة الإسبانية في القرون الوسطى، ثم تأثر الأمثال الإسبانية بالأمثال العربية. بعدها أعطيت نماذج من التشابه الموجود بين أمثال عربية وأخرى إنجليزية، ثم بين أمثال عربية وأمثال فرنسية، كان ذلك للاستدلال.

المبحث الثالث: تناص الأمثال الشعبية الجزائرية مع القرآن و الموروث الثقافي العربي الإسلامي. بدأته بتعريف النص، و التناص، أعقبته بفكرة التناص عند النقاد العرب القدماء ثم التناص في النظرية النقدية الحديثة، و تحدثت عن موقع التناص وأهميته. ودّعمت ما سبق بدراسة تناصية تطبيقية بحثت فيها عن مكمن التناص بين الأمثال الشعبية والقرآن الكريم، ثم بينها وبين الحديث النبوي الشريف، ثم تناصها مع الشعر والأمثال العربين. وختمت الفصل بخلاصة.

الفصل الثالث: تأثير الأمثال الشعبية في مجالات الحياة. وجعلته ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: تأثير الأمثال في المجال الأدبي. وفيه تطرق إلى دلالات لفظة: أدب، ثم تأثر الشعر بالأمثال، وتأثير الأمثال في الخطابة والترسل، ثم تأثير الأمثال في الروايات موضحاً ذلك بنماذج من روايات عبد الحميد بن هدوقة، والطاهر وطار، من الجزائر. وروايات نجيب محفوظ من مصر.

المبحث الثاني: تأثير الأمثال الشعبية في المجال النفسي. وفيه بينت أثر الثقافة في سمات الشخصية، وتطرق إلى مظاهر المكونات النفسية، وشرحـت بعض الأمثلة الدالة على الآليات الدفاعية النفسية كالكبـت و التبرير ، والإسقاط، والتعويض النفسي، التقمص، وإلقاء اللوم على الآخرين وغيرها، وأشارـت إلى بعض الاتجاهـات والقيم من خلال الأمثال، كالاتجاه الديني، والوفاء والصدق.

المبحث الثالث: تأثير الأمثال في المجال الاجتماعي. وفيه شـرحت معنى الإنسان مخلوق اجتماعي، ومعنى الأخـلاق في التراث العربي، وتناولـت توجيهـات الأمثال بخصوص التـغير من بعض السـلوـکـات كاستـعمال اللسان فيما يضرـ، كالغـيبة، والنـيمـة. وتحـبيب بعض

الصفات كحسن الضيافة، والتعاون، والعمل، وتنظيم بعض العلاقات كالمعاملة بالمثل والمصاهرة وما يتصل بها من صفات الرجل والمرأة.

الفصل الرابع: دراسة أسلوبية دلالية على المثل الشعبي. وقد جعلته ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: الأسلوب والأسلوبية. وفيه عرفت الأسلوب والأسلوبية، وعرّجت على أسلوب المثل الشعبي، حيث تناولت ألفاظه، ومستواه البنوي والدلالي، ثم دراسة البنية التي يتتألف منها المثل، وتركيبه، وأنواع جمله، ثم تحليل بنية المثل في التركيب الثنائي.

المبحث الثاني: أسلوب المثل الإنساني. شرحت نماذج من أمثال جاءت بأسلوب النداء وأخرى جاءت بأسلوب الأمر، وثالثة جاءت بأسلوب النهي، ورابعة أتت بأسلوب الاستفهام حيث خرج الأسلوب الظاهري من دلالته الاستعلائية الإلزامية، إلى دلالات مجازية أخرى أهمها الإرشاد والتوجيه.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية على بنية المثل. تناولت فيه التقنية البنائية، كظاهرة التكرار في الأمثال، ومن خلالها تطرقت إلى مصطلحات الدراسة الصوتية التي وظفتها في دراسة بعض الأمثال صوتياً ودلالياً مبرزاً أهمية الإيقاع الصوتي، التكرار، التشاكل الإيقاعي والدلالي، وأخيراً حللت بعض الأمثال بنوياً صوتياً دلالياً. وختمت الفصل بخلاصة.

وبهذه الهيكلة رتبت فصول هذه الأطروحة ترتيباً منطقياً حيث جعلتها متضافة فيما بينها. فما دام الحديث عن الأمثال فلا بد أن يكون الفصل الأول متعلقاً بتعريفها، أما الفصل الثاني فلا يناسبه إلا الحديث عن خلفيتها الثقافية أي تأثيرها بما سبقها من ثقافات، وبعد أن تكونت وفشت واشتد عودها، فهنا يبدأ تأثيرها في المجالات المختلفة في البيئة التي تتحرك فيها. ولا شك أن الذي يلاحظ تمسك الناس بها، وتوظيفها في حديثهم العادي وفي خطابهم الأدبي، لا شك أنه يبحث عن السر في ذلك، فيكون الجواب شكلها ومضمونها.

أنهيت البحث بخاتمة دونت فيها بعض النتائج التي استخلصتها من خلال البحث ولا غرو أن تتعدد المناهج في تناول هذه المضامين غير أن طبيعة البحث وجهتي إلى اعتماد المنهج الوصفي التحليلي.

فالوصف ناسب الفصل الأول والثاني لما فيهما من رصد لآراء بعض دارسي الأمثال العربية، و الشعبية، وما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، أما التحليل فناسب الفصل الثالث والرابع لما فيهما من شرح وتحليل لبني الأمثال ومضمونها. ولازم هذه الدراسة

تدخل المنهج المقارن في دراسة التشابهات بين نصوص أدبية، والدراسة التناصية بين الأمثال والموروث الثقافي العربي الإسلامي، كما أن المنهج الإحصائي وجد مكانه في الدراسة البنوية وتكرار الأصوات وغيرها.

أما الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة فهي قلة المراجع المتعددة، وعدم قدرتي على الحصول على مراجع أجنبية، وبخاصة الحديثة منها، كما أن الوزارة الوصية لم تمنح فرصا للطلبة -غير الموظفين- في التكوين الخارجي قصير المدى. وعليه فمجهودنا انصب في أغلبه على ما يمكن الوصول إليه في داخل الوطن.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أقدم جزيل شكري وامتناني إلى الأستاذ الدكتور فتحي بوخالفة على رحابة صدره، وتواضعه الطبيعي غير المتكلف. الذي خبرته فيه منذ إشرافه على أثناء تحضيري مذكرة الماجستير، كما أشكره على الملاحظات الجادة، والتوجيهات القيمة، والحرص الدائم على الدفع بي إلى الإسراع في إنجاز البحث.

الفصل الأول

تعريف المثل

تمهيد

-المثل في التراث العربي

-المثل في النصوص الدينية

- تعريف المثل الشعبي

خلاصة

تعريف المثل

تمهيد:

إن الاهتمام بالموروثات الشعبية قد لاقى رواجاً كبيراً في النصف الثاني من القرن العشرين، وبخاصة لدى الشعوب التي خرجت من رق الاستعمار؛ وهذا لأن هذه الموروثات تعد أحد مقوماتها القومية، التي حاول الاستعمار بشتى أشكاله أن يمحوها، كما فعل الاحتلال الفرنسي في الجزائر. «وقد كان الغازي الأجنبي حريصاً على ضمان بناء نفسه، يهدف في إستراتيجيته إلى تفكيك الآخر، وإلى المحو التام للكيان الجزائري: محو اللغة، والتاريخ والعادات والتقاليد، وكل الرموز الوطنية؛ فحارب مراكز الإشعاع، ومصادر الثقافة الأصلية: المساجد والزوايا»⁽¹⁾. وهذا مايسهل بقاءه جائماً على الشعب الجزائري المحتل.

ويرى خالد عيقول «أن إحياء التراث الشعبي، هو إحياء للأمة بعد أن طمس عن عمد وعن قصد في بعض أدوار التاريخ، وعن جهل وازدراء بقيمه في أدوار أخرى، من خلال الحكم عليه من منظور فكري متعرّض؛ بإحالته إلى شبه وثن، لا قيمة له، ولا علاقة له بحاضر الأمة ومستقبلها»⁽²⁾

يُعد التراث الشعبي – بالنسبة إلى أي مجتمع – بمثابة الذاكرة بالنسبة للإنسان، ولو قدر لأحد أن يفقد ذاكرته، فإنه سي فقد حتماً شعوره بهويته، في الماضي والحاضر، وسيجد نفسه مجرداً من أي خبرة تلقاها من تجارب الأمس. وكما أن الذاكرة تمكّن الإنسان من استرجاع ما هو بحاجة إليه من الذكريات؛ فإن التراث يسمح للمجتمع بأن يستفيد مما هو بحاجة إليه من رصيده التاريخي.

لكن ما المقصود بالتراث الشعبي؟

⁽¹⁾ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1983، ص 58.

⁽²⁾ خالد عيقول، تماثيل الأشكال والمفاهيم في الأدب الجزائري، منشورات المجلس الأعلى للتربية (مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية) الجزائر، 2005 ص 230.

أولاً: المثل في التراث العربي:

التراث: لغة:

جاء في لسان العرب: كلمة التراث: تعني الإرث؛ وهي كلمة مأخوذة في الأصل من "ورث" وفي ذلك قال الجوهرى: الميراث: أصله موراثٌ، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها. والتراث: أصل التاء فيه واو.

ويقول ابن سيده: الورث والإرث والتراث، والميراث: ما ورث، وقيل: الورث والميراث في المال. والإرث في الحسب.

ويقول ابن الأعرابى: الورث، والورث والإرث والتراث واحد. ويقال: أرثه ورثا إذا مات مورثك، فصار ميراثه لك⁽¹⁾.

وقد ورد لفظ "التراث" في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التِّرَاثَ أَكْلًا لَمَّا﴾⁽²⁾. أي الميراث ﴿أَكْلًا لَمَّا﴾ شديداً؛ وهو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره؛ وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبيهم. قال ابن زيد: الأكل اللّم: الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام؟ ويأكل الذي له، و لغيره، يقال: لممت ما على الخوان إذا أتيت ما عليه فأكلته⁽³⁾.

وخلصة القول: إن الميراث أو الإرث يطلق لغة، في معنيين: أولهما: البقاء. قال تعالى: ﴿وَزَكْرِيَاءٌ إِذْ نادَى رَبَّهُ لَا تَذَرْنِي فَرِدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾⁽⁴⁾. قال البغوى عند تفسيره هذه الآية: «ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق، وأنه أفضل من بقي حيا»⁽⁵⁾.

⁽¹⁾—ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط1، دار صادر بيروت، لبنان، 1410هـ 1990م، الجزء 2 ، ص-ص 201-200.

⁽²⁾—القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة الفجر، آية 19.

⁽³⁾—البغوى، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى، تفسير البغوى "معالم التنزيل" حقيقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1412هـ، المجلد 8، ص422.

⁽⁴⁾—سورة الأنبياء، آية 89.

⁽⁵⁾—البغوى، المصادر نفسه، المجلد 5، ص352.

ثانيهما: انتقال الشيء من أنس إلى آخرين، سواءً أكان هذا الشيء الذي انتقل من شخص إلى شخص آخر، شيئاً مادياً كما في أكل التراث. أمّا مثراً معنوياً كما جاء في الحديث النبوي: «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم؛ فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»⁽¹⁾. فيقال ورث فلان المال، أو ورث بعض القيم: كالْمَجْدُ، الْأَخْلَاقُ، الْعِلْمُ..

التراث في الاصطلاح الأدبي:

إذاً ما المقصود بالتراث الشعبي؟ لا شك أنه لا يمكن صرف المقصود هنا إلى المسائل المادية المالية؛ لأنّه يعني وبوضوح وراثة المبادئ والعقائد والقيم، المبثوثة في أشكال من الإنتاج القولي الذي يطلق عليه: التراث الشعبي الثقافي، وهو يشمل الكثير من المواضيع التراثية منها الشعر الشعبي، والحكايات والأساطير، والخرافات، والأمثال والألغاز والنواذر... وهي موروثات شفوية انتقلت إلينا جيلاً بعد جيل بالرواية الشفوية؛ لأنّعدام الكتابة في الماضي؛ مما أضاع الكثير منها.

يقول محمد المرزوقي: «.. فالآداب الشعبية لعرقتها تحفظ لنا ذخيرة وافية نستطيع بدراستها أن نعرف الحياة الذهنية والروحية لأسلافنا الأقدمين، وكذلك نستطيع بواسطتها أن نضبط التاريخ الاجتماعي لهذه المراحل الأولى من المجتمع البشري»⁽²⁾.

والمأثورات الشعبية يخدم بعضها بعضاً، فكثيراً ما تتضمن القصص والحكايات أمثالاً شعبية، وكثيراً ما تحتوي القصائد الشعرية -أيضاً- على حكم و أمثال، وكثيراً ما يقال المثل ويُفسر بقصة أو حادثة. ولعلّ المتتبع لبعض هذه القصص يُدهشه ما تضمنته من قيم إنسانية، تعمل المجتمعات على ترسيخها في وجدان الناشئة؛ لأنّ التراث الشعبي الشفوي يمثل المستوى الأول في الثقافة الوطنية، يتلقاه الطفل مباشرة في مدرسته الأولى: الأسرة. والأنموذج الآتي يؤكد ذلك.

تقول حكاية شعبية:

⁽¹⁾ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذى، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، د/ط، دار عمران، بيروت، د/ت، ج 5، ص 49.

⁽²⁾ محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967م، ص 13.

ورث ابن من أبيه ثروة؛ ولكنه فقدها بعد فترة من الزمن، ولم يعد يملك منها سوى ثلاثة دينار، فأخذ ما تبقى معه من النقود وخرج للبحث عن عمل، وفي الطريق قابل رجلاً يبيع كلمات حكمية؛ فطلب منه الابن أن يبيعه بعض حكمه في مقابل الثلاثة دينار؛ فباعه الرجل الحكم، وهي : «حبّيك اللي اتحبو ولو كان دب»، «ساعة الحظ ما تتعوضش»، «اللي آمنك لا تخونو ولو كان خائن»، وأخذ الابن الكلمات الحكمية بعد أن دفع للرجل أجرها. وصار لا يملك شيئاً.

ولمّا أظلم الكون جلس الشاب بجوار دكان وراح في النوم، وفجأة رأى شخصاً غريباً أمامه، يسأله سؤالاً غريباً، يقول له: أتحب البيضاء أم السوداء؟ واحتار الشاب في الإجابة و لكنه سرعان ما تذكر الكلمات التي اشتراها، فأجابه قائلاً: "حبّيك اللي اتحبّو ولو كان دب". عند ذلك اخترق الشخص الغريب. وفي الصباح جاء صاحب الدكان ليفتح دكانه، فسأل الشاب عما إذا كان من الممكن أن يجد عنده عملاً؛ فأخذ الرجل ليعمل عنده، ولما توسم فيه الإخلاص والأمانة، تركه يرعى شؤون تجارتة، وشؤون بيته ريثما يحضر من سفره. فكان الشاب يذهب كل يوم إلى زوجة الرجل يسألها عن احتياجاتها؛ ليقضيها لها، وبعد وقت أحبت المرأة الشاب، وحاولت أن تراوده عن نفسه؛ ولكن الشاب تذكر الكلمات التي اشتراها بماله، وقال في نفسه: "اللي آمنك لا تخونه ولو كان خائن". ولهذا فقد رفض طلبها ورحل إلى حاله، ولم يعد بعد ذلك يتتردد على بيت سيده.

ولكن الزوجة خشيت أن يكشف الشاب عن فعلها لزوجها عندما يحضر؛ ولهذا أسرعت إلى زوجها بعد وصوله، وأخبرته بأن الشاب الذي وثق فيه، وسلمه تجارتة، ووكل إليه أن يرعى شؤون بيته، ليس جديراً بهذه الثقة؛ لأنّه شاء أن يراودها عن نفسها؛ فغضب الرجل وشاء أن ينتقم من الشاب. ولهذا فقد أمر الشاب أن يرحل إلى جماعة من الأعراب، وسلمه رسالة إليهم، بعد أن كتب فيها: (أحضروا الأمانة) وكانت هذه هي كلمة السر التي يفهم منها الأعراب، أن يقطعوا رأس من يرسله الرجل إليهم.

أخذ الشاب الرسالة ورحل إليهم، وفي أثناء الطريق صادف حفل زواج؛ فقال في نفسه: لقد اشتريت الكلمات بمالك، فيجب أن تعلم بها جميعاً، وكان يعني بذلك أن يستفيد

من الحكمة الثالثة التي تقول: "ساعة الحظ ما تتعوضش". وعند ذلك دخل البيت الذي أقيمت فيه الحفل، وأخذ يأكل ويشرب مع المدعويين، وبات هناك ليالتين.

ولمّا تأخر الأعراب في إرسال الأمانة إلى التاجر، أرسل إليهم رسولاً آخر، برسالة يقول لهم فيها: "أين الأمانة؟" فلما وصل هذا الرسول بالرسالة، قطع الأعراب رأسه، وبعد وقت وصل إليهم الشاب بالرسالة الأولى؛ فسلمّه الأعراب الرأس المقطوعة؛ فأخذها ورحل إلى سيده، وفوجئ الرجل التاجر بأن الشاب يعود إليه سالماً وأنه يحمل معه رأس الرسول الثاني، الذي أرسله في أثره؛ عند ذلك أدرك التاجر أن هذا الشاب لا بدّ أن يكون بريئاً؛ فطلب منه أن يصارحه بما فعله مع زوجته؛ فحكى له الشاب الحقيقة؛ فقتل الرجل امرأته، وأبقى على الشاب معه في عمله، وزوجه ابنته⁽¹⁾.

هذه الحكاية المحكمة البناء، صاغها الخيال الشعبي على هذا النحو، ليؤكد بها وظيفة أساسية، هي الكشف عن القيم الأخلاقية الإيجابية، والسلبية السائدة في المجتمع الشعبي الجزائري. إلى جانب تأكيد القيم الروحية المكونة للعقيدة الشعبية، من خلال ما تدل عليه الأقوال الحكمية الثلاثة الواردة في الحكاية وهي:

-حبّيك اللي اثّبتو ولو كان دب.

-ساعة الحظ ما تتعوضش.

-اللي آمنك لا تُخونو ولو كان خاين.

فالحكاية شرحت الأمثال، وبيّنت صدقها من خلال التجربة. والقيم التي جاءت بها الحكاية، لخصت في مضمون المثل.

ومadam المثل هو ملخص تجربة، قام بها فرد، ثم تكررت مع أفراد آخرين، حتى صارت حكمة، فشتّت وانتشرت بين الناس، فعدّت مثلاً سائراً. فإن بحثنا هذا يركز على المثل -الذي يُعدُّ أحد أشكال التعبير في الأدب الشعبي- من ناحية تعريفه، وأهميته. فما المثل؟

⁽¹⁾ ينظر مصطفى أشاطر، القيم الأخلاقية وآداب السلوك الاجتماعي، من خلال الحكاية الشعبية في الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للتربية (مظاهر وحدة المجتمع الجزائري) من خلال فنون القول الشعبية (الجزائر)، 2005 م-ص 299-300.

الاهتمام بالمثل:

تبعد الأمثال الشعبية كأحد عناصر التعبير الشعبي المنتشرة بين طبقات المجتمع، ويظهر أثرها في لغة التواصل العادي بين الأفراد، كما نجدها مثبتة في مختلف النتاجات الأدبية، من شعر وقصة وخطابة وغيرها. وهي شائعة عند جميع الأمم، قديمها وحديثها، وقد زاد الاهتمام بها منذ أوائل القرن العشرين؛ فأصبحت تدرس في الجامعات، كما تُتَّخذ موضوعاً من موضوعات الدراسات النفسية والاجتماعية للشعوب. على غرار ما قام به ضباط الاستعمار الفرنسي للجزائر. « كانت الثقافة الشعبية هي الرصيد المعتمد في الاستكشاف العلمي للمجتمع الجزائري، فوظفت نتائج دراستها في خدمة الاحتلال، منذ البداية، وقام ضباط عسكريون بتسجيلها من أفواه أهلها، وتحليلها ودراستها عن طريق أكثر المناهج استجابة للغرض النفعي المقصود من طرف الإدارة الاستعمارية، وهو إحكام السيطرة على الأهالي»⁽¹⁾. فنص بورابيو يبين أثر الثقافة الشعبية في اكتشاف نفسية الشعب الجزائري.

يرى حسين عبد الحميد رشوان « أن الأمثال تسجيل قولي كلامي في جمل قصيرة لما مر بالإنسان من أحداث، استخلص منها مآثر ومواعظ؛ فأبى الشعب أن يهمل أو ينسى هذه الأحداث؛ فسجلها في هذه الكلمات التي يتناقلها الناس بالرواية الشفوية جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر؛ مما جعل الأمثال تأخذ جانباً خاصاً من ألوان فن القول، وهي تؤدي إلى أقوى أنواع التأثير على الأمور وعلى السلوك الإنساني»⁽²⁾. يظهر من قول هذا الكاتب تأثره بالأمثال، واعتقاده بأهميتها في الحياة الاجتماعية و الخلقية؛ غير أن الأديب الفرنسي: الفريد دو موسى، Alfred de Musset يرى عكس ذلك، فهو يقول: « أنا لا أحب الأمثال كثيراً لأنها سروج تليق بكل الخيول، فلا يوجد مثل دون نقىض، ومهما كان سلوكنا، يوجد مثل يمكن الاعتماد عليه، فهي تبرر السلوك الإيجابي والسلبي »⁽³⁾

فالكاتب يعتبرها صالحة لكل المواقف والمقامات؛ لأنها لا تحمل القيم الإيجابية فقط؛ ولذلك فكل سلوك يمكن أن نجد له تبريراً في الأمثال، ولهذا فهو لا يحبها.

⁽¹⁾ - بورابيو عبد الحميد، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص.8.

⁽²⁾ - رشوان، حسين عبد الحميد أحد، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1993، ص.41.

⁽³⁾ - Jean-Loup Chiflet, 99 Proverbes à Foutre à la poubelle, éditions points, Paris, 2012, p 9.

تعبر الأمثال الشعبية عن سلوكيات المجتمع في مختلف المواقف، وقيم المجتمع متناقضة، وكل فرد أو جماعة لها قيمها التي تعبّر عنها أمثالها؛ وبالتالي لا نحكم على المثل بالسلب أو الإيجاب، كما يرى "النّيلي بن الشّيخ": « فالسلب والإيجاب حالات تلزم الموقف، والموقف رفض أو قبول لقضية؛ بينما المثل وصف لحالات سلوكية، لا يلزم فيه اتخاذ موقف»⁽¹⁾.

لكن ما الذي أعطاها هذه الميزة، ميزة الحفظ والانتشار؟ هل هو ما تحمله من قيم ودلائل، أو هو أسلوبها الذي ساعد على تداولها الشفوي المؤثر على الإنتاج الأدبي الكتابي؟ أو هما معاً؟

تعريف المثل العربي:

أ- في اللغة:

لتحديد مفهوم المثل لا بد من العودة إلى كتب اللغة التي اهتمت بمادة: (م، ث، ل). فـ مِثْل - بـ كسر الميم - كلمة تسوية، يقال: هذا مِثْلُه، ومَثَلُه - بالفتح - شِبَهُه وشَبَهُه بمعنى؛ قال ابن بري: « الفرق بين المماثلة والمساواة، أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس، والمتقين؛ لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار، لا يزيد ولا ينقص. و أما المماثلة فلا تكون إلا في المتقين تقول: نحو كنحوه، وفقيهه كفقهه، وكونه ككونه؛ فإذا قيل: هو مِثْلُه على الإطلاق، فمعناه أنه يسد مسده، وإذا قيل هو مِثْلُه في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة»⁽²⁾.

والمثل: الحديث نفسه. قوله عز وجل ﴿... وله المثل الأعلى...﴾⁽³⁾. جاء في التفسير، «أنه الأجمل والأحسن، وأنه قول لا إله إلا الله، وتأويله أن الله أمر بالتوحيد و نفي كل إله سواه، وهي الأمثال»⁽⁴⁾

والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثلاً. « وفي الصلاح: ما يضرب به من الأمثال، قال الجوهرى: ومثل الشيء أيضاً صفتة. قال ابن سيده: قوله عز من

⁽¹⁾ - بن الشّيخ النّيلي، منطلقات التّفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص180.

⁽²⁾ - ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 610.

⁽³⁾ - سورة النحل، آية 60.

⁽⁴⁾ - التّجّي، أبو يحيى محمد بن صمادح ، مختصر الطّبرى ، ط١، القاهرة، مكتبة الصفاء ، دار البيان للحديث ، 2006، ص273.

قائل ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَقْوِينَ...﴾⁽¹⁾. قال الليث: مثلاً هو الخبر عنها. وقال أبو إسحاق: معناها صفة الجنة﴾⁽²⁾. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿... ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمِثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ...﴾⁽³⁾. أي صفتهم.

وقد يأتي لفظ المثل بمعنى الحال، كقوله تعالى: ﴿... مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتِ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِ...﴾⁽⁴⁾. والفرق بين الحال والصفة أن الحال متغيرة، والصفة ثابتة أو شبه ثابتة.

وقد يكون بمعنى العبرة كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلْفًا وَمَثَلًا لِلآخَرِينَ﴾⁽⁵⁾. والمثال المقدار، وهو من الشبيه والمثل: ما جعل مثلاً أي مقداراً لغيره، يُحذى عليه، والجمع: المثل ، والمثال القالب الذي يقدر على مثله.

تماثل العليل: قارب البرء فصار أشبه بالصحيح. وقيل: « لأن قولهم تماثل المريض، من المثال والانتساب كأنه هم بالنهوض والانتساب. والمثلة نسمة تنزل بالإنسان فيجعل مثلاً يرتدع به، وذلك كالنkal . وجمعه مثلات»⁽⁶⁾. قال تعالى: ﴿... وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ الْمَثَلَاتِ﴾⁽⁷⁾.

والأمثل من الناس، هو الأفضل؛ لأن معناه الأشبه بالأفضل والأقرب إلى الخير، أمثل القوم خيارهم، قال تعالى: ﴿... إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةٌ...﴾⁽⁸⁾ وتأنيثه المثل.

وقد أورد اليوسى: « .. أَنَّ الْمَمَاثِلَةَ هِيَ الْمَسَاوَةُ مِنْ كُلِّ وِجْهٍ، وَالْمَشَابِهَةُ فِي أَكْثَرِ الْوِجْهِـ وَالْمَنَاظِرَةُ هِيَ الْمَسَاوَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْوِجْهِـ وَلَوْ فِي وَاحِدٍ؛ فَيَكُونُ كُلُّ

⁽¹⁾ - سورة الرعد، آية 35.

⁽²⁾ - ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 611.

⁽³⁾ - سورة الفتح، آية 29.

⁽⁴⁾ - سورة البقرة، آية 17.

⁽⁵⁾ - سورة الزمر، آية 56.

⁽⁶⁾ - ابن منظور، مصدر سبق ذكره، الجزء و الصفحة نفسها.

⁽⁷⁾ - سورة الرعد، آية 6.

⁽⁸⁾ - سورة طه، آية 104.

واحد من هذه الألفاظ الثلاثة أعم مما قبله. و كل ذلك مخالف لما في متون اللغة من تفسير المثل بالشبه..»⁽¹⁾.

والمثال: الصورة، والجمع التماثيل، ومثل له الشيء: صوره، حتى كأنه ينظر إليه. ويقال: امتنأَتِ مِثْلُ فلان: احتذيت حذوه وسلكت طريقه.

ومثل الشيء يمثل مثولاً : قام منتصباً، ومثل بين يديه قام منتصباً. وفي الحديث: «من أحب أن يمثل له الناس قياماً فليتبواً مقعده من النار»⁽²⁾.

والمثل: عبارة عن قول في شيء يشبه قوله في شيء آخر، بينما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر، ويصوّره. على نحو قولهم: الصيف ضياعُ اللبن؛ فإن هذا القول يشبه قوله أهملت وقت الإمكان أمرك.

وجميع المعاني التي ذكرتها للمثل بتصاريفه المختلفة تُردد إلى معاني المشابهة على نحو ما. وعلى هذا ضرب الله تعالى من الأمثال فقال: ﴿وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لِعِلْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽³⁾.

بـ-المثل في الاصطلاح الأدبي:

المثل: هو ذلك الفن من الكلام الذي يتميز بخصائص ومقومات تجعله جنساً من الأجناس الأدبية، قائماً بذاته، وقسماً للشعر والقصة والمقالة والخطابة والرسالة والمقامة... وقد عُني علماء البلاغة واللغة منذ زمن مبكر بتعریف (المثل) الأدبي وتحديد خصائصه، فقد جاء في مجمع الأمثال للميداني: قال المبرد: المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه... ، فقولهم مثل بين يديه إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة. و فلان أمثل من فلان أي أشبه بما له الفضل. فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول. قال كعب بن زهير⁽⁴⁾ :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً --- وما مواعيدها إلاً الأباطيلُ.

⁽¹⁾ - البوسي الحسن، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ط1، حققه محمد حجي و محمد الأخضر، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1981، ص20.

⁽²⁾ - أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، د/ت، ج4، ص358.

⁽³⁾ - سورة الحشر، آية 21.

⁽⁴⁾ - كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، تحقيق دروش الجودي، ط1، لبنان: صيدا، بيروت، 2008، ص 125.

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواجهات.

وقال ابن السكيت: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويواافق معناه معنى ذلك اللفظ .
وقال غيرهما: سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثلاً لانتصار صورها في العقول، مشتقة من المثل الذي هو الانتصار.

وقال إبراهيم النظام: يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكنية؛ فهو نهاية البلاغة. قال ابن المقفع:
إذا جُعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنف للسمع، وألوسح لشعوب الحديث⁽¹⁾.

كما أن ابن المقفع، أطلق على حكايات كليلة ودمنة اسم (أمثال) فجاء في عرض الكتاب: «وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا ألا تكون غايتها التصفح لتزاويقه، بل يشرف على ما يتضمن من الأمثال حتى يأتي إليه إلى آخره، ويقف على كل مثل وكلمة..»⁽²⁾.

وتتكرر في متن الكتاب لفظة(مثل) بهذا المدلول القصصي، الذي يشير إلى مصطلح سردي مرتبط بالحكاية الرمزية. ومعنى ضرب المثل في مثل هذه الحال: سرد القصة، والإتيان بها: «قال ديشليم الملك لبيديبا الفيلسوف، وهو رأس الفلسفه: اضرب لي مثلاً لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء»⁽³⁾.

أما أبو هلال العسكري فيقول: « والأمثال أيضاً نوع من العلم منفرد بنفسه، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحکمه وبالغ في إتقانه حتى أتقنه، وليس من حفظ صدراً من الغريب... قادرًا على أن يقوم بشرح الأمثال والإبانة عن معانيها... وإنما يحتاج الرجل في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على أصولها، والإحاطة بأحاديثها، ويكمel لذلك من اجتهد في الرواية، وتقدم في الدرایة»⁽⁴⁾

أما السيوطى، فيرى أن: « المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتنقسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عمّا وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير

⁽¹⁾ - الميدان، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، ط 2 منتحة، منشورات دار مكتبة الحياة، د/ت بيروت، ج 1، ص 13-14.

⁽²⁾ - لبيديبا الفيلسوف الهندي، كليلة ودمنة، تعریف ابن المقفع، دار البرهان، القاهرة، 2005م، ص 37.

⁽³⁾ - المصدر السابق نفسه، ص 48.

⁽⁴⁾ - أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، و عبد الحميد قطامش، ط 1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2003م، ج 1، ص 14-15.

تعتير يلحق في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عنها⁽¹⁾.

ويعرفه عبد المجيد قطامش بقوله: « والمثل قول موجز سائر، صائب المعنى، تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة»⁽²⁾.

وَحَالَةُ التَّشِيهِ يَضْمُنُهَا غَيْرُهُ فِي الْعِبَارَةِ التَّالِيَةِ:

« هو قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي مثله لأجله، بأن تشبيه مضربيه بمورده »⁽³⁾.

أما أحمد الهاشمي فله رأي آخر خالف به من ذكرت سابقاً، حيث فصله كما يلي:
المثل عبارة عن تأليف لا حقيقة له في الظاهر، وقد ضمن باطنه الحكم الشافية، وهي ثلاثة
أقسام: مفترضة ممكنة، ومفترضة مستحيلة، ومحضطة :

1-الأمثال المفترضة الممكنة: هي ما تُسبب فيها النطق والعمل إلى عاقل

2-المخترعة المستحيلة: ما جاءت على ألسنة الحيوانات والجمادات، فيعزى لها النطق والعمل لارشاد الانسان.

٣- المختلطة: ما دار فيها الكلام أو العمل بين الناطق وغير الناطق
وشروط المثل أربعة:

الأول: أن تكون روایته خالية من كل تعقید ليفضي المقصود منه إلى ذهن السامع.
الثانية: أن لا يكون مسها مملا.

الثالث: أن يبهج السامع بطلاؤته، ويفكه فكره بهزل كلامه، وابتکار معانیه، ويضبط عقله في فهم الرواية المختلفة وفرض مشكلها.

⁽¹⁾ - السسوط ، المزهر في علوم الأدب وأنواعه، د/ط ، دار إحياء الكتب، د/ت، بيروت، ج 1، ص 486.

⁽²⁾ عبد الحميد قطاطوش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، ط١، سوريا: دار الفك، دمشق، 1988م، ص 12.

⁽³⁾ محمد بن إسماعيل، [الأمثال]، القراءة: دراسة تحليلية، ط١، دار المانا، للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 14.

⁽⁴⁾ -أحمد العاش، محمد الأسد، في أدب انتقامي (آفة العصر)، مجلة حياة وفتح، دار الفكر الطالعنة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ص 153.

أما "رَابِحُ الْعُوبِي" فيقول: المثل السائر: «هو قول محكي سائر، أو جملة مقطعة من
كلام، أرسلت لذاتها، وهي تنقل مما وردت فيه إلى ما يحاكيه في معنى من المعاني، أيّ
معنى كان»^(١). وهو لم يذكر التشبيه، وذكر المحاكاة وهي في معنى التشبيه.

أما أحمد رشدي صالح فقدم لنا تعاريف غيره : «يعتبر الفولكلوريون المثل واللغز أكمل النماذج على عبقرية الفلاحين وبلاغتهم»⁽²⁾. ويورد تعريف بعض الدارسين منها:

- قول آرثر تايلور Archer tylor : المثل أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية، يوحى في غالب الأحيان بعمل، أو يصدر حكما على وضع من الأوضاع.
- قول الأستاذ داهل Dohl : أسلوب المثل أسلوب الجملة القصيرة نسبيا، المنغمة في الغالب المجازية دائما.

- تعريف سوكولوف: بأنه جملة قصيرة، صورها شائعة، تجري سهلاً في لغة كل يوم أسلوبها مجازي، وتسود مقاطعها الموسيقى اللفظية⁽³⁾. وهذه التعريف الثلاثة التي قدمها أحمد رشدي، ترکز على الوظيفة والأسلوب.

أما التعريف الذي تراه نبيلة إبراهيم شاملاً لخصائص المثل الشعبي وحده، فهو تعريف الأستاذ: "فريديريك زايلر" وذلك في مقدمة كتابه القيم، "علم الأمثال الألمانية" الذي نشره(عام 1922م)، حيث يعرّف المثل بقوله: «إنه القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي، وشكل أدبي مكتمل يسمى على أشكال التعبير المألوفة»⁽⁴⁾. أما التلي بن الشيخ، فيورد التعريف التالي: «المثل عبارة عن جملة أو أكثر تعتمد على السجع وتستهدف الحكمة والموعظة»⁽⁵⁾.

أما معجم روبير الفرنسي فيعرف المثل بقوله: «المثل حكمة مشتركة بين أفراد فئة شعبية، معنٌ عنها عبارة موجزة غالباً ما تكون مجازية ذات نزف»⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ياج العهد، أنواع النش الشعه، منشورات جامعة ياج المختي، عنابة، د/ت، ص 41.

⁽²⁾ - أحمد شعراوي، صالح، فنون الأدب الشعري، ط١، دار الفك، 1956م، ج٢، ص 6.

⁽³⁾ ملکه ایالت کالیفرنیا

⁽⁴⁾ — اقتداء بـ أشكال التيارات الأهلية الشاملة، دار نشر المانعة النشر، القاهرة 1981، ص 174.

⁽⁵⁾ -التاء- من الشائئن، -والقاف- للتغىك في الأداء الشعري المأثور، 155.

⁶ Le grand Robert de la langue Française Dictionnaire le Robert, édition 2, Paris, 2001, Tome 4, p.1337.

أما عبد الحميد بن هدوقة، فيلخص التعريف السابقة في أربعة أشياء:

- 1- أن معظم التعريفات، سواء منها العربية أو الفرنسية، تعتبر المثل والحكم شائعاً واحداً.
- 2- أن المثل هو تشبيه حال بحال سواء للاعتبار أو لتماثل السياق.
- 3- أن المثل يقتضي الإيجاز وجمال العبارة.
- 4- أن المثل قول سائر متنتقل بين الناس⁽¹⁾.

ويطلق المثل على الحال، والقصة العجيبة الشأن، والصفة الغريبة؛ وإلى هذه المعاني الثلاثة يشير الزمخشري في كشافه، فيقول: « والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده : مثل . ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ، ولا جديرا بالتداول والقبول ، إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه، ومن ثم حفظ عليه وحْمي من التغيير . فإن قلت: ما معنى ﴿مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا...﴾⁽²⁾ وما مثل المنافقين ، ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبـه ؟ قلت: قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدم للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة، بأنه قيل: حالـهم عجيبة الشأن كحالـ الذي استوقد نارا⁽³⁾».

ج- المثل عند علماء البيان:

مفهومه أخص من مفهومه في أصل اللغة ، فهو عندهم استعارة تمثيلية، شاع استعمالها مذكراً أو مؤنثاً، من غير تغيير في العبارة الواردة⁽⁴⁾. فإذا فشت الاستعارة التمثيلية وشاع استعمالها، وظلـت باقية على هيئتها، واستساغـها العقلاء لما فيها من دقة التصوير - أضـحت مثلاً يُضرب - كقولـهم: (الصيف ضـيـعـتـ اللـبـنـ) بكسر نـاءـ الفـاعـلـ. فقد وردـ في امرأـة فـرـطـتـ فيـ أمرـ، ثم طـلبـتهـ بعدـ فـواتـ فـرـصـتـهـ، ثم شـاعـ استـعمـالـهـ وـذاـعـ حتـىـ صـارـ مـثـلاـ يـُضـرـبـ لكلـ منـ طـلـبـ أـمـراـ بـعـدـ التـفـريـطـ فـيـهـ ، وبـعـدـ فـواتـ وـقـتـهـ.

⁽¹⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، طبع المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، الرغية، الجزائر، 1993م. ص 12.

⁽²⁾ - سورة البقرة، آية 17.

⁽³⁾ - الزمخشري، أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط 1 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، سنة 1977م، م 1، ص 195.

⁽⁴⁾ - الشـيخـ حـامـدـ عـوـنـ.ـالـمـهـاجـ الواـضـحـ،ـ5/ـ139ـ،ـنـقـلاـ عـنـ مـحـمـدـ بـكـرـ إـسـمـاعـيلـ.ـالـأـمـالـ الـقـرـآنـيـ صـ15ـ.

وكلولهم : (تأتي الرياح بما لا يشتهي السفن)، لمن يعرض له أمر لا يشتهيه؛ تشبيها له بربان السفينة ، ترجيها الرياح إلى غير الوجهة التي يريدها⁽¹⁾. وهكذا يقال في جميع الأمثال السائرة نظما ونثرا. والأمثال العربية لها مضرب ومورد.

- مضرب المثل و مورده :

- مضرب المثل:

أما ضرب المثل: فيراد به إطلاقه، واستعماله في الحالات المتعددة ، التي تشبه الحالة الأولى، وبمعنى آخر، يضرب المثل في الكلام بذكر حال ما يناسبها؛ فيظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفيًا.

ولا يظهر التأثير في النفس بتحقيق شيء وتقبيحه، إلا بتشبيهه بما جرى العرف بتحقيقه، ونفور الناس منه. وقد اختلف العلماء اختلافا واسعا في الأصل الحسي الذي أخذ منه لفظ (ضرب) المثل ؛ فقيل إنه مأخذ من الضرب في الأرض: أي الإيغال فيها والإبعاد في أقصيها، وقيل: إنه مأخذ من ضرب الخباء، وهو نصبه و إقامة عدده، و إثبات طنبه، و يكون المعنى على هذا: نصب الأمثال للناس بالشهرة، ل تستدل عليها خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواطيرهم⁽²⁾. وقيل: مأخذ من ضرب الموعد، أي بيانه وتحديدـه .

وقيل: مأخذ من ضرب الدر衙م؛ وهو صوغها بالمطارق و إحداث أثر خاص فيها؛ لأن ضارب المثل يقع به أذن السامع قرعا، ينفذ أثره إلى قلبه، فيؤثر في النفوس كما تؤثر المطارق في الدر衙م.

وقيل: مأخذ من الضرب و الضريب، بمعنى المثل والنظير، لأنه يجعل الأول مثل الثاني.

وقيل: مأخذ من الضرب بمعنى التثبيت ك قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾⁽³⁾.

⁽¹⁾ - محمد بكر إسماعيل، الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية ، ص 16.

⁽²⁾ - عبد الحميد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص 13.

⁽³⁾ - سورة البقرة، آية 61.

و يكون معنى (ضرب المثل) على هذا وضعه موضعه، و إثباته حيث يصلح له⁽¹⁾.

- مورد المثل:

ويراد (بمورد المثل) الحالة التي قيل فيها ابتداءً، ويراد (بمضريه) الحالات والمواقف المتتجدة التي يمكن أن يستعمل فيها المثل لما بين الحالتين من التشابه.

ويرى عبد المجيد قطامش: أن أول من استعمل هذين الاصطلاحين، هو الإمام الزمخشري (ت 538 هـ)، و ذلك بتعریفه للمثل في مقدمة كتابه: (مستقبي الأمثال) حيث يقول: «المثل في لغة العرب بمعنى المثل : كالشَّبَهُ و الشَّبَهُ ، و نظيرهما البَدْلُ و البَدْلُ والنَّكَلُ، للشجاع الذي ينكل بأعدائه، ثم سميت هذه الجملة من القول المقضبة من وصلها أو المرسلة بذاتها ، المتسمة بالقبول، المشهورة بالتداول، مثلا؛ لأن المحاضر بها يجعل موردها مثلا ونظيرا لمضريها»⁽²⁾.

وكذلك استعمله في (كشافه)، حيث يقول: «ثم قيل للقول السائر الممثل مضريه بموردده مثلا»⁽³⁾.

ويرى عبد المجيد قطامش -أيضاً- أنه ليس صححاً أن كل مثل له حادثة معينة يرتبط بها تسمى المورد؛ لأن هناك أمثلا لا ترتبط بأية حادثة، منها أقوال الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبعض الأبيات الشعرية، والأمثال التي أصلها حكم، ثم سارت وشاعت. والصواب عنده أن يطلق المورد على أول استعمال للمثل، سواء أكان حادثة أم لم تكن⁽⁴⁾.

- الحكمة والمثل والعلاقة بينهما :

- الحكمة في اللغة :

تطلق على عدّة معاني أشهّرها ثلاثة ، كما جاء في لسان العرب لابن منظور:

- العلم: إذ يقول العرب: حُكُمَ فلان حُكْماً و حِكْمَةً ، إذا صار حكيمًا أي عالماً وصاحب حكمة وعلى هذا جاء قول النَّمِير بن تَوْلِبَ :

⁽¹⁾ - ينظر عبد المجيد قطامش . المرجع السابق ، ص 14.

⁽²⁾ - المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

⁽³⁾ - الزمخشري، الكشاف. م جلد 1 ، ص 195.

⁽⁴⁾ - عبد المجيد قطامش. الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص 15.

أي إذا حاولت أن تكون حكيمًا، ذا علم وبصر.

- الإنقان: إذ يقولون أحكم فلان عمله إحكاماً، إذا أتقنه، فهو مُحْكَم، ويصاغ منه حكيم -
فعيل بمعنى مُفعَل، وعليه جاء قول الأعشى، يصف القصيدة:
وغريبة تأتي الملوك حكيمٌ -- قد قُلْتُها لِيُقال من ذا قالها⁽²⁾.

- المنع: فيقال: حكمت السفية، و حَكَمْتُهُ، وأحكمته، أي منعته، وأخذت على يديه ومن هذا المعنى قيل للحاكم: حاكم؛ لأنّه يمنع الظالم من الظلم، وعليه جاء قول جرير أبنى حَنِيفَةَ أَحْكَمُوا سُفَهَاءَكُمْ --- إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَنَا⁽³⁾.

أي ردّوهم وكفواهم، وامنعواهم من التعرض لي، ومن المعنى نفسه أخذت كلمة (الحكمة) وهي ما أحاط بحَنْكِي الفرس، وعلى أنفه من اللجام و العذارين، وإنما سميت بهذا لأنها تمنعه من الجموح و النفار وغيرهما⁽⁴⁾

- الحكمة في الاصطلاح الأدبي:

للعلماء في تعريفها وتحديد ما هيّتها أقوالٌ شتى، تختلفُ الأفاظُها، ولكن مدلولاتها يقتربُ بعضُها من بعضٍ اقتراباً شديداً.

و يوجز عبد المجيد قطامش مختلف التعريف بقوله: «إن المراد بها تلك العبارة التجريدية التي تصيب المعنى الصحيح، و تعبّر عن تجربة من تجارب الحياة، أو خبرة من خبراتها و يكون هدفها عادة الموعظة والنصيحة»⁽⁵⁾

والحكمة بهذا المعنى لا تصدر إلا عن فئات خاصة من الناس، هم أولئك الذين أوتوا
قسطاً موفوراً من الذكاء ونفاد البصيرة، وفصاحة العبارة وبلاغتها، كالأنبياء والحكماء
والفلاسفة والشعراء وغيرهم.

⁽¹⁾ - ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 140.

⁽²⁾ - الأعشى، ميمون بن قيس، *ديوان الأعشى*، ط١، إعداد محمد عبد الرحيم، لبنان: دار الراتب الجامعية ، 2008 م،ص 195.

⁽³⁾ — جعوب، جعوب بن عطية. *ديوان جعوب*، ط١، إعداد محمد عبد الرحيم، لبنان: دار الاتجاه الجامعية، 2008 م، ص 48.

⁽⁴⁾ ابن منظور، المصدري، نفسه، ج 12، ص 144.

⁽⁵⁾ عبد الحميد قطاطوش، الأمثل، العبرة: دراسة تاريخية تحللية، ص 18.

- الفرق بين الحكمة والمثل :

مما تقدم يمكن أن نلمح فروقاً بينهما تتمثل في:

- أن المثل أساسه التشبيه، أما الحكمة فعمادها إصابة المعنى، ولا يراعي التشبيه فيها إلا حيث تصبح مثلاً.

- أن أسلوب المثل دائمًا موجز، عكس أسلوب الحكمة الذي قد يطول نسبياً.

- أن الهدف من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة التبيه والإعلام والوعظ.

- أن المثل يصدر عن جميع الناس، ب مختلف طبقاتهم الفكرية والاجتماعية.
أما الحكمة فلا تصدر إلا عن حكيم أو فيلسوف أو أضربهما⁽¹⁾.

قد تلتقي الحكمة والمثل؛ و ذلك حين تحسن الحكمة، وتكون موجزة العبارة، فيتهيأ لها بذلك أن تسير بين الناس، و تتدالوها ألسنتهم وأفلامهم، فتدخل حظيرة الأمثال.

وفي هذه القضية يقول أبوهلال العسكري في جمهرة الأمثال: « ثم جعل كل حكمة سائرة مثلاً وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً»⁽²⁾ ، فإذا فالحكمة نوعان: نوع يسير ويفشو فيصبح مثلاً، ونوع لا يتها له ذلك فلا يسمى مثلاً.

ومن النوع الأول ذكر: أعذر من أنذر - مقتل الرجل بين فكيه- رب قول أشد من صول - معادة العاقل خير من مصادقة الأحمق - وغيرها كثير.

فهذه العبارات حكم في أصلها ، أريد بها النصح والإرشاد ، غير أنها فشت بين الناس ولاكتها ألسنتهم، لما تتضمنه من إصابة المعنى، وروعة التعبير؛ فصارت أمثالاً.

وهناك من الأمثال ما لا يمت بصلة إلى الحكم بسبب. مثل: « رجع بخفي حنين - الصيف ضيغت البن - بطني فعطري...»⁽³⁾.

⁽¹⁾ - عبد الجيد قطامش ، المرجع السابق، ص-ص 18-19.

⁽²⁾ - أبوهلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج 1، ص 8.

⁽³⁾ - عبد الجيد قطامش ، المرجع السابق نفسه ، ص 20.

- كتب الأمثال:

لقد ولع الدارسون المسلمين الأوائل بجمع الأمثال، لأهميتها الاجتماعية واللغوية والأدبية. وألفوا كتاباً كثيرة؛ منها ما وصل إلينا، وهو موجود في شكل مخطوط أو مطبوع، ومنها ما لم يصل. وهذه عناوين أهم كتب الأمثال الموجودة مرتبة تاريخياً حسب ما ذكره الدكتور عبد المجيد قطامش في كتابه : *الأمثال العربية*⁽¹⁾.

- 1- كتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي (نحو 170هـ).
 - 2- كتاب الأمثال لمؤرج السدوسي (195هـ).
 - 3- كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (224هـ).
 - 4- كتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي (250هـ).
 - 5- كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة (291هـ).
 - 6- كتاب الظاهر لابن الأنباري (ما بين 327-328هـ).
 - 7- كتاب الدرة الفاخرة لحمزة الأصبهاني (351هـ).
 - 8- كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (395هـ).
 - 9- كتاب مجمع الأمثال للميداني (518هـ).
 - 10- كتاب المستقصي في أمثال العرب للزمخري (538هـ). بالإضافة إلى كتابين لم يذكرهما عبد المجيد قطامش وهما:
11- كتاب فرائد الخرائد في الأمثال لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخويي، (549هـ).
12- زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسى. (ت، ق 11هـ).
- ولعل أهم كتب الأمثال المذكورة، (*مجمع الأمثال للميداني*)؛ لأنها من أواخر الكتب تأليفاً و به ستة آلاف وثمانون مثلاً. وهو يعاصر كتاب المستقصي في أمثال العرب للزمخري، غير أن هذا الأخير يضم ثلاثة آلاف وأربع مائة وواحداً وستين مثلاً؛ أي ما يقارب نصف ما جمعه الميداني في *مجمع الأمثال*. كما أن الزمخري لما اطلع على *مجمع الأمثال* ندم على تدوينه للمستقصي في *أمثال العرب*⁽²⁾.

⁽¹⁾ - عبد المجيد قطامش، المرجع السابق، ص-121-122.

⁽²⁾ - الميداني ، *مجمع الأمثال*، ج 1، ص 9.

أنواع المثل العربي:

ذكر الدارسون للمثل العربي ثلاثة أنواع للمثل:

١- المثل الموجز:

وهو: القول السائر الموجز، الذي يشتمل على معنى صائب؛ وتشبه فيه حالة مصرية بحالة مورده. وهذا النوع من الأمثال هو الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظ (المثل) وهو الذي عني به جامعوا الأمثال، وتدخل فيه الحكم التي فشت بين الناس، كما تدخل فيه الأمثال الشعرية، كقول معن بن أوس^(١) :

أَعْلَمُهُ الرِّمَايَةُ كُلُّ يَوْمٍ — فَلَمَّا اشْتَدَ سَاعَدُهُ رَمَانِي .

وتدخل فيه الأمثال على وزن (أفعى من) مثل: أجود من حاتم - أكذب من مسلمة.

٢- المثل القياسي:

وهو ذلك السرد الوصفي أو القصصي، الذي يهدف إلى توضيح فكرة، أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل، الذي يقوم على المقارنة والقياس؛ وهو يتناول أحد أمرين: إما أن يصور نموذجاً من السلوك الإنساني بقصد التأديب، أو التمثيل والتوضيح، وإما أن يجسد مبدأ يتعلق بملوك الله تعالى، ومخلوقاته، « وهو كلام مطنب إذا قورن بسابقه وهو ليس تلخيصاً لقصة، ولا إشارة إليها، وليس اقتباساً؛ وإنما هو قصة بأكملها، أو صورة مجازية ميسوطة، جاء بها الحكيم للإيضاح، أو التأديب والتحذير»^(٢).

وهذا النوع يكاد يكون معادوماً في الأمثال العربية، ولكننا نجد بكثره في القرآن الكريم، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم. ثم نسج حكماء الإسلام أمثالاً قياسية على منوال أمثال القرآن والسنة. ويورد عبد المجيد قطامش نماذج من أمثال الإمام علي -كرم الله وجهه- فقد رُوي عنه قوله: « مثل الدنيا كمثل الحياة ، لين مسُها والسم الناقع في جوفها، يهوى إليها الغُرُّ الجاهل، ويحذرها ذو اللب العاقل» قوله: «مثل الإنسان الحصيف مثل الجسم الصلب الكثيف ، يسخن بطينًا ، وتبرد تلك السخونة بأطول من ذلك الزمان»^(٣).

^(١) - عبد المجيد قطامش ، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص.28.

^(٢) - عبد المجيد عابدين ، الأمثال في النثر العربي القديم، ص158 ، نقلًا عن عبد المجيد قطامش ، الأمثال العربية، ص30.

^(٣) - عبد المجيد قطامش . المرجع السابق ، ص:31.

3- المثل الخرافي:

هو تلك الكلمات الموجزة السائرة، التي أجرها العرب على ألسنة الحيوان، أو بنوها على قصص خرافي نسجوا حوله، وجعلوه فيها يتحدث وي فعل، كما يتحدث الإنسان ويفعل يقصدون بذلك التسلية، أو الحث على مكارم الأخلاق؛ وربما كان هذا النوع بسبب مخالطتهم للحيوان في الحياة البدوية، وبعد صورة من صور الأدب الرمزي، الذي ينسب الأديب فيه الأحداث والحوار إلى الحيوانات والجماد⁽¹⁾.

ويصنف عبد المجيد قطامش الأمثال العربية التي تتصل بالخرافات صنفين:

أ- صنف أجراء العرب على ألسنة الحيوان نفسه، خلال الأحداث التي حاكوها حوله، ومنها الأمثال المشهورة التي أجروها على لسان الضب، حين اختصم إليه الأرنب والثعلب في تمرة وجدها الأرنب، فاختلسها الثعلب. وهي: «في بيته يؤتى الحكم، حلوا جنٍّ، البادي أظلم، حر انتصر، حدث حديثين امرأة فإن لم تفهم فأربعة»⁽²⁾.

ومنه قولهم: «إنما أكلت يوم أكل الثور الأسود» وهو من أمثال كليلة ودمنة.

ب- وصنف بناء العرب على حكايات خرافية، كقولهم: «كرَح الفيل من الحمار»⁽³⁾. فهذا المثل مبني على خرافة «الفيل والحمار» وخلا صتها أنهما اجتمعا ذات يوم في مرعى، فطرد الفيل الحمار، فقال له الحمار: لماذا تطردني مع اشتباك الرحم بيني وبينك؟ فقال الفيل من أين هذا الرحم؟ فقال الحمار: من أجل أن في غرمولي شبهها من خرطومك، فقبل الفيل هذه القرابة.

ثانياً: المثل في النصوص الدينية:

1- المثل في القرآن الكريم: أنواعه وبلاغته:

يذكر القرآن الكريم بالأمثال الموجزة والقياسية، ونعني بالأمثال الموجزة، تلك الآيات الكريمة، أو أجزاء الآيات، التي تتضمن بعض القيم الدينية؛ أو الأخلاقية المركبة، والتي يتمثل بها الناس، ولا سيما المسلمين منهم، في أحاديثهم اليومية، وفي كتاباتهم وخطبهم

⁽¹⁾ - عبد المجيد قطامش. المرجع السابق ، ص32.

⁽²⁾ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁽³⁾ - المرجع السابق، ص.33.

وأشعارهم. كما نعني بالأمثال القياسية ذلك السرد الوصفي، أو القصصي الذي يساق لتوضيح معنىً عن طريق التشبيه والتمثيل. فالمثل في القرآن نوعان : المثل الموجز السائر - المثل المفصل القياسي.

أما السيوطي، فأمثال القرآن عنده قسمان: «ظاهر مصرح به، وكامن لا ذكر للمثل فيه»⁽¹⁾. ويضيف الدكتور محمد بكر إسماعيل في كتابه (الأمثال القرآنية) ما يسمى بالأمثال الكامنة.

أ- المثل الموجز السائر في القرآن الكريم :

يرى عبد المجيد قطامش، أن الحكمة إذا سارت بين الناس لصدقها وإيجازها، دخلت في حظيرة الأمثال. ومن ثم جاز لنا أن نعد الآيات الكريمة، أو أجزاء الآيات التي تشتمل على بعض مسائل الدين، أو مبادئ الأخلاق الكريمة بصورة مركزة، أمثالاً؛ لأن الناس يتداولونها صباح مساء في شؤون الأخلاق والحياة، مشافهة وكتابة. واكتسبت هذه الصفة بعد أن سارت على الألسنة والأقلام في زمن متاخر⁽²⁾.

كما تسمى بالأمثال المرسلة؛ لأنها قد أرسلت إرسالاً، من غير تصريح بلفظ التشبيه، وكثير التمثيل بها، لما فيها من العضة والعبرة والإيقاع. وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم، وشيوعها في المسلمين، ولم تكن أمثلاً في وقت نزوله⁽³⁾.

ومن أمثلة القرآن الموجزة أو المرسلة، كما جاء في الإتقان، «عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب، بابا في ألفاظ من القرآن، جارية مجرى المثل، وهذا النوع البديعي يسمى بإرسال المثل»⁽⁴⁾ وأورد من ذلك:

قوله تعالى: ﴿...الآن حصحص الحق...﴾⁽⁵⁾.

و قوله: ﴿الرجال قوامون على النساء...﴾⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ - السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، صيدا، بيروت، سنة 1988م، ج 4، ص 39.

⁽²⁾ - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص 130.

⁽³⁾ - محمد بكر إسماعيل ، الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية ، ص 22.

⁽⁴⁾ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 4، ص 43-44.

⁽⁵⁾ - سورة يوسف، آية 51.

⁽⁶⁾ - سورة النساء ، آية 34.

وقوله: ﴿...قُضيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْقِيتَنِ...﴾⁽¹⁾.

وقوله: ﴿...لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءِ إِنْ تَبَدَّلْ كُمْ تَسْؤَكُمْ...﴾⁽²⁾.

وقوله: ﴿...وَبِالوَالِدِينِ إِحْسَانًا...﴾⁽³⁾.

وقوله: ﴿...هَتَىٰ يَلْجُ الْجَمْلُ فِي سَمِ الْخِيَاطِ...﴾⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿...وَإِنْ تَعُودُوا نَعْدُ...﴾⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿...إِنْ كَيْدَنْ عَظِيمٌ﴾⁽⁶⁾.

وقوله: ﴿...وَلَا تَنْسِ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...﴾⁽⁷⁾.

وقوله: ﴿...وَلَا يَنْبئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾⁽⁸⁾.

وقوله: ﴿...وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ...﴾⁽⁹⁾.

وقوله: ﴿...وَلَكُمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَاةٌ...﴾⁽¹⁰⁾.

وقوله: ﴿...كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحْنَ﴾⁽¹¹⁾.

وقوله: ﴿...مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ...﴾⁽¹²⁾.

ب - بِلَاغَةِ الْمَثَلِ الْقَرآنِيِّ:

من بِلَاغَةِ الْمَثَلِ الْمَوْجِزِ فِي الْقَرآنِ الْكَرِيمِ الْإِيْجَازِ . وَإِذَا كَانَ الْإِيْجَازُ رَكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْأَسْلُوبِ الْمَثَلِيِّ بِصَفَةِ عَامَةٍ ، فَإِنَّ الْمَثَلَ الْقَرآنِيَّ قَدْ أُوتِيَ مِنْ هَذَا الْإِيْجَازَ حَظًا ، فَاقِ بِهِ كُلُّ كَلَامٍ سُوَاهُ ، سُوَاءً أَكَانَ مَثْلًا أَمْ غَيْرَهُ.

⁽¹⁾ — سورة يُوسُف ، آية 41.

⁽²⁾ — سورة المائدة، آية 101.

⁽³⁾ — سورة الأنعام، آية 151.

⁽⁴⁾ — سورة الأعراف، آية 40.

⁽⁵⁾ — سورة الأَنْفَالَ، آية 19.

⁽⁶⁾ — سورة يُوسُف، آية 28.

⁽⁷⁾ — سورة القصص، آية 77.

⁽⁸⁾ — سورة فاطر، آية 14.

⁽⁹⁾ — سورة فاطر، آية 43.

⁽¹⁰⁾ — سورة البقرة، آية 179.

⁽¹¹⁾ — سورة الروم، آية 32.

⁽¹²⁾ — سورة المائدة ، آية 99.

وقد تصدّى العلماء لبيان الفرق الكبير بين بلاغة المثل القرآني الموجز، والمثل العربي القديم، ليثبتوا أنه لشأن مابين الثريا والثرى، ومثّلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾⁽¹⁾ وقول العرب: في أمثالهم: «القتل أنفى للقتل».

ولخص الدكتور عبد المجيد قطامش، الفرق بين الآية الكريمة والمثل العربي كما نص عليه كل من الزمخشري والعسكري وغيرهما في النقاط التالية⁽²⁾:

- أن الآية الكريمة أوجز من المثل؛ لأن (القصاص حياة) لفظتان اثنان، على حين أن (القتل أنفى للقتل) ثلاثة ألفاظ .
- أن الآية الكريمة برئبة من التكير المتكلف الذي في المثل.
- أنه ليس كل قتل نافيا للقتل، ولا مانعا منه، بل قد يكون سببا في القتل، كالأخذ بالثار، أما القتل على سبيل القصاص، والذي يتولاه الحاكم فهو جدير بأن يحسم القتل، ويهدب الناس حياة آمنة مطمئنة.
- أن القصاص عقوبة مشروعة لمن يستحق الجزاء على جنائية اقترفها، فهو نوع من العدالة أما القتل - في المثل العربي - فقد يكون عدواً كما يكون قصاصا.
- أن كلمة القصاص أعم وأشمل من كلمة (القتل) لأنها تشمل القصاص بالقتل، والقصاص على الجروح ، والقصاص الذي يراد به التعزير أو التأديب.
- أن تقديم الجار وال مجرور في الآية الكريمة يفيد التخصيص، وهذا ما لم يتهيأ للمثل العربي.
- أن الآية الكريمة ترغب في القصاص، وتحث عليه، إذ جعلت نتيجته الحياة التي نحبها جميعا ، ونحرص على دوامها.
- أن تكير كلمة (الحياة) في الآية الكريمة يفيد أنها نوع من الحياة ، كريم عظيم .
- أن الآية الكريمة تمتاز على المثل بحسن التأليف، وشدة التلاؤم؛ لأن الانتقال من الفاء إلى اللام في قوله تعالى: (في القصاص) أسهل على أعضاء النطق من الانتقال من اللام

⁽¹⁾ - سورة البقرة، آية 179.

⁽²⁾ - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص-ص 134-135.

إلى الهمزة في المثل العربي (القتل أنفی).

ج- المثل القياسي في القرآن الكريم:

سبق أن قلنا: إن المراد بالمثل القياسي في القرآن الكريم ، هو ذلك السرد الوصفي أو القصصي الذي يقصد به توضيح معنى ما ، عن طريق التشبيه والتمثيل ، وما يسميه علماء البلاغة (التشبيه المركب) أو التمثيل ، كما تسمى «الأمثال القياسية، بالأمثال المصرحة؛ لأنه صرّح فيها بلفظ المثل أو ما يقوم مقامه»⁽¹⁾.

ومن أمثلة السرد الوصفي قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدى الله لنوره من يشاء، وبضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾⁽²⁾.

ومن أمثلة السرد القصصي ، قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمَا اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُرْسَلُونَ﴾⁽³⁾.

ومن الأمثلة المصرحة أو القياسية قوله تعالى:
﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقية..﴾⁽⁴⁾.

وهذا الضرب من الكلام من أبلغ صور التشبيه المركب، وأدق ما يرمي إليه البليغ من وسائل التعبير التي تُبرز المعاني الخفية المضمرة، سافرة الوجه واضحة الملامح. وتمتاز أمثال القرآن الكريم فوق هذا « بأنها تبعث في النفوس فرحة ورغبة أو تستثير فيها هيبة ورهبة، أو ترشدها إلى قبلة الخير ، أو تكشف لها عن حقيقة تجهل كنهها»⁽⁵⁾.

وقد لخص الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) الغرض من ضرب الأمثال في القرآن الكريم بقوله: « ضرب الله الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكرة والوعظ، والتحذير ، والاعتبار ، والتقرير ، وتقريب المراد للعقل ، وتصويره بصورة

⁽¹⁾ - محمد بكر إسماعيل ، الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية ، ص.22.

⁽²⁾ - سورة النور، آية 35.

⁽³⁾ - سورة بيس، آية 13-14.

⁽⁴⁾ - سورة النور، آية 39.

⁽⁵⁾ - عبد الجيد فطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص.135.

المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبتت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد بحيث تكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس.

وتأتي أمثلة القرآن مشتملة على بيان تقاوٍت الأجر، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيمه، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله ⁽¹⁾.

ويذكر الله سبحانه وتعالى في عدّة آيات كريمة، ممتنا على عباده، أنه قد ضرب لهم الأمثال وصرفها لهم ، لعلهم يتذكرون، أو يتفكرون أو يعقلون ، فقال:

﴿...وبضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾⁽²⁾.

وقال: ﴿...وذلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾⁽³⁾.

وقال: ﴿...وذلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾⁽⁴⁾.

د- ما يسمى بالأمثال الكامنة:

وهي أمثال لم تضرب لبيان حال خاصة ولا لصفة معينة، ولا لتلخيص حادثة وقعت في زمن من الأزمان، ولم يصرّح فيها بالتمثيل لا من قريب ولا من بعيد، ولكن يدل مضمونها على معنى يشبه مثلاً من أمثال العرب المعروفة، أي: «أنها أمثال بمعانيها لا بألاظتها، فالتمثيل فيها كامن غير ظاهر؛ لهذا أسموها بالأمثال الكامنة»⁽⁵⁾.

ويقدم السيوطي نماذج لما يسمى بالأمثال الكامنة، فيقول: قال الماوردي * : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سأله الحسين بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والجم من القرآن ، فهل تجد في كتاب الله خير الأمور أو ساطها؟ قال :نعم في أربعة مواضع: قوله تعالى:

⁽¹⁾- الزركشي ، بدرا الدين محمد بن عبد الله الزركشي . البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1980م ، ص 1-487.

⁽²⁾- سورة إبراهيم ، آية 25.

⁽³⁾- سورة الحشر ، آية 21.

⁽⁴⁾- سورة العنكبوت ، آية 43.

⁽⁵⁾- محمد بكير إسماعيل ، الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية ، ص 24.

*الماوردي : جاء في كتاب الإتقان في علوم القرآن، للسيوطى ، ج 4، ص 38، هو أبو الحسن علي بن حبيب المعروف بالماوردي ، الفقيه الشافعى، صاحب كتاب الأحكام السلطانية وأدب الدنيا والمدين وغيرها ، توفي ببغداد سنة 450هـ.

الفصل الأول: تعريف المثل:

﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾⁽¹⁾

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾⁽²⁾.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْط﴾⁽³⁾.

﴿.. وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾⁽⁴⁾.

قلت: فهل تجد في كتاب الله "من جهل شيئاً عاداه"؟ قال: نعم في موضوعين:

قوله تعالى:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ..﴾⁽⁵⁾. قوله:

﴿.. وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسِيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾⁽⁶⁾.

قلت: فهل تجد في كتاب الله: "احذر شر من أحسنت إليه"؟ قال: نعم، قوله:

عز وجل: ﴿.. وَمَا نَقْمَدُ إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ..﴾⁽⁷⁾.

قلت: فهل تجد في كتاب الله: "ليس الخبر كالعيان"؟ قال:

في قوله تعالى:

﴿.. قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلِّي وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي..﴾⁽⁸⁾.

قلت: فهل تجد "في الحركات بركات"؟ قال: في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعْةً..﴾⁽⁹⁾.

قلت: فهل تجد "كما تدين تدان"؟ قال: في قوله تعالى: ﴿..مَنْ يَعْمَلْ سَوْءًا يَجِزْ بِهِ﴾⁽¹⁰⁾.

إلى غير ذلك من مما نقله السيوطي في (الإنقان)⁽¹¹⁾.

⁽¹⁾ - سورة القراء، آية 68.

⁽²⁾ - سورة الفرقان، آية .67.

⁽³⁾ - سورة الإسراء ، آية 29.

⁽⁴⁾ - سورة الإسراء ، آية 110.

⁽⁵⁾ - سورة يونس، آية 39.

⁽⁶⁾ - سورة الأحقاف، آية 11.

⁽⁷⁾ - سورة التوبه، آية 74.

⁽⁸⁾ - سورة البقرة، آية 260.

⁽⁹⁾ - سورة النساء، آية 100.

⁽¹⁰⁾ - سورة النساء، آية 123.

⁽¹¹⁾ - السيوطي، الإنقان في علوم القرآن، ج 4، ص-41-43.

غير أن محمد بكر إسماعيل يرى: أن هذا النوع الثالث "الأمثال الكامنة" ليس داخلا في الأمثال على أي صورة من الصور؛ لخلوه من وجه المشابهة بين الممثل والممثل له. وهو مخالف في حقيقته المثل ومفهومه في اللغة. ويرى أن ما ذكره السيوطي وغيره عن الحسين بن الفضل ، ضرب من تدريب القرية على استخراج النظائر القرانية لبعض ما تتمثل به العرب في عصورهم المختلفة، من الأقوال الحكيمية التي أوجزت حادثة من الحوادث.

ويرى الزركشي: أن في ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى، «إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والشاهد بالغائب، فالمرغب في الإيمان مثلا، إذا مثل له بالنور تأكد في قلبه المقصود، والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكد قبحه في نفسه»⁽¹⁾.

2- أمثال الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنواعها وبلا غتها:

تقسم أمثال الرسول صلى الله عليه وسلم قسمين: أمثال موجزة، وأمثال مفصلة.

أ- الأمثال الموجزة :

هي تلك الكلمات الجامعة التي قالها - صلى الله عليه وسلم - في أمر من أمور الدين أو الدنيا ، فسارت عنه وفشت بين المسلمين فأصبحت أمثلا، وهذه الكلمات أو الأحاديث كثيرة وغزيرة، فقد روي أن عبد الله بن عمر بن العاص قال: « حفظت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ألف مثل»⁽²⁾.

وقد فاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - في هذا النوع من الأمثال كل العرب، وأنى منه بما تقطع دونه أنفاسهم، وتكتبو فصاحتهم وبيانهم، ومنه ألفاظ اقتضبها، ولم تُسمع من العرب قبله، قال الجاحظ: « وسنذكر من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما لم يسبق إليه عربي ولا شاركه فيه أعمجي، ولم يُدع لأحد، ولا ادعاه أحد، مما صار مستعملا ومثلا سائرا، من ذلك قوله: « يا خيل الله اركبـي - قوله: مات حـفـ أـنـفـه - قوله: لا

⁽¹⁾ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ص488، وجاء في هامش المصدر نفسه ص483 ما يلى:

*- رحلة ابن الصلاح: فوائد جمعها الشيخ تقى الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة 843هـ؛ في رحلة إلى الشرق ، ضمنها فوائد في سائر العلوم (كتشـف الظنـونـ 836ـ).

⁽²⁾ - أمثال الحديث، للرامهرمي، ورقة 3، نقلـاً عن عبد الحميد قطامـشـ، الأمـثالـ العـرـبيةـ، صـ159ـ.

تَنْتَطِحُ فِيهِ عَزْتَانٌ - ... وَقُولُهُ: الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ - وَقُولُهُ: هَدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ ، وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَفْذَاءٍ... »⁽¹⁾.

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه- أنه قال: «ما سمعت كلمة غريبة من العرب- يريد التركيب البيني- إلا وسمعتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وسمعته يقول : -مات حتف أنفه- وما سمعتها من عربي قبله»⁽²⁾. قوله في صفة الحرب يوم حنين:«الآن حمي الوطيس».

يقول الرافعي في بлагة هذا المثل، ”الآن حمي الوطيس“:«والوطيس هو التئور مجتمع النار والوقود، فمهما كانت صفة الحرب فإن هذه الكلمة بكل ما يقال في صفتها وكأنما هي نار مشبوهة من البلاغة ، تأكل الكلام أكلا. وكأنما هي تمثل لك دماء نارية أو نارا دموية»⁽³⁾.

وقوله في حديث الفتنة : « هَدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ» وفي تفسيره يقول الرافعي -أيضا-: «وَالْهَدْنَةُ الصَّلْحُ وَالْمَوَادِعَةُ، وَ الدَّخْنَةُ، تَغْيِيرُ الطَّعَامِ إِذَا أَصَابَهُ الدَّخَانُ ، فِي حَالَةٍ طَبَخَهُ فَأَفْسَدَ طَعْمَهُ، وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ لَا يَعْدِلُهَا كَلَامٌ فِي مَعْنَاهَا ؛ فَإِنْ فِيهَا لَوْنًا مِنَ التَّصْوِيرِ الْبَيَانِيِّ لِوَادِيَتِ لِهِ الْلِّغَةِ كُلُّهَا مَا وَقَّتَ بِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْصَّلْحَ إِنْمَا يَكُونُ مَوَادِعَةً وَلِيْنَا، وَانْصَرَافًا عَنِ الْحَرَبِ وَكَفَّا عَنِ الْأَذَى ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ عَوَاطِفِ الْقُلُوبِ الرَّحِيمَةِ، فَإِذَا بَنَى الْصَّلْحَ عَلَى فَسَادٍ ، وَكَانَ لِعْلَةً مِنَ الْعُلَلِ، غَلَبَ ذَلِكَ عَلَى الْقُلُوبِ فَأَفْسَدَهَا حَتَّى لَا يَسْتَرِحَ غَيْرُهُ مِنْ أَفْعَالِهَا كَمَا يَغْلِبُ الدَّخْنُ عَلَى الطَّعَامِ ، فَلَا يَجِدُ آكِلُهُ إِلَّا رَائِحةً هَذَا الدَّخَانِ ، وَالْطَّعَامُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَشْوُبٌ مَفْسَدٌ»⁽⁴⁾.

ويشرح مصطفى صادق الرافعي فيقول: « فَهَذَا فِي تَصْوِيرِ مَعْنَى الْفَسَادِ الَّذِي تَنْطَوِي عَلَيْهَا الْقُلُوبُ الْوَاغِرَةُ *وَثُمَّ لَوْنٌ آخَرُ فِي صَفَةِ هَذَا الْمَعْنَى ، وَهُوَ الْلَوْنُ الْمُظْلَمُ الَّذِي تَنْصَبُعُ بِهِ

⁽¹⁾ - الجاحظ، أبو عثمان بن بحر الجاحظ، *البيان والتبيين*، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1998م، ج2، ص 15.
- وينظر ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، *العقد الفريد*، شرحه وضبطه وعنونه وربته ، أحد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1982م، ج3، ص 63.

⁽²⁾ - مصطفى صادق الرافعي، *تاريخ آداب العرب*، ط2 ، لبنان: دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م ، ج 2، ص 316.

⁽³⁾ - المرجع السابق، ص 328-329.

⁽⁴⁾ - المرجع السابق نفسه، ص 329.

* - الواغرة: الممثلة غيظا وحددا.

النَّيَّةُ (السوداء)، وقد أظهرته في تصوير الكلام لفظة (الدَّخن)، ثم معنى ثالث: وهو النكتة التي من أجلها اختيرت هذه اللفظة بعينها، وكانت سرّ البيان في العبارة كلّها، وبهذا فضلت كل عبارة تكون في هذا المعنى، وذلك أن الصلح لا يكون إلا أن تطفأ الحرب ، فهذه حرب قد طفت نارها بما سوف يكون فيها ناراً أخرى، كما يلقى الحطب الرطب على النار تخبو به قليلاً، ثم يستوقد فيستعيير فإذا هي نار تلظى ، وما كان فوقه الدخان فإن النار ولا جرم من تحته، وهذا كلّه تصوير لدقائق المعنى كما ترى ، حتى ليس في الهدنة التي تلك صفتها معنى من المعاني يمكن أن يتصور في العقل إلا وجدت اللون البياني يصوّره في تلك اللفظة لفظة (الدخن).»⁽¹⁾.

ومنها قوله- صلى الله عليه وسلم -: لأنجشة، وكان يسير بالنساء في هوادجهن . وهو يحدو بالإبل وينشد القريض والرجز، فتنشط وتتجدد وتبعث في سيرها فتهتز الهوادج وتضطرب النساء فيها اضطراباً شديداً، فقال عليه الصلاة والسلام: «رويدك رفقا بالقوارير * *»⁽²⁾.

ومما أورده عبد المجيد قطامش، من أمثال الرسول- صلى الله عليه وسلم- في كتابه (الأمثال العربية): «إن من البيان لسحرا- حبّك الشيء يعمي ويصم- قيد الإيمان الفتاك- لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**- علق سوطك حيث يراه أهلك- إذا لم تستح فاصنع ما شئت..»⁽³⁾. وجاء في العقد الفريد من أمثال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» ، وهذا عندما ذكر الغلو في العبادة، ومعناه : إن المغذ في السير إذا أفرط في الإغذاذ عطبت راحته من قبل أن يبلغ حاجته، أو يقضي سفره، فشبه بذلك من أفرط في العبادة حتى يبقى حسيرا ... قوله: «لا ترفع عصاك عن أهلك»، إنما هو الأدب بالقول، ولم يرد ألا ترفع عنهم العصا...»

⁽¹⁾- مصطفى صادق الرافعي تاريخ آداب العرب ، ص 329.

^{**}-القوارير: هي الزجاجات، ووجه المعنى ظاهر ، وكأنهن نور وصفاء ورقة ثم سلام، فلما تسلم إلا بشدة الصيانة ، والحفظ والرعاة.

⁽²⁾- مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق نفسه، ص-329-331.

^{***}-يلدغ : أورده المحافظ، في البيان والتبيين ، ج 2، ص 16 - لا يلسع المؤمن من جحر مرتين- قال: ويلدغ لا يلدغ، قاله لأبي عزة الشاعر، وكان قد أسر يوم بدر، ثم من عليه، وأتاه يوم أحد فأسره، فقال مَنْ عَلَى ، فقال عليه الصلاة والسلام : هذا القول.

⁽³⁾- عبد المجيد قطامش ، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص-161-162.

ومنه قوله: «خياركم خياركم لأهله» وقوله: «إياكم وحضراء الدمن* ، قالوا وما حضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في المنيت السوء». وقوله: «الحرب خدعة»⁽¹⁾ وغيره كثير.

بـ-الأمثال المفصلة:

أما الأمثال المفصلة: في كلامه- صلى الله عليه وسلم-: فهي تلك التي جاءت على نسق الأمثال في القرآن الكريم، والتي ساقها الله للوعد والوعيد للتخليل أو التحرير ، وللرجاء أو الخوف، وجعلها موعظة وتذكيرا للناس .

وقد جاءت هذه الأمثال في صور رائعة، من صور التمثيل والتشبيه المركب، تتبع عن عظمة البلاغة النبوية. ومن هذه الأمثال قوله صلى الله عليه وسلم-: «إنما مثلي ومثل الأنبياء قبلي مثلُ رجل بنى بيته، فأحسنَه وأجملَه إلا موضع لبنة، فجعل الناس يُطيفون به ويقولون: ما رأينا أحسن من هذا لولا موضع هذه اللبنة، ألا فكنت أنا تلك اللبنة»⁽²⁾.

وعن أبي موسى عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبأتك الكلا والعشب الكثير، وكانت منها أجادب ، أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيungan؛ لا تمسك ماء ولا تبت كلأ، فذلك مثلُ من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثلُ من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»⁽³⁾.

ففي الحديث تمثيل لمراتب أثر الهدایة والعلم في نفوس البشر، بأثر الغيث الكثير على أنواع التربية، وفيه تجسيد للمعنوي بالمحسوس؛ ليكون أكثر تأثيرا وأسهل فهمها وأبقى أثرا. وكذلك الحال في بقية الأمثال المفصلة الموالية من حديثه- صلى الله عليه وسلم- فهي كلها من قبيل التمثيل والتشبيه المركب. ومنه قوله: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُترجة ، طعمها طيب وريحها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها

⁽¹⁾- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج.3، ص.64.

* - الدمن: هي ما تدمنه الإبل والغنم من أبعارها ، فيبيت فيه ثبات يكون حسن المنظر سوء المنيت.

⁽²⁾- عبد الحميد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص.162.

⁽³⁾- مصطفى محمد عمارة، جواهر البخاري وشرح القسطلاني، المكتبة التجارية الكبرى، د/ت، ص.58.

طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مرموم مثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ، خبيث طعمها ، خبيث ريحها»⁽¹⁾.

وقوله: «مثل المنافق كمثل الشاة الحائرة بين الغنميين ، تكُر إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة، لا تدري أيّهما تتبع»⁽²⁾. قوله- في ما يرويه علامة، عن عبد الله قال: دخلت على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو على حصير قد أثر الشريط في جنبه، فقلت: لو نمت يا رسول الله على ما هو ألين من هذا، فقال: «ما لي وللنّي، إنما مثلي ومثل الدين كراكب مز بارض فلاة، فرأى شجرة فاستظل تحتها ثم راح وتركها»⁽³⁾.

وفي العقد الفريد «قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتوحة، وعلى الأبواب ستور مرتخية، وعلى رأس الصراط داع يقول: ادخلوا الصراط ولا تعوجوا . فالصراط الإسلام، و السطور حدود الله والأبواب محارم الله ، والداعي القرآن »⁽⁴⁾.

3- الأمثال في الإنجيل (العهد الجديد):

وكما جاءت الأمثال في القرآن الكريم و في الحديث النبوي الشريف، جاءت أيضا في الإنجيل. ومنها:

مثل: الرجل الغني.

«وخرج إلى الطريق، فأسرع إليه رجل وسجد له وسألته: (أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا؟ لا صالح إلا الله وحده. أنت تعرف الوصايا: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تظلم، أكرم أباك وأمك. فأجابه الرجل: يا معلم من أيام صبائي عملت بهذه الوصايا كلها؛ فنظر إليه يسوع بمحبة وقال له: يعوزك شيء واحد: اذهب بع كل ما تملكه، وزرع ثمنه على القراء؛ فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني. فحزن الرجل لهذا الكلام، ومضى كئيباً؛ لأنَّه كان يملك أموالاً كثيرة، فنظر يسوع حوله وقال لتلميذه: ما أصعب دخول الأغنياء إلى ملکوت الله! فاستغرب

⁽¹⁾ - عبد الحميد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص 163.

⁽²⁾ - المرجع السابق، ص 163.

⁽³⁾ - المرجع السابق نفسه، ص 164.

⁽⁴⁾ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 3، ص 64.

التلاميذ كلامه، فقال لهم ثانية: يا أبنيائي، ما أصعب الدخول إلى ملکوت الله! فمرر الجمل في ثقب الإبرة أسهل من دخول الغني إلى ملکوت الله⁽¹⁾.

والمثل هنا في تشبيه استحالة دخول الأغنياء -الذين لم يتصدقوا بأموالهم على القراء- ملکوت السماء، بدخول الجمل في ثقب الإبرة.

وهذا المثل نفسه موجود في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ وَلَا يَدْخُلُونَ جَنَّةً حَتَّىٰ يَلْجُ الجَمَلُ فِي سَمَّ الْخِيَاطِ وَكَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُجْرَمِينَ﴾⁽²⁾. فالذين كذبوا واستكباوا، لا شك أنهم لا يقومون بالطاعات ومن الطاعات التصدق بالأموال على القراء؛ فلا تفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة، حتى يلتج الجمل سام الخياط.

مثل: الشجرة وثمرها.

«الشجرة الجيدة لا تحمل ثمرا رديئا، والشجرة الرديئة لا تحمل ثمرا جيدا. كل شجرة يدل عليها ثمرها. فأنت لا تجني من الشوك تينا، ولا نقطف من العلائق عنبا. الإنسان الصالح في قلبه يُخرج ما هو صالح، والإنسان الشرير من الكنز الشرير في قلبه يخرج ما هو شرير، لأن من فيض القلب ينطق اللسان»⁽³⁾.

وفي المثل تشبيه الكلمة الصالحة تخرج من قلب الإنسان الصالح، والإنسان الشرير لا يخرج من قلبه إلا ما هو شرير، تشبيها بالشجرة الجيدة تكون ثمارها جيدة، والعكس صحيح؛ لأن الشجرة يدل عليها ثمرها.

وهذا المثل موجود أيضا في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿أَلمْ ترْ كِيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلْمَةً طَيِّبَةً كَشْجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابَتْ وَفَرْعَهَا فِي السَّمَاءِ تَؤْتَىٰ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلْمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشْجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَار﴾⁽⁴⁾. جاء في تفسير البغوي: «والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة: هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال؛ كذلك

⁽¹⁾ الإنجيل، العهد الجديد، النشرة الرابعة، ط2، جمعية الكتاب المقدس، لبنان، 2001، ص125-126.

⁽²⁾ سورة الأعراف، آية 40.

⁽³⁾ الإنجيل (العهد الجديد)، المصدر السابق، ص176.

⁽⁴⁾ سورة إبراهيم، آيات: 24-25-26.

الإيمان لا يكون إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان...والشجرة هي: النخلة، والمؤمن يعمل في الأرض، فيبلغ عمله السماء.. كلمة خبيثة: هي الشرك بالله، شجرة خبيثة: هي الحنطة. ما لها من ثبات ؛ كذلك الكافر لا خير فيه، ولا يصعد له قول طيب، ولا عمل صالح»⁽¹⁾.
مثل الوكيل الفطن.

«.. لا يقدر أحد أن يخدم سيدين؛ لأنَّه إما أن يبغض أحدهما ويحب الآخر، وإما أن يوالِي أحدهما وينبذ الآخر. فأنت لا تقدرون أن تخدمو الله والمال»⁽²⁾.
وفي المثل تشبيه حالة من يطيع الله ويحب المال، بحالة من يخدم سيدين؛ فهو لا يستطيع أن يوفق بين الحالتين. لأنَّه زين للناس حب المال، والله تعالى يأمر بذلك في وجوه الخير.

وهذا المعنى نفسه موجود في القرآن، قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَتَالَّوَا الْبَرُّ حَتَّىٰ تَتَفَقَّوْا مَا تَحْبُّونَ وَمَا تَتَفَقَّوْا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾.

وجاء في تفسير البغوي: «﴿لَنْ تَتَالَّوَا الْبَرُّ﴾ يعني الجنة،.. وقيل الطاعة، وقيل الخير، وقال الحسن: أن تكونوا أبرارا. «﴿حَتَّىٰ تَتَفَقَّوْا مَا تَحْبُّونَ﴾ أي أحب أموالكم إليكم. وقال عطاء: لن تتألوا البر: أي شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاء أشقاء»⁽⁴⁾
وفي الآية تأكيد على إنفاق المال في وجوه الخير، وطاعة الله مربوطة به، لأنَّه من عطل الزكاة فقد عطل ركنا من قواعد الإسلام، ومن تغلب على هواه للمال، فأنفقه في أعمال الخير، من زكاة، وصدقات جارية وغيرها، نال البر.

⁽¹⁾ البغوي، تفسير البغوي، المجلد 4، ص 347.

⁽²⁾ الإنجيل(العهد الجديد)، النشرة الرابعة ، ص 216.

⁽³⁾ سورة آل عمران، آية 92.

⁽⁴⁾ البغوي، تفسير البغوي، المجلد 2، ص 66.

ثالثاً - تعريف المثل الشعبي:

1- لغة واصطلاحاً:

وإذا كان المثل الشعبي هو أحد عناصر الأدب الشعبي، فإن تعريفه قد اختلف من دارس إلى آخر، حسب نظرة كل منهم.

أما تعريفه لغة: فهو لا يختلف عن تعريف المثل العربي الفصيح، فالمثل يطلق على عدّة معانٍ هي: الشبه، النظير، العبرة، الصفة، الحجة.

أما في الاصطلاح ، فهو كذلك- له التعريف نفسها، ونسبة إلى الشعبية تعني أنه يتصل بكل طبقات الشعب؛ لأنّه صيغ بلغة تفهمها العامة، كما أنه يحمل قضايا تهم عموم الشعب؛ ولذلك فهو متداول في هذه الأوساط، وهذا لا يعني أنّ الخاصة لا توظف الأمثل في حياتها. يقول مرسي الصباغ: «نجد أن أول المعاني الشعبية تكون في الانتشار، و بما أن الشعوب تمتد في تاريخها إلى جذور عميقـة، متـاهـية في الـقـدـم؛ لـذـا فـإنـ المعـنىـ الثـانـيـ للـشـعـبـيةـ يـكـونـ فـيـ الـخـلـودـ. وـعـلـيـهـ فـإنـ كـلـمـةـ الشـعـبـيـ عـنـدـمـاـ نـطـلـقـهـ عـلـىـ أـيـ شـيـءـ، لـاـ بـدـ أـنـ يـتـسـ هـذـاـ الشـيـءـ بـالـأـنـتـشـارـ وـالـتـوزـعـ، وـالـتـبـاعـدـ الـمـكـانـيـ وـالـزـمـانـيـ، أـوـ بـمـصـلـحـ آـخـرـ" التـداولـ والـتـرـاثـيـةـ"»⁽¹⁾.

ولعل لفظة "شعبي" : أكثر إشكالا وتعقيدا، واحتلـفـ مـدلـولـهـ مـنـ مـيدـانـ إـلـىـ آخرـ، وـمـنـ باـحـثـ إـلـىـ آخرـ، وبـاختـصارـ يـمـكـنـ القـوـلـ: «إـنـ الشـعـبـيـ غـيـرـ الشـعـبـيـ وـغـيـرـ الشـعـبـيـ، فالـشـعـبـيـ ماـ اـتـصـلـ اـتـصـالـاـ وـثـيقـاـ بـالـشـعـبـ؛ إـمـاـ فـيـ شـكـلـهـ، وـإـمـاـ فـيـ مـضـمـونـهـ، وـإـمـاـ مـمارـسـةـ اـنـصـفـ بـالـشـعـبـيـةـ، تعـنيـ أـنـهـاـ مـنـ إـنـتـاجـ الشـعـبـ أوـ أـنـهـاـ مـلـكـ لـهـ»⁽²⁾.

هـذـاـ مـنـ نـاحـيـةـ التـعرـيفـ، أـمـاـ مـنـ نـاحـيـةـ أـنـوـاعـهـ، فـإـنـ الدـكـتـورـ رـابـحـ العـوـبـيـ يـقـسـمـهـ

: نوعين:

-المثل الفرضي أو الخرافي: كالحكايات المثلية في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع.

-المثل السائر: وهو الذي يعنيـناـ فـيـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ.

⁽¹⁾ مرسي الصباغ، دراسات في الثقافة الشعبية، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001م، ص24.

⁽²⁾ سعيدـيـ خـمـدـ، الأـدـبـ الشـعـبـيـ بـيـنـ النـظـرـيـةـ وـالـتـطـبـيقـ. دـ.ـطـ، دـيـوـانـ المـطـبـوعـاتـ الـجـزاـئـيـةـ، الـجـزاـئـرـ، 1998م، ص9.

2-المثل السائر:

هو قول محكي سائر، أو جملة مقطعة من كلام، أرسلت لذاتها، وهي تقلل ممن وردت فيه إلى ما يحاكيه في معنى من المعاني أي معنى كان. وعلى هذا يكون المثل السائر من ألفاظ المشابهة- كما يرى الدكتور رابح العوبي - لكنه أعمها في جميع أنماطها المتمثلة في ما يلي:

-الجوهر: ويستعمل فيه لفظ الند.

-الكيفية : ويستعمل لها لفظ الشبه.

-الكمية : ويعبر فيها بلفظ المساوي.

-القدر والمساحة: ويطلق فيها لفظ الشكل⁽¹⁾.

وجميع هذه المعاني تطبق على المثل؛ « لأنه يدل في صميمه على ما يمثل به الشيء بلا تغيير في المعنى، مع مخالفة لفظه لفظ المضروب له، الذي قام مقامه، على وجه تشبيه حال الذي حُكِي فيه بحال الذي قيل لأجله، وهذا تشبيه بالمقال الذي يعمل عليه غيره.

ومعنى هذا أن المثل السائر يراد فيه معنى من وراء معنى آخر، وذلك من خلال مشبه به، ومشبه، ومعنى هذا يحصل عن معنى ذاك، أيًا كان التشبيه وأيًّا كانت طريقة»⁽²⁾. ولتوسيع ذلك أسوق المثل التالي: يقال في الأمثال الشعبية السائرة: "علة الفولة من جنبها"

و يشرح رابح العوبي المثل بقوله: « فمعنى العلة - هنا - مستقى في جوهره وكيفيته وقدره من الفولة المعلولة، وأن علتها آتية مما يحيط بها، فاتخذت لذلك مثلا في العدوى أو الضرر الذي يلحق بالإنسان، فهو من يعاشرونه، ويعرفونه حق المعرفة؛ لأنهم أصدق الناس به، وأكثرهم مخالطة له »⁽³⁾. وعلى هذا تكون الفولة المعلولة مشبها به، والإنسان الذي أصابه مخالطوه بضرر، مشبه، يضرب في حالة مثل الفولة تشبيها لحال الذي حكى

⁽¹⁾ - رابح العوبي، أنواع الشر الشعبي ، ص-39-41.

⁽²⁾ - رابح العوبي، المرجع السابق، ص 42.

⁽³⁾ - المرجع السابق ، ص 43.

فيه حال الذي قيل لأجله. ومن هذا القبيل - أيضاً - المثل الشعبي السائر المستعمل في سياق الموضوع السابق نفسه «البرمة تكحال من جنبها»⁽¹⁾.

أما التلي بن الشيخ فيقول: إن المثل يمكن أن يربط بقصة أو حكاية يعود إليها، أي أن يذكروا لكل مثل قصة. غير أنه عندما يقرأ هذه القصة يجد اختلافاً، وشيئاً من التضارب في رد المثل إلى الحادثة الأولى، وإنما يعود ذلك إلى الحالات المتماثلة، التي استخدم فيها المثل، بالإضافة إلى الحادثة الأولى. ومن هنا يرى أن لا تلازم بين القصة والمثل دائماً وإنما يمكن أن تكون شرحاً للمثل، أو العكس، المثل شرح لها⁽²⁾.

هذه التحديدات تجمع أركان المثل وهي: «مجازية الأسلوب واقتضابه، وواقعية صوره البلاغية، وتتغيمه».

وفي تعريف المثل تنقل الدكتورة نبيلة إبراهيم، تعريف الشيخ محمد رضا الشبيبي، في تقديمته لكتاب الأمثال البغدادية للشيخ، جلال الحنفي. فتقول:

يقول الأستاذ محمد رضا: «الأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم، ومحصول خبرتهم، وهي أقوال تدل على إصابة المحرز وتطبيق المفصل، هذا من ناحية المعنى، أما من ناحية المبني، فإن المثل الشرود يتميز عن غيره من الكلام بالإيجاز ولطف الكنایة، وجمال البلاغة والأمثال ضرب من التعبير عما ترخر به النفس من علم وخبرة، وحقائق واقعية بعيدة البعد كله عن الوهم والخيال، ومن هنا تتميز الأمثال عن الأقوال الشعرية»⁽³⁾.

أما أحمد أمين، فيعرفه بقوله: «المثل الشعبي نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكنایة، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم ومزيّة الأمثال أنها تتبع من كل طبقات الشعب»⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

⁽²⁾ - التلي بن الشيخ، منطقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ، ص 156.

⁽³⁾ - جلال الحنفي، الأمثال البغدادية، سنة 1962، ص 3، نقلًا عن نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص 174.

⁽⁴⁾ - أمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ص 61، نقلًا عن نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق الصفحة نفسها.

3- نشأة المثل الشعبي:

قد يرتبط تاريخ نشأة المثل الشعبي، بتاريخ نشأة اللهجة العامية في الأقطار العربية المختلفة. فالبعض يرى أن اللغة التي وصلتنا عن الجاهلية وصدر الإسلام، وعصر الدولة الأموية والعباسية، ليست لغة العامة، وإنما لغة الخاصة، لغة الشعراء والكتاب، أما العامة فكانوا يتحدثون لغة أو لهجة عامية، نشأت من تزاوج العربية الفصحى ببعض اللهجات الداخلية عليها، وأن الكتاب كانوا يقصّحون ما يروى على ألسنة العامة في كتبهم»⁽¹⁾.

غير أن هذا الرأي لا يؤكد سوى اختلاف لغة البايدية عن لغة الحضر، واختلاف بعض الاستخدامات اللغوية في بلد عن آخر، ولكنها جمِيعاً متضمنة في إطار اللغة العربية، وليس لهجات مستقلة بمفرداتها، وبنطاقها عن الفصحى التي كتب بها الشعراء والكتاب.

ويرى الكاتب: «حلي بيير» أن العامية ازدهرت لما ضعفت الدولة الإسلامية والإمارات العربية، عندها دخلتها ل肯ة مملوكية، ودخلتها اللغة التركية التي أصبحت هي اللغة الرسمية على ألسنة الحكام، ومن والاهم . وأخذت اللهجات العامية تتشكل بعدة تأثيرات، منها تأثر اللغة العربية بلغات البلدان المفتوحة، ثم تأثرها بلغات الشعوب التي غزت البلدان العربية أيام ضعفها⁽²⁾. كما حصل في بلدان المغرب العربي، التي تأثرت باللغات المحلية كالأمازيغية، في بداية الأمر، ثم بلغات الدول الأوروبية التي غزت هذه البلاد، كالفرنسية والإيطالية والإسبانية.

وريما لهذه الأسباب جاءت عamiات الدول العربية مختلفة عن بعضها، وقد لا يشمل الخلاف كل الظواهر اللغوية، لكن أكثر الخلاف يكون في معاني بعض المفردات العامية، وفي مخارج أصوات الحروف، وفي الل肯ة المتحدث بها. « وقد استتبع ذلك خلاف جوهري في لغة الأدب الشعبي، ومن ثم في الأمثال العامية، التي عرفت تطوراً حسب اللهجة العامية في كل إقليم من الأقاليم العربية»⁽³⁾.

⁽¹⁾ - حلي بيير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، ط2، مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، سنة 1997م، ص 33.

⁽²⁾ - المرجع السابق ، ص34.

⁽³⁾ - المرجع السابق، ص35.

وعلى هذا، فالأمثال الشعبية قيلت بالعربية الفصحى، حين سادت الفصحى، وقيلت باللهجات العامية في أزمنة متأخرة. « وهي كلّها ناتجة عن تجارب إنسانية، فردية أو جماعية، عميقـة الجذور في شعب معين»⁽¹⁾.

غير أنه من الصعب البحث عن أصل الأمثال الشعبية أو نشأتها؛ لأن المثل لا يصير مثلاً إلا بعد أن يسير وينتشر بين أفراد الشعب، وهذا لا يتأنى له إلا بعد فترة زمنية قد تطول في ظل انعدام وسائل الإعلام الحالية، التي يمكنها أن تروج له.

يرى زايلر: «أن المثل الشعبي قد نطق به فرد في زمن معين، وفي مكان ما. فإذا مس المثل حس المستمعين له، فهو حينئذ ينتشر بينهم، وكأنه عبارة ذات أجنة»⁽²⁾. ولا يختلف "رائح العوبي"، مع "زايلر" في كيفية خلق المثل، أو نشاته، حيث يعتبر خلقه يعود إلى الشخصية المفردة، وذلك في مختلف طبقات الشعب، ومن أي مجال في الحياة، ثم ينتشر دون اهتمام بقائه، وهذا الانتشار يدل على أن المثل قد مس حس المستمعين له، وبالتالي يصير ملكاً لهم جمِيعاً، «ويزداد انتشاره مادامت هناك حاجة لاستخدامه، وبذلك يكتب له العيش مع الأجيال التي تحتاج إلى الاستشهاد به، بحسب ملائمة مغزاه للزمن والظروف الشبيهة بالحال التي قيل فيها القول الذي اتخذ مثلاً، ونركن إلى عالمه حين نودُ تجنب التفكير الطويل في نتائج تجربتنا»⁽³⁾.

وتكمّن صعوبة معرفة قائل المثل وتاريخه ومنبعه، في عدم اهتمام الناس بمعرفة القائل؛ لأنّ الذي يفهمهم منه هو مدى تعبيره عمّا تزخر به نفوسهم، ومن الصعوبة- أيضاً - تعدد منابع الأمثال؛ فهناك الأمثال الريفية، وهناك الأمثال الحضرية، كما أنها تتبع من عددٍ أو ساط حرفية وطبقات اجتماعية.

ومع ذلك يمكن إرجاع بعض المعاني أو بعض الألفاظ إلى حقبة زمنية معينة حسب ما توحى به الألفاظ، فمثلاً المثل الشعبي الجزائري «إذا عطاك العاطي ما تشُقى ما تُباطِئ»⁽⁴⁾. ومعناه إذا قدر الله لك رزقاً فلا تحتاج إلى شقاء أو معاناة أو كفاح.

⁽¹⁾ رشوان حسين عبد الحميد أحمد، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، ص 43.

⁽²⁾ - نسيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 175.

⁽³⁾ - ابن العودة، *أنواع النثر الشفهي*، ص 44.

⁽⁴⁾ - من الذاكرة الشهادة: مطابقة بين عادة

ولعل لفظة "تباطي" من الأصل الفرنسي **Battre** بمعنى المعاناة والكافح، وهذه اللفظة يستدل منها على أن المثل قيل بعد دخول فرنسا الجزائر. وتأثر الشعب الجزائري بلغة الغازي.

وتنوع مصادر الأمثال، وتفاوت أزمنة صدورها، يجعلنا أمام أمثال متضاربة أحياناً كالذي لاحظه رابح العوبي في المثلين التاليين: «القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود - اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب».

حيث يقول: «إن هذا الخلاف بين المثلين راجع إلى الفوارق في أصلهما، أو في مدى تأثيرهما على النفس، تأثيراً يدفع الشخص للتعبير عن تجربته تعبيراً، يلخص نتيجتها المطابقة لها لتعيش مرة أخرى بما يوافق تجربته ونتائجها. وتجارب الناس قد تختلف، وقد تتفق في نتائجها، فقد يكون المثل الأول دعوة للفقير بالتقشف في ظرف ما، وقد يكون المثل الثاني دعوة للميسور بالإنفاق، وبالتالي فكل مثال نابع أو موجه إلى فئة معينة»⁽¹⁾.

وقد لا يكون هناك تضارب بين المثلين لأن كليهما يدعو إلى التوسط في الإنفاق فال الأول يدعو إلى عدم التبذير، والثاني يدعو إلى عدم التقتير، وهذا ما يوافق ما تدعوه إليه التربية الإسلامية. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تجعل يدك مغلولةٍ إِلَى عَنْكَ وَلَا تبسطها كُلَّ الْبَسْط فَتَقْعُدْ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾⁽²⁾ فكأن يد البخيل مغلولة إلى عنقه وهي كناية عن الشح والتقتير أما بسط الكف فكناية عن التبذير، وفي الآية دعوة إلى حسن الاقتصاد المتمثل في عدم الشح والبخل الذي يضر بصاحب المال وبالمجتمع، كما أن تبذير المال في غير وجهه الضرورية المشروعة، يؤدي بصاحبها إلى الإفلاس، بالإضافة إلى أن هذا التصرف ممقوت.

⁽¹⁾ - رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي ، ص-45-46.

⁽²⁾ - سورة الإسراء، آية 29.

4- خصائص المثل الشعبي ومميزاته:

يعد المثل الشعبي من أهم فنون التعبير الشائعة بين الناس، والمتداولة بين أفراد المجتمع في العصر الواحد، وعبر العصور المتعاقبة.

يشير عبد الله بن المقفع، إلى أن الكلام إذا ما صيغ في قالب مثل، يتضح منطقه و يستصيغه السمع، وينفتح على مختلف ضروب الحديث، وفي ذلك تعيين لثلاث خصائص أساسية في المثل هي: وضوح المعنى، وجمال الأداء، وعموم الدلالة. يقول في هذا الشأن: «إذا جعل الكلام مثلا ، كان أوضح للمنطق، وأنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث»⁽¹⁾

وأضاف ابن عبد ربه، إلى الخصائص السابقة، خاصية الشيوع والتداول، فيقول: « والأمثال هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب وقدّمتها العجم، ونطق بها في كل زمان على كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة لم يسر شيء بسيرها، ولا عمّ عمومها»⁽²⁾.

أما نبيلة إبراهيم فتقول: « وهكذا نستطيع أن نقول: إن الخاصية الأولى للمثل هي استخدامه للألفاظ استخداما فنيا، يبتعد عن كل تحديد لغوي، وفي وسع هذه الألفاظ أن تربط بين هذه الأفكار ربطا قويا متماسكا»⁽³⁾ وتوضح رأيها بتشريح المثل: «الجار ولو جار» فتقول: «لو حاولنا أن نبين وضع كلمة الجار من الناحية النحوية، فإننا نجدها تحتمل - من وجهة نظر النحويين - تأويلات مختلفة. فقد تكون منصوبة على التخصيص، وقد تكون مفعولا به لفعل وفاعل ممحوظين، وقد تكون مبتدأ لخبر ممحوظ. على أن فن الكلمة هنا يبتعد عن كل هذه التأويلات، التي من شأنها أن تقلل من قيمة الكلمة الفنية. فكلمة الجار هنا تقف بمفرداتها محمّلة بمعانٍ كثيرة، دون أن تكون في حاجة إلى أي تأويل من التأويلات»⁽⁴⁾.

ويتميز المثل الشعبي، من حيث لغته، بظاهرة كثافة المعنى، الذي تحمله كل مفردة

⁽¹⁾ - الميداني ، مجمع الأمثال، ج 1، ص 14.

⁽²⁾ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 3، ص 63.

⁽³⁾ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص 186.

⁽⁴⁾ - نبيلة إبراهيم، المرجع السابق، ص 186.

« وهي كثافة تجعل المفردة المستخدمة في المثل تختلف في معناها عن المفردة نفسها المستخدمة في اللغة العادية، أي أنها تتجاوزها وتتفوقها من حيث الدلالة والمعاني الحافّة»⁽¹⁾. وفي هذه الميزة، للدكتور عبد المالك مرتاض رأي في تشريحه لنص المثل: "ما يبقى في الوادي غير أحجاره" فهو يحل كثافة لفظة الوادي ولفظة أحجاره ، ويذكر الحيز والزمان الأدبيين، ويتكلم عن الحجم واللون، والمحتويات، يتكلم عن نفعه، وعن علاقته بالزراعة وال عمران، والثورة، أحجاره، نوعها شكلها لونها، تقديرها بالوادي، نفعها، رمزها، وعلاقتها بالوادي وغيرها⁽²⁾.

وفي إطار التكثيف وتعدد القراءات، يورد حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المثل المصري: «احيني النهار ده، وموتنى بكرة» ويصاغ عندنا في الجزائر: «احيني اليوم واقتلتني غدوة» وهذا المثل يشرحه المؤلف بقوله: «إنه يحث على عدم النظر للغد، وعدم التفكير في العواقب، إنما لي الساعة التي أنا فيها»⁽³⁾.

وفي رأيه أن هذا المثل يخالف تعاليم الإسلام وتوجيهاته، التي تدعو إلى تدبر الأمور ، والتفكير في عواقبها؛ بل إنه يدعو إلى تغافل الآخرة والحساب، بأسلوب غير مباشر، حيث إنه يدعو إلى معايشة اللحظة واليوم، دون النظر إلى ما بعده، و الشرع الحكيم يلزم من يعتقدون هذا المبدأ، قائلاً فيهم: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾⁽⁴⁾. وبذهب أبعد من ذلك عندما يعتبر أن هذا المثل يتضمن دعوة خفية إلى الاسترسال في الاله؛ طالما أنه يدعو إلى عدم النظر إلى العواقب، فيكون الاهتمام إذاً بمداع الحياة الدنيا .

بينما القراءة السائدة في الجزائر، لفهم هذا المثل تخالف قراءة هذا الكاتب. حيث إنه حمله ما لا طاقة له به، كما أنه قوله ما لم يقله، أو يشير إليه؛ وذلك أن هذا المثل عندنا في الجزائر وفي منطقة بوسعدة على الخصوص، يضرب ويقصد به التعجّيل بفعل الخير، وعدم

⁽¹⁾ - بورابو عبد الحميد، الأدب الشععي الجزائري ، ص 65.

⁽²⁾ - عبد المالك مرتاض ، عناصر التراث الشعبي في -اللاز- دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1984م، ص 77-83.

⁽³⁾ - رشوان حسين عبد الحميد أحمد، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، ص 52.

⁽⁴⁾ - سورة الروم، آية 7.

انتظار الموعيد التي قد لا تتحقق، وقد يموت الإنسان قبل أن تتحقق، فهو من جهة يعوض الأثر الذي يقول: «*خير البر عاجله*» كما أنه يشير إلى الآية ⁽¹⁾ .. وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت..». فالإنسان المؤمن هو الذي يؤمن بأن أجله قد يأتي في آية لحظة؛ لأنه أقرب إليه من حبل الوريد، فعليه أن يعجل بخير الدنيا والآخرة.

ومن خصائص المثل الشعبي كما لخصها بعض الدارسين: ⁽²⁾

- الطابع الشعبي: الذي يتمثل في أسلوبه الذي يتضمن فلسفة شعبية بسيطة، نابعة من الحياة اليومية الجارية، ولذا فهي تدرك بسهولة؛ لأنها في دائرة التجربة الشعبية المصوغة بأسلوب شعبي بسيط.

- الطابع التعليمي: وهذا لأن المثل يطلعنا على حقيقة تجربة، لخاص نتائجها في جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتلاقي قبولاً وذريعاً يمنحها أثراً في صقل تجارينا، وتهذيب خبراتنا، وتوسيع أفق معرفتنا، وذلك؛ لأننا نعيش -من خلال المثل- التجربة التي عبر عنها أو عن جوهرها بأي شكل كان، كالقول القصير، والقصة والقصيدة ونحن في أثناء ذلك نشعر بهدف المثل، الذي يعكس تجربة فردية.

- المثل الشعبي ذو شكل أدبي مكتمل: «بنى مستقلة بنفسها مكتفية بذاتها» ⁽³⁾.

- المثل الشعبي متوج التراكيب: فهي قد تكون قصيرة، وقد تكون طويلة، وقد تكون مرسلة وقد تكون موقعة (مسجوعة)، كما يمكن أن تكون متسللة أو متباude، وقد يحدث أن تكون مصحوبة بجمل معترضة أو مكررة، أو يكون تكوينها منطقياً يربط النتيجة بالمقدمة.

- المثل الشعبي غير معرب: يأتي في شكل لغوي لا يحترم الإعراب، وإنما يخضع للذوق الفطري، الذي فرضه الوسط الاجتماعي.

- ميزة الأمثال الشعبية أنها تتبع من كل طبقات الشعب.

⁽¹⁾ سورة لقمان، آية 34.

⁽²⁾ راجح العوبي، أنواع الشعر الشعبي ، ص-81-72.

- وينظر: نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص-174-176.

- وينظر : حلمي بدیر، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ، ص-32-33.

⁽³⁾ عبد المالك مرتاض ، عناصر التراث الشعبي في -اللاز- ص98.

- المثل الشعبي يعيش بين جميع طبقات الشعب -خلاف زايلر الذي يحصره في الطبقتين الدنيا والمتوسطة، أما طبقة المفكرين فتكثر بينها الأقوال المأثورة والحكم.
- المثل الشعبي يسمى على الكلام المألوف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب.
- المثل الشعبي موجز اللفظ : بحيث يدل قليل الكلام فيه على الكثير من الدلالة.
- المثل الشعبي مصيبة المعنى: فشرط الكلام القليل الدلالة المباشرة على المعنى المراد دون تزيّد أو نقصان.
- المثل الشعبي يمتاز بحسن التشبيه: وهو مطلب بلاغي. وبجودة الكناية، وبهذا يصبح قمة البلاغة وقيمتها في الدلالة على المعنى المراد، والصيغة المطلوبة.
- ارتباط المثل بمتغيرات البيئة: فيبقى منه ما يتصل بحاضر الحياة الاجتماعية، ويکاد يندثر ما لا يتنقق مع طبيعة المتغير الحضاري؛ فعندما يوصف أمر بقولنا: «هذه ثلاثة الأنثافي».

يقول حلمي بدیر: «لا تکاد تجد عدداً كبيراً من المثقفين يدركون المعنى المراد من هذا المثل. والأثافي هي الأوتاد التي تشد في الأرض لتمسك الخيمة، والخيمة لا تستقر إلا بثلاث ولهذا فالأنثافية الثالثة هي الركيزة الأساسية فيها، وعندما يطلق هذا المثل على أمر أو حدث؛ فهو يعني أنه الأساس أو الركيزة الأساسية»⁽¹⁾. ويحتاج الأمر إلى شرح أصل المثل ليدرك المراد منه؛ نظراً للتغير حياة الحضر، وبعدها عن حياة الباذية، وقس على ذلك الكثير من الأمثال. ومما يلاحظ على شرح هذا المثل، أن حلمي بدیر، قد خالف ما هو معروف من أن الأنثافي هي ثلاثة أحجار، يوضع عليها القدر لإنضاج الطعام على نار الحطب، وتسمى بالعامية المناسب. «ورماه بثالثة الأنثافي، إذا رماه بدهاهية عظيمة، وثالثة الأنثافي القطعة من الجبل يجعل على جنبها أثقيتان، وتتصب القدر عليها، ومعناه أنه رماه بأمر عظيم، مثل قطعة جبل». قال خفاف بن ندبة:

فلم يك طبهم جبنا ولكن — رميناهم بثالثة الأنثافي»⁽²⁾.

وقال زهير بن أبي سلمى في معلقته: (1)

⁽¹⁾ - حلمي بدیر، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ، ص 33.

⁽²⁾ - أبو هلال العسكري، جمارة الأمثال، ص 263.

أثافي سُفعاً في مُعرِسِ مِرْجَلٍ - وَنُؤيا كَجِنْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَّلِمْ
وفي شرح المعلقات السبع للزوزني، جاء :
الأثافية. جمعها أثافي، بتقليل الياء وتحفيتها، وهي حجارة توضع القدر عليها، ثم إن كان
من الحديد سمي منصباً، والجمع المناصب، ولا يسمى أثافية.
سُفْعاً: السود، والمعرس: أصله المنزل، من التعريس وهو النزول في وقت السحر، ثم استعير
للمكان الذي تنصب فيه القدر.

المرجل: القدر عند ثعلب من أي صنف من الجواهر كانت.

النؤي: نهير يحفر حول البيت ليجري فيه ماء المطر، ولا يدخل البيت. **الجذم:** الأصل.
وقد اشتقت العامة من **النؤي الفعل** (وَنَى⁽²⁾) يُونِي، على غير قياس.
وهو يعني في الفصحي عدم الجد في العمل، أما في منطقة بوسعدة فيعني، أن يقوم
الريفي بحفر نهير صغير حول خيمته ليصرف ماء المطر إلى جنباتها، وعادة ما ينصبون
الخيام على أرض بها انحدار. ومن هذا الفعل كان المثل الشعبي: «**وَنَى قَبْلَ مَا يُجِيكُ
السَّيْلَ**»⁽³⁾.

ويضرب في الاحتياط للأمر قبل حدوثه.

- المثل خلاصة التجارب ومحصول الخبرة.

- المثل يحتوي على معنى يصيب التجربة وال فكرة في الصميم.

غير أن هذه الخصائص لا تقصر على المثل الشعبي وحده ، بل يشاركه فيها المثل
العربي الفصيح، كما أنها تتعداه إلى أشكال أدبية أخرى، كالحكم والأقوال المأثورة والنكتة.
- يمتاز المثل الشعبي بالعمق والشاعرية الملتفة في ثوب من الشفافية ، مما يسهل حفظه
وتداوله، على الرغم من أنه لم يخرج من إبداع شاعر ،
وذلك أن الأمثال فضلاً عن أنها حكمة الأمم، ومراة الشعوب، هي لغة الشعب كلّه

⁽¹⁾ - الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ط3، لبنان: دار الجليل بيروت، سنة 1979م، ص101.

⁽²⁾ - الغيروز أبيادي، محمد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998م، ص1345.

⁽³⁾ - الذاكرة الشعبية لمنطقة بوسعدة.

الخاصة وال العامة⁽¹⁾.

- المثل الشعبي يحمل خصائص النص المفتوح، بحيث نستطيع أن نقرأه قراءات عدّة ونؤوله تأويلات متباعدة، فإذا سمعنا المثل القائل:

«اللي يركب جملين يتشرّك»⁽²⁾، فإن معناه الواضح القريب يحذر من أن يركب الشخص المفرد على جملين في وقت واحد، وإن سوف يشق جسده نصفين ، ولكن ما يقصده المثل هو التحذير من مغبة الزواج بامرأتين، فالرکوب على جملين صعب بل مستحيل، يمكن أن يُفقد الراكب حياته ، وكذلك الزواج بامرأتين.

- التركيز سمة أساسية في المثل فهو لا يصف التجربة أو يسرد تفاصيلها، ولكنه يحمل رأيا فيها، ومن خلال هذا الرأي يمكن إدراك أبعاد التجربة، وموقف الإنسان منها»⁽³⁾. فالمثل: «اللي تتلّقاك عند السكة»، تتلّقاك عند المراث»⁽⁴⁾.

وهو مثل جزائري من منطقة بوسعداء، صادر عن الفلاحين، ومفاده: أنه عندما يشرع الفلاح في حرث الأرض بمحراثه الخشبي، المزود بسكة حديدية، والذي يجره حيوان، يمكن أن تعرّض السكة صخور، أو جذوع أشجار، فتعطل عملها أو تؤثر في حدتها، وإذا افترضنا أن الفلاح تجاوز العقبة الأولى، وواصل الحرث، فإن الصخرة أو الجذع قد تصعد، وينتقل تأثيرها إلى المراث الذي يمكن أن يُكسر. مما على الفلاح إلا أن يتتجنب الحرث في هذه المنطقة.

ويُضرب المثل، في من أراد أن يقيم شركة أو يتزوج امرأة ، وطرحـت عليه بعض الشروط الصعبة أو لاحظ بعض التصرفات التي لا يرضاهـا - في بداية الأمر - فإن تجاوزـها أثناء العقد، فإنه سوف يلاقيـها بعد العقد أو بعد الدخـول بالمرأة، فمن الأفضل تجـنب هذا الوضـع منذ البداـية. وقبل أن تتعـقد الأمـور؛ لأن المـقدمـات تـتبـئـ بالـنتـائـجـ.

⁽¹⁾ - ينظر: طارق فراج ، وأمين أنور، مقال: من الأمثل الشعبية باللوحات، مجلة الفنون الشعبية ، العددان، 76-77 الهيئة المصرية العامة للكتاب، السنة 2007/2008 م ، ص116.

⁽²⁾ - المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

⁽³⁾ - رشوان حسين عبد الحميد أحمد، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع ، ص42.

⁽⁴⁾ - من الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعداء.

* - السكة: حديدة حادة لتركيب في سن أو نبوء المراث ليشق بها الأرض.

والمثل يصف تجربة ويقدم رأيا غير مباشر فيها، فهو لا يطلب من السامع تجنب الحرث أو العقد أو الزواج أو غير ذلك، وإنما يفهم الرأي، والطالب من خلال السياق، ومن خلال الأثر.

- ومن خصائص المثل الشعبي استعماله صيغة الإفراد بكثرة ، وخصوصا اسم الموصول ”اللي“، ولا يستخدم صيغة الجمع إلا قليلا، « وتعليق هذه الظاهرة واضح، إذ ليس هناك قضية اجتماعية في طرح المثل، وإنما هناك دوافع سلوكية تتطبق على الجماعة كأفراد لا كجماعة»⁽¹⁾.

ويرى النّي بن الشيخ، في استعمال اسم الموصول ”اللي“ ومعناه الذي أو التي، عند صياغة المثل الشعبي ”اللي تَحْدُمُ طِيعُو، واللي تَرْهُنُ بِيُغُو“ أن هذه الصيغة لا تخاطب شخصا معينا ”اللي ترهنو“ رغم ما يفهم من ظاهر الخطاب، وإنما يصوغ المثل هذه العبارة من شاء أن يعتبر، دون التأكيد، أو الإشارة إلى الاستفادة من العبرة أو عدم الاستفادة⁽²⁾

- « يتميّز أسلوب المثل الشعبي بتجنب أسلوب الوعظ والتوجيه، أو أسلوب الترغيب والترهيب الذي يلجم إلّيّه القصاص الشعبي؛ ذلك أن طريقة النقد في الأمثال الشعبية تعتمد على التملّح والإيحاء ... وتحاشي التجريح والتعريض السافر»⁽³⁾.

- من مميزات المثل الشعبي أنه لا يحكم عليه بالسلب أو الإيجاب، « لأنهما حالتان تلازمان المواقف، والموقف رفض أو قبول قضية؛ بينما المثل وصف لحالات سلوكية، لا يلزم فيها اتخاذ موقف»⁽⁴⁾.

- من مميزات الأمثال الشعبية الجزائرية، نقاوتها، وتعلقها بالفصحي، واستنادها إليها وبعدها عن العجمة والرطانة. يقدم الدكتور عبد المالك مرتاب الدليل على ذلك ، بتحليل عدد من الأمثال الشعبية الجزائرية؛ أكتفي بمثيلين مما قدم في دراسته، الأولى: « شكرتني أمّ وخالي » فهو لا يرى في هذا المثل ما يتنافي مع العربية الصحيحة، والاستعمال الفصيح، ويرد على من يعرض على لفظة »أم« هنا، ويرى الصواب ألمي بقوله: العربية لم تضجر بهذا

⁽¹⁾ - النّي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ، ص 157.

⁽²⁾ - المرجع السابق ، ص 179.

⁽³⁾ - المرجع السابق نفسه ، ص 159.

⁽⁴⁾ - المرجع السابق نفسه، ص 180.

الاستعمال، ومثاله موجود في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمٍّ لَا تَأْذِ بِلَحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي...﴾⁽¹⁾ فهنا بالذات لم تقل الآية: «يَا ابْنَ أُمٍّ» وإنما قالت: «يَا ابْنَ أُمٍّ» بفتح الميم المشددة كما جاء في المثل الشعبي الجزائري، أما مضرب المثل، فهو يضرب لكل أمرئ ناقص، ويرى نفسه كاملاً، ثم لا يجد دليلاً يستدل به على كمال شخصيته، أو خلقه إلا أراء الأقرباء وأعز الأصدقاء.

المثال الثاني: «كُلُّ سُوءٍ، يُحِبُّ اللُّغْنَةَ لِمُولَاهُ»، أسقطوا الهمزة من «يجيء» على دأبهم في مثل هذا الحرف. ويجيء+ بـ الشيء. والكلمان نحتت منها كلمة واحدة؛ هي (يجيب)، بمعنى يأتي بـ. يجيب اللعنـةـ = يأتي باللعنـةـ. أما لفظ «مولـاهـ» فهو فصيح صحيح. وهذا المثل يضرب للذرية غير المذهبـةـ، التي كثيراً ما تكون عرضة للنقد، والتجريح الشديدين داخل المجتمع؛ أي أن الأولاد غير الصالحين يسبون اللعنـةـ لآبائهم، بما يرتكبون من أفعال سيئة. وهو يشبه إلى حد بعيد المثل العربي القديم: «عَلَى أَهْلِهَا جَنَتْ بِرَاقِشْ»⁽²⁾. - ومن خصائص المثل الشعبي تعددـهـ في الموضوع الواحد، بطريقة تبدو في الظاهر متناقضـةـ مثل قولهـمـ: «خوـكـ لا يـعـرـكـ صـاحـبـكـ». قولهـمـ: خـوـكـ من وـاتـاكـ موـشـ خـوـكـ من أـمـكـ وـيـابـاكـ»⁽³⁾.

فالمثل الأول يؤكد على القرابة في النسبـ، ويحذر من علاقات تقوم على الصداقة والمنفعة بينما يؤكد المثل الثاني على المنفعة والمصلحةـ؛ فالأخوة المتينـةـ أو الصداقة هي التي يجدهـا الإنسان في الشدائـدـ والملماتـ، «والحقيقة أن هذه الخاصـيةـ، خاصـيةـ التناقضـ الظاهريـ أو اللـفـظـيـ في الأمـثالـ الشـعـبـيـةـ، تـتمـاشـىـ وـمـنـطـلـقـاتـ الأمـثالـ في التـعبـيرـ؛ ذلكـ أنـ المـثـلـ رـصـدـ للـسلـوكـ الإنسـانـيـ في حالـاتـ وـمـوـافـقـ متـغـيرـةـ، وليسـ رـصـداـ لـقـضـيـةـ ذاتـ مـوـضـوعـ، وـوـضـعـ اجتماعـيـ مـحدـدـ»⁽⁴⁾.

- يتمـيـزـ المـثـلـ بـانـطـلاقـهـ منـ نقطـةـ مـركـزـيةـ صـغـيرـةـ، ثمـ يـمـتدـ وـيـنـتـشـرـ فيـ دائـرةـ عنـكـبـوتـيـةـ ، تـنـسـعـ

⁽¹⁾ - سورة طه، آية 94.

⁽²⁾ - عبد المالك مرناض، مقال: «دلالة الأمـثالـ والـحـكمـ الشـعـبـيـةـ عـلـىـ نـقاـوـةـ عـامـيـتهاـ»، الثقـافـةـ، مجلـةـ تـصـدـرـهاـ وزـارـةـ الإـعـلامـ وـالـثـقـافـةـ بـالـجـزاـئـرـ، عـدـدـ 25ـ سـنـةـ 1975ـ مـ صـ 51ـ 33ـ

⁽³⁾ - التـلـيـ بنـ الشـيـخـ، مـنـطـلـقـاتـ التـفـكـيرـ فـيـ الأـدـبـ الشـعـبـيـ العـزـائـيـ ، صـ 157ـ

⁽⁴⁾ - المرـجـعـ السـابـقـ، صـ 158ـ

بالتدريج لتشمل بلداً كاملاً، ثم بلداناً كاملة متجاوقة، فغالبية الأمثال تتشابه في أكثر من منطقة، فهل يا ترى نشأ ذلك التشابه من أنها نابعة جميعاً من مصدر واحد، ثم ارتحلت وهاجرت شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً؟ أم أنها نشأت في ظروف اجتماعية متشابهة فتمناثلت وتقاربت؟

يجيب عن هذا التساؤل أحمد رشدي صالح بقوله: «أن هذه البلاد جرت بينها ارتحالات لنصوص أدبية وذاعت بينها اقتباسات. بسبب التجارة أو الغزو... وإذا مر المجتمع بنفس المرحلة التاريخية التي مر بها شعب آخر، واشتق لنفسه ذخيرة من تلك القواعد العامة، وإذا تشابهت مع أمثال شعب آخر، فمرد ذلك إلى وحدة التجربة التاريخية... ولكنهما قد يختلفان في التفاصيل لأن الشعبين لم يمرا بالتفاصيل نفسها... وأما التشابه اللفظي والمعنوي فيدل على أن المثل قد ارتحل، لأنه يستجيب لحاجة في كيان هذا المجتمع أو ذاك»⁽¹⁾ وباختصار فالعامل الأول: هو الضرورة التاريخية، والعامل الثاني: هو الارتحال والاشتراك بين الحضارات المختلفة.

وعليه يمكن للأمثال أن تخترق حدود الدول، كما هو حادث في المنطقة العربية، ومن أمثلة ذلك، «الجهود التي قام بها : نعيم شقير الشامي في كتابه "أمثال مصر والسودان والشام" وغيره ؛ فالحواجز الجغرافية لم تقف حائلاً دون انتقال المثل من بقعة إلى أخرى ، وأن كل بقعة من تلك البقاع قامت بتطويعه، وإعادة صياغته ليتلاءم مع بيئتها، مع الاحتفاظ بمدلول المثل ومعناه بلا تشويه»⁽²⁾.

5- أهمية المثل ودوره:

تعد الأمثل الشعبية تعبيراً شعبياً، يعكس الخلفية التاريخية، وخبرة الإنسان من خلال ممارسة الحياة نفسها، « وهي خبرة أدركها الإنسان من خلال عملية إدراكية جماعية، تخرج به من إطار التجربة الذاتية، إلى مجال الخبرة الجماعية، التي تعبّر عن فكر ووجدان جمعي»⁽³⁾.

⁽¹⁾- أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي ، ج 2، ص 11-12.

⁽²⁾- طارق فراج ، وأين أنور، مجلة الفنون الشعبية ، ص 114-115.

⁽³⁾- رشوان، حسين عبد الحميد أحد، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع ، ص 41.

والأمثال الشعبية هي تسجيل قولي كلامي، في جمل قصيرة لبعض ما مرّ بالإنسان من أحداث، استخلاص منها مآثر ومواعظ، فقلّ أن تجد مثلاً لا يحمل معه الشرح الكاشف لمجرى أحداث القصة، وما كان من أشخاصها، فهي تكشف بدلاتها عن أن فعل الإنسان إذا فقد قيمته الإيجابية في الحياة، تحول هذا الفعل إلى انتقاد من قيمة الإنسان نفسه صاحب هذا الفعل. وقد أبى الشعب أن يهمل أو ينسى هذه الأحداث، فسجلها في هذه الكلمات التي يتلقاها الناس بالرواية جيلاً بعد جيل ، وعصرًا بعد عصر، « مما جعل الأمثال تأخذ جانباً خاصاً من ألوان القول، وهي تؤدي إلى أقوى أنواع التأثير على الأمور، وعلى السلوك الإنساني، وذلك عكس الحكمة التي تبقى كما هي كلمات ليس لها هذا التفصيل الكاشف»⁽¹⁾

فالمثل أقوى تأثيراً في العلاقات الاجتماعية، وألصق بحياة الناس، حتى الوقت الحاضر، ومرد هذه الظاهرة في رأي التلي بن الشيخ، أن المثل الشعبي لا يعالج قضية اجتماعية مرتبطة بظروف مرحليّة معينة، مثل القصة الشعبية، وإنما يركز على السلوك الإنساني في ظروف وحالات متغيرة، سواءً أكان السلوك فردياً أم جماعياً، وارتباط المثل بالسلوك، يعني الاهتمام بالفروق الفردية بين الأشخاص والجماعات ... والعكس واضح في القصص، والشعر معاً، فالقصيدة الغزلية مثلاً، قد تحافظ بتأثيرها مدةً أطول من تأثير شعر الحماسة أو شعر الرثاء، لارتباط موضوع الغزل بعاطفة أقوى وأبقى؛ بينما لا تحافظ قصيدة الحماس، على نفس التأثير⁽²⁾ لهذا قيل : «إن المثل الشعبي أهم من الشعر والقصة، وأقرب إلى الصدق في التعبير عن الظواهر الاجتماعية»⁽³⁾.

- المثل يستعمل طريقة الإرشاد، فيجعلك أمام حالات سلوكية معينة، ويترك لك حرية تطبيق ما تريد، مما لا تزيد، فلو سمعنا المثل: «اللي أعطى كلمته، أعطى رقبته» أو كما يقال في الجزائر : «الكلام كي البارود إذا خرج ما يرجعش» ليس في هذين المثلين إكراه ولا توجيه، إنما هناك حالة سلوكية فاضلة، من وفى بوعده، كان صورة للفضيلة، والأخلاق

⁽¹⁾ - رشوان، حسين عبد الحميد أحمد، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁽²⁾ - التلي بن الشيخ، مطلعات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ، ص 157.

⁽³⁾ - جليل الجبوري، الشعر الشعبي العراقي، بغداد، ص 7، نقلًا عن التلي بن الشيخ ، المرجع السابق، ص 157.

الحميدة، وكذلك المثل: «اللَّيْ شَفْتُو راكِبَ عَلَى قَصْبَةِ قُلْ لَهُ مَبُرُوكُ الْعَوْدُ أَوِ الْحَصَانُ» ومعناه لا تتدخل فيما لا يعنيك، ولا تشتعل بالناس، فهذا المثل الشعبي يوجه توجيهها غير مباشر، بخلاف المثل العربي، القائل: «لا تتدخل فيما لا يعنيك ، لكي لا تسمع ما لا يرضيكي». فصيغة الأمر في هذا المثل تتظر إلى المستقبل، وتهدف إلى غرض تعليمي. «ولعل الطابع غير التعليمي في المثل الشعبي، يرتفع به إلى مستوى أدبي فني، لم يكن ليصل إليه لو أنه كان يهدف إلى غرض تعليمي صريح»⁽¹⁾.

تهدف الأمثال إلى نقد الحياة من خلال تلخيصها التجارب الفردية، وكثيراً ما يشعروننا المثل بنقص في عالم الأخلاق، «وليس هذا سوى انعكاس لما يسود عالمنا التجربة من عيوب أخلاقية، فمن الأمثلة الضاحكة التي تعرض نماذج من حياتنا مليئة بالنقد والسخرية المثل الذي يتدر على تلك المرأة التي لا تتألق إلا خارج بيتها فيقول: «برة وردة وجدة قردة» فهي تتألق لغير زوجها»⁽²⁾ ومثله المثل الجزائري: «تَهَكُّمُ وَالضَّحْكُ عَلَيْهَا وَتَتَوَحَّمُ وَالدَّمُ يُجِيئُهَا». وفي المثل الأول نقد واتهام للمرأة، وفي المثل الثاني وصف بالحمق.

- استحوذ المثل على شعبية كبيرة بشيوع استخدامه في كل مناسبة، قولية أو كتابية استخدمه السياسيون في خطبهم، والأدباء في شعرهم ونثرهم، واستخدمته العامة في حديثها العادي، لاستشهاد أو التوجيه، وذلك لأنّه يحمل عصارة التجارب الإنسانية، سواء اتفقت في النتائج أو اختلفت، فعندما نسمع المثل: «تَهَكُّمُ وَالضَّحْكُ عَلَيْهَا وَتَتَوَحَّمُ وَالدَّمُ يُجِيئُهَا» «هذا المثل يعبر عن مدرك من مدركات الحياة، يصح أن يصبح قاعدة، ولكننا نفاجأ بما ينافقه تماماً»⁽³⁾ كالمثل: «النَّارُ تَوَلَّ الرَّمَادَ» فالرماد ليس مثل النار؛ لأنّه خال من الحرارة فالمثلان يقف كل منهما على حدة، ليعبر عن تجربة مفردة. وكل هذا يدل على أن عالمنا عالم تجربة.

- ولضرب المثل أهمية كبيرة في توضيح المعنى، وتجسيد المتخيل، لذلك اهتم العرب بضرب الأمثال، واستحضر العلماء المثل في كل مناسبة تحتاج إلى شرح أو إفهام.

⁽¹⁾ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص178.

⁽²⁾ - المرجع السابق، ص 179.

⁽³⁾ - المرجع السابق نفسه، ص 177.

« .. ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى ترىك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه شاهد، وفيه تبكيت للشخص الألد، وقمع لسورة الجامح الأبيّ، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكلام الأنبياء والحكماء»⁽¹⁾.
والمنتبع لآي القرآن يجد الكثير من الأمثال التي تصور المعنوي بالمحسوس بقصد الإفهام والاعتبار. وفهمها متوقف على العالمين.

قال تعالى: ﴿وَنَلَكَ الْأُمَالُ نَصْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَلَا يَعْقَلُهَا إِلَّا الْعَالَمُون﴾⁽²⁾.
ولما كانت الأمثال فناً من الفنون الأدبية الشعبية الحية، تعلقت بكل شيء، وتناولت كل شيء يتصل بالحياة، « فتراها تعالج الأخلاق والحكمة، والتربية والتوجيه، والسخرية والتهكم، والنكتة والفكاهة، والعضة والعبرة، والحب والكره، والاضطراب والاطمئنان، والخوف والأمن، والسعادة والشقاء، والخصب والجذب، وال الحرب والسلم ، والحياة والموت.

... فكل ما يتصل بالحياة مجال فسيح لفن المثل ... والأمة إذا كثرت أمثالها، دل ذلك على ذكائها، وحيويتها، ثم على تأثيرها بحوادث الحياة، وانفعالها معها: فإذا هي توجز الملاحم المهولة، والقصص الطويلة، والاضطرابات الطاحنة، والخطوب السوداء، في عبارة قصيرة جامعة، هي ما يسمى بالمثل»⁽³⁾.

- الأمثال تعبر عن مصائرنا بما تحمله من تجارب السابقين، التي مازالت صالحة لحاضرنا ومستقبلنا، «إننا نعيش جزءاً من مصائرنا في عالم الأمثال، على عكس الأنواع الشعبية الأخرى مثل الأسطورة والحكاية، فالأمثال بالنسبة لنا عالم هادئ؛ نركن إليه حينما نود أن نتجنب التفكير الطويل في نتائج تجربتنا»⁽⁴⁾.

- المثل بالنسبة لل العامة قانون يحتم الالتزام به، والإيمان الكامل بما يحمل من معنى، فكم من أمثال أنهت خلافات، وحلت مشاكل خاصة ، ودليل ذلك القصة التالية: يذكر الكاتب: «أن

⁽¹⁾ - الزمخشري ، الكشاف، م، 1، ص 195.

⁽²⁾ - سورة العنكبوت، آية 43.

⁽³⁾ - عبد المالك مرطاض، مقال: دلالة الأمثال والحكم الشعبية على نقاوة عاميتها، الشفافة، مجلة تصادرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، عدد 25، 1975، ص 34.

⁽⁴⁾ - نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص 182.

رجل استعار من أبيه قديماً ليصنع بها أوتاداً لأبقاره، وبعد أيام عدّة سأله أبوه عن القدوم فأخبره أنه سيحضرها غداً، غير أنه تماطل حتى اشتakah لشيخ القرية، فقال له: «ما عليهش يابني - وزي ما قال لك داك - إدّي يا إيدي واتعبي يا رجي»، فتمتّم أبوه موافقاً وذهب ليحضرها بنفسه»⁽¹⁾.

ويعدّ المثل المصري مثل جزائري يقول: «ما يتفقو اثنين حتى يُعودُ الْدَرْكَ عَلَى وَاحِدٍ»⁽²⁾ ويضرب المثل عندما يختلف زوجان أو شريكان أو أخوان؛ فلا بدّ أن يتنازل أحدهما للآخر وإلاً انفضت الشركة أو فسخ العقد.

ومن هذا الاتجاه، يأخذ المثل دوراً آخر، يظهر فيه أثر التشريع الاجتماعي (العرف) ، ولئن أخذ المثل دور الناصح، الذي يقول ما ينبغي أن يسود، ويشير إلى ما ينبغي أن يزول، فإنه قد فرض تبعاً لذلك الشروط والسنن، واللوائح والقوانين التي تنظم العلاقات بين الناس بعضهم ببعض من ناحية، وبين الناس وولاة أمرهم من ناحية ثانية، وبين العبد وربه من ناحية ثالثة.

قال المثل: «اللي تخدمو طيعو، و اللي ترهنو بيعو». وقال: العبد في التفكير والرب في التدبير»⁽³⁾.

ولذلك فالأمثال الشعبية لها احترامها وتقديرها في نفوس الناس، ولها سلطانها عليهم . وقد عرف العرب ذلك عنها، فاستكثروا منها في كلامهم، فيما عرف قديماً باسم ”التضمين“ وحديثاً باسم ”التناص“.

وإذا كانت للأمثال كل هذه الأهمية، فما دور المثقف الجزائري في جمعها ودراستها؟ لقد اهتم بعض المثقفين الجزائريين بجمع الأمثال الشعبية الجزائرية، وشرحها، غير أن مجهدتهم في هذا الميدان يعد قليلاً. إذا قيس بحيوية، هذا الصنف من الأدب الشعبي وبسبب تداوله، ومن كان لهم السبق في هذا المجال، وتركوا أثراً لهم في جمع الأمثال أذكر بعض المصنفات التي سمعت عنها أو وقعت في يدي.

⁽¹⁾ طارق فراج ، وأين أنور، مجلة الفنون الشعبية ، ص 113.

⁽²⁾ من الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعداء.

⁽³⁾ من الذاكرة الشعبية- بوسعداء.

6- مصنفات الأمثال الشعبية الجزائرية:

يعود أقدم كتاب جمع فيه صاحبه: محمد بن شنب، الأمثال الشعبية الجزائرية إلى مستهل القرن العشرين، « وكان قد سبقه إلى ذلك، بعض الكتب التي وضعها لتعليم اللغة العربية الدارجة، في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، وهي مؤلفات وضعها مستشرقون، وبعض تلاميذهم من الأهالي الجزائريين، الذين كانوا يقومون بتدريس العربية الدارجة في المدارس العليا الفرنسية-الإسلامية في هذا العهد، ثم في المدرسة العليا للآداب بالجزائر، النواة الأولى لجامعة الجزائر»⁽¹⁾. وفي ما يلي المصنفات:

1- مصنف محمد بن أبي شنب:

الذي سماه: أمثال الجزائر والمغرب العربية، مجموعة ومتدرجة ومشروحة Proverbes Arabes de L'Algérie et du Maghreb. recueillis, traduits, et commentés.

بلغ عدد الأمثال في هذا المصنف 3127 مثلاً، وهو قد جمعها من كتب المستشرقين، ومما سمعه من الأهالي، ثم قام بترجمتها إلى الفرنسية، وصنفها وفقاً للحروف الأبجدية، وقام بشرحها، وذكر الأماكن التي سمعها فيها، وذكر ما يوازيها من أمثال عربية وغير عربية، كما تحدث عن ما هو مستعار من القرآن أو الحديث أو الأمثال العربية، وبين كيفية أدائها وقيمتها.⁽²⁾

2- مصنف قادة بوتارن: الأمثال الشعبية الجزائرية:⁽³⁾

ترجمه عبد الرحمن الحاج صالح، يحتوي هذا المصنف على 1010 مثل، وصنفه صاحبه على حسب الموضوعات، وخصص لكل حقل دلالي بابا، يورد فيه الأمثال التي تداولها الناس في منطقة الجنوب الغربي الجزائري.

3- مصنف عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية⁽⁴⁾: جمع صاحبه أكبر قدر من الأمثال المتداولة في "قرية الحمراء" غرب مدينة سطيف، ويحتوي مصنفه على حوالي 640 مثلاً مرتبة ترتيباً أبجدياً مصنفة ومفهرسة ومشروحة وعلق عليها.

⁽¹⁾ - عبد الحميد بورابي، الأدب الشعبي الجزائري، ص 69.

⁽²⁾ - المرجع السابق، ص 69-72.

⁽³⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، دار الحضارة. د/ت.

⁽⁴⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية ، ص 154.

4- مصنف رابح خدوسي: موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية⁽¹⁾.

وهو عبارة عن مجموعة من الأمثال الجزائرية ، رتبها ترتيباً ألف بائيا ، وبلغ عددها 3000 مثل ، وفيه الكثير من الأمثال المكررة ، وما يلاحظ على هذا المصنف ، أنه عبارة عن جمع ، ليس فيه لا شرح ولا تعليق .

5- مصنف عز الدين جلاوجي: الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف⁽²⁾.

جمع صاحب المصنف حوالي 350 مثلا ، ورتبها ترتيباً ألف بائيا ، غير أن شرحها قليل .

6- مصنف جعكور مسعود: حكم وأمثال جزائرية⁽³⁾.

احتوى هذا الكتاب على 1070 مثلا ، جمعها صاحبه من الشرق الجزائري "عين مليلة" وقد رتبها ترتيباً ألف بائيا ، وشرحها حسب معناها المتداول في المنطقة ، وحاول ربطها بما يشابهها من الأمثال العربية أو الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية .

-خلاصة:

إن المتتبع لاستعمال الأمثال في الحياة اليومية - وبخاصة الأمثال السائرة - يبهره قوة صمودها تجاه عاصفة التناسي والإهمال في الدراسات الرسمية أو في المناهج الدراسية ، مما يدل على أن الأمثال من الأدب الحي المحمي ذاتيا ، المتداول بين أفراد المجتمع يوميا - سواء أكانت فصيحة أم عامية - وهذا لأنها تحمل عصارة تجارب المجتمع وخبرته ، كما أنها صيغت في عبارات بلغة موجزة ، تمتاز بكثافة المعنى وإصابة المحرز ، كما تمتاز بتوازن وتتناغم موسيقي جذاب مما جعلها تبقى وتنشر ، برغم تغير شكلها أحيانا حسب البيئة ؛ ولكن مضمونها ثابت . فإذا كان الشعر مستودع أخبار العرب ، وديوان أسرارهم ؛ فإن الأمثال جاءت رديفة لذلك الشعر ، من قبل ومن بعد .

والدارس لأمثال العرب في جاهليتها وإسلامها ، يكتشف المساحة التي غطتها الأمثال ، إنها اشتملت على موضوعات نفسية ، اجتماعية ، أخلاقية ، أدبية ... وقد صاغوها من بيئتهم الطبيعية . فكانت مرآة لحياتهم ، وهي صادقة مطابقة للواقع في أحيان كثيرة ، وقد لا

⁽¹⁾ - رابح خدوسي ، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية ، دار الحضارة : 1997م.

⁽²⁾ - عز الدين جلاوجي ، الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف ، منشورات دار الثقافة لولاية سطيف 2007م.

⁽³⁾ - جعكور مسعود ، حكم وأمثال شعبية جزائرية ، دار المدى للطباعة والنشر ، عين مليلة ، الجزائر ، 2008م.

يطابق بعضها الواقع، إذا قابلناها بحياتنا الحاضرة. و لقيمة الأمثال وأهميتها في الإفهام، جاءت في أرقى النصوص بلاغة وشرفًا، (القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف). ومع هذه الأهمية لم تحظ بالدراسة الكافية؛ - كما حظي الشعر - حيث أن ما جمع من أمثال، كان منذ الخلافة الأموية، أي أن أول كتاب موجود ومطبوع هو: كتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي (ت، نحو 170هـ). حسبما ذكره عبد المجيد قطامش في كتابه "الأمثال العربية" وآخر كتاب هو: كتاب المستقصي في أمثال العرب للزمخشري (538هـ).

ثم ألفت بعض الكتب؛ ولكنّها عبارة عن نقل عما سبق كما هو الحال مع كتاب: زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي. (ت، ق 11هـ).

وإذا كان الدارسون لم يهتموا كثيراً بدراسة الأمثال العربية منذ عدّة قرون، فإنه في السنوات الأخير بدأ الاهتمام بها يزداد، وبخاصة عبر الإذاعات الجهوية، حيث خصت حصص للأمثال، يشارك فيها المستمعون بآرائهم، وبفهمهم، وإضافاتهم، كما أن إدراج مقاييس الأدب الشعبي في الجامعات جعل الأساتذة الباحثين والطلبة، يساهمون في إحياء هذا التراث ويعثّه، عبر ما يُعدُّونه من بحوث ومذكرات وأطروحتات.

الفصل الثاني

التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية

تمهيد

- التأثير والتأثر
- التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية
- تناص الأمثال الشعبية مع الموروث الثقافي العربي الإسلامي

خلاصة

التأثير والتأثير في الأمثال الشعبية

تمهيد:

لا شك أن عناصر الطبيعة يؤثر بعضها في بعض، وكثيراً ما يظهر أثر التأثير جلياً للعيان؛ فالحرارة في الصيف تؤثر في الحديد فيتمدّد، والبرودة في الشتاء تؤثر فيه فينكش ويعود إلى حجمه، فتصبح الحرارة والبرودة مؤثرين، والحديد متاثراً بهما، والأثر التمدد أو الانكماش. قال الله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى أَثْرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنْ ذَلِكَ لِمَحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽¹⁾. جاء في تفسير البغوي: «أراد برحمته الله المطر، أي انظر إلى حسن تأثيره في الأرض، وقال مقاتل: أثر رحمة الله أي نعمته وهو النبت»⁽²⁾. فال IDR هو المؤثر بقدرة الله، والأرض اليابسة متاثرة بالمطر، وأثر التأثير والتأثير هو النبات.

وفي البيئة الاجتماعية يؤثر الآباء في الأبناء بفعل التربية؛ فينشأ الطفل على معتقدات والديه أو معلميه أو أبناء مجتمعه؛ ولذلك قيل: «من أشبه أباً فما ظلم»⁽³⁾. مشابهة في الخلقة أو الخلق. يضرب المثل في تقارب الشبه، ومعناه: من أشبه أباً فقد وضع الشّبه في موضعه، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

وفي المجال الثقافي والأخلاقي يتتأثر الأفراد ببعض النماذج البشرية سلباً أو إيجاباً بفضل الاحتكاك والملازمة؛ فيتصرفون تصرفهم، ويمشون مشيّتهم، ويتحدون حديثهم. وتتأثر المؤثر قد يكون مقصوداً كما يفعل الدعاة والمربيون، أو غير مقصود؛ كمن يقوم بواجبه في مجال عمله؛ فيتأثر به آخرون. والتأثير يكون من طرف خارجي؛ فالمرء قد يتتأثر بشخصية قرأ عنها أو شاهدها على شاشة التلفزيون مثلاً، فيبني أفكارها أو يحاكيها في خطابها .. أما التأثير فإنه ينشأ داخل المتّأثر نفسه، وهو حالة من الشعور الإيجابي أو السلبي تتحرك في نفس الفرد حول فكرة أو شخص آخر، فيحدث تغيير فكري أو سلوكي، دلالة على تقبل أو

⁽¹⁾ - سورة الروم، آية 50.

⁽²⁾ - البغوي، تفسير البغوي، الجلد 6، ص 277.

⁽³⁾ - أبوهلال العسكري، جهزة الأمثال، ج 2، ص 197.

رفض. جاء في الحديث النبوي الشريف: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدهم من يخالف»⁽¹⁾.

وكما يقع التأثير و التأثر بين الأفراد والجماعات، يقع أيضاً بين الشعوب والأمم في بناء الحضارة؛ فقد أثرت الحضارة العربية الإسلامية عندما كانت في أوج قوتها في بلاد الغرب. «إن أساس الثروة والقوة الاقتصادية والتأثير القوي في كل مكان، كان كامناً في الأرباح العربية. بل قل: إن أساس كل رخاء سابق في بلاد الغرب قد نبت في سلال التوابل العربية ونما معها»⁽²⁾.

ولكن ما المقصود بالتأثير و التأثر؟ وهل هناك تأثير متبادل بين الحضارتين العربية الإسلامية من جهة، والغربية من جهة أخرى، في الميادين العلمية والأدبية؟ وهل هذا التأثير و التأثر امتدا إلى الأمثال الشعبية؟ هل كان للخلفية الثقافية العربية الإسلامية أثر في شكل أو مضمون الأمثال الشعبية الجزائرية - في ما يعرف بالتناص -؟ هذا ما سأحاول مقارنته في هذا الفصل.

أولاً- التأثير والتأثير:

1- التأثير و التأثر لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: **أثر**: بقية الشيء، والجمع آثار وأثر. وخرجت في إثره وأثره، أي بعده، وأنثرته وتأثرته: تتبعه أثره عن الفارسي. والأثر بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء. والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً. والآثار: الأعلام.

والأثر: الخبر، والجمع آثار. قوله عزّ وجلّ: ﴿..ونكتب ما قدموا وآثارهم..﴾⁽³⁾. أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم، ونكتب آثارهم؛ أي من سنّ سنة حسنة كتب له ثوابها، ومن سنّ سنة سيئة كتب عليه عقابها. وسنن النبي - صلى الله عليه وسلم - آثاره. وفي القرآن:

⁽¹⁾ - أبو داود، سليمان ، سنن أبي داود، المجلد 4، ص 261، حديث رقم: 4833.

⁽²⁾ - زبيغريد هونكة، شمس العرب تسقط على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجحه ووضع حواشيه: مارون عيسى الحوري، ط 3، دار الجليل بيروت، 1993م، ص 36.

⁽³⁾ - سورة يس، آية 12.

﴿إيتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾⁽¹⁾. قال الزجاج: أثارة في معنى عالمة، ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم. وماثر العرب: مكارمها ومفاحرها التي تؤثر عنها، أي تذكر وتروي.

قال ابن سيده: وعندى أن المأثور مفعول لا فعل له كما ذهب إليه أبو علي في المفهود الذي هو الجبان. وأثر الوجه وأثره: ماوه ورونقه. وأثر السيف: ضربته. وأثر الجرح: أثره يبقى بعدما يبرأ⁽²⁾.

2- التأثير و التأثر اصطلاحاً:

أما المقصود به في الاصطلاح العلمي والأدبي، فيمكن اختصاره في الأخذ والعطاء، أي أن تأخذ أمة من أمة أخرى ما تحتاج إليه، في مختلف الميادين - صناعية زراعية ، طبية ، لغوية، أدبية.. - والأمة الآخذة يمكن أن تُبقي على المأخوذ كما هو، كما يمكن أن تطوره، أو تهتدي به لإنتاج أو إبداع أشياء أخرى، وما ينطبق على الأمة ينطبق على الأفراد. فالأفراد أيضاً - يأخذون عن غيرهم بداع الحاجة أو الإعجاب.

والتأثير قد يكون إيجابياً أو سلبياً أو عكسيًا، كما يرى محمد غنيمي هلال.

فالتأثير الإيجابي: ألا يكون العمل الثاني أقل جودة أو أصالة وإبداعاً عن العمل الأول، مع تأكيد الاتصال في ما بينهما، فإذا استفاد شاعر عربي من شاعر غربي في أي مجال، وكان الشاعر العربي مبدعاً؛ فإنه يهضم ما يتلقاه، ثم ينسجه مع مكونات أخرى بلاوعي منه في نسيج خاص جديد يختلف عن نسيج العمل الأول، «ولن يضير كاتباً -مهما تكن عبقريته ومهما سما فنه- أن يتاثر بإنتاج الآخرين ويستخلصه لنفسه، ليخرج منه إنتاجاً منطبعاً بطابعه، متسمًا بمواهبه؛ فكل فكرة ذات قيمة في العالم المتمدن، جذورها في تاريخ الفكر الإنساني الذي هو ميراث الناس عامّة، وتراث ذوي المواهب منهم بصفة خاصة، وقد أشار إلى ذلك (بول فاليري) Poul Valéry في كتابه choses vues قال: «لا شيء أدعى إلى إبراز أصالة الكاتب وشخصيته من أن يتغذى بآراء الآخرين، مما الليث إلا عدة خراف

⁽¹⁾ - سورة الأحقاف، آية 4.

⁽²⁾ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد 4، ص 8-5.

مهضومة»⁽¹⁾. فالأصالة المطلقة مستحيلة؛ فأكثر الشعراء والكتاب مدينون لسابقيهم، وأن التأثر طابع الآداب والمدارس الأدبية جميرا. وأن المحاكاة الرشيدة طريق إغناء اللغات. أما التأثير السلبي: فهو عندما يكون التأثر تقليدا Imitation دون إحداث أي تطوير أي عندما لا يكون العامل المؤثر مساعدًا على الإبداع والإنتاج. «غير أن كلمة المحاكاة في ذاتها غامضة، طالما أسفت إلى التقليد الذي يمحو الأصالة. وإنما يقصد بها التأثير الهاضم الأصيل، لا التقليد الخاضع الذليل»⁽²⁾.

وأما التأثير العكسي Influence à repours: فهو يعني الاختلاف والتعدد والتنوع في الأدب المقارن، قد يكون حول موضوع من الموضوعات أو حول شخصية تاريخية، كأن يقاوم الكاتب أثر كاتب آخر في أدب أمة أخرى؛ فينتج من هذه المقاومة أثراً في تأليفه. وفي هذا يرى غنيمي هلال: أن أحمد شوقي - في مسرحيته الشعرية (مسرح كليوباترا 1927) - قد تأثر في فكرة دفاعه عن "كليوباترا" - بوصفها مصرية- بالأعمال المسرحية الغربية الكثيرة، التي أظهرت كليوباترا (76-30 ق.م) على أنها امرأة شرقية مصرية مستهترة بغي؛ ولذلك حاول شوقي أن يرد إليها اعتبارها أمام التاريخ، بصفتها ملكة مصرية، تقدم مصلحة وطنها على حبّها. وبهذا فشوقي قد تأثر تأثراً عكسيًا بأولئك الأدباء والمؤرخين⁽³⁾.

3- بداية العلوم وتطور الحضارات في ظل التأثير والتأثر:

الحضارة الإنسانية تطورت، وتتطور بفضل التفاعل الحاصل بين الحضارات والأمم في شكله الأفقي المكاني، وفي شكله العمودي الزماني. وليس هناك حضارة أمة بدأت من الصفر، لتحتل بذلك المرتبة الأولى، ثم ترتب وراءها باقي الحضارات التي أتت بعدها. فالمعرفة الإنسانية مصدرها الأول، الله عزّ وجلّ؛ لأنَّه هو الذي علم الإنسان عبر الزمن وفي مختلف العصور، كيف يدير حياته ويصنع أشياءه، وهو الذي زوَّده بوسائل التعلم والحفظ والكشف، والربط، والتعليق والاستنتاج؛ ليبني على ما تعلمه، ويستغلُّه في تعلمات جديدة. وبهذا تنمو المعرفة وتزداد الخبرات، وينقلها الإنسان إلى خلفه عن طريق الممارسة

⁽¹⁾ — ينظر: هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، نخبة مصر للطباعة والنشر، د/ط ، القاهرة، 2004، ص 19.

⁽²⁾ — ينظر: المرجع السابق، ص 29.

⁽³⁾ — ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 18.

أو المشافهة أو الكتابة أو الأثر الباقي. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى هذا التعلم الذي يتم بوسائل كثيرة منها: الوحي والإلهام إلى الأنبياء أو الصالحين من عباده. قال الله تعالى: ﴿وَعْلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽¹⁾. جاء في التفسير، «قال ابن عباس ومجاحد وقتادة: عَلِمَهُ اسْمُ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الْقَصْعَةِ وَالْقَصْبِعَةِ، وَقِيلَ اسْمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنْسٍ: أَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ، وَقِيلَ أَسْمَاءُ ذَرِيْتِهِ، وَقِيلَ صَنْعَةُ كُلِّ شَيْءٍ. قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ عَلَمَ آدَمَ جَمِيعَ الْلِّغَاتِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْ أَوْلَادِهِ بِلِغَةٍ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْبَلَادِ وَاخْتَصَ كُلُّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ بِلِغَةٍ﴾⁽²⁾.

وفي تعليمه للإنسان الصناعة قال الله تعالى - موجهاً نبيه سيدنا نوح عليه السلام -: ﴿وَاصْنَعْ لِلنَّاسِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيَنَا﴾⁽³⁾. وفي تفسير البغوي، قال ابن عباس: بمرأى منا، وقال مقاتل: بعلمنا، وقيل: بحفظنا (ووحيانا): بأمرنا. وقيل: أوحى الله إليه أن يصنعها مثل جوؤ الطائر⁽⁴⁾.

ومعنى الصنع إيجاد شيء معدوم من أشياء موجودة، كصناعة الكراسي والطاولات من الخشب، أو صناعة الأحذية من الجلد، أو صناعة الدروع والسيوف من الحديد... فالله قد عَلِمَه بالوحي والإلهام كيف يصنع السفينة، ليصبح ما صنعه خبرة لمن يأتي بعده. كما عَلِمَ داود عليه السلام كيف يصنع الدروع. قال الله تعالى: ﴿وَعَلِمَنَا هُنَّا صَنْعَةُ لِبُوسٍ لَّكُمْ لِيَحْصِنُوكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهُلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾⁽⁵⁾. جاء في التفسير: تلك هي صنعة الدروع حلقة متداخلة، بعد أن كانت تصنع صفيحة واحدة جامدة، و الزرد المتداخل أيسر استعمالا وأكثر مرoneة. ويبين أن داود هو الذي ابتدع هذا النوع من الدروع بتعليم الله. والله يمن على الناس أن عَلِمَ داود هذه الصناعة لوقايتهم في الحرب. ﴿لِيَحْصِنُوكُمْ مِّنْ بَأْسِكُم﴾.

والحضارة البشرية سارت في طريقها خطوة خطوة وراء الكشوف، ولم تجيء طفرة؛ لأن خلافة الأرض تركت لهذا الإنسان، ولمداركه التي زوده الله بها ليخطو في كل يوم خطوة

⁽¹⁾ - سورة البقرة، آية 31.

⁽²⁾ - البغوي، تفسير البغوي، مجلد 1، جزء 1، ص 80.

⁽³⁾ - سورة هود، آية 37.

⁽⁴⁾ - البغوي، تفسير البغوي، م 4، ج 12، ص 173.

⁽⁵⁾ - سورة الأنبياء، آية 80.

ويعيد تنسيق حياته وفق هذه الخطوة. وإعادة تنسيق الحياة وفق نظام جديد ليست سهلة على النفس البشرية؛ فهي تهز أعماقها، وتغير عاداتها ومؤلفها، وتقتضي فترة من الزمان لإعادة الاستقرار الذي تطمئن فيه إلى العمل والإنتاج⁽¹⁾.

ومن مدارك الإنسان ووسائل تعلمه ما ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بَطْوَنِ أُمَّهاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ لِعَلْكُمْ تَشَكَّرُونَ﴾⁽²⁾. فالله زود الإنسان بهذه الوسائل قبل أن يخرج من بطن أمه، وظيفتها تبدأ منذ خروجه إلى الحياة، ف بهذه الحواس يتم الإدراك ويتم التعلم، ودونها لا يكون أي تعلم. جاء في التفسير: ذكر أن من نعمه، أن أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً لا علم لكم بشيء، وفيه ثلاثة أقوال:- أحدها لا تعلمون شيئاً مما أخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم. الثاني:- لا تعلمون شيئاً مما قضى عليكم من السعادة والشقاء. الثالث:- لا تعلمون شيئاً من منافعكم. ثم ابتدأ فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ﴾. أي التي تعلمون بها وتدركون؛ لأن الله جعل ذلك لعباده قبل إخراجهم من بطونهم؛ وإنما أعطاهم ذلك بعدما أخرجهم، أي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الأمر والنهي، والأبصار لتتصروا بها آثار صنعه والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته، والأفئدة جمع الفؤاد، نحو غراب، وأغريه. وقد قيل في ضمن قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ . إثبات النطق لأن من لم يسمع لم يتكلم، وإذا وجدت حاسة السمع وجد النطق⁽³⁾.

ومن طرق التعليم، التعليم بالاقتداء أو التقليد، فالأستاذ يحل المسائل أمام التلاميذ ليقتدوا به في حلها، عندما يتبعون خطواته في ذلك، ومثل هذا نجده في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غَرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيَرِيهِ كَيْفَ يَوْرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾⁽⁴⁾. فقايل عندما قتل أخيه هابيل، واحتار في ما يفعل بجثته، بعث الله غرابة ليتعلم منه كيفية الدفن. فيريه

⁽¹⁾ - ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ط16، دار الشروق، بيروت، 1410هـ-1990م، المجلد4، الجزء17، ص2390.

⁽²⁾ - سورة النحل، آية 78.

⁽³⁾ - ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1965م، المجلد5، الجزء10، ص151.

⁽⁴⁾ - سورة المائدة، آية 31.

بمعنى يعلمه. وفي تفسير البغوي: «فَلَمَا رَأَى قَابِيلَ ذَلِكَ قَالَ: يَا وَيْلَتَا - كَلْمَةٌ تُحْسِرُ - فَقَيْلَ لَمَا رَأَى الدُّفْنَ مِنَ الْغَرَابِ، أَنَّهُ أَكْبَرَ عِلْمًا مِنْهُ، وَأَنَّ مَا فَعَلَهُ كَانَ جَهَلًا ، فَنَدَمَ وَتُحْسِرَ»⁽¹⁾.

والحضارة العربية الإسلامية بدأت مع بداية نزول الوحي على الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- وبامتداد الإسلام إلى الشعوب الأخرى - غير العربية- عن طريق الفتوحات والتجارة والبعثات العلمية والدعوية، أخذت اللغة العربية تنتشر بانتشار الإسلام، و طفت الترجمة تشق طريقها إلى الاستفادة من مخزون الحضارات القديمة، كالحضارة الهندية والفارسية في الشرق، وكالحضارة اليونانية والرومانية في الغرب. وبفضل التفاعل والاحتراك بين هذه الحضارات والشعوب، وهيمنة المسلمين باللغة العربية، لغة القرآن، تكونت الحضارة العربية الإسلامية على أراضي الحكم الإسلامي. وامتد شعاعها إلى شعوب الحضارات القديمة التي خبت جذورها إبان نشوء وازدهار الحضارة العربية الإسلامية في القرون الوسطى. وصارت تلك الشعوب تستفيد من نتاج الحضارة العربية الإسلامية وتتأثر بكل جديد يخترعه المسلمون؛ لأن المعرفة الإنسانية يكمل بعضها ببعضًا. و«بساط الحضارة بساط نسجته أيدٌ كثيرة، وكلها تهبهما طاقتها، وكلها تستحق الثناء والتقدير»⁽²⁾.

ولا شك أن المؤثر - غالباً - يكون أقوى من المتأثر، سواء في ذلك أكانت القوة العسكرية أم قوة ثقافية. فعندما سادت اللغة العربية أثناء حكم المسلمين في الأندلس تخلّى الإسبان المسيحيون عن لغتهم اللاتينية وتعلّقوا باللغة العربية التي كانت لغة العلم والأدب. وفي هذا يورد العقاد رأي أحد الكتاب الإسبان فيقول: «وَبِرُوَيْ لَنَا "دُوزِي" فِي كِتَابِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ الْأَنْدَلُسِيِّ» رسالة ذلك الكاتب الإسباني -الفارو- الذي كان يأسى أشد الأسى لإهمال لغة اللاتين والإغريق والإقبال على لغة المسلمين، فيقول: إن أرباب الفتن والتذوق سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها⁽³⁾. ونضع خطأ تحت قاهريهم؛ فالقاهر لم يأت من القوة العسكرية وحدها، وإنما أتى من قوة اللغة في العلم والأدب. وهذا ما يؤكد ابن خلدون في قوله: «فصل في أن المغلوب مولع

⁽¹⁾ - البغوي، تفسير البغوي، م3، ج6، ص44.

⁽²⁾ - زبيغين هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص14.

⁽³⁾ - العقاد، عباس محمود، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978م، ص57.

بالاقداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائل أحواله وعوائده. والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه: إما لنظره بالكمال بما وقر (سكن أو ثبت) عندها من تعظيمه؛ أو لما تغاظط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعيٌ، إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالَطْتُ بذلك واتّصل لها، حَصَلَ اعتقاداً، فانتَحَلتْ جميع مذاهب الغالب وتشبّهت به، وذلك هو الاقداء... ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب، في ملبوسيه ومركبته وسلاحه في اتخاذها وأشكالها. بل وفي سائر أحواله... وتأمل في هذا سرّ قولهم: "العامة على دين الملك"؛ فإنه من بابه، إذ الملك غالب لمن تحت يده، والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم⁽¹⁾.

فنظيرية ابن خلدون هذه تتكرر في كل زمان، وإذا صار المغلوب غالباً قلّه المغلوب.

4-تأثير الحضارة العربية في الحضارة الغربية:

وانطلاقاً من فكرة ابن خلدون السابقة، كان تأثير الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الغربية، برغم جهود عوم الغربيين وإنكارهم هذا التأثير، كما قال مالك بن نبي في كتابه: وجة العالم الإسلامي: وليس يغيب عن بالينا، أن أوروبا التي اعتقدت أن العناية قد اختارت بها لتستودعها مصائر الإنسانية، قد أخذت منذ عصر (بوكاشيو) - حين كانت حضارتها ترپع في مهدها ألبان حضارة العرب - تتذكر للحضارة الإسلامية تتکرا خالصا سهلاً، وهناك ما قاله أحد الأوروبيين في هذا الصدد، وهو الدكتور "غوستاف لويون"، فإنه حين أراد أن يختتم دراسته عن (الحضارة العربية) اختتمها بهذا التأمل الحزين:

«لعل القارئ يتتسائل: لماذا ينكر العلماء في هذه الظروف تأثير العرب، وقد كان أولى بهم أن يتذهوا عن اعتبارات التفرقة الدينية..؟.. الحق أن استقلال آرائنا وتجردنا ظاهري أكثر من أن يكون واقعياً، وأننا لا نكون البة أحرازاً في تفكيرنا - كما ينبغي - حيال بعض الموضوعات، فقد تجمعت العقد الموروثة؛ عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون سحرية، حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي»⁽²⁾...

⁽¹⁾ - ابن خلدون، المقدمة، ص-258-259.

⁽²⁾ - ينظر: مالك بن نبي، وجة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، إصدار ندوة مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، دار الفكر، دمشق، 1402هـ-1981م، ص37-38.

غير أننا نجد من الغربيين من يعترف بفضل الحضارة العربية الإسلامية، ويتأثيرها في الحضارة الغربية، كما جاء في كتاب: شمس العرب تشرق على الغرب - للمستشرة الألمانية: (زيغريد هونكة). حيث تقول: إن كل الشعوب التي حكمها العرب اتحدت بفضل اللغة العربية، والدين الإسلامي، وذابت بتأثير قوة الشخصية العربية من ناحية، وتتأثر الروح العربي الفذ من ناحية أخرى، في وحدة ثقافية ذات تماسك عظيم.

ومن الأمثلة التي ذكرتها " زيغريد هونكة " في تأثير الحضارة العربية في الحضارة الغربية: تأثر طبقة الفرسان الألمان بالمثال العربي؛ فأصبحوا يتبنون صور الحيوانات كرموز في ساحات الوعي، ثم تحولت هذه الرموز في بلاد الغرب إلى رموز للمكافأة والشهرة وطريقة يتبعها الفرسان جميرا، حتى غدت نوعاً من العلوم المتعلقة بشعارات الأشراف " Heraldik " ، ذات لغة رمزية. وكذلك رسم الصقر المزدوج، الذي كان رمزاً لإمبراطوريات عديدة كالإمبراطورية الألمانية، والملكية النمساوية، والمجرية⁽¹⁾.

وفي شأن صناعة الورق ترى الكاتبة: أنه عن عرب صقلية والأندلس، تعرفت بلاد الغرب على هذه المادة الكثيرة النفع، التي هي في الحقيقة إحدى دعائم الثقافة والحياة الروحية، لقد فتح ورق العرب هذا عصراً جديداً، لم يعد العلم فيه وقفاً على طبقة معينة من الناس، بل غداً مشاعاً للجميع، ودعوة لكل العقول لأن تعمل وتقصر⁽²⁾...

وفي المجال الحربي تقول: ومن المؤكد أن العرب تمكناً في النصف الثاني من القرن الثالث عشر أن يستعملوا البارود والقاذف كمادة دافعة للصواريخ.. فعرب الأندلس في إسبانيا هم أول من استعمل القذائف النارية في أوروبا لأهداف عسكرية؛ فأصبحوا بذلك أساتذة الأوروبيين في هذا الحقل، وبذلك بلغوا في التعليم حداً أثار العجب⁽³⁾.

ومن المفردات التي أخذها الغربيون عن العرب: كلمة البنان Banan وهو الموز ونحن نعرف أن الموزة تشبه البنان، وهو الأصبع، فقلنا: بنان الموز، فجاء الأوروبيون وأخذوا الكلمة الأولى -الbanana- واستغنووا عن الثانية.

⁽¹⁾ - ينظر: زيغريد هونكة ، شمس العرب تستطيع على الغرب، ص42.

⁽²⁾ - المرجع السابق نفسه، ص46.

⁽³⁾ - المرجع السابق نفسه، ص-50-51.

والكاتبة قد ذكرت كلمات كثيرة، اقتبسها معظم لغات أوروبا عن العرب⁽¹⁾. و هذه نماذج منها، حصرتها في الجدول المولى وأتيت بكتابتها في اللغات: (الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإسبانية).

| الإسبانية | الألمانية | الإنجليزية | الفرنسية | العربية |
|-----------|-----------|------------|----------|---------------|
| Plátanos | Bananen | Bananas | bananes | الموز (البان) |
| Algodon | Baumwolle | cotton | coton | القطن |
| Arroz | Reis | Rice | riz | الأرز |
| alcohol | alkohol | alcohol | alcool | كحول |
| azucar | Zucker | Sugar | Sucre | سكر |

وعن تأثير العرب في الثقافة الألمانية، تتساءل الكاتبة قائلة: لماذا يخطئ الأطفال دائمًا في ألمانيا عندما يبدؤون في تعلم مبادئ الحساب وينتقلون من الأعداد الصغيرة ، 1- 3.. إلى الأعداد الكبيرة ذات العشرات : 23 مثلا ، فتقول: العيب ليس عيب الأطفال؛ فالألماني إذا أراد كتابة العدد 23 على السبورة، فهو يترك مسافة صغيرة ثم يكتب الرقم 3 {لأنه يبدأ من اليسار إلى اليمين} ثم يعود ثانية إلى المسافة التي تركها ليملأها بالرقم 2 لتصبح بهذه الصورة 23. ولو اندمج طفل في الكتابة ولم ينتبه، وكتب الأرقام بالترتيب حسب سماعه إياها تبعا للنطق بها لكتب 3 أولا ثم 2 فتصبح خطأ 32 بدلا من 23 وتنسخ شقة الخطأ إذا ما تقدم التلميذ خطوة أخرى ليكتب أرقام المئات، فهو بعد أن تعود أن يكتب 23 مبتداً بالثلاثة ثم الاثنين، يجد الطفل نفسه في حيرة إذا أراد أن يكتب العدد 123 مثلا حين ينطق بالألمانية: Hundret und dreiundzwanzig فهو يبدأ من اليسار إلى اليمين فيكتب الرقم 1: ثم يقفز ليكتب الرقم 3: ثم يعود ثانية ليكتب الرقم 2: الذي يحتل مركز الوسط. وفي ما بعد، سيعلم هذا الطفل أن شعوبنا كثيرة لا تكتب الأرقام بمثل تلك اللفظات التي يكتب بها. فالفرنسي يهبط الدرج بانتظام من المئات إلى العشرات إلى الآحاد فيقول:

⁽¹⁾—ينظر: زغريد هونكة، شمس العرب تسقط على الغرب، ص 59.

One hundred and twenty-three Cent vingt-trois وكذلك الإنجليزي يقول: أي مائة وعشرون وثلاثة. فالنطق يطابق المكتوب.

إن تلك العادة الألمانية هي نفسها العادة العربية في بناء الأعداد حتى المائة، تماماً كتابتهم من اليمين إلى اليسار، فيقولون: ثلاثة وعشرون أو خمسة وثمانون⁽¹⁾.

فتأثير الألمان بالعادة العربية في كتابة أرقام الأعداد، سبب مشاكل للأطفال الصغار؛ لأنهم يقرؤون ويكتبون من اليسار إلى اليمين، وفي كتابة العدد المكون من العشرات يبدؤون بالأحاد، أي من اليمين.

والمشكل نفسه يعاني منه التلاميذ في بداية تعلمهم الحساب في المدرسة الجزائرية عندما يصل بهم المعلم إلى رتبة المئات. وبخاصة إذا أملى العدد، فهو يقول: مائة وخمسة وعشرون. ويكتب: 125. فالإملاء بدأه من اليمين والكتابة بدأها من اليسار. وقراءة الأعداد نجدها مستعملة بطرقتين في النصوص العربية القديمة:

أ-من الأصغر إلى الأكبر، ابتداء من اليمين (571) إحدى وسبعين وخمسمائة. جاء في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، النص التالي: «.. وعرض علي كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيساني - رحمه الله - عن الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله - إلى ديوان الخلافة ببغداد في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وضمنه ما أبلغه في خدمة الدولة، من فتح الديار المصرية، ومحو الدولة العلويةُ، وإقامة الدعوة العباسية...»⁽²⁾.
ب-من الأكبر إلى الأصغر، ابتداء من اليسار (350) - لثلاثمائة وخمسين. كما جاء في النص الموالي:

وفي التأثير السلبي، ذكر ابن خلدون في فصل: في أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب. والسبب كما يرى: أن العرب أمة وحشية لا تخضع لريقة الحكم، ولا الانقياد للسياسة. وعادتهم الرحلة والتغلب، وهي مناقضة للسكن الذي به العمran. وأن طبيعتهم انتهاك ما في أيدي الناس. وأن رزقهم في ظلال رماحهم. وأنهم يُتّلفون على أهل

⁽¹⁾ - ينظر: زغبيد هونكة، المرجع السابق، ص-67-68.

⁽²⁾ - ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط2، قدمه وعلق عليه، أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نجمة مصر للطبع والنشر، د/ت، القاهرة، ق1، ص56.

الأعمال والصنائع والحرف أعمالهم، لا يرون لها قيمة ولا قسطا من الأجر والثمن. والأعمال هي أصل المكاسب وحقيقةها. وإذا حكموا فليست لهم عناية بالأحكام وجزر الناس عن المفاسد، ودفع بعضهم عن بعض؛ إنما همهم ما يأخذون من أموال الناس نهبا ومغراً؛ ولهذا تبقى الرعية في ملتهم لأنها فوضى دون حكم، والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمان. وهم متافسون في الرياسة وقل أن يُسلم أحد منهم الأمر لغيره، ولو كان أباً أو أخي أو كبير عشيرته، إلا في الأقل، وعلى كره من أجل الحياة؛ فيتعدد الحكام منهم والأمراء وتختلف الأيدي على الرعية في الجبائية والأحكام فيفسد العمان وينقص.

ويضرب ابن خلدون مثلا بالخراب الذي أحدهوه. فيقول: وانظر إلى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الأوطان من لدن الخليقة كيف نقض عمرانه، وأقفر ساكنه، وبدل الأرض فيه غير الأرض؛ فاليمن قرارهم خراب إلا قليلا من الأمصار، وعرق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع، والشام لهذا العهد كذلك. وإفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها، وعادت بسائطه خرابا كلّها ، بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كلها عمرانا تشهد بذلك آثار العمان فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدر⁽¹⁾.

ذكرت أسباب تأخر العرب التي يعتقدوها ابن خلدون؛ لأنها ما زالت تتكرر برغم مرور زمن طويل على نشوء الدولة العربية الإسلامية، وبرغم الاحتكاك بالدول العريقة في الشرق والغرب؛ فالبلدان التي ذكرها (اليمن وال伊拉克 والشام وأفريقية مثل ليبيا)، تسودها اليوم فتن مدمرة من أجل الزعامة (السلطة).

والمقولة: (إذا عُرِبتْ خُربَتْ) التي تنسب إلى ابن خلدون، يعتقد أنها تعبر عن الماضي والحاضر في شقها البشري، أما اللغة العربية فقد سادت وحملت علوم المتقدمين والمتاخرين.

ومن تأثير الثقافة الفرنسية في المجتمع الجزائري توظيف الكثير من المفردات الفرنسية في لغة التخاطب اليومي - دون الحاجة إليها - ولكنه تقليد المغلوب للغالب، ومنها:

⁽¹⁾ - ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص-263-265

امتحان السيزيام، والسانكيام، فالأفضل لو قالوا: امتحان السادسة، أو الخامسة. ومثل هذا كثير في التعبير اليومي على مستوى العامة من الناس و على مستوى المسؤولين.

ومن التقليد الرسمي للثقافة الأجنبية في المناهج التربوية، ما جاء في إصلاح منهاج الرياضيات في المدرسة الجزائرية للسنة الدراسية 2003/2004. حيث جعلوا العمليات الحسابية تبدأ من اليسار إلى اليمين ابتداء من السنة الأولى، عكس كتابة الحروف والكلمات. فلجمع 13 و 12 مثلا: يبدأ من اليسار فيكتب 13 ثم يضع العلامة + ثم يكتب العدد 12 ثم يضع العلامة = ثم يقوم بالجمع $13+12=25$.

والمنشور الوزاري أضاف إلى هذه الكتابة استعمال الحروف اللاتينية في الترميز جاء في الفقرة: 3 - 1. «على مستوى التعليم الابتدائي: يركز التطبيق في هذه المرحلة أساسا وعلى وجه الخصوص على كتابة وقراءة العمليات الرياضية من اليسار إلى اليمين: المساواة والجمع في السنة الأولى، والطرح والضرب والقسمة في السنوات المowالية مستقبلا.

يمكن أن يكون الإدراج التدريجي للرموز العالمية لوحدات القياس المتداولة، كوحدة قياس الطول: المتر (m)، ووحدة قياس الزمن: الثانية (s)، حسب مستوى تحكم التلاميذ في كتابة وقراءة هذه الحروف...»⁽¹⁾.

ولقد طُبّقت هذه التوصيات في مناهج المدرسة الجزائرية، وأدرجت في كتب التلاميذ. غير أننا نرى أن هذا الإدراج في المرحلة الابتدائية أتقل كاهم التلاميذ وأضاف مشكل آخر لهم؛ لأن الأساس في التعليم أن يبدأ من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المركب. ومن الصعوبات التي واجهت التلاميذ استعمال الرمز (h) للساعة، والرمز (min) للدقيقة، والرمز (s) للثانية؛ لأن هذه الحروف ليست الحروف الأولى لكلمات تتطرق بالعربية أثناء التعبير الرياضي كما هو الحال مع الرموز (g) للغرام، والرمز (kg) للكيلوغرام مثلا.

إن الطالب الذي قد يحتاج هذه الرموز في دراسة بعض المواد العلمية في المرحلة الجامعية، لا يعجزه أن يستبدل الحروف الفرنسية(26 حرفاً)، بالحروف العربية.

⁽¹⁾ - وزارة التربية الوطنية ، استعمال الترميز العالمي والمصطلحات العلمية في المناهج التعليمية الجديدة، منشور رقم: 881 / 2003. الجزائر ، 10/09/2003، الفقرة: 3-1.

إن صعوبة التكوين الجامعي باللغات الأجنبية، ليست في هذه الرموز، بل في لغة التعبير، اللغة الأجنبية؛ ثم إن الاستفادة من المراجع الأجنبية يتطلب إتقان اللغات الأجنبية وليس حفظ الحروف الهجائية فقط.

5-تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي:

أما في المجال الأدبي فإن تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي في العصر الوسيط كان واضحًا، وبخاصة في الأندلس؛ حيث جزء من المجتمع العربي عاش في أحضان الحضارة العربية أثناء الحكم العربي الإسلامي. وكانت معرفة العربية والتوفير على كتبها موطن اعزاز، ومدعاة فخر في "قشتالة" نفسها حيث بذل (ألفونسو العاشر) أو العالم ملكها (1252-1284م) جهداً مضاعفاً لترجمة التراث العربي إلى القشتالية⁽¹⁾؛ فترجم إليها القرآن، والإنجيل، وكتباً أخرى كثيرة، علمية وأدبية، فدفع بالثقافة العربية إلى العقول القشتالية المثقفة، وغدى النثر القشتالي بالأسماليب والأساطير والأمثال العربية⁽²⁾. قال العقاد: «ويزيدنا اعتقاداً لذلك أن أوربة كانت تتناقل آثار الثقافة العربية من ثلاثة جهات متلاحقة في القرون الوسطى. أولها جهة القوافل التجارية التي كانت تغدو وتروح بين آسيا وأوربة الشرقية والشمالية من طريق بحر الخزر أو طريق القدسية، وربما كانت هذه هي الطريق التي وصلت منها أطراف الأخبار الإسلامية إلى بلاد السكندناف.

والجهة الثانية هي جهة المواطن التي احتلها الصليبيون وعاشوا فيها زمناً طويلاً بين سورية ومصر وسائر الأقطار الإسلامية.

والجهة الثالثة هي جهة الأندلس وصقلية وغيرهما من البلاد التي قامت فيها دول المسلمين وانتشر فيها المتكلمون باللغة العربية⁽³⁾ وتأثير الأدب العربي يظهر في الكثير من الإنتاج الغربي في ذلك العصر، ولتوسيع ذلك أقدم بعض النماذج.

⁽¹⁾ - مكي، الطاهر أحمد ، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامـة، ط2، الناشر مكتبة وهـة ، القاهرة، مصر، 1977م، ص374. (القشتالية أصنـفى لمحات الأندلس المسيحي في العصر الوسيط، وهي كغيرها نفرعت عن اللاتينية، واتهمت اللهجـات الضعـيفة التي حولـها، وأن قشتـالة موطـنـها قـامتـ بالدورـ الأولـ في حـركةـ الاستـردادـ المسيـحيـ، أصبحـتـ لـمحـتهاـ الـلغـةـ الرـسمـيـةـ، وـلمـ تـعرـفـ كـلمـةـ الأـسـيـانـيـةـ إـلاـ مـتأـخـراـ).

⁽²⁾ - مكي، الطاهر أحمد، المرجع السابق، ص 356.

⁽³⁾ - العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ص-54-55.

النموذج الأول: أ- تأثير طوق الحمام في الحب المحمود،

تأثر كتاب: طوق الحمام لابن حزم الأندلسي - الذي عاش في القرن الحادي عشر - في كتاب "الحب المحمود" لصاحبه: (خوان رويث)، الملقب بـ (كاهن هيتا). الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي.

يقارن الطاهر أحمد مكي بين الكتابين، ليستخرج أثر كتاب: طوق الحمام في كتاب: الحب المحمود. فيبدأ بالسبق الزمني للمقارنة بين الكاتبين.

عاش ابن حزم في الأندلس، في القرن الحادي عشر الميلادي (384-456هـ) الموافق لـ (994-1064م).

أما خوان رويث (كاهن هيتا) فقد ولد عام 1295م، في الجانب الإسلامي من الأندلس، وربما في قلعة: يحصب. وبطريق إليها الآن (القلعة الملكية). وأمه كانت جارية لسيد مسلم، يقيم في مقاطعة جيان، وأبوه عاش أسيرا خمسة وعشرين عاماً بين قوم يتكلمون العربية، فإذا كان لمقاطعة أن تعرف كتاب (طوق الحمام) وأن يسير فيها ذكره، بعد قرطبة نفسها فهي (كورة جيان)، مقاطعة الحياة اللاحية والرواقص المشهورات، والقرية من عاصمة الخلافة. لم يكن (خوان رويث) مجھولاً على أيامه، ولا قليل الأهمية، فقد تولى مناصب عديدة، ذات أهمية اجتماعية كبيرة، وأصبح في رعاية (مارية مولينا) ملكة قشتالة وقد عُيّن كاهناً لمدينة: "سيجونثا" عام 1312م، وله من العمر ستة وعشرون عاماً.. وربما درس في جامعة مونبلبيه.. وكشاعر يأتي "خوان رويث" في القمة في العصر الوسيط⁽¹⁾.

ضمن كتابه: "الحب المحمود" كل ما عرفه عن العالم والحياة، ولو لا كتابه لجهلنا الكثير من تاريخ العصور الوسطى، إن كتب التاريخ تحدثنا كيف قاتل آباونا، وكتب التشريع تخطط لما أرادوه مثلاً. أما هو أو هما (الطوق، والحب) فيحدثنا كيف كان يعيش أهل عصره واقعاً في بيوتهم وفي الأسواق، في أحزانهم ومسراتهم، ماذا كانوا يأكلون على موائدتهم، وكيف كانوا يلبسون ويعشقون.

⁽¹⁾ - ينظر: مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمام، ص-348-349.

يقول أحمد مكي: كان "خوان رويث" مثقفاً في اللاتينية والعربية وفي القانون والتوراة، وقرأ واعياً كتاب (كوند لوراندو) مجموعة من الحكايات العربية ترجمت إلى القشتالية في زمن مبكر، وحازت شهرة كاسحة، لقد استوعب الحكايات وتمثلها، وأفاد منها واقتبس بعضها⁽¹⁾.

بـ_تأثيرات العربية في كتاب: "الحب المحمود":

يرى أحمد مكي: أن الشاعر قد استعمل قدرًا هائلاً من الألفاظ العربية، استخدمها في مهارة، ورسمها بحروف لاتينية في دقة غير معهودة على أيامه، ولم تقتصر على الأسماء والحراف كما عند الآخرين؛ وإنما تجاوزتها إلى الأسماء وأسماء الفاعلين مثل: النداء YA وشكيمة: Xaquima وفي الإسبانية الحديثة: Jaquima. ومرفوض: Marfuz ومؤنثها: Marfusa . وجملة كاملة، مثل: قلبي عربي: Galbi garabi . وفعل الأمر مثل: اسكت . وامش: Amxi . Axut .⁽²⁾

ومن التأثير العربي في إنتاج الشاعر أن أخذ عددً من قصائده شكل موشحات كاملة في صورتها الفنية الدقيقة، فهي ذات مطلع وأغصان وقفل، وجاءت في اثنى عشر دوراً. وإذا كان من الوشاحين العرب من وجد عذوبة في أن يوشي موشحاته بخرجة أعممية، في شكل لفظ أعممي، أو من عامية أهل الأندلس، فقد جاوز "كاهن هيتا" هذه اللفة بكثير، وجعل خاتمة كل دور في موشحته لفظاً عربياً على نحو ما نرى: كان "كاهن هيتا"، يرسل سفيرة إلى فتاة عربية: باسمي قالت القوادة العربية:

يا صديقي يا صديقي، طال الزمن ولم أراك، {والصحيح ، لم أرك}.
لم أنت هكذا؟ ما أصعب أن ألقاك،
حب جديد يحييأك. فردت العربية لست أدرى les nedri .

ابنتي واحد من القلعة alcala يسلم عليك...
إلى أن تقول: وعندما رأت العجوز أنها لا تستطيع شيئاً. قالت:
طالما قلت لك: حتى هذا نفسه تتقديره،

⁽¹⁾ - ينظر: مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طرق الحمام، ص350.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع السابق، ص 357.

لأنك لم تقولي شيئاً، أنا أود الرحيل من هنا.

هزت العربية رأسها وقالت: امش، امش Amxi amxi⁽¹⁾.

ج_المشابهات بين طوق الحمامنة والحب محمود:

يقول أحمد مكي: وإذا وقنا عند المشابهات في النصوص، وضعنا يدنا في قراءة عابرة "للحب محمود" على بعض منها، يكاد أن يكون ترجمة لما في "طوق الحمامنة".

يقول ابن حزم، يلتمس لنفسه مندوحة في تأليف الكتاب: «... كان القاضي حمام بن أحمد، حدثني عن يحيى بن مالك، عن عائذ بإسناد يرفعه إلى أبي الدرداء أنه قال: أجمعوا النفوس بشيء من الباطل ليكون عوناً لها على الحق. ومن بعض أقوال الصالحين من السلف المرضي: من لم يحسن يتقى لم يحسن يتقرّى*. وفي بعض الأثر: أريحا النفوس فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد»⁽²⁾.

وعن الموقف نفسه يقول خوان رويث: "كلمات عالم وقالها كتون**":

الرجل بما في قلبه.

يخلط أبهاجا وفكرا باسماً.

لأن الأحزان الكثيرة تلد خطايا كبيرة.

ويقول ابن حزم مشيراً إلى تأثير الحب في النفس: «ومنها أن يوجد المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه، مما كان ممتنعاً به قبل ذلك، كأنه هو الموهوب له، والمعنى في حظه، كل ذلك ليبني محسنه، ويرغب في نفسه، فكم من بخيل جاد، وقطوب تطلق، وجبان تشجع وغليظ الطبع تطرّب، وجاهل تأدّب، وتفل*** تزيّن، وفقير تجمّل، وذي سنّ تقىّ، وناسك تقتك، ومصون تبذّل»⁽³⁾

⁽¹⁾ - ينظر: مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامنة ، ص358.

*- يتقى، يقرأ، جاء في المنجد في اللغة والأعلام، ط25، دار المشرق، بيروت ،ص617. أقرأ، الرجل تنسّك، والمُعنى: إذا لم يحسن المرء أن يتفى في فترة الفتوى، لم يستطع أن يتسلّك حين يقع في دور السلك.

⁽²⁾ - ابن حزم، طوق الحمامنة، تحقيق الطاهر أحمد مكي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص16.

**- مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم ، ص375، (كون 149-234 ق.م) خطيب روماني شهير، وداعية تكشف، أدرك مبكراً أن ترف روما المبالغ فيه سوف يؤدي بما، فحاول أن يقف في طريقه، وأن يقلل منه، ففشل، وأصبح اسمه يطلق وصفاً على كل رجل ذي عادات متقدّفة.

***- المنجد في اللغة والأعلام، مرجع سبق ذكره، ص63، تفل- الرجل: أنت رجله لترك الطيب والأدهان ، فهو تفل وهي تفلا.

⁽³⁾ - ابن حزم، طوق الحمامنة ص28.

وفي هذا المعنى يقول صاحب الحب المحمود:

«ويخلق الحب من الخشن لطيفاً، ويهب القول الجميل لمن كانت كلماته صماء، وبه يعود الجبان شجاعاً، ويصبح الكسان نشطاً وجاداً، ويحتفظ الفتى بشبابه طويلاً، ويعود بالشيخ في كثير، فتى شاباً. يجعل من الأسود أبيض جميلاً، مثل السمك. ومن لا يساوي جوزة يعطيه الحب شهرة عظيمة»^(١).

ويتشابه موقف "ابن حزم" و "خوان رويث" من الرسول الذي يبعث به المحب إلى محبوبه، فلا يكون وفياً، يخون مهمته، ويغدر بصاحبها، ويصطفي الغنية لنفسه.

يقول ابن حزم في باب "الغدر": ومن قبيح الغدر أن يكون للمحب سفير إلى محبوبه، يستريح إليه بأسراه، فيسعى حتى يقلبه إلى نفسه، ويستأثر به من دونه، وفيه أقول:
أقمت سفيراً قاصداً في مطالبتي == وقت به جهلاً فضرب بيننا
وحلّ عرى ودّي وأثبت ودّه == وأبعد عّي كل ما كان ممكناً
فصرت شهيداً بعدها == وأصبحت ضيفاً بعدها كان ضيفنا
ويقص كاهن هيتا ما حدث له مع رسوله - فرناندو غرسية - وكيف أرسله إلى فتاة تدعى (كروث) تعمل خبازة، فاختص بها نفسه:

عيناي لن تريا النور،

لأنني فقدت كروث

* * *

كروث الخبازة الحبيبة

اتخذتها عشيقة،

حسبت الطريق إليها عريضاً فوجده ضيقاً،
مثل ما يفعل الأندلسيون.

* * *

فكرت أن تكون لي

^(١) - مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طرق الحمامنة، ص 359.

قلت لفرناندو غرسية:

احمل لها رضاي ورغبتي

وكن عّني محاميا لطيفا ولبقا،

* * *

قال لي: إنها أعجبته وكانت على هواه،

وأنه جعل من كروث خاصة به وعشيقه، لقد تركني أجتر النخالة

وأكل الخبز الأكثر حلاوة.

* * *

قدم لها عملا بنصيحتي،

حنطة طيبة مضى عليها عام،

وأهداهما أربنا

الخائن، الزائف، مرفوض،

* * *

أخزى الله رسولا

عجل، بالغ الطيش،

ولا رعى الله صياد الأرانب،

يخص نفسه بالصيد من وراء سيده⁽¹⁾.

⁽¹⁾ — مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم، م، السابق، ص 360-361.

النموذج الثاني: تأثير قصة حي بن يقطان.

تأثير قصة حي بن يقطان لابن طفيل في قصة: النقاد لـ "لتاسار جراشان" وفي قصة: روبنسون كروز لـ "دانيل ديفو".

من أشهر القصص العربية التي تأثر بها الأدب الغربي - قصة حي بن يقطان - التي كتبها الفيلسوف ابن طفيل^{*} في القرن الثاني عشر الميلادي في أسلوب قصصي رمزي في شكل صوفي يدعو فيها إلى معرفة الله عن طريق العقل والتأمل الوعي، وهي قصة طفل ولد بلا أب ولا أم، أو ولد لأب وأم، وضعته في تابوت وقدفت به في اليم، فحمله الماء إلى ساحل جزيرة أخرى ورمته به الأمواج إلى وسط أجمة ملتفة الشجر عذبة التربة... فلما اشتد الجوع بذلك الطفل بكى فوقع صوته في أذن ظبيه فقدت ولدها، فلما سمعت الصوت ظنته ولدها فحننت الطبيبة ورأفت عليه وأقامته حلمتها، وتعهدت حتى كبر.. وأما الذين زعموا أنه تولد من الأرض فإنهم قالوا: إن بطننا من أرض تلك الجزيرة تخمرت فيه طينة على مر السنين والأعوام حتى امتزج فيها الحار بالبارد والرطب باليابس امتزاج تكافؤ، وتعادل في القوى.. وكان بعض هذه الطينة يفضل بعضها في اعتدال المزاج والتهيء، وكان الوسط منها أعدل ما فيها وأتمّه مشابهة بمزاج الإنسان، فتمحضت هذه الطينة.. منقسمة بقسمين بينهما حجاب رقيق، ممتئلة بجسم لطيف هوائي في غاية من الاعتدال اللائق به، فتعلق به عند ذلك الروح الذي هو من أمر الله تعالى^(١) ..

فحي ابن يقطان، ربّته أنثى الطبي في جزيرة منعزلة؛ ولكنه استطاع أن يتوصل إلى حقائق الحياة وجود الله بواسطة عالم متصوف، يأتي إلى الجزيرة المنعزلة للتعبد. وقد صور ابن ط菲尔 الإنسان الذي هو رمز العقل في صورة حي بن يقطان، و اليقطان هو الله، ورام من ورائها بيان الاتفاق بين الدين والفلسفة.

* - ابن طفيل /ar.wikipedia.org/wiki/ar.wikipedia.org من ويكيبيديا الموسوعة الحرة، انتنات يوم 20/09/2014. (هو أبوياكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، ولد بوادي آش أندلسيا 1110م، وتوفي مراكش 1185م، فيلسوف ومفكر وقاض وفلكي ، وطبيب وشاعر عربي أندلسي، اشتهر بكتابه حي ابن يقطان الذي حاول فيه التوفيق الفلسفى بين المعرفة العقلية والمعرفة الدينية.

(١) - ابن ط菲尔، حي بن يقطان، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، د/ط، القاهرة، 2012م، ص 6-7.

ويظهر تأثر الكاتب - أثناء بناء قصته الخيالية- بما جاء في القرآن الكريم؛ ففي زعم من زعموا أنه تولد من الأرض، تأثر بخلق الله آدم من تراب. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين﴾⁽¹⁾.

أما جعله في تابوب ورميه في البحر فيه تأثر بقصة أم موسى عليه السلام، عندما خافت عليه من فرعون أن يقتله. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أُمُّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعْهُ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْبَيْمَ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادَّهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمَرْسَلِين﴾⁽²⁾.

أما في تعرفه على كيفية الدفن- عندما ماتت الظبيبة وتناثر جسدها، وقامت منه روائح كريهة فزادت نفرته عنه، وودّ أن لا يراها- فيه تأثر بما جاء في قصة قتل قabil أخاه هabil. قال تعالى: ﴿فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، فَبَعَثَ اللَّهُ غَرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيَرِيهِ كَيْفَ يَوْرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعْجَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأَوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِين﴾⁽³⁾.

يرى محمد غنيمي هلال «أن أول من ألف رسالة فلسفية على طريقة الصوفية في الرمز هو ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا)، وهو يسمى بالرئيس(980-1037م) وهي تسمى رسالة حي بن يقطان، و"حي" يقصد به العقل الفعال، أو النفس الملكية المفكرة، وهذا العقل حي دائماً، غير متغير، لا يهرم أبداً، و ابن يقطان كنایة عن صدوره عن القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. والرحلة الموصوفة في الرسالة رمزية، ترمز إلى طلب الإنسان المعارف الخاصة..»⁽⁴⁾.

وبعد ابن سينا بنحو قرن ونصف، ألف ابن طفيل (506-581هـ، 1110-1185م) رسالة أخرى بعنوان حي بن يقطان، في أسلوب قصصي رمزي أيضاً، ذي طابع صوفي يدعو فيها إلى فلسفة الإشراق الروحي، عن طريق التأمل.

وقد ترجمت قصة حي بن يقطان إلى العبرية عام 1341م، ثم إلى اللاتينية، ترجمتها إليها "بوكوك" E.Pocoke عام 1671م، بعنوان: الفيلسوف المعلم نفسه Philosophus

⁽¹⁾ - سورة ص، آية 71-72.

⁽²⁾ - سورة القصص، آية 7.

⁽³⁾ - سورة المائد़ة، آية 30-31.

⁽⁴⁾ - غنيمي محمد هلال، الأدب المقارن ، ص185.

George keith autodidactus، ومن اللاتينية رجمت القصة إلى الإنجليزية، ترجمها

"جورج كيث"⁽¹⁾.

يرى "محمد رمضان الجري": أن قصة حي بن يقظان راجت «في أوربا رواجاً كبيراً، وألفوا على منوالها، وتأثر بها الكلاسيكيون، والرومانطيكون، في الخيال والرمذية، وترجمت هذه القصة إلى الفرنسية والروسية، وصادفت رضى في نفوس الأوروبيين الذين يعتقدون بأن الإنسان قادر على الاهتداء إلى الفضائل الإنسانية، كما راجت عند الرومانسيين لما فيها من سعة خيال»⁽²⁾.

أ- تأثر بهذه القصة الكاتب الإسباني Baltasar Gracian- بلتاسار جراشيان (1601-1658م)- حتى إنه كتب قصته (النفاد) كريتكون-criticon- على نفس خط حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي، وظهرت في ثلاثة أجزاء، بين (1651-1675م)، عنوان الجزء الأول منها: "في ربيع الطفولة". وعنوان الجزء الثاني: "في خريف عهد الرجولة". وعنوان الجزء الثالث: "في شتاء الشيخوخة". وهي نقد للعادات والتقاليد في عصر المؤلف ... ويرى غنيمي هلال: أن شبهة قصة "جراشيان بلتاسار" بقصة ابن طفيل لا ينحصر في القالب القصصي، ولكن يبدو في الطابع الرمزي واضحًا كذلك. فهذه الرمزية هي جوهر قصة ابن ط菲尔⁽³⁾.

وهذا التأثير يأتي طبيعياً في فترة حكم المسلمين للأندلس.

ب- كما تأثر الإنجليزي دانييل ديفو Daniel Defoe (1661-1731م) الذي ألف:Robinson Crusoe، عام 1719م. وقد عاش في إسبانيا مدة عامين عندما هرب إليها في عصر الاضطرابات والثورات.

ويورد الباحث عامر رضا تجليات التأثر في النقاط التالية:

- أن ابن طفيل عاش في الأندلس قبل ديفو بخمس مائة سنة (كلاهما عاش في إسبانيا).

⁽¹⁾ المرجع السابق، ص 191.

⁽²⁾ - محمد رمضان الجري، الأدب المقارن، دار الحدى للطباعة والنشر والتوزيع، د/ط، الجزائر، 2002م، ص 129.

⁽³⁾ - ينظر: غنيمي محمد هلال، الأدب المقارن ، ص-ص 191-194.

- تشابه الفضاء المكاني لكلا الروايتين: جزيرة نائية نجد فيها إنساناً وحيداً يحاول أن يفهم ويستكشف كل ما يحيط به، فالقصستان تركزان على شخصية رئيسية واحدة تعيش ظروفاً متشابهة (العزلة والبدائية...).
- تبدو الشخصية الثانوية في القصتين طارئة (أسال/ جمعة) تأتي إلى الجزيرة بعد استقرار الشخصية الرئيسية، إذ تم اللقاء بعد مرور فترة طويلة من العزلة في الجزيرة، وقد أضفت الحيوية على فضاء القصتين.
- نلمح في كلا القصتين الغاية التعليمية؛ فابن طفيل يريد أن يدلّ على وجود الله باستخدام العقل والحدس، دون استخدام الشريعة؛ لذلك جعل (حي) إنساناً بدائياً يصل إلى الإيمان عن طريق استخدام العقل أولاً، ثم الحدس، كأنه يطلب من الناس أن يُمْعِنُوا النظر في هذا الكون ليتوصلوا إلى الإيمان بعقولهم وقلوبهم، لا أن يكون إيمانهم إيماناً تقليدياً، يُحَوَّل التواصيل مع الله تعالى إلى مجموعة من الطقوس، لا علاقة لها بالقلب أو العقل.
- أما "دانبييل ديفو" فقد كانت غايتها تربوية؛ إنه يتوجه إلى الشباب الذين يعشقون المغامرة والسفر بالنصيحة، طالباً منهم النظر إلى ما آل إليه حال -Robinson- حين لم يستمع إلى رغبة والديه في عدم السفر، ونفذ ما يدور في رأسه من أفكار، فعانياً متاعب جمة استمرت حتى لحظات سفره الأخيرة.
- انعكست في كلا القصتين ملامح السيرة الذاتية للمؤلف، ففي قصة "حي بن يقطان" نجد أن أهم القضايا التي أرقت ابن طفيل هي:
 - هل تستطيع الفلسفة أن تؤدي إلى الإيمان بالله، على نقىض القول الشائع: "من تمنطق فقد تزندق"؟
 - هل تستطيع العامة الإيمان بهذه الطريقة؟ أم لا بد لها من الطريقة الفكيرية في الإيمان؟
 - أما قصة "Robinson Krusoe" فقد لمحنا فيها معاناة "دانبييل ديفو" من عقوق ابنه، لذلك جعل Robinson ابنه عاقاً لوالديه، وأسقط عليه غضبه، مما جعله يعاني متاعب كثيرة في سفره، وعابه بأن عاش معظم حياته وحيداً يجتر آلامه⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - ينظر: عامر رضا ، تجليات التأثير والتأثير بين الأدبين العربي والغربي قديماً/ حديثاً، info@aswat-elchamal.com ص-5-6. انترات يوم 2014/09/27

6-تأثير الأدب الغربي في الأدب العربي:

في العصر الحديث ظهر تأثر الأدب العربي بالأدب الغربي منذ الهجمة الاستعمارية على البلدان العربية في بداية القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين. حيث حاول الاستعمار أن يضيف إلى سيطرته العسكرية سيطرة ثقافية. حاول طمس الهويات الثقافية للشعوب المستعمّرة، من خلال فرض اللغتين الإنجليزية والفرنسية على الحياة العامة والإدارة، مما جعل اللغة العربية تتقدّر وينحصر دورها؛ ففي الجزائر مثلاً - شنت فرنسا الاستعمارية حرباً استراتيجية طويلة الأمد على الدين الإسلامي واللغة العربية بغية تصدير الجزائر، وفرنسا لسانها، وقطع الصلة بينها وبين انتماها الحضاري؛ وهذا ما جعل الجزائريين الذين سُنحت لهم الظروف أن يتّقدّروا بلسانهم الوطني، ينزعون منزعاً إصلاحياً نضالياً لا يهدف إلا لحماية دين الشعب الجزائري ولغته. وهذا التوجه كان في بيته منحصراً في أفراد من أمثال الشيخ: محمد اطفيش، أو في مؤسسات جزائرية عتيبة كالزوايا... ثم أصبح بعد ذلك عاماً عندما تنظم رجال الإصلاح في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس، ثم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي⁽¹⁾.

في ظل ذلك الظرف التاريخي الصعب الذي كانت فيه الأولوية لحفظ مقومات الأمة من الدمار الاستيطاني، كان الالتفات إلى الجديد الآتي من الغرب و من فرنسا بالذات لا يجد من يربح به، ولا يحتضنه إلا نادراً. هذا على مستوى النخبة. أما على مستوى العامة فإن الغالبية لم تحب تدرس أبنائها الفرنسية عندما شرعت فرنسا في إقامة المدارس في المدن والأرياف في آخر العهد الاستعماري، والسبب كما ذكر الشيخ: "حلييم الدخيلي"⁽²⁾ - رحمه الله - (وهو أب صاحب هذا البحث)، عندما سأله عن سبب عدم إلحاق أخي الأكبر بالمدرسة الفرنسية أثناء الثورة؛ فأجاب: إنهم كانوا يخافون على أبنائهم من أن تأخذهم فرنسا أو تُتّصّرّهم؛ ولذلك كانوا يدفعون بهم إلى الزوايا والكتاتيب لتعلم العربية وحفظ القرآن. كما كانت توجيهات جبهة التحرير أثناء الثورة تحت المواطنين على عدم تسجيل أبنائهم في سجلات الحالة المدنية الفرنسية، وتطلب منهم تسجيلهم في سجلات أعدتها الجبهة لذلك.

⁽¹⁾ - ينظر: تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2، الجزائر، 1974م، ص-ص 130-157.

⁽²⁾ - حلييم الدخيلي، أب صاحب هذا البحث، عاش في بوسعيادة (1911-2005م).

غير أن تلك السجلات ضاعت، ونشأ جيل غير مسجل، أعيد تسجيله بعد الاستقلال بملحوظة: ولد خلال عام... دون ذكر اليوم والشهر.

ومع ذلك كانت هناك نخبة من متقمقي العربية استطاعوا التحكم في اللغة الفرنسية والتأثير بأدبها.

والتأثير في مجال الأدب، كما يرى محمد غنيمي هلال، هو التشابه في النصوص لكتابين أو لعدد من الكتاب في آداب مختلفة، {اختلاف لغة الأدباء} تشابها يحمل على الظن بأن هناك صلات تاريخية بين هؤلاء الكتاب ... فمعرفة إمكانية التبادل الزمني بين المجالين تعتمد على البحث في تاريخ تأليف النصين، وقد يعني عن كل ذلك نص واضح من المؤلف يعترف فيه أنه حاكي أو تأثر أو أعجب بأفكار الكاتب الأجنبي، ويكون هذا الاعتراف مفتاح البحث المثير المفيد⁽¹⁾.

وهذا ما نلاحظه عند (أحمد رضا حورو، 1912-1956م)، رائد النثر القصصي في الجزائر، الذي يعترف بتأثير الأدب الغربي في إبداعه الشخصي بالحرف العربي، إذ يقول عن تلقيه المنتج لرواية فكتور هيجو "البؤساء / Les Misérables" أو كما سماها هو "القراء": «قرأت القراء لهيجو، وكانت نفسه البائسة تطالعني من بين السطور، تقطر حيرة وألمًا، وما هي إلا فترة حتى اختلطت حيرتي بحيرته، وألامه بالآلامي، فأسرعت إلى يراعتي أكتب عن القراء بالعربية ما كتبه عنهم "هيجو" بالفرنسية، وليس ما أكتبه اليوم بالترجمة ولم يكن كذلك بالابتكار، وإنما هو مزيج نفسيين يائسين، تألمت إداهما منذ قرن، وتحيرت الأخرى اليوم، أملت الأولى وكتبت الثانية؛ فجاءت هذه الخاطرة التي أقدمها للأغنياء...»⁽²⁾.

كما نجد هذا الاعتراف بالتأثير عند توفيق الحكيم في مصر، عندما تناول بفتحه المبدع أسطورة "بجماليون"، وكان بذلك مسبوقاً بالأديب الإنجليزي الساخر "برناردشو"، ومتاثراً به ولا حاجة بنا إلى البحث عن أوجه العلاقة بين الكتابين، أو البرهنة على أن الأول تأثر بالثاني، لأن توفيق الحكيم نفسه يعترف بهذا التأثير، يقول في مقدمة مسرحيته "بجماليون": « قصة بجماليون هذه تقوم على الأسطورة الإغريقية المعروفة، ولعلّ أول من كشف لي عن

⁽¹⁾ - ينظر هلال محمد غنيمي، الأدب المقارن ، ص264.

⁽²⁾ - أحمد رضا حورو، صاحبة الوحي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص89.

جمالها تلك اللوحة الزيتية (بجماليون و جالاتيا) المعروضة في متحف اللوفر. ومرت الأيام .. وكدت أنسى قصة اليونان حتى ذكرني بها "برناردو" يوم عرضت مسرحيته بجماليون في شريط من أشرطة السينما⁽¹⁾.

ولم يقتصر الاعتراف بتأثر الأدباء العرب بالأدباء الغربيين، بل نجد هذا الاعتراف بين الأدباء الغربيين أنفسهم؛ فهذا الشاعر الفرنسي Charles Baudelaire بودلير 1821-1867م يعترف بتأثره بالأديب الأمريكي Edgar Alan Poe أدجارAlan بو 1809-1849م. «كتب الشاعر الفرنسي بودلير إلى صديق له يقول: أتعرف لماذا ترجمت في صبر ودأب ما كتبه "أدجارAlan بو"؟ لأنه كان يشبهني، ففي أول مرة تصفحت فيها كتاباً من كتبه، رأيت فيه ما كان مثار فتنتي وروعي، ولم أعثر فيه على الموضوعات التي كنت أحلم بها فحسب، ولكنني وجدت فيه كذلك الجمل التي كانت تراود أفكاري ، وكان له السبق إلى كتابتها قبلي بعشرين عاماً»⁽²⁾

وفي المشرق العربي اتجهت نخبة من المثقفين إلى الأدب الغربي تنهل منه وتقلده. كما هو الحال في ترجمات مصطفى لطفي المنفلوطى(1872-1924م) لبعض الأعمال الغربية؛ فقد ترجمت له بعض القصص، وأعاد صياغتها مثل قصة: "بول و فرجيني" باسم الفضيلة. وغير مسرحية "سيرانو دي برجراك" للشاعر الفرنسي "إدمون روستان" إلى قصة بعنوان: "الشاعر"، ومن ترجماته: في سبيل الناج، و ماجدولين.

وسار على طريقته: الشاعر "حافظ إبراهيم" في ترجمته قصة "البؤساء" للفيلسوف هوجو؛ فنقص فيها وحّر ما شاء. كما ترجم بطرس غالى إليادة هوميروس⁽³⁾... وذلك أن الترجمة تعد أهم وسيلة لبناء التواصل بين الأدباء الغربي والعربي.

والتأثير ينتج عن طريق قراءة ما ترجم أو ما قرئ في لغته الأصلية. وبذلك تأثرت "جامعة الديوان" وهي الحركة التي اضطاعت بدور التجديد في النقد العربي الحديث بالأفكار الأوروبية بعامة، وبالرومانسية الإنجليزية على نحو خاص.

⁽¹⁾ - ينظر مكي الظاهر أحمد، الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، مصر، 1987م ، ص-197-198.

⁽²⁾ - ينظر هلال محمد غنيمي، الأدب المقارن ، ص 97.

⁽³⁾ - ينظر المرجع السابق، ص-196-197.

واعترف عباس محمود العقاد أحد الثلاثة الذين قاموا عليهم هذه الحركة، (عبد الرحمن شكري- إبراهيم عبد القادر المازني)، اعترف بهذا التأثير وفرق بينه وبين التقليد، قائلاً: «الواقع أن هذه المدرسة المصرية ليست مقلدة للأدب الإنجليزي، ولكنها مستفيدة منه، مهتمة بضيائه، ولها بعد ذلك رأيها في كل أديب من الإنجليز كما تقدّر هي لا كما يقدّر أبناء بلده، وهذا المطلوب من الفائدة الأدبية التي تستحق اسم الفائدة... إذ لا جدوى هناك فيما يلغي الإرادة ويشل التمييز، ويبيطل حقك في الخطأ والصواب، وإنما الفائدة الحقة هي التي تهديك إلى نفسك، ثم تترك لنفسك تهديك بها وحدها كما تريده، لأن تخطئ على هذا النمط خير لك من أن تصيب على نمط سواه»⁽¹⁾.

وللتوضيح تأثير الأدب الغربي في الأدب العربي أقدم المثال التالي: جاء في كتاب الأدب المقارن للطاهر أحمد مكي: أن إبراهيم عبد القادر المازني اُتهم بأنه سرق بعض قصائده من شعراء آخرين، وبخاصة قصيّته (فتى في سياق الموت)، فقد سرقها من الشاعر الإنجليزي (توماس هود 1799-1845م) في مقطوعته: "سرير الموت"

يصور المازني في أبياته فتى يصارع الموت في ليل تراكمت ظلماته، بعضها فوق بعض، يتصلب جبينه عرقاً من هول المعاناة، ويضطرب صدره كالبحر الهائج، وأصدقاؤه حول سريره بين اليأس والرجاء يراقبون كل حركاته، وسكناته في جزع ولهفة، ولم تنفع شدة حرصهم على راحته، وأملهم في شفائه، وجاد الفتى بنفسه، وكانت الابتسامة ترقص على شفتيه كأنه يرحب بالموت:

نُدُّ أَنفَسَهُ وَنَحْسُبُ _____ها == والليلُ فيه الظلام يلتطم
إِذَا خروجُ الحياةِ أَجَهُ _____دَه == تساقطت عن جبينه الدَّيْمُ
صدر كصدر الخضم مضطرب == جحافل الموت فيه تزدحم
إنْ قامَ ملنا له بمسمع____نا == أو نام خفت بوطننا القدم
يرتاع في طول نومه الأَمْل == ويستكينه الرخاء والسَّأْمُ
كأنما الخوف من ترددده == خيل لها من رجالنا لُجم

⁽¹⁾ - عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبياتهم في الجيل الماضي، د/ط، طبعة نخبة مصر، القاهرة، 1981م، ص-189-190.

خناه مات وهو في سِنَّةٍ == ونائم الجفن وهو مخترم
قد قلّصت ثغره ميتةٌ == كأنه للحمام يبتسم
أما أبيات توماس هود فتقول:

رأيناها تتنفس في الليل،

وكانت أنفاسها ناعمة وقصيرة،

كأن موج الحياة في صدرها

يعلو وينخفض جيئةً وذهاباً،

وتكلمنا عندها به دوء

وتحركنا ببطء

كأنما أعندها نصف قوانا

لتضييف في حياتها

آمالنا كذبت مخاوفنا

وكذبت مخاوفنا آمالنا

ظنناها ميتة وهي نائمة،

وظنناها نائمة وهي تجود بأنفاسها،

وعندما أتى الصباح ضئيلاً وحزيناً،

وأتى البرد مع أول المطر،

غمض جفناها الهادئان وكانت في صبح آخر غير صبحنا⁽¹⁾.

وهكذا فمتبوع الآثار الأدبية المختلفة - جنساً ولغة - يمكن أن يلاحظ آثار التأثير والتأثير.

⁽¹⁾ - ينظر: الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن - أصوله وتطوره ومناهجه، ص 28-29.

ثانياً- التأثير والتأثير في الأمثال الشعبية

إذا كان التأثير والتأثير في الأجناس الأدبية المكتوبة خاصةً - كالمسرحيات والقصص والشعر... - يمكن أن يلاحظ من خلال التشابه بين نصين لأدبيين مختلفين في اللغة وفي المكان، وبالتالي يمكن تتبع الصلات التاريخية بينهما لاكتشاف التأثير؛ فإن التأثير في الأمثال الشعبية يصعب تحديده؛ لأنها نصوص شفوية في الغالب، انتشرت عن طريق الاستعمال الشفهي، وانتقلت من مكان إلى مكان آخر بفضل الاحتكاك بين الأفراد والجماعات. يقول ابن أبي شنب: «توضح الأمثال بصفة ما تاريخ الحضارة والأفكار التي أنتجتها مختلف التحولات، منها ما ينتمي لمناطق، ومنها ما ينتمي لحواضر وتجمعات سكنية ولموقع ضيق». أحياناً تشير الأمثال إلى حوادث لها أهميتها في عصر ما؛ ولكن هناك ما يستحيل معرفة أصلها، وهناك أخرى وهي نسبياً كثيرة، مستمدّة من موضوعات دينية، أو لها علاقة بوجود الإنسان - رجلاً كان أو امرأة - الحيوان، تتعلق بالسياسة، بالطعام، الخ. لكن من بين هذه المصادر مثلاً العادات نصاً لأكبر عدد منها^(١).

أما إذا كانت مكتوبة فإن المقارنة بينها تتم بتطبيق ما طبق على باقي الأجناس الأدبية في مجال التأثير والتأثير.

وكلّيّاً ما لاحظنا تشابهاً كبيراً بين أمثال في أدب قومي، وأمثال في أدب أجنبى. وقد يكون سبب هذا التشابه ناتجاً عن التأثير والتأثير بين أمثال في لغة قومية، وأمثال في لغة أجنبية، بفضل الرحلات الاستكشافية، أو التجارية أو الهجرات الفردية والجماعية أو بسبب الحروب، أو بسبب الترجمات لمؤلفات بلغات أجنبية... وقد لا يكون التشابه بسبب هذا كلّه فقد تتحدّ اهتمامات البشر فتُتّجّ أمثلاً متشابهة في المعنى مع اختلاف اللغة. يقول ابن شنب: «.. كتعبير عن عواطف كونية، نجدها في كلّ مكان تقريباً بمضمونها فيتغيّر الشكل وحده. ويبدو أنه ليس هناك ضرورة لأنّ نذكر هنا بأنّنا نجد أمثلاً في كتب كلّ من أفلاطون، وأرسطو، وبولطاخ، وكاتون القديم، وسيشرون و هوراس، وفي الكتاب المقدس، والإنجيل، والقرآن، عند لافونتين وموليير.. الخ»^(٢). أو متشابهة في اللفظ والمعنى

^(١) ابن أبي شنب محمد، أمثال الجزائر والمغرب، تقدّم عبد الحميد بورابي، دار فليتis للنشر، المدية، الجزائر، 2013، ص 14.

^(٢) المصدر السابق، ص 13.

في اللغة نفسها.» وكثيراً ما تتساوى القرائح والأفكار في الإتيان بالمعاني حتى إن بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ، ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما، من غير علم منه لما جاء به الأول، وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة: وقوع الحافر على الحافر»⁽¹⁾.

ويعطي ابن الأثير أمثلة عن ذلك. قال امرؤ القيس:
وقوفا بها صحي على مطيم == يقولون لا تهلك أسى وتجمّل
وقال طرفه:

وقوفا بها صحي على مطيم == يقولون لا تهلك أسى وتجلّد
ويروي قصة طريفة عن الفرزدق، قال: وقد حكي أن امرأة من عقيل يقال لها ليلي
كان يتحدث إليها الشباب، فدخل الفرزدق إليها وجعل يحادثها، وأقبل فتى من قومها كانت
تألفه، فدخل إليها فأقبلت عليه، وتركت الفرزدق، فغاظه ذلك فقال للفتى: أنت صارعني؟ فقال:
ذلك إليك، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه، وجلس على صدره، فضرط فوتب
الفتى عنه، وقال يا أبا فراس، هذا مقام العائد بك، والله ما أردت ما جرى فقال: ويحك ما بي
أنك صرعتي؛ ولكن كأني بابن الأتان - يعني جريرا - وقد بلغه خبri قال يهجوني:

جلست إلى ليلي لتحظى بقرها == فخانك دُبْرٌ لا يزال يخون
فلو كنت ذا حزم شددت وكاءه == كما شدَّ جرَانَ الدَّلَاصِ قيون*

قال فو الله ما مضى إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر، فقال فيه هذين البيتين، وهذا من
أغرب ما يكون في هذا الموضع وأعجبه. ويقال: إن الفرزدق وجريرا كانوا ينطقان في بعض
الأحوال عن ضمير واحد⁽²⁾.

وإذا كانت الأمثال جنساً أدبياً، وكان هذا التشابه الموجود بين الأمثال في مختلف
لغات العالم - سواء أكان ناتجاً عن تأثير وتأثير، أم كان ناتجاً عن اتحاد قرائح البشر
واهتماماتهم - فهل يمكننا أن نعد الأمثال من الأدب العالمي؟

⁽¹⁾ - ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائرة في أدب الكاتب والشاعر ، ص 59.

* - الوكاء: الخطيب الذي يربط به. الجريان: هنا فتحة أو ثقوب الدرع. الدلّاص: الدرع اللينة. قيون: جمع قين وهو الحداد.

⁽²⁾ - ينظر: ابن الأثير، المرجع السابق، القسم الثالث، ص 230-231.

يفرق "غنيمي هلال" بين عالمية الأدب، والأدب العالمي.

فعالمية الأدب عنده: معناها خروجه من نطاق اللغة التي كتب بها إلى أدب لغة أخرى وهذه العالمية ظاهرة عامة بين الأداب في عصور معينة، ويتطلبها الأدب المتأثر في بعض العصور، بسبب عوامل خاصة تدفعه إلى الخروج من حدود قوميته؛ إما للتأثير في الأداب الأخرى، وإما نشادانا لما به يعني ويكملي ويساير الركب الأدبي العالمي، ومن نتائج هذه العالمية حدوث تغيير شامل في عالم الفكر والأدب.

أما الأدب العالمي: فـ غنيمي هلال، ينقل لنا ما سبق أن توقعه " جونيه" الألماني ومن ساروا على نهجه مما سموه "الأدب العالمي"، يريدون بذلك أن الأداب العالمية- حين يتم تجاوبها بعضها مع بعض- لن تثبت أن تتوحد جميعا في أجناسها وأصولها الفنية وغاياتها الإنسانية؛ بحيث لا تبقى من حدود سوى حدود اللغة، وما يمكن أن توحى به البيئة أو الإقليم... و يرى غنيمي هلال، أن الأدب استجابة للحاجات الفكرية و الاجتماعية للوطن وللقومية، وموضوعه تغذية هذه الحاجات؛ فهي محلية موضوعية أولا، وهي تشف حتما عن غایات عالمية⁽¹⁾.

وإذا كان خلود الآثار الأدبية{ للأجناس الأدبية المختلفة }، لا يتأتي- كما يرى غنيمي هلال - من جهة عالمية دلالتها؛ ولكنه ينتج من صدقها وتعويقها في الوعي الوطني والتاريخي، وأصالتها الفنية في تصوير آمالها وألامها النفسية والاجتماعية المشتركة بين الكاتب وجمهوره⁽²⁾؛ فإن الأمثال الشعبية بعكس ذلك؛ فخلودها آت من جهة عالمية دلالتها عن تجربة إنسانية. غالبا ما نستعملها بلغتها الأصلية أو مترجمة، وبخاصة في بلد كالجزائر الذي صارت عاصمته خليطا من اللغة العربية واللغة الفرنسية. فمثلا نقول: كما يقول المثل الفرنسي: Qui vole un œuf vole un bœuf.⁽³⁾ الذي يسرق بيضة يسرق ثورا. يقال هذا المثل بالفرنسية عند البعض وأحيانا تقال ترجمته، وينسب دائما إلى الأدب الفرنسي، وقد يكون قد امتد أثره إلى إنتاج مثل عربي يشبهه وهو: «اللهي اسخف على ابرة

⁽¹⁾- ينظر: هلال محمد غنيمي ، الأدب المقارن ، ص 92.

⁽²⁾- ينظر : المرجع السابق ، ص 94.

(3)-Charlotte Schapira , *Les stéréotypes en Français ; proverbes et autres formules*, Ophrys, France 1999,P 96.

اسخ على بقرة⁽¹⁾، غالباً ما يضرب في موضوع تربية الأولاد، حيث أن الطفل إذا تم التساهل معه -عند ما يسرق الأشياء الصغيرة- فإنه يكبر وقد تعود على السرقة؛ فيسرق الأشياء الكبيرة، ولا تتفع حينذاك إعادة تربيته أو إرشاده.

أ- هيمنة اللغة العربية على مختلف مجالات الحياة في إسبانيا:

وفي ظل تشابه الأمثال العربية مع الكثير من الأمثال الغربية، وبخاصة أمثال الشعوب التي كان لها احتكاك مباشر مع الشعوب العربية، قام باحثون بتتبع أنواع هذا التشابه وكشف أسبابه، ومن هؤلاء: "محمد بنشريفه" الذي نشر بحثاً بعنوان: التأثير المتبادل بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية. نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد .95

وفي هذا البحث أعطى لمحه عن حالة شبه الجزيرة الأيبيرية بعد دخول الإسلام إليها حيث سادت اللغة العربية في ظل حكم المسلمين، ودخل أكثر الأندلسيين في الإسلام، و إلى جانب هذه الأكثريّة، كانت هناك أقليات من النصارى واليهود الذين كانوا يعرفون اللغة العربية و يتدارسونها، واستعملها المستعربون في أمورهم الدينية والدنيوية. حتى أن قد شكا أحد الرهبان وهو "الفارو القرطبي" من إقبال أبناء ملتهم على تعلم اللغة العربية وولعهم بآدابها⁽²⁾.

يقول عباس محمود العقاد: ويروي لنا المستشرق "دوزي" في كتابه (الإسلام الأندلسي) رسالة ذلك الكاتب الإسباني - الفارو القرطبي - الذي كان يأسى أشد الأسى لإهمال لغة اللاتين والإغريق والإقبال على لغة المسلمين، إذ يقول: «إن إخواني المسيحيين يعجبون بشعر العرب وأفاصيصهم، ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمين، ولا يفعلون ذلك لإدحاضها والرد عليها؛ بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح. فلأين اليوم من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والإنجيل؟ وأين اليوم من يقرأ الأناجيل وصحف الرسل والأنبياء؟ وأسفاه. إن الجيل الناشئ من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدباً أو لغة غير الأدب العربي واللغة العربية، وإنهم ليائهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات

⁽¹⁾ - سعيدي محمد، التشاكل الإيقاعي في نص المثل الشعبي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ص33.

⁽²⁾ - ينظر: بنشريفه محمد، التأثير المتبادل بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 95، ص183، أكتوبر، يوم: 20/09/2014.

الكبيرة بأغلب الأثمان، ويتزمنون في كل مكان بالثاء على الذخائر العربية؛ في حين يسمعون بالكتب المسيحية فـيأنفون من الإصغاء إليها متحججين بأنها شيء لا يستحق منهم مؤونة الالتفات. فـيا للأسى. إن المسيحيين قد نسوا لغتهم؛ فـلن تجد فيهم اليوم واحداً في كل ألف يكتب بها خطاباً إلى صديق. أما لغة العرب فـما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب، وقد ينظمون بها شعراً يفوق شعر العرب أنفسهم في الأنقة وصحة الأداء...»⁽¹⁾. وهو بقوله هذا، يؤكد على التأثير اللغوي العربي الكبير في اللغة اللاتينية وإهمالها، والإقبال على اللغة العربية التي تحوي بكلماتها وتعبيراتها سحراً قد جذب غير العرب لتذوقها، وتعلمها وإحلالها محل لغتهم.

ولعلّ من أسباب استعرب عجم الأندلس طموحهم في وظائف الدولة، ورغبتهم في الوصول إلى دواعين الحكومة.

ومن أغرب ما يذكر "بنشريفة" أن الدواعين الحكومية كانت تعطل يوم الأحد. جاء في المقتبس لابن حيان: "وكان أول من سنّ لكتاب السلطان وأهل الخدمة، تعطيل الخدمة يوم الأحد من الأسبوع، والخلف عن حضور قصره" قومس بن أنتيان" كاتب الرسائل للأمير محمد، وكان نصريانياً، ودعا إلى ذلك لنسكه فيه؛ فتبعد جميع الكتاب طلباً للاستراحة من تعليمهم، والنظر في أمورهم، فانتهوا ذلك، ومضى إلى اليوم العمل عليه.

وقد ظهر في يهود الأندلس كتاب وشاعراء ومؤلفون باللغة العربية، ذكر بعضهم "المقربي" في نفح الطيب، ومنهم من أسلم أو تظاهر بالإسلام كأبي الفضل بن حسدي أشهر الكتاب في عصر الطوائف، وإبراهيم بن سهل الذي يعتبر من كبار شعاء الأندلس⁽²⁾. وقد نشأ عن ذلك التعدد الديني واللغوي والثقافي، مظاهر متعددة من التأثيرات المختلفة، تدخل في باب التأثير المتبادل بين الثقافات العربية والثقافة الأجنبية. ويقول بنشريفة: ومن المعروف أن الراهب اليسوعي "خوان أندرياس" كان أول من نبه في القرن الثامن عشر على تأثير الثقافة العربية في الثقافة الأوربية عبر الأندلس، في كتابه: "أصول الآداب العالمية وتطورها"، وقد تعددت إشاراته إلى مظاهر هذا التأثير في العلوم والآداب

⁽¹⁾ - العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوربية، ص 57.

⁽²⁾ - ينظر: بنشريفة محمد، المراجع السابقة، ص 184-185 .

الأوروبية، وهي إشارات وصفها المستعرب الإسباني "أنخل جنثالت بالنثيا": بأنها مبهمة وقال: إنها بقيت دون إثبات مؤكدة في عصره؛ لأن شيئاً من آثار الأندلسيين لم يكن قد نشر إذ ذاك. أما اليوم وبعد مائة وثمانين عاماً من نشر كتابه، فإننا نستطيع أن نذكر عن تراث الأندلسيين أكثر مما ذهب إليه، وقد تحصل لدينا الآن من الحقائق التي كشف عنها وأثبتتها المستشرقون من إسبان وغير إسبان ما يمكننا من أن نعرض موجزاً لآثار المسلمين الأندلسيين في أداب من جاء بعدهم من الشعوب الأوروبية، وخاصة الإسبان، وقد عرض "أنخل جنثالت بالنثيا" مظاهر هذه الآثار في كتابه: "تاريخ الفكر الأندلسي سنة 1927م" الذي ترجمه إلى العربية الدكتور حسين مؤنس - رحمه الله -. وقبله أعلن أستاذ "خولييان ريبيرا" أن الموسحات الأندلسية هي أصل شعر التروبادور. وهم الشعراء الجوالون الذين عرفوا بهذا الاسم. ويرى العقاد أن الأوروبيين اشتقوا اسمهم هذا Troubadour من كلمة "تروبر Trobar" وقيل إنها في رأي بعض المستشرقين: إنها مأخوذة من الكلمة (طرب) أو طروب، وإن اسم قصيدهم tenson (تنزو) مأخوذ من الكلمة (تنازع) العربية ... لأنهم كانوا يلقون الشعر سجالاً يتذارعون فيه المفاخر والدعوى كما يفعل القوالون حتى اليوم بين أبناء البادية المحدثين. ولوحظ بين أوزانهم وأوزان الرجل الأندلسي تشابه جد قريب⁽¹⁾.

كما أعلن "ميغيل أسين بلايثيوس" رأيه الذي بسطه في كتابه: "الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية"، وافتراض فيه أن "دانتي" اطلع على ترجمة لقصة الإسراء، وتتأثر بها، ثم صاح افتراضه بعد ظهور ترجمات أنجزت برسم الفونسو الحكيم.

وقد اندهش "أنخل جنثالت بالنثيا" للشبه العظيم بين مقامات الحريري وما يعرف في الأدب الإسباني بقصص الصعاليك، أو المكدين La novela⁽²⁾.

بـ-تأثير الأمثال الإسبانية بالأمثال العربية:

أما بالنسبة للأمثال، فيقول بنشريفة: وقد أتيح لنا منذ عقود أن نقوم بجهد متواضع في هذا المجال عندما حققنا أمثال العوام في الأندلس "لأبي يحيى الزجالي القرطبي" (617-694هـ) فقد قمنا بشرحها ومقارنتها بالأمثال العربية القديمة والمولدة والحديثة من جهة

⁽¹⁾ - ينظر: العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ص-57-58.

⁽²⁾ - ينظر: بنشريفة، المرجع السابق، ص-186-187.

وبالأمثال الإسبانية من جهة أخرى، وقد ظهر من تلك المقارنات مدى الصلة بين الأمثال التي كان العامة في الأندلس يتمثلون بها، وبين الأمثال العربية، سواء منها القديمة أو الحديثة، وهي صلة طبيعية؛ لأنها جميعاً تنتمي إلى لغة واحدة، وقد عنينا إلى جانب ذلك بالمقارنة بين الأمثال الأندلسية وبين الأمثال الإسبانية، وكان من شرطنا في هذه المقارنات جميعاً أن يتوافر فيها التطابق بين نصوص الأمثال وصيغها، وأن تكون الأمثال المقارن بينها متفقة أو متقاربة على الأقل في مبناهما ومعناها، إذ المقارنة على أساس المعنى وحده قد تكون أمراً ممكناً بين أمثال كثيرة من الأمم والشعوب.

ويرى بنشريفه: أن توجهه إلى الأمثال الإسبانية بعد الأمثال العربية نابع من كون أن الأمثال الأندلسية القديمة والأمثال الإسبانية التي جاءت في أعقابها نتاج أرض واحدة، وثمرة بيئية طبيعية مشتركة، وإن اختلفت بعد ذلك مظاهر الحياة، وأن ثمانية قرون من الاختلاط والاحتكاك بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس، لا بد أن يترك آثاراً ويختلف بقايا في مجال التراث الشعبي عموماً، والأمثال منه خصوصاً⁽¹⁾.

وقد قارن "بنشريفه" مجموعة كبيرة من الأمثال الإسبانية بالأمثال الأندلسية ذات الأصول العربية، منها:

يقول الإسبان في الأمر الذي يحدث بغير حسبان، ويقع فجأة على غير انتظار:

Nace en la huerta lo que no siembra del hortelano.

وترجمته: يولد (ينبت) في البستان ما لا يزرع البستانى. وهذا المثل ليس إلا ترجمة دقيقة للمثل الأندلسي: (ينبت فالجنان ما لا يزرع الجنان). وينبغي أن نذكر أن الأندلسين يستعملون الجنان للبستان، والجنان (بالتشديد) للبستانى، وهو استعمال ما زال موجوداً في المغرب {وفي الجزائر} إلى اليوم. ويرى بنشريفة أن الصيغة الإسبانية ترجمة أمينة للصيغة الأندلسية، وتکاد الصيغتان تتفقان في عدد الكلمات، وقد اختلفتا من ناحية السجع، حيث تميزت به الصيغة الأندلسية⁽²⁾.

⁽¹⁾ - ينظر: بنشريف، المرجع السابق، ص 189.

⁽²⁾ - المرجع السابق، ص 193.

يجزم الباحث بعربية الأمثال الإسبانية التي تحمل أسماء عربية كعائشة وعلى غيرهما، ويتساعل عن زمن ترجمة هذه الأمثال أو انتقالها إلى الإسبانية، ويفترض أن تكون هذه الترجمة وقعت خلال العهود الإسلامية في الأندلس، ويقدر أنها أثر من آثار الازدواجية اللغوية في الأندلس الإسلامية، حيث كان الأندلسيون عرباً وعجماً، مسلمين ونصارى يحسنون الكلام بالعربية والعجمية، وربما كان المثل الواحد يومئذ يقال بالعربية تارة وبالعجمية تارة أخرى، وقد يكون قسم من هذه الأمثال مما انتقل بواسطة المدجنين والمورسكيين حين أجروا على الكلام بالإسبانية.

ويرى الباحث أنه كلما كانت الصيغة الإسبانية قديمة كانت الترجمة فيها أكثر أمانة وأشد قرباً من الصيغة الأندلسية.

ومن الأمثال التي ذكرها الباحث ويظهر فيها التطابق بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية، المثل: *El polvo de la oveja, alcohol es para el lobo.*

فهذا المثل ترجمة دقيقة للصيغة الأندلسية: (غبار الغنم كحول لعين السبع)، وأية ذلك احتفاظ الصيغة الإسبانية بالكلمة العربية: (الكحول)، التي هي نطق أندلسي لكلمة "الكحل" الفصيحة، وقد ترجموا السبع باللوب، وهما بمعنى واحد عند الأندلسيين، وكانوا يستعملون الكلمتين معاً لسبع الأندلس أو ذئبها⁽¹⁾.

والمثل أصله عربي ذكره الثعالبي في كتابه: "التمثيل والمحاضرة"، كما يلي: «غبار الغنم كحل عين الذئب»⁽²⁾.

وفي ما يلي بعض الأمثال الإسبانية كما ترجمها الكاتب و أوردها في بحثه، وفيها تأثر بالأمثال الأندلسية ذات الأصل العربي:

1—*Cuando la barba de tu vecino vieres quemar, pon la tuya a remojar.*

– إذا رأيت لحية جارك اجعل مداعك فالبلل⁽³⁾.

⁽¹⁾ المرجع السابق، ص 194.

⁽²⁾ – الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور(المتوفى 429هـ)، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط 2، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1401هـ، 1981م، ص 352.

⁽³⁾ – بنشريفة، المرجع السابق نفسه ، ص 196.

وهذا المثل يشبه مثلاً شعبياً جزائرياً، صيغته: «إذا حسّن صاحبك بَلْ أنت»⁽¹⁾.
و معناه إذا حلق صاحبك شعر لحيته، فما عليك إلا أن تبل لحيتك لأن دوراك قد وصل.
وعادة ما يضرب في سرعة توالي الأحداث، وبالتالي على المرء أن يتهدأ لها.

2-A la muerte no hay remedio, sino tender la pierna.

- من جيه أجله يمد رجله.

وهو مثل شعبي متداول بالصيغة نفسها في الجزائر: «اللي جا أجيُلو يمَدْ رِجيُلو»⁽²⁾.
أي إذا جاء أجل الإنسان، لا ينفعه دواء الطبيب؛ فما عليه إلا الصبر.

3-Lo que de los ojos no esta cerca, del corazon se aleja.

- من غاب عن العين غاب عن القلب⁽³⁾.

وفي الجزائر يقال هذا المثل بالصيغة الموالية:

«اللي غاب عن العين ينساه القلب»⁽⁴⁾. ويقال : البعد ايجفي. أي عندما يبتعد الإنسان عن أحبابه، وتقطع صلته بهم -سواء في ذلك أكانوا أحياء أم أمواتاً- ينساهم شيئاً فشيئاً، ويستبدلهم بغيرهم، وهذه قاعدة-أي البعد يبدل شعور الأحباب- عامة في الحياة. يحاول الشاعر الأندلسي "ابن زيدون" إنكارها عن نفسه وتنبيتها للأخرين بقوله في قصيدة مطلعها:

أضحي التتائي بديلاً من تجافينا؛ و طاب عن طيب لقيانا تجافينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيّرنا == إن طالما غير النأي المحينا⁽⁵⁾.

4-El que de la culebra esta mordido, de la sombra se espanta.

- من لدغته الحية من الحبل ينفر⁽⁶⁾.

وهو مثل يقال في منطقة بوسعداء: «الملدوجة من لحنش من جر لحبل تدوى»⁽⁷⁾

وهو يشبه مثلاً عربياً، يقول: «من نهشتة الحية حذر الرسن»⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعداء.

⁽²⁾ - الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

⁽³⁾ - بن شريفة، المرجع السابق نفسه، ص 200.

⁽⁴⁾ - الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

⁽⁵⁾ - ابن زيدون، أحمد بن عبد الله المخزومي أبو الوليد، ديوان ابن زيدون، شرح يوسف فرجات، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ- 1994م، ص 300.

⁽⁶⁾ - ينظر: بن شريفة، المرجع السابق نفسه ، ص 201.

⁽⁷⁾ - الذاكرة الشعبية في بوسعداء.

⁽⁸⁾ - الشعالي، التمثيل والخاضرة ، ص 377.

والرسن هو الحبل الذي تقاد به الدابة. والحبـل إذا جـر على الأرض يـشبه الثعبـان. فـي حـركـته. والنـعـجة الـتي لـدـغـها ثـعـبـان تـفـرـ من جـرـ الحـبـل لـلـتـشـابـه فـي الـحـرـكـة. وـفـيه مـعـنى الـأـثـر: لا يـلـدـغـ المؤـمن مـنـ الجـرـ مـرـتـين.

5-Quien es tu enemigo ? Hombre de tu oficio.

- صاحـبـ صـنـعـتـكـ عـدوـكـ، وـلوـ كـانـ أـخـوكـ⁽¹⁾.

وـرـبـما تـرـجـمةـ المـثـلـ الصـحـيـحةـ تعدـ نـقـلاـ حـرـفـياـ لـمـثـلـ شـعـبـيـ جـزـائـريـ يـقـولـ: < قـالـوـ مـنـ عـدوـكـ؟ قـالـوـ صـاحـبـ صـنـعـتـكـ>⁽²⁾. وـهـوـ مـثـلـ يـضـرـبـ فـيـ التـحـاسـدـ الـمـوـجـودـ بـيـنـ أـصـحـابـ الـحـرـفـ، وـبـخـاصـةـ أـثـنـاءـ بـيـعـ الـمـنـتـوجـ. وـقـدـ يـخـلـقـ عـدـاـوـاتـ تـدـفعـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ الـكـيدـ لـلـبعـضـ الـآـخـرـ.

6-Ojos que non ven, coracon quiebra.

- عـيـنـاـ لـاـ تـرـىـ قـلـبـاـ لـاـ يـوـجـعـ⁽³⁾.

وـهـذـاـ مـثـلـ مـتـدـاـولـ فـيـ مـنـطـقـتـاـ باـسـتـبـدـالـ الـفـعـلـ: تـرـىـ بـالـفـعـلـ: اـتـشـوـفـ. فـيـقـالـ: < عـيـنـ ماـ اـتـشـوـفـ، قـلـبـ ماـ يـوـجـعـ>⁽⁴⁾.

وـيـضـرـبـ فـيـ الـحـثـ عـلـىـ عـدـمـ رـؤـيـةـ مـاـ يـؤـلـمـ، وـبـخـاصـةـ إـذـاـ كـانـ الرـائـيـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـغـيـرـ مـاـ يـرـاهـ إـلـىـ الـأـحـسـنـ؛ فـعـدـمـ سـمـاعـ أـوـ رـؤـيـةـ بـعـضـ الـتـصـرـفـاتـ أـوـ بـعـضـ الـمـنـاكـرـ، تـتـرـكـ الـقـلـبـ مـرـتـاحـاـ. وـهـذـاـ مـاـ يـفـعـلـهـ بـعـضـ الـمـسـؤـلـيـنـ عـنـدـمـاـ يـتـجـبـونـ الـاطـلـاعـ عـلـىـ أـخـطـاءـ مـرـؤـوسـيـهـمـ.

وـيـذـكـرـهـ "بنـ هـدـوـقـةـ"ـ كـمـاـ يـلـيـ: «ـمـاـ شـافـتـ الـعـيـنـ، مـاـ يـوـجـعـ الـقـلـبـ»⁽⁵⁾. وـيـقـالـ عـلـىـ لـسـانـ الرـجـلـ الـذـيـ أـخـبـرـ عـنـ فـعـلـ وـقـعـ فـيـ غـيـابـهـ، يـمـسـهـ مـنـ قـرـيبـ أـوـ مـنـ بـعـيدـ، فـيـ سـيـاقـ التـحـسـرـ وـالـغـيـظـ الـمـكـظـومـ، أـيـ أـنـهـ لـوـ كـانـ حـاضـراـ لـرـدـ بـالـرـدـ الـمـنـاسـبـ، وـشـفـىـ غـلـيلـهـ، أـمـاـ وـقـدـ فـاتـ الـأـوـانـ فـالـصـمـتـ أـولـىـ.

7-Con la mano ajena sacar la bras ; o la castana.

⁽¹⁾ـ الشـعـالـيـ، الـمـرـجـعـ السـابـقـ، الـصـفـحةـ نـفـسـهـ.

⁽²⁾ـ الـذـاـكـرـةـ الـشـعـبـيـةـ بـوـسـعـادـةـ.

⁽³⁾ـ بـنـ شـرـيفـةـ، الـمـرـجـعـ السـابـقـ نـفـسـهـ ، صـ202ـ.

⁽⁴⁾ـ الـذـاـكـرـةـ الـشـعـبـيـةـ فـيـ مـنـطـقـةـ بـوـسـعـادـةـ.

⁽⁵⁾ـ عـبدـ الـحـمـيدـ بـنـ هـدـوـقـةـ، أـمـالـ جـزـائـرـيـةـ، صـ208ـ.

- يأخذ النار بيد غيره⁽¹⁾.

وهو يشبه مثلا جزائريا يقال في منطقة بوسعدة. «يأكل الشوك بقم غيره»⁽²⁾. ويضرب في الذين يدفعون غيرهم إلى القيام ببعض التصرفات التي لا يستطيعون هم القيام بها؛ لأن عاقبها وخيمة، ومثال ذلك، أن يدفع أحد الموظفين زميله إلى التصرف بخسونة، أو أن يشتم رئيسيه، لسبب بسيط، فقيام المرؤوس بهذا الفعل يطفئ غيط المحرض؛ لأنه ناقم على الرئيس أو على المرؤوس أو عليهما معا. فهو قد سبب الضرر للغير، ولكنه لم يتضرر، فهو كالذي أكل الشوك بأفواه الآخرين.

8-En las barbas del hombre astroso, se ensena el barbero.

- يتعلموا الحجامة فُرُوسُ الْيَتَامَى⁽³⁾.

ويقال في منطقة بوسعدة بالصيغة نفسها، مع استبدال كلمة الحجامة بكلمة لحسانة. «يتعلموا لحسانة في روس لِيَتَامَة». والمقصود بحسانة: الحلاقة، من الفعل حسّن بمعنى زين، ويسمى الحلاق أحيانا المزين. ولحسانة (الحلاقة) أنساب للرؤوس من الحجامة.

ويضرب للدلالة على استهانة بعض الناس أثناء القيام بأعمالهم، كما يدل على معناه المباشر، وهو الاستخفاف بحقوق اليتامي.

وبعد أن تعرفنا على تأثير الأمثال العربية في الأمثال الإسبانية من خلال الأمثال الأندلسية، التي دونها بعض الباحثين القدامى كما ذكر "بنشريفة"، ننتقل الآن إلى تشابه بعض الأمثال في اللغات الغربية- كإنجليزية وفرنسية- بأمثال في اللغة العربية.

ج-التشابه بين بعض الأمثال العربية والإنجليزية:

تشكل الحكم والأمثال في اللغات العربية والأجنبية مخزونا ثقافيا مهما لكل مستعملي اللغة؛ لما تشتمل عليه من عظام وعبر تثير طريق السالكين- عبر الزمن- في الحياة الاجتماعية. فهي تصلح لكل زمان ومكان. وما لاحظه الدارسون وجود أمثال مشتركة، وقد

⁽¹⁾ بنشريفة، المرجع السابق نفسه ، ص 203.

⁽²⁾ - الذاكرة الشعبية منطقة بوسعدة

⁽³⁾ - بنشريفة، المرجع السابق نفسه،ص 203.

تكون حرفية من حيث النص بين اللغة الإنجليزية واللغة العربية؛ بالرغم من وجود مسافة كبيرة بين موطني اللغتين، مما يصعب اكتشاف التأثير المتبادل، في ظل عدم احتكاك مباشر بين الشعبين: العربي والإنجليزي - قديماً - كما حصل مع الشعوب المجاورة للبلاد العربية، أو المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، حيث كان الاحتكاك عبره دائماً في السلم وفي الحرب. وتشابه الأمثال يضعنا أمام حقيقة ثابتة، هي أن البشر مهماً اختلفت بيئاتهم وألوانهم وأسنتهم وأديانهم، فهم مشتركون في طريقة التفكير في الأمور الإنسانية العامة. وفي ردود أفعالهم تجاه مجالات شتى، كالصدق والكذب، والحب والكره، والقناعة والطمع والصحة والمرض... لأن النفس البشرية واحدة. والاختلاف الظاهر بين بعض الشعوب أو الجماعات والأفراد في بعض القضايا أو المواقف، ما هو إلا بفعل التربية.

وكل ثقافة لها مجموعة من الأمثال التي تقدم النصيحة لأفراد المجتمع بشأن كيفية عيش حياتهم ضمن علاقات اجتماعية، وهي أقوال موجزة يمكن تخزينها واستخدامها في الوقت المناسب، حيث يتداولها الناس في المحادثة العادية؛ وهي تحمل أفكارهم وتجاربهم، وتساعد الآخرين على فهم كيف يفكر الناس في الثقافة الناطقة بلغة غير لغتهم، في جميع أنحاء العالم.

وبقراءة مجموعة من الأمثال الإنجليزية التي أعدّها وترجمها إلى العربية: "عمر عثمان جبق"، في كتابه:

(one Thousand and one English proverbs Translated into Arabic)

ألف مثل ومثل إنجليزي مترجم إلى اللغة العربية.

لاحظت تشابهاً كبيراً بين بعضها وبعض الحكم والأمثال العربية، فاختارت من بينها الأمثال التالية:

1-Like father, Like son⁽¹⁾

ترجمته: الابن يشبه أبيه.

الشَّبَهُ فِي الْخَلْقَةِ، أَوْ فِي الْخُلُقِ. وَإِذْ كَانَ التَّشَابِهُ فِي الْخَلْقَةِ لَا دُخُلٌ لِلْإِنْسَانِ فِيهِ؛ فَإِنَّ التَّشَابِهَ فِي الْخُلُقِ، وَالسُّلُوكِ، وَفِي مَظَاهِرِ الْخَصْيَةِ عَوْمَماً، نَاتِجٌ عَنْ أَثْرِ التَّرْبِيَةِ. وَهَذَا

⁽¹⁾ - عمر عثمان جبق، ألف مثل ومثل إنجليزي مترجم إلى اللغة العربية، ط 1، حلب، سوريا، 2008م، ص 47.

ملحوظ في كل المجتمعات التي يترى أفرادها داخل الأسرة. ولذلك فهذا المثل يشبه المثل العربي القائل: «من أشبه أباه فما ظلم»⁽¹⁾.

2-Like mother, Like daughter⁽²⁾

ترجمته: البنت تشبه أمها.

وهو كالمثل السابق، فالمعنى ليس بـشَبَهِ الخُلْقَة، لأنَّه يمكن ألاً يتشابها، لكن المقصود هو دائمًا تأثر البنت بأمها؛ لأنَّها تلازمها عادة، وبخاصة في المجتمعات التقليدية، والريفية. وهو مثل يشبه المثل الشعبي الجزائري: «كُبُّ القدرة على فُمْهَا تَطْلُعُ البنت لِمَهَا»⁽³⁾. وعادة ما يقال هذا المثل عند ما يريدون خطبة البنت، فيقيسون سلوكها على سلوك أمها.

3-A wise man changes his mind a fool never will⁽⁴⁾.

ترجمته: الحكيم يغيِّر رأيه، بينما الأحمق لا يفعل ذلك أبداً.

فإِلَّا إِنَّ الْحَكِيمَ الْذِكِيرَ، هُوَ الَّذِي يَتَصَرَّفُ حَسْبَ الظَّرُوفِ وَالْمَوَاقِفِ، فَفَكْرُهُ يَتَطَوَّرُ باسْتِمْرَارٍ، وَ هُوَ الَّذِي يَسْتَفِدُ مِنْ مَكْتَسِباتِهِ الْقَبْلِيَّةِ، وَ يَحْقِّقُ التَّكْيِفَ مَعَ الْوَضُعِيَّاتِ الْجَدِيدَةِ، أَمَّا الْأَحْمَقُ الْغَبِيُّ، فَهُوَ الَّذِي يَتَشَبَّثُ بِآرَائِهِ وَمَوَاقِفِهِ، مَعَ أَنَّهَا لَمْ تَعُدْ صَالِحةً، وَهَذِهِ الْفَكْرَةُ عَبَّرَ عَنْهَا مُثْلٌ شَعْبِيٌّ يُشَبِّهُ مَا ذَكَرَهُ الْمُثْلُ الإِنْجِلِيزِيُّ. يَقُولُ الْمُثْلُ الشَّعْبِيُّ: «الْجَaiْhَ كِيمَا أَتُوصِيهِ وَالْhaذِقَ كِيمَا يَلْقَى»⁽⁵⁾

والْhaذِقُ فِي الْعَامِيَّةِ الْجَزَائِيرِيَّةِ، الْمُقْصُودُ بِهِ الْذِكِيرُ، مِنْ حَذْقِ الصَّنْعَةِ فَهُوَ حَاذِقٌ. أَمَّا الْجَaiْhُ - مِنْ الْجَaiْhَةِ الَّتِي تُصِيبُ الْمَزْرُوعَاتِ عَنْ نَضْجِهَا - فَلَا يَسْتَفِدُ مِنْهَا صَاحِبُهَا. فَكَذَلِكَ الْجَaiْhُ وَهُوَ الْغَبِيُّ، الَّذِي أَيْنَمَا تَوْجِهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ. وَمَثَلُ ذَلِكَ: أَنْكَ إِذَا أَرْسَلْتَ مِنْ يَشْتَري لَكَ خَبْزًا لِلْعَشَاءِ، وَذَكَرْتَ بَعْضَ الْمَوَاصِفَاتِ، كَأَنْ يَكُونَ مِنْ مَخْبَزَةِ مَعِينَةٍ، أَوْ أَنْ يَكُونَ مِنْ النَّوْعِ الدَّائِرِيِّ مَثَلًا. فَالْhaذِقُ إِذَا وَجَدَ الْمَخْبَزَ مَغْلَقَةً، أَوْ لَمْ يَجِدِ النَّوْعَ الْمَطْلُوبَ، فَإِنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ مَخْبَزَةِ أُخْرَى، أَوْ يَأْتِي بِخَبْزٍ غَيْرِ دَائِرِيٍّ، الْمَهْمَّ أَنْهُ تَصَرَّفُ حَسْبَ مَا وَجَدَ أَوْ

⁽¹⁾ - أبو هلال العسكري، جمهور الأمثال، ص 197.

⁽²⁾ - عمر عثمان جبق، المرجع السابق ، ص 148.

⁽³⁾ - من الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعدة.

⁽⁴⁾ - عمر عثمان جبق، المرجع السابق نفسه ، 11.

⁽⁵⁾ - من الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

حسب الموقف، لا حسب ما أوصيته. أما الجائع فإنه يلتزم بالوصية، فإذا لم يجد المطلوب، فإنه يعود دون خبر، لأنه لا يستطيع التصرف دون استشارة.

4- Many words hurt more than swords⁽¹⁾.

ترجمته: الكثير من الكلمات تجرح أكثر من السيوف.
أذى اللسان أخطر من أذى السيوف؛ قد يكون أذى السيوف مبدئه كلام، فالشتائم والنسمة، والكذب... قد يكون لها مخاطر على الفرد والجماعة أكثر من الضرب. وهذا المثل معناه موجود في البيت الشعري- الذي صار مثلا- القائل:
جراحات السنان لها الثناء == ولا يلتم ما جرح اللسان.

5-Men may meet but mountains never⁽²⁾.

ترجمته: الرجال يلتقيون ولكن الجبال لا تلتقي أبدا.
يقال هذا المثل في وجوب أن لا يسيء الإنسان إلى غيره، بل عليه أن يعامل الناس بالحسنى، وأن يعينهم عندما يحتاجون إليه، وبخاصة إذا كان قادرا على ذلك؛ لأن الظروف قد تتغير ويجد نفسه في حاجة إليهم. وهذا المثل متداول في الجزائر بالألفاظ نفسها: «الرجال تُلاقى والجبال ما تُتلقاشر»⁽³⁾.

6-Out of the frying- pan into the fire⁽⁴⁾.

ترجمته: من القلي إلى الحريق (النار).
يقال في فرار المرء من أمر خطير إلى أمر أخطر منه، وله معنى المثل العربي:
«كالمستجير من الرمضاء * بالنار»⁽⁵⁾.

7-Don't count your chickens before they are hatched⁽⁶⁾.

ترجمته: لا تعد فراخك (صيصانك) قبل أن تفقس.

⁽¹⁾- عمر عثمان جبق، المرجع السابق، ص 50.

⁽²⁾- عمر عثمان جبق، المرجع السابق، ص 51.

⁽³⁾- الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعداء.

⁽⁴⁾- عمر عثمان جبق، المرجع السابق نفسه، ص 57.

*- جاء في جهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، ج 2، ص 133. الرمضاء: التراب الحار، وقد رمى التراب ، إذا حمي، ومنه قبل شهر رمضان؛ لأنهم حين سعوا الشهور وافق شهر رمضان وقت شدة الحر، كما قبل جمادى؛ لأنها وافقت إذ ذاك وقت جمود الماء.

⁽⁵⁾- أبوهلال العسكري، جهرة الأمثال، ج 2، ص 133.

⁽⁶⁾- عمر عثمان جبق، المرجع السابق نفسه، ص 24.

لایمکن إحصاء الفراخ قبل أن تفقس البيضة، ويظهر إن كانت تحمل فرخاً حياً بعض البيضات تكون فاسدة. و يضرب في الإنسان الذي يضع خطة لأمر ما ثم يبدأ في التفكير في ما عليه القيام به بعد نجاح الخطة. فالمثل ينصحه بعدم التسرع، بل عليه أن يتتأكد أولاً من نجاح الخطة، كمن يريد استصلاح أرض، ويخطط لحفر بئر، ويشعر في غرس الأشجار قبل أن يتتأكد من وجود الماء أو من استخراجها. والمثل الإنجليزي يشبه المثل الشعبي القائل: «ما اتعدّش بقريك حتى ايفوْت الطّكُوك»⁽¹⁾. و الطكوك: حشرة تتکاثر في الربيع تمتص دم البقرة فتؤلمها؛ فتقر الأبقار هاربة من أماكن وجود هذه الحشرات، وفي فرارها قد تضيع، أو تسقط في أماكن خطرة فتموت، أو تأكلها الحيوانات المفترسة؛ وبالتالي ينقص عددها. فلا يبني خططه على عدد لم يتتأكد من وجوده.

ويورد عبد الحميد بن هدوقة المثل بصيغة: «طَكَّ يا طَكُوكِ ما في قلبك هم»⁽²⁾. ويقول بن هدوقة في شرحه: يقال فيمن يقضي أيامه لا هياباً عابثاً لا يفكر في شيء، فالمثل يأتي في سياق الذم. و الطكوك جري البقر في الربيع بسبب ذبابة تلسعها (تسمى النعنة) وربما لها اسم ثان مشتق من لفظة الطكوك.

والناس يظنون أن البقرة تتطلق جارية في الربيع، لا تلوى على شيء، وبصورة مفاجئة لا شيء سوى لشعبها. ويقال هذا المثل أحياناً فيمن ينفق أموال أبويه في اللعب والمجون. 8-Every man has his faults⁽³⁾.

ترجمته: الكل عنده عيوب (لا أحد كامل).

لا يخلو أي فرد من عيب في نظر الناس، فعلى المرء أن يغضض الطرف عن بعض عيوب أصدقائه، إذا أراد أن تدوم المودة بينه وبينهم. وهذا المثل، معناه متضمن في بيت النابغة الذبياني⁽⁴⁾ – الذي صار مثلاً – وهو:

ولستَ بمستيقِّنٍ أَخَّاً لَا تَلْمِه == عَلَى شَعْثٍ، أَيِ الرَّجَالُ الْمَهَذِّبُ
9-Man proposes but God disposes⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ – الذاكرة الشعبية بوسعدة.

⁽²⁾ – عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 119.

⁽³⁾ – عمر عثمان جبق، المرجع السابق نفسه ، ص 28.

⁽⁴⁾ – النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1996م، ص 28.

⁽⁵⁾ – عمر عثمان جبق، المرجع السابق نفسه ، ص 50.

ترجمته: الرجل يقترح، ولكن الله يتصرف.

و معناه أن الإنسان له آمال، وله مشاريع يفكر فيها ويخطط لها، غير أنه لا يضمن تحقيقها؛ لأنه لا يعلم الغيب، ولا يضمن صحته وحياته، ولا يضمن تقلب الظروف.

وهذا المثل يشبه المثل الشعبي: «العبد في التفكير والرب في التدبير»⁽¹⁾ (أو في التسيير). 10-Better be en vied than pitied⁽²⁾.

ترجمته: أن يحسدك الناس خير لك من أن يشفقوا عليك.

أن يحسدك الناس تشير إلى امتلاكك شيئاً تتميز به عنهم، وبالتالي يعدونك أفضل منهم فيحسدونك، أما أن يشفقوا عليك، فهذا دليل على أنك أضعف منهم، سواء أكان ذلك في الجانب المادي أم الصحي أم المعنوي... والأفضل للإنسان أن يكون قوياً، لا أن يكون ضعيفاً. ومعنى المثل الإنجليزي موجود في المثل الشعبي الجزائري القائل:

«بن الكلب، ولا أحيللو»⁽³⁾. أي أن يقول الناس عنه: ابن الكلب، حسداً له على ما أوتي من مال مثلاً، أفضل له من أن يقولوا عنه: مسكين لا حيلة له في تغيير وضعه المزري. 11-all cats are grey in the dark(in the night)⁽⁴⁾.

ترجمته: كل القطط في الظلام أو الليل رمادية.

يضرب للغبي الذي لا يميز بين الناس في التعامل، ولا بين الأشياء في قيمتها وأهميتها، فينظر إليها بمنظار واحد على أنها متشابهة، فيقع في الخطأ. وهو مثل له شبيه في أمثالنا الشعبية نقوله بالصيغة التالية: «عشب الليل قاع أخضر»⁽⁵⁾. قاع، بالقاف المعقوفة، بمعنى كله، أي العشب في الليل كله أخضر.

وبعد أن تعرفنا على التشابه الموجود بين أمثال إنجليزية وأمثال عربية من خلال النماذج التي انتقلاها من كتاب عمر عثمان جبق، أحياول فيما يلي التطرق إلى التشابه بين بعض الأمثال الفرنسية والأمثال العربية.

⁽¹⁾ - الذاكرة الشعبية في بوسعدة.

⁽²⁾ - عمر عثمان جبق، المرجع السابق، ص 18.

⁽³⁾ - الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

⁽⁴⁾ - عمر عثمان جبق، المرجع السابق، ص 1.

⁽⁵⁾ - الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

د-التشابه بين الأمثال العربية والأمثال الفرنسية:

إذا كانت إنجلترا بعيدة عن بلاد العرب، ومع ذلك وجدنا التشابه بين أمثالهم وأمثال العرب، فإن فرنسا قريبة؛ فهي تطل على البحر الأبيض المتوسط الذي تطل عليه ثمانى دول عربية، كما أنها قد شاركت في الحملات الصليبية على المشرق العربي، بالإضافة إلى احتلالها لبلدان المغرب العربي، وبخاصة الجزائر لمدة طويلة. عليه فالتأثير والتأثير يكون شديداً والتشابه بين الأمثال يكون بيناً، والنماذج التي اخترتها تبرز ذلك و توضحه.

1-C'est la goutte d'eau qui fait déborder le vase⁽¹⁾

ترجمته: هي قطرة التي أفاضت الكأس(المزهرية).

ينتقد "جان لو شيفلي" محتوى هذا المثل ويتساءل: كيف نصدق أن قطرة ماء بسيطة تقفيض الكأس؟ أي لها آثار مدمرة، ويناقش الفكرة علمياً بتوظيف نظرية "أرخميدس" للأجسام الطافية، ويقول: لقد استبدلنا نظريتك بخدعة، لم يبق لنا أكثر من أن نطرح النظرية: «إذا طفا جسم على سطح سائل ما، فإن وزن الجسم المغمور يساوي وزن السائل المزاح»⁽²⁾. فالقطرة ليست هي التي أفاضت الكأس؛ ولكن صبرنا له حدود، وعندما نحس بانفجار داخلي نصرخ: توقف.

والمثل مستعمل في الجزائر بصيغته الفرنسية وترجمته العربية، وكثيراً ما يستعمله السياسيون والصحافيون عندما تقع بعض المشاكل أو الأحداث في المجتمع. فمثلاً عندما يتذمر موظفون من مديرهم لسوء تصرفه معهم أو لتعسفه في استعمال سلطته، ويتمادي في ذلك إلى أن تمتلىء صدورهم عليه، وفي لحظة من اللحظات يرفع صوته على أحدهم فينفجر الجميع ضده، ويطالبون بعزله أو نقله... فرفع الصوت ليس هو السبب الحقيقي للثورة. ولكنه قطرة التي أفاضت الكأس.

أما معنى هذا المثل موجود في البيئة العربية بصيغة: «القشة التي قصمت ظهر البعير» وقصته أن أحد الأعراب حمل بعيره من الأثقال حمل أربعة جمال، فانتقده الناس لما رأوا الجمل يتزنح وكاد يسقط، لكنه أضاف إلى ذلك الحمل حزمة صغيرة من التبن وهي

(1)-Chiflet Jean-loup, 99 Proverbes à foutre à la Poubelle, éditions Points, Paris , France , 2012, P36.

(2)-Idem.

خفيفة، وقال: هذه هي الأخيرة. فسقط الجمل. فقيل: القشة التي قسمت ظهر البعير؛ ولكن القشة بريئة من ذلك، لأن الذي قسم ظهر البعير هي الأحمال الثقيلة.

والمثل يضرب عندما تتكاثر المشاكل على الفرد أو الجماعة، ثم يأتي سبب بسيط فيحدث الانفجار. ومثال ذلك: الثورة التونسية الأخيرة التي أطاحت بالرئيس بن علي؛ فضرب الشرطية للبوعزيزي، ثم انتحراره ليس هو سبب الثورة؛ لأن الانتحار، أو اعتداء بعض أفراد الشرطة على بعض المواطنين موجود في كل المجتمعات، ولكنها تعالج كقضايا فردية؛ لكن عندما يعم الإحساس بالحقارة، وهضم الحقوق، بالإضافة إلى البطالة وألاّ عدالة... يكون المجتمع متهيئاً للانفجار، في انتظار توفر سبب مباشر، ولو كان بسيطاً. فالشرطية و البوعزيزي: هما القشة التي قسمت ظهر البعير.

2-Qui vivra verra⁽¹⁾.

ترجمته: من يعش ير.

يتسائل "شيفلي"، كيف يرى من يعيش مدة طويلة، مع أن نظر الإنسان ينقص كلما كبر، و مع أننا في حديثنا عندما نكرر نقول: تحرك أو امش لا يوجد شيء للنظر.

ولكن النظر ليس المقصود به ما تراه العين فحسب؛ وإنما المقصود به ما يعقله الإنسان عن طريق حواسه المدركة، لما يحدث في الطبيعة، وللإنسان من تغيرات، يجعله يعيد النظر في أحکامه وآرائه تتبعاً لمعرفته المرتبطة بتقدم عمره.

وهذا المثل يطابق مثلاً شعبياً جزائرياً في لفظه وفي معناه، يقول المثل: «عيش تشوف، وعيش تسمع»⁽²⁾.

ويورده بن هدوقة : «عش تسمع»⁽³⁾. يقال في حدوث ما لا يتوقعه أحد. ويقال في الرجل يأتي عملاً لا يمكن أن يصدر منه عادة، وهو يأتي في سياق التعجب. ويشبهه مثلين عربيين، أحدهما يقول: «عش تر ما لم تر»⁽⁴⁾. أي من طال عمره رأى من الحوادث ما فيه

(1)-Chiflet ,op,ct, P 80.

(2) – الذاكرة الشعبية بوسعدة.

(3) – بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص135.

(4) – الميداني، جمع الأمثال، ج 1، مثل ص653.

معتبر، حسب قول الميداني. و الثاني يقول: «عش رجبا تر عجا»⁽¹⁾ وقد ذكر الميداني أن قائل هذا المثل: الحارت بن عباد ابن قيس بن ثعلبة، طلق بعض نسائه عندما أسن وخرف، فخلف عليها بعده رجل كانت تُظهر له من الوجد به ما لم تكن تظهر للحارت؛ فلقي زوجها الحارت فأخبره بمنزلته منها، فقال الحارت: عش رجبا تر عجا ! فأرسلها مثلا.

3-Il n'y a pas de rose sans épines⁽²⁾.

لا توجد وردة دون أشواك.

يشرح "شيفلي" هذا المثل بقوله: يُفهمنا المثل بكل جدارة أن الجمال لا يأتي حرا، كما أن الطبيعة تضعنا على المحك، بأن ليس هناك ارتياح وليس هناك متعة دون ألم، فالتمتع برائحة الورد يصاحب شوك شوك الورد.

ومعنى هذا المثل موجود في بيت المتنبي -الذي شطره الثاني مثل- يقول المتنبي: تريدين لقيان المعالي رخيصة == ولا بد دون الشهد من إبر النحل⁽³⁾. ومعناه من اجتنى الشهد قاسي لسع النحل، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة مرارة اللسع. ويضرب المثل في من أراد بلوغ مراتب عالية، عليه أن يجد ويجتهد ويتعب كثيرا حتى يبلغ مراده. وكثيرا ما يضرب هذا المثل لحث الطلبة علىبذل المزيد من الجهد لتحقيق النجاح وبالتالي الوصول إلى تحقيق أماناتهم وأمالهم.

4-Les chiens aboient, la caravane passe⁽⁴⁾.

ترجمته: الكلاب تتبع والقافلة تمر.

ويرى "شيفلي": أنه مثل نشأ في بيئة صحراوية عربية حيث هناك قافلة تسير جمالها متتابعة على شكل خط ، وهناك جمال مسنة تقود القافلة، ولا تحس عندما تتجاوزها المهاري أو الكلاب التي تتبع ، بل تواصل القافلة رحلتها عبر الصحراء.

هذا المثل متداول بصيغته الفرنسية والمترجمة إلى العربية، في الأوساط الشعبية والرسمية، غالبا ما يضرب في شأن من ينتقد تصرفات الآخرين، فانتقاده لا يغير من الوضع شيئا.

⁽¹⁾- الميداني، المصدر السابق، ج 1، ص 639.

⁽²⁾Chiflet ,op,ct, p140.

⁽³⁾- المتنبي، أبو الطيب أحمد المتنبي ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص 518.

⁽⁴⁾ -Ibid, p 14.

5-Qui couche avec les chiens se lève avec les puces⁽¹⁾.

ترجمته: الذي ينام مع الكلاب ينهض مع البق.

البق حشرة تعيش على مص دم الحيوانات، وقد تنتقل إلى الإنسان إذا لم يحافظ على نظافة جسمه، وثيابه، ومكان نومه، والكلاب مشهورة بتواجد البق في أجسامها. فمن نام معها أصابها ما أصابها.

يشير المثل إلى أثر الصحبة؛ فمن صحب الآخيار تطبع بطبعاتهم، ومن يصاحب الأشرار يصير مثلهم. وصحبة الأشرار تؤدي وتفسد الأخلاق، وتحط من قدر الإنسان. فالمثل يدعو إلى تجنب مخالطة ذوي السيرة السيئة.

ومعنى المثل موجود في المثل الشعبي الجزائري القائل: «ما اخلط روحك مع النخالة ما يُنقِّبُ الدجاج»⁽²⁾. وكى بالنخالة عن الأراذل وبالدجاج عن المنتقدين السفهاء، لأن من يتحدث في أعراض الناس أيضاً رذل وسفيه، بل من أوضع الناس. ينقبك: أي ينقرك بمنقاره كما ينقر الحبوب ما دمت موجوداً في النخالة. والمثل يقال في من يخالط الأراذل فلا يسلم عرضه من التلب، ولو لم يفعل شيئاً يستحق الملامة. فعلى المرء عدم مخالطة منحطى الأخلاق حتى لا يهان.

6-Traverse une rivière houleuse et évite celle qui est calme⁽³⁾.

ترجمته: تجاوز نهراً صاخباً، وتجنب تجاوز نهر هادئ.

يستطيع الإنسان قطع الوادي، الذي يحدث صوتاً بفعل تكسر المياه على نتوءاته، وأحجاره، وهو بهذا يكشف عن عمقه. أما الوادي الهادئ الذي تتتساب مياهه دون إحداث أي صوت، فإنه قد يكون عميقاً، وقوته شديدة دون أن ينتبه المرء إليها، فيظنها بسيطة.

وهو مثل يضرب في الحذر من الإنسان الهادئ الذي لا يظهر انفعاله أو غضبه، ولا يعبر عن ازعاجه أو تهديده، فقد يكون خطيراً عندما يثار، ولا نعرف متى ينفجر، ويحدث المفاجأة. أما الإنسان الذي يعبر عن مشاعر الغضب، فإن سره قد ينكشف من خلال

(1)-sid-Lakhdar Boumediene, Citations,Maximes, dictons et Proverbes, Editions Dar El Adib , 2007, p148.

(2)- بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص.73.

(3)- Ibid , p149.

انفعاله، وأصواته، وقد يكتفي بذلك؛ لأنّه نفس عن نفسه. وهذا المعنى يعبر عنه المثل الشعبي الجزائري بقوله: «اعقب على واد هدار وما تُغبِّش على واد ساكت»⁽¹⁾.

ويراد بالمثل الجزائري المعنى الحقيقي المباشر المتعلق بالمرور أو اجتياز أو عبور الوادي شديد الهدير، أي كثير الصخب. فهو لا يُخشى؛ لاشتماله على أحجار ومسالك يمكن سلوكها؛ فهديره آت من كونه يشتمل على تجويفات ونقوافٍ. بخلاف الوادي الصامت؛ فهو عميق متساوي الفاع والمجرى، قلما ينجو من خطره عابر. و يتضمن المثل ويراد به الحذر من الشخص الذي نراه هادئاً، ساكتاً، لا يباهي ولا يفاخر ولا يتظاهر بقوة و لا ينفعل عندما يتعرض إلى إهانات أو مشاكل، فقد يكون في هدوئه تخطيط لانتقام شديد، ينفذه عندما تتاح له الفرصة المناسبة. بخلاف الثرثار فلا خشية منه.

7-Prudence est mère de Sûreté⁽²⁾.

ترجمته: الحذر أم الأمان (السلامة).

والمثل يتضمن في حق الإنسان المتسرع الذي لا يفكر في عواقب أفعاله؛ فهو ينصحه بوجوب الحذر أثناء الإقدام على أفعال أو تصرفات، وأن يهتم بالعواقب؛ لأن التسرع دون النظر إلى النتائج، قد يوقع في أخطاء لا تحمد عقباها.

والمثل يشبه المثل الشعبي القائل: «اللي خاف اسلم»⁽³⁾.

يقال في الحذر من المخاطر. ويقال لمن سخر من رجل تخوّف من المخاطر فالتخوّف غير الجن. ويَرِد المثل أحياناً بصيغة: «اللي خاف اسلم، واللي اسلم سعدتْ أياً مُو»⁽⁴⁾.

وكثيراً ما ينصح الوالدان أولادهم، بضرب هذا المثل في إطار تحذيرهم من ولوح المخاطر دون التفكير في العواقب.

8-Ne réveillez pas le chien qui dort⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ – بن هدوقة، المرجع السابق، ص132.

⁽²⁾-Charlotte Schpira, op,ct,P98.

⁽³⁾ – بن هدوقة، المرجع، السابق، ص188.

⁽⁴⁾ – الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعدة.

⁽⁵⁾ – idem.p98.

ترجمته: لا توقف الكلب النائم.

يُيقظ كلب نائم، وبخاصة إذا كان الموقظ ليس صاحبه، قد يجعل الكلب يهاجمه، ويؤديه، فيحدث فيه جروحاً أو قد يقتله. والمثل يضرب في تجنب إثارة حقد العدو وكراهيته. أو تجنب كل ما يحدث ضرراً لك أو لغيرك. ومعنى المثل موجود في الآثر العربي القائل: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقضها». والفتنة أشد من القتل كما جاء في القرآن. قال الله تعالى: ﴿وَالْفَتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾⁽¹⁾.

9- Les bons comptes font les bons amis⁽²⁾.

ترجمته: المحاسبة الجيدة تجعل الأصدقاء الجيدين.

وهو مثل يضرب في مقام المحافظة على الصداقة. ولدواها، يجب أن يدفع كل واحد ما عليه للآخر. ومعناه يعبر عنه المثل الشعبي الجزائري القائل: «حَبْنِي كَيْ خُوكْ وَحَاسْبِنِي كَيْ عَدُوكْ»⁽³⁾. ويقال هذا المثل في المعاملات المادية بين الأحباب؛ فينبغي أن تبني على المحاسبة الدقيقة، لا على الغموض والخلط بزعم الأخوة والصداقة وما إليها؛ لتفادي وقوع المشاكل، فهو يحثهم على أن تكون العلاقات واضحة؛ ليعرف كلُّ ما عليه وما له، وأن يقوم كل واحد بأداء واجبه نحو الآخر، وبهذا تدوم المحبة ولا يعكرها سوء التفاهم المادي.

10-Tous les moyens sont bons pour arriver à ses fins⁽⁴⁾.

ترجمته: جميع الوسائل تكون حسنة من أجل الوصول إلى غاية حسنة.

وهو مثل مأخوذ من فكر الفيلسوف الإيطالي "نيكولا مكيافيلي*" الذي قال: الغاية تبرر الوسائل (La fin justifie les moyens) وهي فكرة غير أخلاقية؛ لأنها تبرر سلوك السارق إذا سرق، أو قتل من أجل الحصول على المال؛ فهو يريد تحقيق غاية مفيدة بالنسبة له. وهكذا كل ظالم أو معتدٍ، سواء على مستوى الأفراد أو الأمم، ما دام يريد الخير

⁽¹⁾ - سورة البقرة، آية 191.

⁽²⁾- Ibid.p 65.

⁽³⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 33.

*- أنتربات: نيكولا مكيافيلي /WiKiPedia.org /wiki/ar. يوم 07/11/2014. (نيكولا مكيافيلي، هو مفكر وفيلسوف وسياسي إيطالي، إبان عصر النهضة، ولد وتوفي في فلورنسا 1469-1527، أشهر كتابه: الأمير، والذي كان عملاً ، المهد منه أن يكتب تعليمات لحكام، نشر بعد موته، وأيد فيه فكرة أن ما هو مفید فهو ضروري، وكان صورة مبكرة عن النفعية والواقعية السياسية، وبعد هو مؤسس مدرسة التحليل والتنظير السياسي).

⁽⁴⁾- Labbani zohra nizeh et autres, Dictionnaire Des Mille et un Proverbes de l'oranie (ouest Algérie), Editions Dar el adib, oran, 1911, p 38.

لنفسه، فتصرفه مبرر. وقد لا تكون الوسيلة الاعتداء والظلم، بل قد تكون التذلل والنفاق والدوس على الكرامة، والرضا بالإهانة من أجل تحقيق منافع مادية أو معنوية.

عبر عن هذا المعنى مثل شعبي بقوله: «**حِبُّ الْكَلْبِ مِنْ فَمُّوْ حَتَّانْ تَقْضِي حَاجَتَكْ مُنُو**»⁽¹⁾. ويرى بن هدوقة: أن هذا المثل يقال في الصبر على نيل المطلوب من لئيم. ويقال في مجاملة اللئيم الذي ليس من مجاملته بد، وصاحب المثل شبّه اللئيم بالكلب يقبل. والمسلم لا يقبل الكلب ولا يشرب من إناء ولغ فيه، إلا بعد غسله سبعاً، واحدة بالتراب كما يقول الفقهاء... وهذا التشبيه نهاية في البلاغة.

11-Qui veut tout perd tout⁽²⁾.

ترجمته: الذي يريد الكل يُضيّع الكل.

يضرب المثل في حق الجشع الطماع الذي يريد كل شيء لنفسه، أو يريد شيئاً ليس من حقه؛ فيضيّع ما عنده دون أن يحصل على شيء. وكثيراً ما يحدث هذا في المجتمع؛ عندما يستغل بعض النصابين غريزة الطمع القوية لدى بعض الأشخاص. فيتحلون صفة مسؤولين كبار، أو يقدمون أنفسهم على أن لهم علاقات عملية مع بعض المسؤولين؛ ويطلبون من الطماع مبالغ مالية مقابل الحصول على منافع مادية، كالحصول على مساكن أو قروض من بنوك ... وبعد أن يدفع الطماعون أموالهم للنصاب، يختفي ويبقى الطماع يقلب كفيه على ما ضيّع بسبب جشعه.

وهذا المثل يعبر عنه مثل شعبي جزائري بقوله: «**جَا يَسْعِي، وَدَرْ تَسْعَة**»⁽³⁾. أسماعية: في الدارجة تعني الرح. وَدَرْ: تعني ضيّع، أي أراد أن يربح فضيّع تسعة أعين من رأس ماله. جراء جشعه الذي أعماه، وجعله يسيء التصرف.

12-il faut réfléchir avant d'agir⁽⁴⁾.

ترجمته: يجب أن تفكّر قبل أن تتصرف.

⁽¹⁾ — عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية ، ص100.

(2)-Labbani, idem,P49.

⁽³⁾ — الذكرة الشعبية بيوسعادة.

(4) - Labbani, idem, P 149.

يضرب هذا المثل في حق الذين يتسرعون في أقوالهم، أو أفعالهم، أو أحكامهم، وقد يقعون في الخطأ. فهو ينصحهم بالتروي، والتفكير وعدم التسرع؛ لأن بعض الأمور يجب أن تأخذ حظها من الدراسة، وعمق التفكير. وكثير من الأمثال الشعبية تعبر عن المعنى نفسه منها: «في الثاني السلامة وفي العجلة الندامة»⁽¹⁾ ، ويقال: «العجلة من الشيطان». فكل من تأثّى ولم يستعجل في السيارة مثلاً حافظ على سلامته، وسلامة سيارته، وكثيراً ما نجد هذا المثل مكتوباً على لافتات في الطرقات، تتبه السائقين إلى وجوب التروي والتفكير في سلامتهم أنفسهم، وسلامة الآخرين. وفي معنى الاستعجال ذكر "ابن عبد ربه" في العقد الفريد، في معرض حديثه عن أمثال الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «إن المُنْبَتُ لا أرضاً قطع و لا ظهراً أبقى»⁽²⁾ ، و هذا عندما ذكر الغلو في العبادة، ومعناه: إن المغذّ في السير إذا أفرط في الإغذاذ عطب راحلته من قبل أن يبلغ حاجته، أو يقضي سفره، فشبه بذلك من أفرط في العبادة حتى يبقى حسيراً.

وبعد أن استعرضت مجموعة من الأمثال الأجنبية في اللغات الأوربية الثلاث: الإسبانية والإنجليزية والفرنسية، ولا حظنا التشابه الكبير بينها وبين الأمثال العربية الشعبية الجزائرية -سواء في ذلك ما ثبت تأثرها بالأمثال العربية، أو ما كان تشابها دون إثبات التأثر- فإنه قد يسأل سائل لماذا اخترت أو اقتصرت على هذه اللغات دون غيرها من لغات الغرب أو الشرق؟ والجواب أن هذه اللغات منتشرة في الجزائر أكثر من غيرها بحكم القرب الجغرافي والتبادل التجاري، والهجرات البشرية، والاحتلال الثقافي والاستعمار... والهدف من ذكر هذه العينات هو إثبات التأثر والتأثير والتشابه الملاحظ بين أمثال هذه الشعوب فقط. أما تأثر الأمثال الشعبية الجزائرية بالموروث الثقافي العربي الإسلامي فهذا ما سوف أطرق إليه في إطار ما يسمى بالتناص، فيما يلي:

ثالثاً- تناص الأمثال الشعبية مع القرآن والموروث الثقافي العربي الإسلامي:

لا شك أن الأمثال الشعبية الجزائرية المنطوقة أو المكتوبة بعربيّة عاميّة أو ملحونة قد تأثرت بالموروث الثقافي العربي الإسلامي؛ وذلك أن الشعب الجزائري مسلم، وإلى العروبة

⁽¹⁾ -الذاكرة الشعبية بوسعداء.

⁽²⁾ - ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، شرح وضبط وتزييب وتصحيح، أحمد أمين، آخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م، ج3، ص64.

نسبة: بعضه أصالة وبعضه لغة؛ لارتباط لغته بدينه، هذا الارتباط دفعه إلى حفظ الكثير من النصوص الإسلامية، التي يتطلب فهمها إجادة اللغة العربية، ولا يتأتى له ذلك إلا بدراسة أدب هذه اللغة، ليجيد التعبير بها.

فهذا ابن خلدون يقول: «إنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه، وكثترته من قلته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحفظ... وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع، تكون جودة الاستعمال من بعده. ثم إجادة الملكة من بعدهما، فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترقي الملكة الحاصلة؛ لأن الطبع إنما ينسج على منوالها، وتتمو قوى الملكة بتغذيتها... والملكات التي تحصل لها إنما تحصل على التدريج، كما قدمنا؛ فالملكة الشعرية تتضاً بحفظ الشعر، وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسل، والعلمية بمخالطة العلوم والإدراكات والأبحاث والأنظار...»⁽¹⁾.

فما مدى هذا التأثير في الناحيتين: المعنوية الفكرية الدلالية، واللفظية الشكلية التركيبية؟ وللإجابة عن هذا السؤال رأيت أن أدرس الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة تناصية بينها وبين عناصر الموروث النقافي العربي الإسلامي. ولتحقيق ذلك لا بد من التعريف على قاموس المصطلحات التي توظف في مثل هذه الدراسة، لأن لكل نوع من الدراسة مصطلحاتها التي بها يحلل المعنى، وبها يدرس المبني. ومن هذه المصطلحات : النص والتناص. فما النص، وما التناص؟

1- النص والتناص لغة و اصطلاحا:

-لغة:

جاء في لسان العرب، نص، في مادة: نصص. النص: رفعك الشيء. نص الحديث ينصّه نصاً: رفعه. وكل ما أظهر فقد نص. قال عمر بن دينار ما رأيت رجلاً أنصَّ الحديث من الزهري أي أرفع له وأسند. يقال: نص الحديث إلى فلان : أي رفعه، وكذلك نصصته إليه. ونصّت الظبية جيدها: رفعته. ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة

⁽¹⁾ ابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن خلدون. تاريخ ابن خلدون من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت، لبنان، 1971م، الجزء 1، ص 578.

والشهرة والظهور، والمنصة ما تظهر عليها العروس لثري، ونص الماتع نصاً: جعل بعضه على بعض⁽¹⁾.

أما مفهوم النص اصطلاحاً: فهو عند الأصوليين: يطلق على الكتاب والسنة. وعند الأدباء أثر مكتوب شعراً أو نثراً⁽²⁾.

أما **Texte**: فكلمة من أصل لاتيني **Taxtus** وتعني النسيج، و فعلها **Textere**: ينسج⁽³⁾. أما في الفرنسية؛ فتعريفه في قاموس روبار Robert الفرنسي، النص: مجموعة من الكلمات أو الجمل أو العبارات التي تشكل مكتوباً أو منطوقاً. والنص إنتاج أدبي. كنص مسرحية، أو أغنية⁽⁴⁾ ..

وجاء في كتاب: دراسات في النص والتاصية «والنص في العرف العام هو السطح الظاهري للنتاج الأدبي، نسيج الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بحيث تفرض شكلنا ثابتاً ووحيداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً... والنص جزء من الكلام موضوع هو نفسه في منظور كلامي. إنه إيصال فكر نظري، أو معرفة حول النص يفترض إذاً أن يتواصل مع ممارسة النص بشكل أو بآخر»⁽⁵⁾. ويورد الكاتب تعريف "جوليا كريستيفا" للنص، حيث قالت: «نعرف النص بأنه جهاز نقل لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعاً الحديث التواصلي، نقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع مفهومات مختلفة سابقة أو متزامنة»⁽⁶⁾ ومن هذا المنظور كما يرى محمد الأخضر الصبيحي: أن النص يشمل كل أنواع النصوص المتداولة في المجتمع، بغض النظر عن طولها أو قصرها، كالأمثال والحوارات والمحادثات والخطابات والقصص والروايات وغيرها... ويفرق بين النص والخطاب؛ حيث أن النص يمثل المظهر الشكلي للخطاب، بينما يعني هذا الأخير الممارسة الفعلية الاجتماعية للنص⁽⁷⁾. ومما سبق يمكن عدُّ المثل نصاً وخطاباً أثناء تداوله.

⁽¹⁾ ابن منظور، لسان العرب، المجلد 7، ص 97-98.

⁽²⁾ - المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، 1989م، ص 1200.

⁽³⁾ - مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، 1974م، ص 566.

(4)-Paul Robert , Micro Robert, dictionnaire du Français Primordial, le Robert, Paris, 1984, P 1063.

⁽⁵⁾ - محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتاصية، ترجمة خير البقاعي، ط 1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1998م، ص 32-36.

⁽⁶⁾ - محمد خير البقاعي، المرجع السابق، ص 33.

⁽⁷⁾ - ينظر محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه، ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008م، ص 73.

التناسق:

يرى العديد من الدارسين أن التناسق (L'intertextualité) سمة ملزمة للنصوص بمختلف أنواعها، والمقصود بذلك تداخل وتقاطع النصوص في أشكالها ومضمونها، وهم يجزمون بأنه لا يوجد نص يخلو من أجزاء أو مقاطع من نصوص أخرى، وأبرز هذا الحضور، الاقتباسات والأقوال التي يستشهد بها الكتاب. .. المقصود بالتدخل النصي هنا: الوجود اللغوي، سواء أكان نسبياً أم كاملاً، أم ناقصاً، لنص آخر. وربما كانت أوضاع صور التداخل، الاستشهاد بالنص الآخر، داخل قوسين في النص الحاضر⁽¹⁾.

ولم تكن فكرة تداخل النصوص وترابطها غريبة عن التقاليد النقدية العربية القديمة، بل نجدها متصلة بحديث القدماء عن مجموعة من الأبواب النقدية؛ أهمها السرقات الأدبية، وفي هذا يقول ابن رشيق: «وهو باب متسع جداً لا يقدر أحد أن يدعى السالمة منه»⁽²⁾. وإذا كان الإبداع العربي آخذاً بعده عن بعض، من ناحية المعاني أو من الناحية الشكلية، فإن أبو هلال العسكري يرى:

«أن ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوله من سبقهم»⁽³⁾.

ولعل هذا ما يفسر حرص النقاد العرب على التتويه بدور الحفظ والرواية، والتسبّب بأساليب الفحول في تكوين الشعراء المجيدين، حتى تتسع حافظتهم، و تترسخ النصوص في ملائكتهم، بحيث يسهل النظم على منوالها بعد نسيانها.

فالنسيان إذاً عملية أساسية؛ إنه يعني الهضم فالتمثيل فالاستيعاب، والشخص الحفاظ الذي لا يستطيع أن ينسى، لا يمكنه أن يكون مبدعاً، قد يصبح أكاديمياً كبيراً، ولكنه لا يمكن أن يكون شاعراً كبيراً. ولذلك فالتربيّة الحديثة تعتمد المقاربة بالكافاءات، التي تعني القدرة على توظيف المكتسبات في وضعيات جديدة، بل القدرة على التكيف مع الوضعيات المختلفة المستجدة.

⁽¹⁾ عبد المطلب، محمد ، قضايا العدالة عند عبد القاهر الجرجاني، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م، ص 152.

⁽²⁾ ابن رشيق القمياني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقدّه، تحقيق محمد قرقاز، ط٢، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1994م، ج 2، نص 1037.

⁽³⁾ أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، د/ط، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986م، ص 196.

2- فكرة التناص عند النقاد العرب القدماء:

التناص: مصطلح جديد لظاهرة أدبية ونقدية قديمة؛ فظاهرة تداخل النصوص في الثقافة العربية موجودة بكثرة؛ لأن ذاكرة الإنسان تحوي كل ما مرّ به أو سمعه أو قرأه، ويعيد مزجه وتركيبه في صور و كيفيات تقترب أو تبتعد، تختلف أو تتفق مع بعض النماذج السابقة، في الشكل أو في المضمون أوفي كليهما.

فالتأمل في طبيعة التأليف النقدية العربية القديمة، يعطينا صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناص فيه. فنص ابن خلدون السابق، الذي تكلم عن الحفظ والنسيج على المنوال، يدرج ضمن عملية التناص المبكر عند العرب، حتى وإن لم يسمه بهذا الاسم، فهذا لا يعني أنه لم يكن واعيا بنظرية التناص، التي تناولها النقاد المعاصرون، فكلامه عن قراءة وحفظ الجيد من الكلام، ثم نسيانه، ليستقر في وعيه، ثم اللجوء إليه للأخذ منه عند الكتابة أو نظم الشعر، ما هو إلا دعوة لتوظيف بعض هذا المخزون في مواقف جديدة وظروف مختلفة، بكيفيات تشبه في شكلها أو في مضمونها، ما كان قد هضمه في أوقات سابقة.

و اقتفي كثير من الباحثين المعاصرین العرب أثر التناص في الأدب القديم وأظهروا وجوده فيه تحت مسميات أخرى، وبأشكال تقترب من المصطلح الحديث. وقد أوضح "محمد بنيس" ذلك، وبين أن الشعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية. وضرب مثلاً للمقدمة الطالية، التي تعكس شكلاً لسلطة النص: «فكون المقدمة الطالية تقتضي ذات التقليد الشعري من الوقوف والبكاء وذكر الدمن، فهذا إنما يفتح أفقاً واسعاً لدخول القصائد في فضاء نصي متشابك، ووجود تربة خصبة لتفاعل النصي»⁽¹⁾.

وهذه العلاقة علاقة التقليد أوأخذ الشعراء بعضهم عن بعض لاحظها الجاحظ، وعدّ الشعراء عالات على بعضهم البعض، وأن الإبداع الذي يحاولون التميز به، قد يكون نسبياً. «لا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيبٍ تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في معنى بديع مخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء، من بعده أو

⁽¹⁾ - محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بياته وإبدالاتها، ج 3، الشعر المعاصر، دار توبقال، المغرب، 1990م، ص 182.

معه، إن هو لم يَعْدُ على لفظه فيسرق بعشه، أو يَدْعِيه بأمره؛ فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكاً فيه، كالمعنى الذي تتنازعه الشعراة، فتختلف ألفاظهم وأعراض أشعارهم، ولا يكون أحد أحق بذلك المعنى من صاحبه⁽¹⁾. ويقول الجاحظ في موضع آخر: «قالوا: لم يَدَعَ الأول للآخر معنى شريفاً ولا لفظاً بهيّاً إلا أخذه، إلا بيت عنترة: فترى الذباب بها يغنّي وحده == هزجاً ك فعل الشارب المترنّم»⁽²⁾.

ويبرهن العسكري على صحة مقوله الجاحظ بقوله: «وقد يقع للمتأخر معنى سبقه إليه المتقدم من غير أن يلم به، ولكن لما وقع للأول وقع للآخر، وهذا أمر عرَفْتُه من نفسي فلست أمتري فيه، وذلك لأنّي عملت شيئاً في صفة النساء: سَفِرن بدوراً وانتقبن أهله. وظننت أنني سبقت إلى هذين التشبّهين في نصف بيته، إلى أن وجدته بعينه لبعض البغداديين، فكثُر تعجبي، وعزّمت على ألا أحكم على المتأخر بالسرقة من المتقدم حكماً حتماً»⁽³⁾.

يرى عبد المالك مرتاض: أن أبا عثمان الجاحظ يؤكّد أن هناك معانٍ مشتركة أو اغتالت مشتركة بفعل إلحاد الشعراء عليها، ولهجتهم بها، واحتفالهم عليها؛ فإذاً لا ديار منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه، ونلاحظ أن الجاحظ لم يقع فيما كان يسميه النقاد الأقدمون، وخصوصاً "عليّاً الجرجاني" (السرقات). إن هذا المصطلح الأخلاقي القضائي مزعج ومؤذٍ، ولا يستقيم به الطريق للنقد في أي عهد، إذ كانت السرقة أمراً محرّماً، وسلوكاً مشيناً في كل الأديان والشرائع والقوانين الوضعية⁽⁴⁾.

والشاعر أو الكاتب عندما تظهر في منتوجه آثار نصوص سابقة، فهو قد استوحاهما علق في ذاكرته، واستمدّها من شعوره أو لا شعوره، وقد لا يقصد السرقة؛ لأنها -أي آثار النصوص السابقة- دخلت في إطار المعاني العامة، واللغة المشتركة، وقد لا يتذكر متى قرأها أو من أصحابها.

⁽¹⁾ - الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1385هـ - 1965م، ج 3، ص 312-311.

⁽²⁾ - الجاحظ، البيان والبيان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 7، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1998م، ج 3، ص 326.

⁽³⁾ - أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 197.

⁽⁴⁾ - ينظر: عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات: تحليل انتروبولوجي / سيميائي لشعرية نصوصها، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص 234.

ويقول عبد المالك مرتاض: إن الأديب كثيراً ما لا يعتمد - بالتجربة والممارسة - هذه السرقة، ولا يقصد إليها، وربما لا يريد لها أصلاً، ولكن سلوكه يكون في الغالب من باب (وقوع الحافر على الحافر)، أو من باب تشابه المواقف، فتشابه معها الألفاظ: كالبكاء على الأطلال، وكالنوح على الديار، وكالحنين إلى الريوع الدارسة، وكالوقوف على الدمن البالية. أو من باب تماثل العواطف لحب الشعراً لحبيبات كنْ يعيشن في تلك الديار التي لم يبق لهم منها إلا آثارها، بعد أن تحمل عنها أهلها، و زايلها أصحابها... فقد كان ذلك واقعاً اجتماعياً محظوماً، وكان على الشعراً أن يخوضوا فيه، ويصورو تجاربهم عنه، ولم يكن من الإنصاف أن يسكت اللاتحقون عنه لمجرد أن السابقين تناولوه مع استمرار الوضع، وتشابه الحال^(١) ... ومن تنبهوا إلى قضية التناص دون تسميته، أبو هلال العسكري في كتابه: الصناعتين. حيث يقول: «ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدّمهم والصبّ على قوالب من سبقهم... وإنما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-: لو لا أن الكلام يعاد لنفسه»^(٢). وقضية التناص أو تأثر الشعراً بعضهم ببعض كانت منذ العصر الجاهلي.

يرى عبد المالك مرتاض: أن تأثير امرئ القيس فيمن عداه من شعراء العرب الأقدمين واضح ظاهر، ويبدو أن الشعراء الأقدمين لم يكونوا يترجون فيتناول بعض الأبيات أو مصاريع منها، أو أجزاء من مصاريعها، على سبيل التضمين، أو قل: بلغة أهل العصر، على سبيل التناص؛ فإذا الواحد منهم لا يرعوي في أن يكرر ما كان قاله غيره دون أن يلفي في ذلك حرجاً أو حوباً⁽³⁾. ويمثل "عبد المالك مرتاض"⁽⁴⁾ لآثار امرئ القيس في الشعر العربي: جاهليّه، وإسلاميّه، وأمويّه.

⁽¹⁾ — عبد الملك مرتاب، *السبع المعلقات*، ص 235.

⁽²⁾ — العسكري، الصناعتين، ص 196.

⁽³⁾ — ينظر: عبد الله مخاض، *السبع العلاقات*، ص 236.

*-الطباطبائي: حمله، طلاقه، عذرته، إلخ.

⁽⁴⁾ — سنا : عمال الائمه و علمائهم والدعاة والفقهاء

یحضر. عبد احمد مرباط

ومن النصوص المتداولة، ما يلي:

قال امرؤ القيس:

ألا عم صباحا أيها الطلال البالي == وهل يعمن من كان في العصر الخالي.

وقال عنترة:

يا دار عبلة، بالجواء، تكلمي == وعمي صباحا، دار عبلة، واسلمي

وقال زهير:

فلما عرفت الدار قلت لربعها == ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم

و التناص: في الأبيات السابقة لشاعر جاهلين. هو في تحية الصباح: عم، عمي، انعم.

وفي الدار والأطلال .

ويقول امرؤ القيس:

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش == إذا هي نصته، ولا بمعطل**.

ويقول قيس بن الخطيم:

وجيد كجيد الرئم حال، يزبنه == على النحر منظوم، وفصل زينجـدـ.

التناص في بيت الشاعر الجاهلي، وبيت الشاعر الإسلامي: (وجيد كجيد الرئم)

ويقول امرؤ القيس:

أغرّك مني أن حبك قاتني == وأنك مهما تأمرني القلب يفعل

ويقول جرير:

أغرّك مني أنما قادني الهوى == إليك، وما عهد لكن بدائم

و التناص في بيت امرؤ القيس الجاهلي، وبيت جرير في العهد الأموي: (أغرّك مني).

ويرى عبد القادر بقشى: «أن عملية الإبداع تتحكم فيها فعاليتان هما: الكتابة

والقراءة، فالنص الأدبي بهذا الاعتبار كتابة وقراءة في آن؛ وكونه كذلك يعني أن كل قراءة

له لا يمكن إلا أن تكون إعادة كتابة لجميع العناصر اللغوية، وغير اللغوية المساهمة في

بنائه»⁽¹⁾.

⁽¹⁾ عبد القادر بقشى، التناص في الخطاب النبدي البلاغي، دراسات نظرية تطبيقية، أفريقيا الشرقي، المغرب، 2007م، ص 19.

ويترتب على هذا أن أساس العملية الإبداعية إنما هو التوليد، وأن النص الأدبي ما هو إلا كتابة من الدرجة الثانية، ولعل هذه الفكرة، أي – تواطؤ الشعراء على المعاني الشعرية – هي التي عبر عنها عنترة بن شداد بقوله:

هل غادر الشعراء من متقدم == ألم هل عرفت الدار بعد توهِّم⁽¹⁾.

يقول: هل ترك الشعراء موضعًا مسترقدًا إلا وقد رقعوا وأصلحوه؟ وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار، أي لم يترك الشعراء شيئاً يصاغ فيه الشعر إلا وقد صاغوا فيه؛ وتحرير المعنى: لم يترك الأول للآخر شيئاً، أي سبقي قوم من الشعراء لم يتركوا لي مسترقدًا أرقعه ومستصلاحًا أصلحه.

فعنترة يرى: أن الشعراء قبله لم يتركوا شيئاً إلا رجعوا نغماتهم بإنشاء الشعر، وإن شاده في وصفه ورصفه.

هذا الرأي كان قد رأه أيضًا - امرؤ القيس، وهو من أقدم شعراء الجاهلية حين قال عوجا على الطلل المُحيل لعلنا == نبكي الديار كما بكى ابن حمام.

فهو يحيل على مضمون فكرة الشاعر "ابن حمام" ، البكاء على الديار، وهو قد أومأ إلى شاعر منقرض السيرة، لا يعرف عنه النقاد الأقدمون شيئاً، و لا سمعوا شعره الذي بكى فيه⁽²⁾ . مما يدل على أن امرأ القيس قد أخذ عمن سبقه.

التناص في النظرية النقدية الحديثة:

تشعبت قضایاه تحت مصطلح *Inertextualité* وهي كلمة مركبة من *inter* و *Textualité* وترجمت إلى العربية بـ: التناص، والتدخل النصي، أو التفاعل النصي وغير ذلك.

يرى عبد القادر بقشى: أن كتابات "جيرار جينيت" الأدبية من أعمق التأصيلات النظرية، التي عرفتها النظرية النقدية الحديثة، فقد حاول من خلال كتابه: *أطراص Palimpsestes* رصد جميع العلاقات النصية التي بإمكان النصوص أن تأخذها في

⁽¹⁾ – الزروزني، شرح المعلقات السبع، ص 197.

* – المتقدم: الموضع الذي يسترقد ويستصلاح لما اعتراه من الوهن والوهي، والتزدَم: أيضًا مثل الترجم، وهو ترجيع الصوت مع تحزين.

⁽²⁾ – ينظر: عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات، ص 236.

حوار بعضها مع البعض الآخر، وأضحت مراجعات "جيرار جينيت" الشاملة لمفهوم التناص متصلة بإطار أعم وأشمل هو المتعاليات النصية. هذا المفهوم الذي يتجاوز "جامع النص" إلى كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة، أو ضمنية مع نصوص أخرى⁽¹⁾.

وبناء على ذلك قسم المتعاليات النصية إلى خمسة أنواع من العلاقات، ثم رتبها وفق نظام تصاعدي قائم على التجريد، والشمولية والإجمال، وهي:

الأول: التناص *intertextualité* صاغته في البداية "جوليا كريستيفا"، ثم أعاد جينيت صياغته، فاعتبره بمثابة حضور متزامن بين نصين، أو عدّة نصوص، أو الحضور الفعلي لنص داخل نص آخر بواسطة السرقة *Plagiat*، والاستشهاد *citation*، ثم التلميح *L'allusion*.

الثاني: المناص *Paratexte*: ويشمل جميع المكونات التي تهم عتبات النص، نحو: العنوان والعنوان الفرعى، والعنوان الداخلى، والدبباجة، والحواشى والرسوم، ثم نوع الغلاف، إضافة إلى كل العمليات التي تتم قبل إنتاج النص، من مسودات وتصاميم وغيرها.

الثالث: الميتانص *Metatextualité*: ويتعلق بكل بساطة بعلاقة التقسير، والتعليق التي تربط نصاً آخر يتحدث عنه، دون الاستشهاد به، أو استدعائه، وهي علاقة غالباً ما تأخذ طابعاً نقدياً.

الرابع: معمارية النص *Archétextualité*: أي النوع الأدبي الذي ينتمي إليه نص ما؛ لأن تمييز الأنواع الأدبية من شأنه أن يوجه أفق انتظار القارئ أثناء عملية القراءة.

الخامس: التعلق النصي *Hypotextualité*: وهو النوع الذي خصّه "جينيت"، بالدراسة في كتابه: أطراص. ويقصد به كل علاقة تجمع نصاً (ب) *hypertexte* بنص سابق (أ) *Lalittérature hypotexte*. وقد وضع جينيت مفهوماً عاماً، أسماه بالأدب من الدرجة الثانية. au second degré⁽²⁾.

أما الباحثة "جوليا كريستيفا" فتعتبر من الأوائل الذين أخذوا بمبدأ التحويل *Transposition* بوصفه آلية من الآليات النقدية الأساسية التي يقوم عليه التناص. فهي

⁽¹⁾ — عبد القادر بقشى، المرجع السابق نفسه، ص.21.

⁽²⁾—Voir Gérard Genette, *palimpsestes*, La littérature au Second degré ; Ed ; Seuil , 1982, P : 8-12.

تقول: « إنه عبارة عن لوحة فسيفسائية، وأن كل نص هو امتصاص وتحويل وإثبات ونفي لنصوص أخرى»⁽¹⁾.

وأخذ "لوران جيني"، بمفهوم التحويل، واعتبره الأساس الأول لكل تفكير في هذا السياق وهكذا عرّف التناص بقوله:

« عمل تحويل وتشرب لعدة نصوص يقوم بها نص مركزي، يحتفظ بزيادة المعنى»⁽²⁾.
والتحويل عنده يتخد أشكالاً معينة؛ إذ قد يكون تذكيراً أو تلميحاً، أو اقتباساً لوحدة نصية مجردة، ومنتزعة من سياقها الأصلي، أو استلهاماً بتحويل اتجاه معنى النص⁽³⁾.
ويعد التناص بالنسبة للشاعر بمثابة الهواء والماء، والزمان والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما، ولا عيش له خارجهما، وعليه؛ فإنه من الأجدى أن يبحث عن آليات التناص لأن يتجاهل وجوده هروباً إلى الأمام⁽⁴⁾. فإن تاج الخطاب أو تلقيه يعتمد على الخلفية المعرفية ومعنى هذا أن الذاكرة تقوم بدور كبير في العمليتين معاً، ولكنها لا تستدعي الأحداث والتجارب السابقة كلها في تراكم وتتابع؛ وإنما تعيد بناءها وتنظيمها، وإبراز بعض العناصر منها، وإخفاء أخرى تبعاً لمقصدية المنتج والمتنقي.

موقع التناص وأهميته:

يرى محمد مفتاح، أن التناص أول ما يظهر في المضمون؛ لأننا نرى الشاعر يعيد إنتاج ما تقدمه، وما عاصره من نصوص مكتوبة وغير مكتوبة (عالمة)، أو (شعبية)، أو يتلقى منها صورة، أو موقفاً درامياً، أو تعبيراً ذا قوة رمزية، ولكننا نعلم جميعاً أنه لا مضمون خارج الشكل، بل إن الشكل هو المتحكم في المتناثص والموجه له، وهو هادي المتنقي لتحديد النوع الأدبي، ولإدراك التناص، وفهم العمل الأدبي تبعاً لذلك⁽⁵⁾.

و التناص يتيح لنا الاستقادة من آلياته المختلفة، في دراسة المعارضة الشعرية، حيث تبرز من خلاله أثر النصوص السابقة أو المعاصرة- معروفة المؤلف أو مجهولته- في

⁽¹⁾ - كريستينا جولي، علم النص ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، ط2، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1977، ص 79.

⁽²⁾ - نقلًا عن عبد القادر بقشى، المرجع السابق، ص 25. Laurent Jenny, La stratégie de La forme, p 262.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁽⁴⁾ - ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص 125.

⁽⁵⁾ - ينظر: محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 129-130.

النص المستحدث أو حتى في التناص الحادث بين إنتاجات أديب ما في فترات حياته الأدبية نثراً أو شعراً.

والتناص يتيح لنا تجاوز بعض أنساق المعرفة النقدية القديمة، التي تسيء إلى الطبيعة الاختلافية لهذه الظاهرة. «إذا كان التناص يهدف إلى خلق فضاء للترابط والتواصل والتفاعل بين النصوص الأدبية وبقى الخطابات الأخرى؛ فإنه يقترح لذلك تصوراً جديداً لا يسمح بالنظر إلى علاقة النص اللاحق بالنص السابق وفق مسار تنازلي؛ أي تأثير السابق في اللاحق، كما هو الشأن في الشعرية العربية القديمة؛ ولكن ينظر إلى العلاقة بينهما وفق مسار تصاعدي؛ أي بالنظر إلى تأثير اللاحق في السابق، وجعله مستمراً بمكونات قديمة جديدة في آنٍ»⁽¹⁾.

يتضح مما سبق أن التناص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين؛ إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي، وسعة معرفته، وقدرته على الترجيح. وهو؛ إما أن يكون اعتباطياً يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي. وإما أن يكون واجباً يوجه المتلقي نحو مظانه. و التناص محكوم بالتطور التاريخي إنْ في مواقف المتصادين أو في مواقف المهتمين من الدارسين، فالقدماء على مختلف أجناسهم وأمكانتهم وأزمنتهم، كان يغلب عليهم الدعوة إلى اتباع سنن السلف؛ فالخروج عليه إبداع وابداع، والمبدع هو الله وحده، والمبتدع ضال. ومع هذا فإنهم كانوا يتبعون مؤلفات الشعراء والكتاب ليظهرروا سرقاتهم.

إن هذه السننية الثقافية اتخذها بعض الباحثين من المستشرقين سنداً ليسموا الثقافة العربية بالسكونية والجمود وعدم التطور، والثقافة الغربية بالحيوية وبغير ذلك من الأوصاف الإيجابية؛ غير أن الدراسات الحديثة جاءت لترد الأمر إلى نصابه، وتنتظر إلى آثار القدماء في سياقها. إذ كل الآثار الوسيطة مهما كانت جنسية أصحابها تقوم على دعامتين أساسيتين هما: 1- التوالي والتناصل، ذلك أننا نجد أثراً أدبياً أو غيره يتولد بعضه من بعض، وتقلب النواة المعنوية الواحدة بطرق متعددة وفي صور مختلفة.

2- التواتر أي إعادة نماذج معينة وتكرارها لارتباطها بالسنة، وبالسلف، ولقوتها الإيحائية⁽²⁾.

⁽¹⁾ عبد القادر بقشى، المرجع السابق نفسه، ص 51.

⁽²⁾ ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص 131-134.

دراسة تناصية تطبيقية:

وإذا كان مفهوم التناص باختصار، هو تأثر نص جديد بنص أو بنصوص سابقة أو معاصرة؛ وذلك بظهور هذا الأثر في مبناه أو معناه، أو فيما معا، بتوظيف مفردات أو صور أو أساليب، أو تخريج المعنى بكيفية تقل أو تساوي أو تفوق النموذج المؤثر من الناحية الشكلية أو المعنوية. وإذا لم يكن هناك نص نثري - بشري - وجد من العدم، فإن الأمثال الشعبية الجزائرية - لا شك - قد تأثرت بالมوروث الثقافي العربي الإسلامي؛ لأن هذا الموروث هو الخلفية الثقافية التي انطلقت منها.

وقد يكون هذا التأثر ظاهرا من خلال المفردات أو الألفاظ الموظفة في التركيب بمعانيها في التضمين، وقد يكون خفيا يستخرج من فهم المعنى.

وللوصول إلى ذلك تم اختيار مجموعة من الأمثال التي رأيت أنها في تعاشق نصي مع عناصر الموروث الثقافي العربي الإسلامي. والهدف ليس الموازنة أو المفاضلة بين الأمثال الشعبية وغيرها من النصوص؛ ولكن الهدف إبراز المعاني المشتركة، والإشارة إلى نوع التناص، ظاهر أو خفي؛ هل المقومات المشتركة لفظية واضحة، أو هي معنوية تقهم من السياق؟ وهذا بقصد الإجابة عن سؤال هل الأمثال الشعبية امتداد للأمثال العربية؟ وهل معانيها متضمنة في الموروث الثقافي العربي الإسلامي؟

وأشكال التناص التي أوردتها هي التناص مع القرآن الكريم، ثم مع الحديث النبوى الشريف. ثم مع الشعر العربي، ثم مع الأمثال العربية.

أ- تناص الأمثال الشعبية مع القرآن الكريم:

هناك الكثير من الأمثال الشعبية التي عندما نسمعها، تدعى إلى أذهاننا معان١ موجودة في القرآن الكريم؛ إما عن طريق ظهور مفهوم لفظي مباشر، أو مقوم معنوي مذكور عن طريق الترافق، أو التأويل، أو التفسير. أو تدعى إلى أذهاننا مفاهيم لها علاقة تبعية وترتبط بما سمعنا، فلو نطقت بكلمة: (كرم) لتداعى إلى ذهن السامع بعض المعاني كإنفاق يسر، ضيف، بخل، طيبة، رحمة.. وهكذا فالتداعي يقوم بدور كبير في فهم الخطاب، وهو يعتمد على ثقافة المتلقى وتجربته. ومن الأمثال التي فيها تناص مع القرآن الكريم ما يلي:

1- المثل: «عَدْ ارْجَالَكَ وَاسْقِيَ الْمَاء»^(١).

ويقال بصيغة: عد ارجالك واقلب الماء. ومعناه احص عدد رجالك، وانظر هل يكفي للتغلب على الآخرين، من أجل سقي الماء قبلهم. واقلب بالقاف المعقوفة: حول، أي حول ماء الوديان أو السوافي إلى أرض فلاتتك، حارما غيرك منها. والماء له أهمية كبيرة في الحياة؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(٢). يعني أن الماء سبب الحياة؛ فالنزاعات بين الفلاحين في الأرياف عادة ما تنشأ بسبب الماء، بل الصراعات والحروب بين القبائل، أو بين الدول في كثير من الأحيان يكون سببها مصادر المياه. ولذلك فالاستيلاء على الماء يتطلب القوة،

الآية: قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءً مَدِينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذَوَّدَانِ قَالَ مَا خَطَبَكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يَصْدِرَ الرَّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظُّلُمَّ﴾^(٣).

وفي التفسير^(٤)، لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء؛ لأنّ امرأتان لا نطيق أن نسقي، ولا نستطيع أن نزاحم الرجال. فإن صدرتا سقينا مواشينا مما أفضلت مواشيهما في الحوض. فموسى عليه السلام سقى للبنتين لقوته، ولضعفهما على مزاحمة الناس.

-الناص: في سقي الماء الذي يتطلب القوة للفوز به.

2- المثل: «الكلام الحلو يرضع اللبة»^(٥).

ويقال أحياناً: اللسان الحلو يرضع اللبة. إن الكلام إذا حلا استأنست له أضرى الحيوانات كاللبوة أنى الأسد، وأعصى الناس وأكثرهم إرهاباً.
قال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قُولًا لِيَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشِي﴾^(٦).

^(١) -الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعدة.

^(٢) - سورة الأنبياء، آية 30.

^(٣) - سورة القصص، آية 24.

^(٤) - البغوي، تفسير البغوي، المجلد 6، ص 200-201.

^(٥) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة عبد الرحمن حاج صالح، دار الحضارة، د/ط، د/ت ، ص 18.

^(٦) - سورة طه، آية 44.

أمر الله نبيه موسى - عليه السلام - أن يخاطب هو وأخوه هارون، فرعون باللين لأهمية هذا الأسلوب اللين في الإقناع. وفي التفسير⁽¹⁾، دارياه، وارفقا معه، قال ابن عباس: لا تُعنّفا في قولكما. وقال مقاتل: يعني القول اللين: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكُ إِلَى أَنْ تَرْكِي وَأَهْدِي إِلَيْكَ رِلْكَ فَتَخْشِي﴾⁽²⁾

-الناتص: في الكلام والقول اللين الحلو.

3- المثل: «اللي ما عندو شاهد كذاب»⁽³⁾.

كثيراً ما يدعى الناس بعضهم على بعض في قضايا اجتماعية أو اقتصادية، أو في العهود، و الديون أو غيرها. وهناك من ينكر أو يخون العهد، فيصير على المدعى إثبات دعواه. ومن وسائل الإثبات الشهود. فمن لم يأت بالشهود يعد كاذبا.

الآية: قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَادَاتٍ فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَاتِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾⁽⁴⁾.

وفي التفسير، نزلت هذه الآية في حديث الإفك. أي لو أن الذين زعموا هذا الحديث جاءوا عليه بأربعة شهادة، وماداموا لم يأتوا بالشهاداء فهم كاذبون. فإن قيل: كيف يصيرون عند الله كاذبين، إذ لم يأتوا بالشهاداء، ومن كذب فهو عند الله كاذب، سواء أتي بالشهاداء أم لم يأت. قيل (عند الله) أي في حكم الله، وقيل معناه: كذبوهم بأمر الله⁽⁵⁾.

-الناتص: بين المثل والآية: تكذيب من لم يأت بشاهد.

4- المثل: «اللي تكل على الله و اذراعو أولادو ما جاعو»⁽⁶⁾.

أي الذي يتوكل على الله، ثم يبحث عن العمل، ويعمل مهما كان هذا العمل؛ فإن الله يعينه على كسب قوت أولاده؛ فلا يتعرضون للجوع، وفيه حث على العمل وعدم التواكل.

الآية: قال الله تعالى:

⁽¹⁾ - البغوي، تفسير البغوي ، الجلد5،ص 274.

⁽²⁾ - سورة النازعات، آية 18-19.

⁽³⁾ - راجح خدوصي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، دار الحضارة، البليدة، 1997، ص 134.

⁽⁴⁾ - سورة النور آية 13.

⁽⁵⁾ - البغوي، تفسير البغوي، الجلد 6، ص 21.

⁽⁶⁾ - راجح خدوصي، المرجع السابق نفسه ، ص 136.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِبَهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعَمَرِ أَمْرٌ هُوَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾⁽¹⁾.

ومعناه: يتقي الله فيما نابه، كفاه ما أهله. و(بالغ أمره) منفذ أمره، ممض في خلقه
قضاءه. قال مسروق في هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ بِالْعَمَرِ أَمْرٌ)، توكل أو لم يتوكل، غير أن المتوكل
عليه، يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا.

-النهاص: في التوكل على الله.

5- المثل: «الصابر جابر ومن رحمة الجواب ينال»⁽²⁾.

الصبر صفة حميدة، بها ينال الإنسان مبتغاه؛ فالصبر على القيام بالطاعات وأعمال
الخير المختلفة، والصبر على المعاصي بتجنبها مهما كانت الإغراءات، والصبر على
الشدائد، والصبر على المرض. كل هذا وغيره، يجبر الله به عليه، أي يكفيه حاجته وينال
رضا الله وهو الجواب.

-الآية: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَن يَتَقَّ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽³⁾.

جاء في التفسير، إنه من يتق بأداء الفرائض واجتناب المعاصي (ويصبر) عمّا حرم
الله عز وجل عليه. قال ابن عباس: يتقي الزنا ويصبر عن العزوبة، وقال مجاهد: يتقي
المعصية، ويصبر على السجن. فإن الله لا يضيّع أجر المحسنين. والتوجيه عام لأي إنسان
يتصرف بالتقى والصبر، لا يضيّع الله أجره.

-النهاص: في الصبر، ونواول الأجر وعدم ضياعه.

6- المثل: «هَبُو خَيْرٌ مِّنْ صَبُو»⁽⁴⁾.

يقال هذا المثل في نهاية الشتاء وبداية الربيع، عن حالة الطقس؛ فهم قد لاحظوا
هبوب الرياح وشتدادها وتواصلها لعدة أيام؛ لأنها تلقي الأشجار، عندما تشرع أزهارها تتفتح.
فالرياح مفيدة أكثر من المطر في هذه الفترة. ويقال لمن يطلب المطر ويتندر من الريح.

-الآية: قال الله تعالى:

⁽¹⁾ سورة الطلاق، آية 3.

⁽²⁾ رابح خدوس، المصدر السابق نفسه، ص 88.

⁽³⁾ سورة يوسف، آية 90.

⁽⁴⁾ الناكرة الشعبية بمقطعة بوسعدة.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لِوَاقْحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمْ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾^(١).

جاء في التفسير، أي حوالٍ؛ لأنها تحمل الماء إلى السحاب، وهو جمع لاقحة. يقال ناقة لاقحة إذا حملت الولد. وقال أبو عبيدة: أراد بالواقح، الملحق واحدتها ملقحة؛ لأنها تلقي الأشجار^(٢).

-النَّاصِ: هبوب الرياح وتلقيحها الأشجار.

7 - المثل: «الباجل للراجل»^(٣).

الباجل من التبجيل، والاحترام، الذي يجب للرجل، ومنه تفضيله على الأولاد وعلى المرأة في: الأكل والشرب، والفراش واللباس وغير ذلك، وعادة ما تقول المرأة هذا المثل لأنبائها أو بناتها، وتحثهم على العمل به؛ وذلك لأن الرجل يبذل مجهودات أكبر من المرأة والأولاد. وهو المنفق عادة.

- الآية: قال الله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرْجَةً وَاللهُ أَعْلَمُ حَكِيمٌ﴾^(٤).

قال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر، وأنفق عليها من المال. وقال قتادة: بالجهاد، وقيل بالعقل، وقيل بالشهادة، وقيل بالميراث، وقيل بالديّة، وقيل بالطلاق؛ لأنه يبدى الرجل، وقيل بالرجعة. وقال سفيان بن أسلم: بالإمارة. وقال القمي: وللرجال عليةن درجة معناه: فضيلة الحق^(٥).

-النَّاصِ: تفضيل الرجال على النساء.

8 - المثل: قال المجنوب: «كيد النسا كيدين، وكيدهم يا حُزُونِي -

راكبة على ظهر السبع، وتقول لحدا يأكلوني»^(٦).

والحداء أحد الطيور الجارحة، والمثل يصور كيد المرأة ونفاقها بادعائهما الخوف من الحدأة بينما هي راكبة الأسد الضاري، بلا خوف ولا رعب.

^(١) سورة الحجرات، آية 2.

^(٢) - البغوي، تفسير البغوي، المجلد 4، ص 375.

^(٣) - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعداء.

^(٤) - سورة البقرة، آية 228.

^(٥) - البغوي، تفسير البغوي، المجلد 1، ص 269.

^(٦) - عبد الرحمن رياحي، قال المجنوب، ط 1، على حساب المؤلف، الجزائر، وكيل التوزيع مكتبة الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود، 2000م، ص 74.

-الآية: قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دِبْرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنْ إِنْ كَيْدِكُنْ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾

وفي تفسير القرطبي: «الكيد هنا المكر والحيلة، وعظيم لعظم فتنهن، واحتياجهن للخلاص من ورطتهن. وقال مقاتل بن يحيى بن كثير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّ كَيْدَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾»⁽²⁾.

وقال: إِنْ كَيْدِكُنْ عَظِيمٌ»⁽³⁾.

-التناص: في كيد النساء عظيم.

9- المثل: «كلمة الصباح إذا تبدلت العشية تردد المسلمة يهودية»⁽⁴⁾.

إن أقبح الألقاب للمسلم أو المسلمة، هي أن تلقب باليهودية، حتى لا يرمينا الناس بذلك، فعلينا بالوفاء بالوعود، وبكل ما تعهدنا به مع غيرنا. هذا معنى المثل.

-الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنَا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمْيَنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾⁽⁵⁾.

وفي التفسير، ذلك الاستحلال والخيانة في مال العرب، أي ليس علينا إثم ولا حرج؛ لأن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا؛ لأنهم ليسوا على ديننا، ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم⁽⁶⁾. واليهود مشهورون بنقض العهود، وبخاصة مع غير اليهود.

-التناص: اليهود ونقض العهود.

10- المثل: «يُقُولُ لِلْكَلْبِ هُشْ، وَيُقُولُ لِلْخَايِنِ خُشْ»⁽⁷⁾.

⁽¹⁾—سورة يوسف، آية 28.

⁽²⁾—سورة النساء، آية 76.

⁽³⁾—القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م، 5، ج، 9، ص 175.

⁽⁴⁾—قادة بوتارن. الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 186.

⁽⁵⁾—سورة آل عمران ، آية 75.

⁽⁶⁾—البغوي، تفسير البغوي، المجلد 2، ص 56.

⁽⁷⁾—عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 156.

المثل يقال في ذي الوجهين، المنافق، كما يقال في من يثير النزاعات بين الناس فهو مثل من يقول للكاب اهم على السارق، ويقول للسارق: خش . وهي بمعنى ادخل ولا تخش شيئا.

الآية: قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾^(١).
يظهرون لك الإيمان وليس في قلوبهم، والله أعلم بما يخفون وما يكتمون. وهذه صفة المنافقين، الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر.

-الناس بين المثل والآية: في صفة النفاق، والتناقض بين المظهر والمخبر.

11- المثل: «شوية لربى، وشوية لقلبي»^(٢).

ويقال بصيغة أخرى: شوية للروح وشوية للوح. يعني هذا المثل أن أعمال الإنسان ليست كلها لوجه الله، ومتربعة عن كل غرض وأنانية. ويورد المؤلف قصة هذا المثل التي نقلها عن ابن شنب. قائلاً: يحكى أن رجلاً متديناً مرّ يوماً بدمكان حذاء، وهو يرتل بعض القصائد الدينية في الحمد لله، والصلوات على رسوله-صلى الله عليه وسلم- فتوقف الرجل يسمع منه، ثم بارك فيه هذه العناية بالدين، ثم بعد أيام مرّ من جديد؛ فإذا بالحذاء يتربّن بأغنية دنيوية، فتعجب الرجل وعاتبه على ما فعله؛ فأجابه الحذاء بالقول الذي ذكرناه، فذهب مثلاً. وخلاصة القول: إن الإنسان لا يعلو أن يكون ملكاً، و لا هو في أصله من جنس الشياطين. ويقال هذا المثل في الحث على عدم التطرف لا في الدين ولا في الدنيا، بل على الإنسان أن يعمل لآخرته، ولا ينسى دنياه ومعيشته.

الآية: قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغُ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسِ نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٣).
وفي التفسير، اطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة؛ وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم الله عليك، وتتفقه في رضا الله تعالى، ولا تنس نصيبك من الدنيا. قال مجاهد وابن زيد: لا تترك أن تعمل في الدنيا للأخرة، حتى تتجو من العذاب؛ لأن حقيقة نصيب الإنسان

^(١) سورة آل عمران، آية 167.

^(٢) قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 230.

^(٣) سورة القصص، آية 77.

من الدنيا أن يعمل لآخرة. وقال السدي: بالصدقة وصلة الرحم. وقال علي: لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك، أن تطلب بها الآخرة⁽¹⁾.

-الناص: التوازن بين العمل للدنيا من أجل العيش، والعمل لآخرة من أجل رضا الله.

12- المثل: «الإبرة تكسى غيرها وهي عريانة»⁽²⁾.

يقال في إيثار الغير على النفس؛ فالرجل الكريم يجوع ليأكل الغير، ويعرى ليلبس الآخرون؛ فإيثار الغير من الخصال المحمودة التي نوه بها القرآن الكريم. والإبرة حليفة الفقير منذ أقدم الأزمنة، بل حليفة الإنسان؛ فهي تكسوه وتستره، ولا يخلو بيت منها. وفعل "تكتسي" يأتي في الدارجة الجزائرية، وهو من فعل كسا، يكسو، الفصيح. و الكسا: غطاء من صوف أخف من الحنبل في بعض المناطق الجزائرية، والكسوة، هي الملابس مطلقا.

-الآلية: قال الله تعالى: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»⁽³⁾.

أي يؤثرون، ويفضلون إخوانهم من المهاجرين بأموالهم وديارهم على أنفسهم، ولو كانت بهم فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون به؛ وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم⁽⁴⁾.

-الناص: إيثار المحتاج غيره على نفسه بما يحتاجه.

13- المثل: «اللي حلب حلبية ايديرها في شكيوتتو»⁽⁵⁾.

حلبية: تصغير الحليب، والتاء لتأكيد القلة، كما هي طريقة التعبير في الأرياف والبودي؛ لأن التأنيث عندهم يعبر عن الضعف، والضعف كالقلة. والتذكير يعبر عن القوة والقوة كثرة.

شكيوتتو: تصغير شكوة، وهي وعاء يصنع من جلد الغنم المدبوغ، لحفظ الحليب و مخضه حتى يصير لينا. ومن يحلب أغname، فما يحلبه يضعه في شكوطه ليتنقع به هو، لا غيره. وكذلك قيامه بكل عمل صالح مفيد؛ فجزاؤه له في الدنيا، أو في الآخرة.

⁽¹⁾ - البغوي، تفسير البغوي، المجلد6، ص221.

⁽²⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص15.

⁽³⁾ - سورة الحشر، آية 9.

⁽⁴⁾ - البغوي، تفسير البغوي، المجلد8، ص76.

⁽⁵⁾ - بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص187.

يقال المثل في الرجل تتصحه في أن يقوم بعمل لمصلحته، فلا ينتصح. ويقال المثل في معنى الآية القرآنية.

-**الآية:** قال الله تعالى: «من عمل صالحا فلنفسه»⁽¹⁾.

التناص: استفادة الإنسان من عمله الصالح.

ب-تناص الأمثال الشعبية مع الحديث النبوى الشريف:

فكما وُظفت بعض معانى القرآن في الأمثال عن طريق التناص، كذلك استعملت معانى الحديث النبوى الشريف فيها. وهذه طائفة منها:

1-**المثل:** «اليد اللي تمد خير من اليد اللي تشد»⁽²⁾.

اليد مجاز أريد به صاحب اليد، التي تمد الغير، أي تعطى وتتصدق وتعين، وهي أفضل من اليد التي تتلقى الصدقات. والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

-**الحديث:** عن أبي أمامة صديٰ بن عجلان رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسك شرّ لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، و اليد العليا خير من اليد السفلی»⁽³⁾، رواه مسلم.

فمعنى المثل متضمن في معنى الحديث، فاليد العليا هي التي تتصدق، أما السفلی فتتلقي. ونمو المجتمع و ازدهاره يبنى على نتاج أعمال المجددين، لا على استهلاك الكسالى العاطلين. وفي النصين حدث على العمل؛ ليعيش الإنسان كريما.

التناص: تفضيل اليد المنتجة المانحة.

2-**المثل:** «الظالم ما ايروح سالم»⁽⁴⁾.

الظلم هو الجور، وهو الاعتداء على الغير، سواءً أكان في الجانب المادي، كأخذ شيءٍ من ممتلكاته، أم الاعتداء على جسم المظلوم بالضرب أو القتل.. أم كان الاعتداء

⁽¹⁾ سورة الحجاثة، آية 22.

⁽²⁾ الذاكرة الشعبية بسعادة.

⁽³⁾ النووي، أبو زكريا محيي الدين بحبي بن شرف النووي، رياض الصالحين، د/ط، دار المعارف، مصر، 1987، ص 175.

⁽⁴⁾ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 97.

معنويا كالقذف، والسب وغيره. والمثل يحذر من نتيجة الظلم؛ لأن المظلوم قد ينتقم من الظالم، كما أن الظالم لا يسلم من عقاب الله العاجل أو الآجل.

-**الحديث:** عن معاذ- رضي الله عنه- قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم-

قال: «... واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»⁽¹⁾، متყق عليه.

وفي الحديث تحذير من دعوة المظلوم وبخاصة الذي لا يستطيع أخذ حقه؛ فيلتجئ بدعائه إلى الله عز وجل؛ فينتقم الله له من الظالم؛ لأن دعوة المظلوم مستجابة، وقد تكون العقوبة عاجلة ، أي في الدنيا قبل الآخرة.

التناص: في الظالم ودعوة والمظلوم.

3-**المثل:** «ادفع ما في الجيب، ربي يحبب»⁽²⁾.

في المثل حث على الإنفاق والبذل، وتعریض صريح بالجامعين المانعين. فلا يدري أحدهما ما يخبئ له الدهر، فقد يكون خيرا كثيرا، وقد يكون شرا واقعا. وفي كلتا الحالتين علينا أن ننفق مما رزقنا؛ فنوسع على الأسرة، ونرکن إلى التفاؤل.

والذي يلاحظ هنا أن قائل المثل يثق في الله ثقة مطلقة، ويؤمن في عطائه إيمانا عظيما، وأنه قادر على أن يرزق أصحاب الكسب، إذا أنفقوا مما أتاهم.

-**الحديث:** عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا»⁽³⁾، متყق عليه.

يوضح الحديث أن المنافق، يجازيه الله على إنفاقه في الطاعات، كإطعام الأهل والتصدق على الآخرين. أما الممسك البخل، الذي يجمع دون أن ينفق، فلن يكون جزاؤه إلا الحرمان وتلف المال في نهاية الأمر. فالمثل والحديث يصبان في واد واحد.

التناص: من ينفق في وجوه الخير، يعوضه الله.

⁽¹⁾ - النوي، رياض الصالحين ، ص 78.

⁽²⁾ - عبد الملك مرتضى، الأمثال الشعبية الجزائرية، دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري، د/ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1982م، ص 54.

⁽³⁾ - النوي، رياض الصالحين ، ص 175.

4- المثل: «اللَّيْ يُدِيرُو السَّحَارَ فِي عَامِ يُدِيرُو الْفَرَاضَ فِي دِقِيقَةٍ»⁽¹⁾.

الفراض: بالقفاف المعقوفة، هو النمام. والمثل ينبع إلى خطورة النميمة على العلاقة الاجتماعية، ويقارن بين فعل النمام وفعل السحار، ففعل النمام أخطر، وما النميمة إلى كلمات يقولها شخص لشخص عن شخص- سواء أكانت حقيقة أم كذبا- بقصد إفساد العلاقة، وخلق الفتنة بين الناس. ويدركه "قادة بوتارن" بصيغة أخرى: «اللَّيْ مَا يَقْدَرْشُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ فِي عَامِ يُدِيرُهُ الْفَرَاضَ فِي سَاعَةٍ»⁽²⁾. يأتي هذا المثل ليؤكد ما تسببه النميمة من مضرّة عظيمة، كما يبرز استعظام المؤمنين لها. وفي المثل دعوة لتجنب الاتصال بها.

-الحديث: عن ابن عباس- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- مرّ بقبرين فقال: «إِنَّهُمَا يَعْذَبَانِ، وَمَا يَعْذَبُانِ فِي كَبِيرٍ، بَلْ إِنَّهُ كَبِيرٌ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَرُ مِنْ بُولِهِ»⁽³⁾. متفق عليه.

ففي الحديث الشريف، النميمة أحد أسباب العذاب، لما تحدثه من مضار. وفيه أمر بتجنبها.

-التناص بين المثل والحديث : الدعوة إلى تجنب النميمة لخطورتها.

5- المثل: «الصَّدَقَةُ تُسَجِّي وَتُشَحِّي وَتُزَيِّدُ فِي الْعُمرِ»⁽⁴⁾.

يقال في الحديث على التصدق على الفقراء والمساكين بما أمكن؛ فالصدقة تُسَجِّي أي تنطف، وتصلح المال، وتحول بينه وبين الفساد، كما أنها تجيء من المهالك، وتطيل عمر المتصدق. وفي المثل مزج بين الزكاة المفروضة والصدقة التطوعية، والصدقة تطلق ويراد بها الزكاة. كما جاء في قوله تعالى: ﴿خَذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تَطْهِرُهُمْ وَتَرْكِيهِمْ بِهَا...﴾⁽⁵⁾

-الحديث: «حَسِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَأْوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعْدُوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ»⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ راجح خدوصي، المرجع السابق نفسه ، ص 133.

⁽²⁾ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 54.

⁽³⁾ النبوى، رياض الصالحين ، ص 415.

⁽⁴⁾ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 111.

⁽⁵⁾ سورة التوبة، آية 103.

⁽⁶⁾ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الوسيط، د/ط، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية، 1995، ج 2، ص 274.

ففي الحديث تتم المحافظة على الأموال، ونحوها بالزكاة المفروضة على الأموال إذا بلغت النصاب، وحلّ الحول. ومعنى الزكاة لغة: النمو والزيادة. أما الصدقة- في هذا الحديث- فيقصد بها ما زاد على الزكاة، وهي الممارسة اليومية التي يقوم بها الإنسان لمساعدة المحتاجين، وفيها مداواة المرضى، وفيها تحابب بين الموسرين، والفقرااء، وفيها دعاء بالخير والصحة..

-النالص بين المثل والحديث: أثر الصدقة.

6-المثل: «مَكَانْشُ قَاعُ الْيَ اخْذَاتُ بُوهَا وَالْأَخْذُوهَا غَيْرُ الْيَ اخْذَاتُ اغْدُوهَا»⁽¹⁾.
مكاش: ما كان شيء، أي لا يوجد. قاع: بمعنى كل، اخذات: بمعنى أخذت،
أي تزوجت. والمعنى لا توجد امرأة تزوجت رجلاً يحبها حب أبيها أو أخيها. وكل من
تزوجت رجلاً فهو يكرهها كأنه عدوها.

هذا المثل تقوله المرأة في حال غضبها من زوجها؛ فهي تتفى نفياً قاطعاً أن تتزوج
المرأة شخصاً يحبها مثل حب أبيها أو أخيها، وكأن المودة والرحمة مقصورة على الأب أو
الأخ، وتعتبر الزوج يكرهها كالعدو؛ مما يجعلها حذرة في تصرفاتها معه، غير مطمئنة.
وبهذا فهي تذكر كل أفضال الرجل عليها.

-الحديث: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تصدقن فإن أكثرن حطب جهنم»
فقالت امرأة لم يا رسول الله؟ قال: «لأنك تكترن الشكاوة وتتكرن العشير»⁽²⁾.

فالحديث الشريف يحثهن على التصدق لإكثار الحسنات، لأن كثرة الشكاوى والتذكر
للعشير - وهو الزوج -، تعد من السيئات.

-النالص: المرأة، كثرة الشكاوى، إنكار جميل العشير.

7-المثل: «إبليس قال: ما يغلبني غير اللي يشاور»⁽³⁾.

هذا المثل في غاية البلاغة من حيث الحث على المشورة؛ فجعل المشاور يغلب
إبليس، فالميثولوجية الشعبية تعتبر أن إبليس لا يُغلب؛ فهو رئيس الشياطين، أغوى آدم

⁽¹⁾ - رابح خدوسى، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية ، ص162.

⁽²⁾ - مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحاج القشيري التيسابوري، صحيح مسلم، ط1، شرح النووي، ضبطه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، لبنان، د/ت، م2، ج4، ص152.

⁽³⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص16.

وأخرجه من الجنة، وحاج الله سبحانه وتعالى... ومن يكون بهذا المستوى كيف يغلبه البشر؟
لكن المثل جعل إيليس يعترف بأنه غالب، بالبناء المجهول، من طرف المشاور.
و يقال في أهمية المشورة، وفائتها والثت عليها؛ لأنها أساس سداد الرأي. فرأي فرد
قد يصيب وقد يخطئ؛ أما رأي اثنين أو أكثر فقلما يخطئ، وحتى إذا ما أخطأ فهو أفضل
من رأي الفرد؛ لما يترب على التشاور من تماسك بين أبناء المجتمع الواحد. فالاستبداد
بالرأي في أي مستوى كان - غير محمود العاقب.
ويمكن القول: إن الإجماع في التشريع الإسلامي نوع من الشوري؛ فهو الرأي والحكم
تنتفق عليه جماعة من مجتهدي الأمة.

والآيات القرآنية المتعلقة بالشوري وكذلك الأحاديث النبوية كثيرة. ففي القرآن قوله
تعالى: ﴿وَأُرْمُهُمْ شُورِيٌّ بَيْنَهُمْ﴾⁽¹⁾.

-الحديث: قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «ما خاب من استخار ولا ندم من
استشار»⁽²⁾.

فالحديث الشريف، يوضح فائدة المشورة، فهي تبصر المستشير بأشياء ربما لم يكن
يفكر فيها، أو تقدم له وجهات نظر مختلفة، أو تطلعه على تجارب الآخرين في مثل قضيته.
ومهما يكن فإنه لن يندم إذا لم يصل إلى نتيجة إيجابية. بعكس ذلك، لو لم يستشر.

-التناص: في الثت على الاستشارة.
8- المثل: «الجار قبل الدار»⁽³⁾.

الجار هو من يجاورك، أي يكون قريبا من مسكنك أو عملك، سواء أكان كافرا أم
مسلمًا. فبقدر الجار يكون ثمن الدار.

فالمثل يقال في أهمية اختيار الجار، قبل شراء أو كراء الدار؛ لأن الجار الطيب
صمام أمان وراحة وحياة راضية، فالجار الصالح من السعادة، أما جار السوء فهو دائمًا
مصدر إزعاج، وشروع؛ فالدار مهما كانت لا تتحقق ما يصبو إليه المرء من راحة، إذا كان

⁽¹⁾ سورة الشوري، آية 38.

⁽²⁾ الحوت، محمد درويش، أنسى المطالب في أحاديث مختلف المراتب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م، ص268.

⁽³⁾ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص54.

الجار سيئاً. وهذا المثل يحضر عندما يقع نزاع بين جارين. ولكن هل يمكن اختيار الجار في هذا الزمان، وهم يلهثون وراء شقة، ولا يجدونها إلا بشق النفس؟

كان ذلك ممكناً في الزمن القديم قبلما تكتظ المدن بساكنيها. كان ممكناً في زمن الخيم الشعيرية الويرية، حيث من لم يعجبه جاره يحمل خيمته، ويبعد عنه إلى مكان آخر. وربما هذا الذي دعا الأمير عبد القادر إلى أن يفتخر بالخيم، ويفضلها على بيوت الطين والحجر. قال: لا تذمن بيوتاً خفَّ محملها == وتمدحنَ بيوت الطين والحجر⁽¹⁾.

-الحديث: عن ابن عمر وعائشة -رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سبورث»⁽²⁾ ، متقد عليه.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- : أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»⁽³⁾.

ففي الحديث الأول ترغيب في المحافظة على الجار بل وإعانته، وفي الحديث الثاني ترهيب من الإساءة إليه.
التناص: أهمية الجار.

9- المثل: «اللي يُزوجها على مالها يُموت أَفْقِير، واللي يزوجها على ارجالها يُموت أَحْقِير، واللي يُزوجها على دينها أَيْحَبُّ ربِّي والنبي البشير»⁽⁴⁾.

المثل يذكر بعض صفات النساء التي تجذب بعض الرجال للتزوج بهن. وهذه الصفات هي : أن تكون ذات مال، أو ذات حسب ونسب، أو ذات دين وخلق. والمثل يفضل اختيار ذات الدين. لأهميته القوية في دوام العشرة، وبناء الأسرة الصالحة. بعكس الجوانب الأخرى التي قد تكون منشأ نزاعات.

⁽¹⁾ -الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان الأمير عبد القادر، جمع وتحقيق، شرح وتقدير، العربي دحو، ط3، منشورات ثالثة، الجزائر، 2007، ص 50.

⁽²⁾ -النووي، رياض الصالحين ، ص104.

⁽³⁾ -النووي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁽⁴⁾ -ربيع خدوسي، موسوعة الجزائري في الأمثال الشعبية ، ص139.

-**الحديث:** قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»⁽¹⁾.

الصفات نفسها التي جاءت في المثل بإضافة الجمال في الحديث النبوى الشريف وهي الصفات التي يرحب فيها كل زوج، وحذّا لو كانت مجتمعة في المرأة.

-**التناص:** في المال، الحسب، الدين.

10- المثل: «الحياة من الدين»⁽²⁾.

يقال في الحديث على الحياة؛ فمن لا حياة له لا دين له. والحياة لا يصلح في كل الحالات، ومع سائر الناس. فهناك مواقف يصير فيها الحياة خنوعاً وجيناً. وهناك قول ذاتي بين الناس يستعملونه بدون تمييز بين الحالات: «لا حياة في الدين» ومعنى القول واضح والحياة لا يمكن أن يستقيم في كل الأمور، فالمراد هنا: أن لا حياة في الأقوال والسلوكيات التي ينص على مشروعيتها الدين، أو أنها جزء من الدين... وفي هذا يقول مثل آخر: «الحياة يولد الحوليات»⁽³⁾.

والحولية: من المعز، ابنة سنة التي لم تقاوم التيس؛ فولدت قبل الأوان. والمثل يشبه الرجل الذي يوقعه حياؤه في ورطة، بالحولية.

وهناك نكتة في هذا الموضوع تقول: سئلت الكلبة، لمَ جرأوك ليسوا بلون واحد؟ قالت: زوجي أبناء أعمامه كثيرون، وأنا أستحيي.

-**الحديث:** عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «دعه فإن الحياة من الإيمان»⁽⁴⁾. متفق عليه.

الحياة من الإيمان، والإيمان عقيدة المسلم، وقivism حياته، وكون الحياة من الإيمان أن كلّا منهما داع إلى الخير، صارف عن الشر، وخلق الحياة في المسلم لا يمنعه من أن يقول

⁽¹⁾ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتاب للطباعة والنشر، د/ت، م9، ص132.

⁽²⁾ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائية، ص68.

⁽³⁾ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁽⁴⁾ النبوى، رياض الصالحين ، ص209.

حقاً أو يطلب علماً أو يأمر بمعرفة أو ينهى عن منكر، ومن الحياة كف الأذى، وعدم المجاهرة بالقبيح.

التناص: الاتصال بالحياة لأنه من الدين.

ومما يلاحظ أن التناص الذي تم بين الأمثال الشعبية والنصوص الدينية (القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف) قد تم توظيف الألفاظ فيه بدلاتها الأصلية في النص الجديد (المثل)، أي تحمل الدلالة نفسها. إن هذا التناص يدلنا على سريان الثقافة الإسلامية بين أفراد المجتمع، الذي تمسك بها حتى صار يعبر بها في أمثاله. سواء كان ذلك عن طريق التماثل، أو التقارب أو التشابه في الاستعمال.

ج- تناص الأمثال الشعبية مع الشعر والأمثال العربية:

الذي يقرأ أو يسمع الأمثال الشعبية الجزائرية، لا يشك في أنها عربية فصيحة في غالبية ألفاظها واستعمالاتها، سواء في ذلك عند العامة أو الخاصة؛ لأنها استندت إلى خلفيّة ثقافية عربية نهلت من دررها، ووظفته في تعبيرها بشكله أو مضمونه، أو بكليهما، والدليل على ذلك التناص الحاصل بينها وبين هذا الموروث العربي شعراً ونثراً.

-أولاً تناص الأمثال مع الشعر العربي:

1-المثل: «خوك خوك لا يُغرك صاحبك»⁽¹⁾.

خوك خوك.. أصلها: أخوك أخوك... حذفت الهمزة للتخفيف وكثرة الاستعمال، كما هو الحال في اللسان الدارج...

يقال في الرجل يعادي أخيه من أجل صديق، تحذيراً له من مغبة عواقب ذلك. كما يقال في الحث على التمسك بوسائل الأخوة والقرى مهما كان الحال؛ فالصاحب قد يترك في الشدة، أما الأخ فلن يتختلف عنك في الملمات والشدائد، ولو كنت معه في خدام.

-الشعر: أخاك أخاك إن من لا أخاه له == كسام إلى الهيجا بغير سلاح⁽²⁾.

فالشاعر يحث السامع على أن يلزم أخيه، وأن يعينه في الملمات، لأن الذي ليس له معين قريب كالأخ، مثله كمثل من دخل الحرب بغير سلاح؛ فهو مغلوب، وخاسر لا محالة.

⁽¹⁾ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 24.

⁽²⁾ الأشموني، علي بن عيسى أبو الحسن نور الدين، الأشموني، شرح الأشموني على الفقيه ابن مالك ، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج 3، ص 88.

وفي التراث قد يعبر عن الأصدقاء بالإخوان، ومنه الرسائل الإخوانية، ومadam الإنسان اجتماعياً بطبيعة، فلا اجتماع دون تعاون، وهو يبدأ بالأقربين ثم يتسع.
الناتص: توكيد أهمية الأخوة بالذكر اللفظي.

2-المثل: «عند الشدة والضيق يظهر العدو من الصديق»⁽¹⁾.

عندما تتأزم أمور المرء، أو يقع في شدة، أو ضيق مادي أو معنوي، أو أي محنّة تصيبه، فهذه الحالة تكشف الأصدقاء المخلصين. والأعداء أو المنافقين، فأولئك يشاركونه في محنّته، وهؤلاء يشتمون به.

-الشعر: قال الشاعر: وما أكثر الإخوان حين تعدّهم == ولكنهم في النائبات قليل⁽²⁾
يكثّر الأصدقاء والمعارف والإخوان، عندما يكون المرء موسراً، أو ذا جاه أو سلطان؛
فهم يتلقونه، ويتقرّبون منه لقضاء حوائجهم؛ ولكن إذا حلّ به مكروره، وظّروا أن مصالحهم معه قد انتهت. جافوه، وانتقلوا إلى غيره. فما أكثرهم وقت الرخاء، وما أقلّهم وقت الشدائد والنواب.

-الناتص: الشدائد والنواب تكشف الأصدقاء المخلصين.

3-المثل: «اعتريضة الحافر في الخير اتعافر»⁽³⁾.

عادة ما تذهب الخطابات إلى بيت العروس لرؤيتها قبل خطبتها، وكثيراً ما تتوقف الخطبة على شكلها الظاهر، وما يظهر منها (حوافرها) أي مؤخر قدميها، فيتفاعّلون بعريضة الحوافر؛ لأنها في نظر المثل مجيبة للخير؛ فهي في الخير (اتعافر): تصارع، أي كأنّها في معركة معه لكثرة. وعرض الحافر دلالة على الصحة.

-الشعر: إذا قلت هاتي ناوليني تمايلت == عليّ هضم الكشح ريا المخلخل⁽⁴⁾.
فالشاعر يصف حركة محبوبته وشكلها عندما يطلب منها أن تعطيه من جناها-
فكأنّها شجرة مثمرة- تميل عليه بخصرها الضامر ورجلها المملوءتين في موضع الخلخل.
فموقع الخلخل هو الرجال، وامتلاء الرجلين من الصفات التي يحبها العربي في المرأة.

⁽¹⁾ -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 67.

⁽²⁾ -الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الشافعي، إعداد وتحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، د/ط مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م، ص 117.

⁽³⁾ -الذاكرة الشعبية منطقية بوسعدة.

⁽⁴⁾ -امرأة القيس، ديوان امرئ القيس، د/ط، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص 115.

-الناس: امتلاء الرجلين صفة محبوبة في المرأة.

4- المثل: «هُرَيْتُ مِنْ قَطَّاعِ الرُّؤُسِ طُحْتُ فِي وَكَالْ بُنْيِي آدَمَ»⁽¹⁾

يقال هذا المثل عندما يفر الإنسان من أمر خطير فيقع في ما هو أخطر منه؛ كمن يغير عمله، أو مكان عمله الذي أتعبه، فينتقل إلى مكان يظنه أحسن، فيجد أنه أسوأ من الأول.

-الشعر: المستغيث بعمرو عند كريته == كالمستغيث من الرمضاء بالنار⁽²⁾
 جاء في جمهرة الأمثال أن المثل (المستغيث من الرمضاء بالنار) يضرب للرجل
 يفر من الأمر إلى ما هو شرّ منه.

-الناس: الفرار من أمر خطير إلى أمر أخطر منه.

5- المثل: «كُلْ شَيْءٍ يَبْرِي يَا هَبْرَةً غَيْرَ كَلَامِ الْعَيْبِ»⁽³⁾.

الهبرة: قطعة اللحم التي لا يتخللها عظم. نعت المرأة بالهبرة؛ لضعفها وطراوتها.
إن العامة تتسب هذا الكلام إلى الأسد، وكان قد واطأ امرأة، فوجدت رائحته كريهة، فأخبرت الناس بذلك. وقبل أن ينتقم الأسد منها قال لها هذه العبارة؛ وقد صار عند العرب أصلاً من أصولها: أن لا يغتاب الإنسان أخيه الإنسان، ويدركه بسوء. فاستعمال اللسان في الغيبة وإساءة إلى الناس قد يترك آثاراً لا يمحوها الزمان، وقد ينجر عنها انتقام المساء إليه، عندما تحين الفرصة، ويواتيه الظرف.

الشعر: احفظ لسانك أيها الإنسان == لا يلدغنى إنْه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه == كانت تهاب لقاءه الأقران⁽⁴⁾.

لخطورة استعمال اللسان في الإضرار بالغير، شبهه الشاعر بالثعبان الذي يلدغ ولدغته مميتة، لا يقاومها أعتى الفرسان، وإساءة اللسان المعبر عنها بالثعبان، قد يلدغ صاحب اللسان، أو المستعمل للسان في حقه. فعلى الإنسان ألا يستعمل لسانه إلا فيما يفيد ويصلح.

⁽¹⁾ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية ، ص182.

⁽²⁾ أبوهلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج 2، ص133.

⁽³⁾ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص146.

⁽⁴⁾ الشافعي، ديوان الشافعي، ص140.

-الناتص: خطورة الإساءة بالكلام.

6- المثل: «الكلب ما يأكل خوه»⁽¹⁾.

يقال هذا المثل في حق بعض المسؤولين الذين يتواطئون على ظلم الناس وأكل حقوقهم، فعندما تشكو مسؤولاً لمسؤول آخر؛ فقد لا يقيم لشكواك وزنا، خوف أن يفضح المشكو منه أمره. و المخيال الشعبي يمثّل هذا التصرف، ولذلك وصف من يتصفون به بالكلاب. فإذا كانت الكلاب لا يأكل بعضها بعضاً؛ فإن البشر يأكل بعضهم حقوق بعض سواء أكانت الحقوق مادية، أم معنوية.

-الشعر: وليس الذئب يأكل لحم ذئب == ويأكل بعضاً بعضاً عياناً⁽²⁾.

والذئب حيوان مفترس من فصيلة الكلبيات، ومع أنه من آكلات اللحوم إلا أنه لا يأكل ذئباً مثله إذا جاء، بل تتعاون الذئاب على اصطياد فريستها وقتلها. هذا التصرف الغريزي لدى الحيوان لا نجده عند الإنسان الذي فضل الله بالعقل. فتجده يعتدي على أخيه الإنسان، ويقتله من أجل مصلحته.

-الناتص: الحيوان لا يأكل لحم حيوان من جنسه، عكس الإنسان.

7- المثل: «الفارس من اركب اليوم»⁽³⁾.

الفارس: هو من ظهر في الميدان، حتى وإن كانت فروسيته دون المستوى؛ فهكذا هي الدنيا: فالسلطة تجعل الإنسان يبرز أكثر مما تفعله فضائله.

-الشعر: إن الفتى من يقول هاؤنذا == ليس الفتى من يقول كان أبي⁽⁴⁾.

إن فضائل الرجل و مزاياه هي التي يبنيها بنفسه، وتستمر معه ليستعملها، أو يواجه بها في كل حين، أما ماضيه، أو ماضي آبائه فلا ينجد له، إذا لم تؤيده قوة الحاضر؛ لأن الناس مع الواقع.

-الناتص: المرء بمزاياه الحاضرة.

⁽¹⁾ -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

⁽²⁾ -الشافعي، ديوان الشافعي ، ص141.

⁽³⁾ -قارن بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص .19.

⁽⁴⁾ - علي بن أبي طالب، ديوان علي بن أبي طالب، اعنى به عبد الرحمن المصطاوي، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2005م، ص28.

8- المثل: «اللي خرجت من الفم تسمى دين»⁽¹⁾.

كل التزام أو تعهد يتخده المرء ولو مشافهة يجب أداؤه كما لو كان دينا، ومن ثم يجب ألا يلتزم الإنسان بدون رؤية، لأن التراجع، أو نقض العهود ليس من المروءة.

-الشعر: إذا قلت في شيء نعم فأتممه == فإنّ نعم دين على الحز واجب⁽²⁾.

الشاعر يعتبر موافقة الرجل على أمر ما أو التزامه، ولو مشافهة بكلمة: نعم، يعدّ دينا يجب الوفاء به؛ لأنّه عند التزامه، لم يكن مجبًا بل كان حرام.

-التناص: الوعد دين على الحز.

9- المثل: «كل جديد عنده لذة»⁽³⁾.

يقال في الرجل يشتري شيئاً جديداً؛ فيهتم به أكثر مما عنده، أو يتزوج امرأة ثانية؛ فيحابيها على حساب الأخرى، ولو كانت أقل جمالاً من الأولى. كما يقال في المسؤول السياسي الجديد، يتولّى الحكم مكان آخر قد يكون أفضل منه...

-الشعر: لكلّ جديد لذة غير أتنّي == وجدت جديد الموت غير لذيد⁽⁴⁾.

وقد نقل الميداني هذا البيت عند حديثه عن المثل رقم: 3545: (لا تراهن على الصعبية، ولا تتشد القريض)، فقال هذا المثل للخطيبة؛ لما حضرته الوفاة اكتنفه أهله وبين عمّه، فقيل له: يا حطئ أوص. فقال: مالي بينبني. قالوا: قد علمنا أن مالك بين بنيك فأوص، فقال: ويل للشعر من راوية السوء، فأرسلها مثلاً. قالوا: أوص: فقال: أخبروا أهل ضابئ بن الحارث أنه كان شاعراً حيث يقول:

لكلّ جديد لذة غير أتنّي == وجدت جديد الموت غير لذيد.

-التناص: لكلّ جديد لذة.

10- المثل: «اخْطِيكُ من الشَّرِدِيدْ وَمَاكِلَةُ الْقَدِيدْ»⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ سعادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 59.

⁽²⁾ محمد بن حازم الباهلي، ديوان الباهلي، نسخة اليكترونية، انتزانت، شبكة الكردي، مكتبة الكردي الالكترونية، يوم 25/11/2014، ص 11.

⁽³⁾ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 166.

⁽⁴⁾ الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، ص 225.

⁽⁵⁾ سعادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 145.

اختيّك: بمعنى تجنب، الشرديّ: البظر المسن، وهو كنایة عن المرأة العجوز؛ أي تجنب العجوز من النساء فلا تتزوجها، وعليك بجسد الشابة البعض، كما عليك أن تتجنب أكل لحم القديد، وهو اللحم الذي ملحوظ ويبيسونه (يسمى الخليع)، وعليك باللحم الطري كلام الخروف.

-**الشعر**: لا تتكحن عجوزا إن دعوك لها == وإن حبوك على تزويجها الذهبا
وإن أتوك وقالوا: إنها نصف == فإن أمثل نصفها الذي ذهبا⁽¹⁾.

المقصود بنصف: ليست عجوزا ولا هي شابة، فهي في الخمسين من عمرها، غير أن أحسن نصفي عمرها، هو الأول الذي ذهب؛ لأن أمثل القوم: خيارهم. فالشاعر ينصح الرجل بتجنب التزوج بهذا الصنف من النساء؛ لزوال مؤهلات التمتع بهن.

-**التناص**: تجنب التزوج بالمرأة المسنة.

ثانياً - تناص الأمثال الشعبية مع الأمثال العربية:

إذا كانت الأمثال الشعبية قد دخلت في علاقة تناص مع القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف، وكذلك مع الشعر العربى، فمن باب أولى أن تتناص مع الأمثال العربية؛ لعلاقة التشابه بينهما في الشكل، وفي المضمون، وفي الغرض. وفي ما يلى بعض النماذج من التناص الحاصل بينهما.

1-**المثل الشعبي**: «اضربني وابكي، واسبقني واشكى»⁽²⁾.

يقال في من يفعل الأفاعيل، ويتهم الناس بها، كما يقال للرجل يتظلم، لأن يسيء إلى غيره، ويسرع إلى تقديم الشكوى على أساس أنه مظلوم، وفي الحقيقة هو الظالم.

-**المثل العربي**: «ابدأهم بالصراخ يفرروا»⁽³⁾.

ذكر الميداني في شرحه لهذا المثل، قال: قال أبو عبيدة: هذا مثل قد ابتذله العامة قوله أصل، وذلك أن يكون الرجل قد أساء إلى الرجل؛ فيتخوف لائمة صاحبه، فيبدأ بالشكاية والتجني؛ ليرضى منه الآخر بالسكت، يضرب للظالم يتظلم ليسكت عنه.

⁽¹⁾ البرقوقي، عبد الرحمن البرقوقي، دولة النساء ، ط1 ، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2007، ص382.

⁽²⁾ عبد الحميد ابن هدوقة، أمثال جزائرية، ص116.

⁽³⁾ الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، ص139.

-الناس: مقوم معنوي: صراخ الظالم وتشكيه.

2-المثل الشعبي: «خذ طريق العافية ولو دائرة، و بنت العم ولو بايرة»⁽¹⁾.

ينصح المثل المسافر بأن يتبع الطريق المعلوم المعبد، أو الذي صار معلوما من كثرة سلوكه، والسير عليه، ولو كلفه عناء زائدا؛ لأن اتباعه يوصل إلى الهدف، بعكس الطريق غير المعلوم، أو الذي فيه خطورة، فقد يجعل سالكه يتوه. وبخاصة في الصحراء حيث الرتابة، وانعدام المعالم المميزة.

ويقال في الابتعاد عما يؤدي إلى الخصومات والمنازعات مهما كان؛ فالطريق الدائرة قد تكون أتعب لطوالها، لكنها أسلم وأمن للعقاب.

وفي جزئه الثاني ينصح بالتزوج بالقريبة كابنة العم؛ لأنها تكون من مستوى، ولهمما العادات نفسها، كما أن وسائل القرابة توطّد عاطفة الحب، وتحقق الانسجام بين الزوجين فتحفظ عرضه، ومآلاته، ونسبة الذي هو عرضها ونسبها؛ أما الزواج من البعيدة فقد يصلح وقد لا يصلح.

المثل العربي: «من سلك الجدد أمن العثار»⁽²⁾.

الجدد: هي الأرض المستوية. العثار: التعثر، والسقوط على الأرض، بسبب عوائق في الطريق. فالأرض المعبدة، التي لا حجارة فيها، ولا أحاديد، تسهل سير الإنسان عليها فيصل إلى هدفه دون أن يتعرض إلى عوائق قد تسقطه، أو تؤخره. والمثلان يضريان في معناهما الحقيقي، كما يضريان في طلب العافية.

-الناس: مقوم لفظي: السير على الطريق المستوى المعلوم.

3-المثل الشعبي: «أزرق عينيه، لا تحرث و لا تسرح عليه»⁽³⁾.

أزرق عينه: له عينان زرقاوان. هذا المثل وظفه الطاهر وطار في روايته: "اللاز". ويُذكر في إطار التشاؤم باللون الأشقر، وأعاد ذلك إلى أن المحتلين الرومان كانوا شقراً زرق العيون، وذلك الذي حملهم على إرسال مثلمهم الشعبي. وفي المثل رمز مكنون يواري وراءه

⁽¹⁾ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 23.

⁽²⁾ الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، ص 339.

⁽³⁾ عبد الملك مرتضى، عناصر التراث الشعبي في (اللاز)، دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية، ص 12.

اضطهاداً كان على الجزائريين مصبوياً. ولا يستبعد عبد المالك مرتاب أن يكون مثل هذا المثل قد عُرف في الجزائر منذ الاحتلال الروماني، ثم عُرب من بعد ذلك.

غير أنني أرى أن هذا المثل أصله عربي، ذكره العسكري في الجمهرة. وأعيد توظيفه أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ حيث استولى المعمرون الأجانب - الذي أتوا من الدول الأوروبية مع الجيش الفرنسي - على أراضي الجزائريين الخصبة، وصار أصحاب الأرض الأصليين رعاة وعمالاً عندهم. والمثل ينصح بعدم التعامل معهم؛ لأنهم أعداء، فأزرق العينين، هو الرولي العدو؛ الآتي من أوروبا.

-**المثل العربي:** «قولهم: أزرق عينيه»⁽¹⁾

يضرب مثلاً للعدو، ويقولون في معناه: هو أسود الكبد، وهم صُهْبُ السِّبَالِ، وهم سود الأكباد، يَغْنُونَ الأعداء.

-**التناص:** مقوم لفظي: في أزرق عينيه.

4-**المثل الشعبي:** «عاش من عرف قدره»⁽²⁾

يقال في الرجل يحترم نفسه، بمراقبة أقواله وتصرفاته، فلا يقول ولا يفعل ما يضر الغير، ولو كان مازحاً. ولا يخالط الأراذل والسفهاء؛ لأنهم يجرؤون إليه البلاء. فإن عمل بنصيحة هذا المثل عاش مدة حياته سالماً من أذى الناس.

-**المثل العربي:** «لن يهلك امرؤ عرف قدره»⁽³⁾.

وقد أورد الميداني رواية تتعلق بقائل هذا المثل، فقال: «قال المفضل: إن أول من قال ذلك، أكثم بن صيفي، في وصية كتب بها إلى طيء، كتب إليهم: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، وإياكم ونکاح الحمقاء؛ فإن نکاحها غرر، ولودها ضياع، وعليكم بالخيل فأکرموها؛ فإنها حصون العرب. ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها؛ فإن فيها ثمن الكريمة... ولن يهلك امرؤ عرف قدره، والعدم عدم العقل، لا عدم المال...»⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج 2، ص 286.

⁽²⁾ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 136.

⁽³⁾ الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، ص 172.

⁽⁴⁾ المصدر السابق، ص 172.

-الناص: مقوم لفظي: عاش: أو لن يهلك من عرف قدره.

5-المثل الشعبي: «**كُونْ كِي السَّمَار إِذَا جَاهَ السَّيْلَ اِيْسَنْدَ وَإِذَا رَاحَ السَّيْلَ اِيْبَنْدَ**^(١)»
السمار نبات في طول نبات الحلفاء، أوراقه طويل مجوفة و مدببة، تصنع منها
السلال، ينبت في مجاري المياه، كحواض الوديان، وكثيراً ما تتسلط الأمطار فيجري الوادي
بغزارة، ولكن هذه المياه لا تقتلعه؛ لأنها ايسند: أي ينحني ويستند إلى الأرض، أي يتکئ
عليها؛ فلا تجرفه السيول. وعندما ينقطع الماء، ايبند: أي يقوم منتصباً كما كان من قبل.
ويضرب في الرجل يواجهه مصاعب في حياته العملية أو الاجتماعية، فلا يقاومها
بشدة، بل عليه أن يلجاً إلى اللين، وضبط النفس والترازن، وعندما تمر هذه المصاعب، يعود
إلى حالته.

- المثل العربي: «**تَطَأْتَ لَهَا ثُخْطِنَكَ**^(٢)»

إنها الحادثة، اخض رأسك لها تجاوزك، وهذا مثل قولهم: دع الشر يعبر: يُضرب في
ترك التعرض للشر.

-الناص: مقوم معنوي: عدم التعرض للشر.

6-المثل الشعبي: «**المحلوبة حليب والمعصورة دم**^(٣)».
الحلب: هو الضغط قليلاً على ضرع الشاة أو البقرة أو غيرهما لاستخراج ما فيه من
حليب. لكن إذا خرج كل الحليب؛ وبقي الحال يضغط؛ فإن ضغطه الشديد يتحول إلى
عصر، وقد يتآذى الحيوان فيخرج الدم.

يُضرب هذا في المعاملات التجارية؛ حيث يطلب الشاري من البائع مساعدته
بتخفيض سعر السلعة، فيخفض البائع؛ ولكن المشتري يلح في طلب المزيد من التخفيض
حتى يصل البائع إلى الخسارة؛ فيقال المثل: تعبيراً عن الضرر الذي يصيب البائع. وعن
عدم الرضا.

^(١)—الذاكرة الشعبية بوسعدة.

^(٢)—أبو يعقوب يوسف بن طاهر الخوي، فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق عبد الرزاق حسين، د/ط، دار النافس، الأردن، 2000م، ص 115.

^(٣)—الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعدة.

-المثل العربي: «لَتَحْلِبُنَّهَا مَصْرًا»⁽¹⁾.

الحلب تقدم؛ والمصر -بالفتح والسكون- حلب جميع ما في الصرع، حتى لا يبقى شيء. والتمصر حلب بقايا اللبن. وشاة أو ناقة مصوّر بطيئة خروج اللبن. وهذا المثل يضرب في توعّد العدو؛ وكأنك تقول له: إنك لا تزال متّي شيئاً، وإنما أنت بمنزلة من يحلب الشاة المصورة، فوضعت المصدر موضع المفعول، : لَتَحْلِبُنَّهَا مَصْرًا لا لبن فيها. فالشاة المصورة لا يأتي منها حليب، وإنما قد يأتي منها دم- إذا عصره الحالب بشدة- وهو لا يفيد.

-التناص: مقوم لفظي: حلب الشاة، وعصر المصورة.

7-المثل الشعبي: «الهَدْرَةُ عَلَيْيَ وَالْمَعْنَى عَلَى جَارِتِي»⁽²⁾.

ومعناه: الكلام عَلَيْيَ والمقصود جاري. يذكر هذا المثل تأكيداً على التلميح المستعمل دائمًا عند العائلات للتذيد على فعل السوء، أو على عيب يتصرف به الغير حتى يشعر الأطفال الذين يسمعون ذلك الكلام بأنهم معنيون به، ويستفيدون منه. مثال ذلك: "فلان وسخ لا يعرف كيف ينظف أنفه"، أو "يبول في فراشه"...

-المثل العربي: «إِيَاكِ أَعْنِيْ، وَاسْمَعِيْ يَا جَارَةَ»⁽³⁾.

هذا مثل مشهور الاستعمال عند التعريض، بإظهارك شيئاً، وأنت تريد شيئاً. وهو لنھشل بن مالك الفزارى في شعر له. وسببه أنه خرج يريد النعمان بن المنذر، فمرّ ببعض أحياط طيّ؛ فسأل من سيد الحي؟ فدلّ على حارثة بْن لَاءِ الطَّائِي، فقصد رحله، فلم يصبه حاضراً. فقالت له أخت حارثة: انزل على الربح والسعنة حتى يلحق حارثة. فأنزلته وأكرمت مثواه، وأحسنت قراره. ثمّ إنه رأها وقد خرجت من خباء إلى خباء. فرأى جمالاً باهراً، وحسننا فاتتّاً. وكانت عقبة قومها، وسيّدة نساء حيّها. فوقعـت من قلبه كلّ موقع، وجعل يقول:

يا أخت خير البدو والحضارة == كيف ترين في فتى فرّازة
أصبح يهوى حرة معطرـاره == إِيَاكِ أَعْنِيْ وَاسْمَعِيْ يَا جَارَةَ

⁽¹⁾ الحسن البوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج 2، ص 129.

⁽²⁾ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 55.

⁽³⁾ الحسن البوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم ، ص 140.

فعرفت أنه يريدها، فقالت: ما هذا بقول ذي عقل أريب، ولا رأي مصيبة، ولا أتفنجيب، أَقْمَ ما أقمت مكرما، وارحل إذا ارتحلت مسلما. فاستحى وقال: واسوأاته، فقالت: صدقت. وارتحل و أتى النعمان، فأكرمه وحباه؛ فلما رجع، نزل على أخيها حارثة، وتبعه نفسه الجارية، وكان جميلاً محبوباً، فأرسلت إليه الجارية: إن كانت لك حاجة فاخطبني إلى أخي، فإني سريعة إلى ذلك. فخطبها وتزوجها، فسار بها إلى أهلها⁽¹⁾.

الناص: مقوم لفظي ومعنوي: التلميح في: الكلام لك أو عنك و المعنى للجارة.

8- المثل الشعبي: «**قال لك: الذيب ما يأكلش العظام حتى اينقيسو على طوبتو**»⁽²⁾. ايقيسو من القياس، وطوبتو: استه. فالذئب لا يأكل العظام، حتى يقوم بقياسه على استه إذا كان يخرج أما لا.

يضرب المثل للرجل يتصرف تصرفًا خطيراً، ولا يفكر في نتائج تصرفاته التي قد تكون وبالا عليه. فعليه أن يفكر في نتائج أي تصرف قبل أن يقوم به. كما فعل الذئب قبل ابتلاع العظام.

-المثل العربي: «**قولهم: الضّبُّعُ تأكلُ العِظامَ وَلَا تعرِفُ قدرَ استهَا**»⁽³⁾.

يضرب مثلاً للرجل يعمل العمل، و لا يعرف ما في عاقبته من المضرة، وذلك أن الضّبُّعُ إذا أكلَ العِظامَ عسراً على الخراءة.

-الناص: مقوم لفظي: أكل العظام، الإست. التفكير في العواقب قبل الإقدام على العمل.

9- المثل الشعبي: «**العروس يشكّرها فمها وإلا أمها**»⁽⁴⁾.

لا يمدح المرأة مثل نفسها أو أمها. يشير هذا المثل إلى ما تتصف به النساء من ميل شديد إلى الثناء على عروسهن، ورفع شأنها، حتى ولو كانت قليلة الخصال. وإذا كان أقرباء الزوج، أو من يعرفها، على رأي غير رأيهن ، فعند ذلك يعبرون بهذا المثل عن عدم افتقارهم. ويورده قادة بوتارن: «**مذاحات العروسة أمها و خالتها**»⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ المرجع السابق ، ص 141.

⁽²⁾ -الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعداء.

⁽³⁾ -أبو هلال العسكري، جهرة الأمثال، ج 2، ص 10.

⁽⁴⁾ -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

⁽⁵⁾ -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 167.

المثل العربي: «من يمدح العروس إلا أهلها»⁽¹⁾

يضرب في اعتقاد الأقارب بعضهم ببعض وعجبهم بأنفسهم قيل: لأعرابي: ما أكثر
ما ت مدح نفسك! قال فإلى من أكل مدحها؟ وهل يمدح العروس إلا أهلها؟
النناص: مقوم لفظي: من يمدح العروس إلا أهلها.

10-المثل الشعبي: «ما حك جلدك مثل ظفرك»⁽²⁾.

ومعناه: أنت الذي تحس بالألم في جسمك، وأنت من يعرف مكانه، وأنت الذي تقدر
درجة الحك، لا غيرك. ويضرب هذا المثل للتعبير عن عدم قيام الغير بقضاء حوائجك؛ إذا
لم تكن أنت الحرير عليها.

المثل العربي: «ما حك ظهرى مثل يدي»⁽³⁾.

يضرب في عدم الاتكال على الناس.

النناص: مقوم لفظي: يد الإنسان هي التي تحك جلده.

11-المثل الشعبي: «خذ راي اللي ايبكك، وما تخذش راي اللي ايضنك»⁽⁴⁾.

وعند قادة بوتارن: «دير راي اللي ايبكك، لا ثدير راي اللي يضنك لك، راه يضحك بيتك»
دير راي: اعمل برأي. النصائح المفيدة كثيرة ما تكون في مظهر لاذع. أما الضارة
فتأخذ مظهر المجاملة والرأفة.

المثل العربي: «قولهم: أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك»⁽⁵⁾.

يقول: اتبع أمر من يخوفك عواقب إساعتك لتحذرها فتتجو، ولا تتبع أمر من يؤمنك
المخوف فيورطك. ومثل ذلك قول الحسن: إن من يخوفك حتى تلقى الأمن أشفق عليك من
يؤمنك حتى تلقى الخوف.

أما الميداني⁽⁶⁾ فيورد قصة هذا المثل بقوله:

⁽¹⁾ الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، ص 346.

⁽²⁾ الذكرة الشعبية ببوسعادة.

⁽³⁾ الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، ص 289.

⁽⁴⁾ ينظر: راجح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية ، ص 52. وقادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 120.

⁽⁵⁾ العسكري، جهرة الأمثال، ج 1، ص 76. وفي مجمع الأمثال، للميداني ، ج 1، ص 43.

⁽⁶⁾ الميداني، مجمع لأمثال، ج 1، ص 43.

قال المفضل: بلغنا أن فتاة من بنات العرب كانت لها حالات وعممات، فكانت إذا زارت حالاتها ألهينها، وأضحكنها، وإذا زارت عمامتها أدبنها، وأخذن عليها. فقالت لأبيها: إن الحالاتي يلطفنني، وإن عمّاتي يبكييني. فقال أبوها - وقد علم القصة -: أمر مبكياتك أي الزمي، واقبلي أمر مبكياتك. ويروى أمر بالرفع، أي أمر مبكياتك أولى بالقبول والاتباع من غيره.

الناتص: خذ رأي من أبكاك: (خوفك)، لا رأي من أضحكك.

12-المثل الشعبي: «اَعْمَلُ الْخَيْرَ وَ اَنْسَاهُ، وَ إِذَا اَعْمَلْتُ الشَّرَ اَتْفَكُرُو»⁽¹⁾

هذا المثل شائع جداً، ومعروف لدى أغلب الجزائريين، وهو قد ضمّنه المطروب الجزائري "رَابِحُ دَرِيَاسَةَ" في إحدى أغانيه. وفحواه دعوة صريحة إلى فعل الخير، مع نسيانه، أي عدم ذكره لسبعين: أولها: أنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الصَّدَقَاتِ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنَّ وَالْأَذَى...﴾⁽²⁾; و لأنَّ التحدث به إلى الناس أو للمحسن إليه، قد يسبب له الأذى. والسبب الثاني: أنَّ الْمُحْسَنَ إِلَيْهِ - فِي الْعَالَبِ - يَحَاوِلُ رَدِ الإِحْسَانِ أَوِ الاعْتَرَافِ بِهِ، دُونَ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى مَنْ يَذْكُرُه.

أما الشطر الثاني من المثل: ففيه نهي غير مباشر عن فعل الشر؛ لأنَّه يشترط، إذا وقع الإنسان في الخطأ بفعله الشرّ، فعليه أن يتذكره لسبعين: أولهما، أن يصلاح خطأه ويرد المظالم، ويتبَوَّبُ إلى الله عن فعله. وثانيهما: أن يتقى انتقام من أساء إليه.

ووَقَعَ الْمُثُلُ الشَّعْبِيُّ فِي النُّفُوسِ، وَفِي التَّوْجِيهِ، أَشَدَّ تَأثِيرًا وَإِرْشَادًا ؛ لَأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ، وَيَنْهَا عَنِ الْشَّرِّ. أَمَّا الْمُثُلُ الْعَرَبِيُّ الْآتِيُّ، فَفِيهِ دُعْوَةٌ إِلَى تَرْكِ الْمَنِ إِذَا فَعَلَ الْخَيْرَ وَتَشَيَّ (إِذَا) الشَّرْطِيَّةَ بِقَلْتِهِ.

المثل العربي: «إِذَا اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ رَجُلٍ يَدًا فَانْسُوهَا»⁽³⁾.

أي إذا كان لكم فضل على أحد بإحسان أو مساعدة، وبخاصة المساعدة المادية فعليكم، أن تتسلوها ولا تذكروها للغير، ولا تذكروا بها المُحسن إليه.

⁽¹⁾ -الذاكرة الشعبية في الجزائر.

⁽²⁾ -سورة البقرة، آية 264.

⁽³⁾ -الميدان، جمع لأمثال ، ج 1، ص 41.

وفي مجمع الأمثال، قال بعض حكماء العرب لبنيه. قال أبو عبيدة: أراد حتى لا يقع في أنفسكم الطول على الناس بالقاوب، ولا تذكروها بالألسنة. وقال: أفسدت بالمن ما أصلحت من يسر == ليس الكريم إذا أسدى بمنان

-الناس: انس إعانتك الغير، ولا تذكرها.

خلاصة:

رأينا في هذا الفصل أن قضية التأثير والتأثير، تطال مختلف عناصر الحياة وأشكالها؛ فهي قد ظهرت على البشر وأفعالهم وعلومهم، وعلى كل ما يتعلق بهم، وظهرت على الطبيعة، سواء أكان التغير والتطور بفعل الإنسان، أم كان بفعل الطبيعة نفسها؛ كالذي تحدثه الزلزال، والبراكين، والسيول، والرياح... والإنسان هو أكبر مخلوق مؤثر في هذا الوجود؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى كرمه بالعقل. وسخر له جميع ما في الحياة لخدمته؛ ف بهذه الميزة استطاع أن يطور حياته، باستفادته من تراكم التجارب، والمعارف التي توصل إليها بنو جسه قبله. وبتكاثر البشر وانتشارهم في الأرض عبر الزمن، احتاجوا إلى التعاون فيما بينهم. والتعاون يتطلب التواصل. وأهم وسيلة للتواصل هي اللغة؛ سواء أكانت في شكلها الطبيعي الصوتي، أم في شكلها الرمزي المكتوب أم المرسوم أم المنحوت؛ فهي وعاء العلوم والأفكار، وهي التي تنقلها إلى الغير عبر الزمان والمكان. وما تحمله اللغة، هذه الأشكال المتعددة من فنون التعبير، وبخاصة التعبير الأدبي الراقي،

كما رأينا في هذا الفصل أن الحضارات تأثر بعضها ببعض؛ حيث تأثرت الحضارة العربية الإسلامية بحضارتي الشرق والغرب، منذ الفتوحات الإسلامية، واحتلال العرب بغيرهم من الأجناس. ولما هضم المسلمون حضارات من سبقهم، أضافوا إليها وأعادوا صياغتها في شكل جديد. وصاروا مؤثرين بعد أن كانوا متأثرين. اعترف بهذه الظاهرة الكثير من العلماء الغربيين والعرب؛ ومثال ذلك: الباحثة الألمانية "زيغريد هونكة" في كتابها: شمس العرب تشرق على الغرب. و"مالك بن نبي" في بحوثه: مشكلات الحضارة. كما أن الأدباء والمفكريين تأثر بعضهم ببعض؛ ظهر ذلك -على سبيل المثال- في الدراسات المقارنة التي قام بها: محمد غنيمي هلال في كتابه: الأدب المقارن، والطاهر أحمد مكي في كتابه: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمام.

ومن أجناس الأدب التي لاحظ بعض الدارسين، أنها خضعت للتأثير والتأثر: الأمثال الشعبية؛ حيث تطرق إليها "محمد بنشريفة"، في بحثه: التأثير المتبادل بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية.

وإذا كان "بنشريفة" قد اطلع على كتاب: أمثال العوام في الأندلس - لأبي يحيى الزجالي القرطبي (694-617هـ) - وقارنها بالأمثال العربية القديمة والحديثة، ثم بالأمثال الإسبانية، واكتشف التأثير العربي في هذه الأخيرة؛ فإن الكثير من الأمثال المتشابهة بين اللغة العربية واللغات الغربية التي لا حظتها - في المعنى خاصة - تدل على انتشار الأمثال بين الشعوب وعلى التأثير المتبادل؛ يظهر ذلك من خلال التشابه في الألفاظ أو المعاني أو فيما معاً، وبإرجاع بعض الأمثال إلى أصولها الأولى كما فعل Jean-Loup Chiflet في شرحه للمثال:

Les chiens aboient La Caravane passe⁽¹⁾ - الكلاب تتبّح والقافلة تمر / قال: «في الواقع يشير المثل إلى قافلة من الجمال تسير في الصحراء العربية، تقودها جمال مُسَيّْنة، تسير من غير إحساس بالمهارى التي تتجاوزها، أو الكلاب التي تتبع وتواصل سيرها لتجتاز الصحراء». فهو يُرجع المثل إلى أصوله العربية؛ مع أنه مستعمل في الثقافة الفرنسية.

Tout les chemins mènent à Rome⁽²⁾ - كل الطرق تؤدي إلى روما / فيقول شيفلي: هذه العبارة مشهورة منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وهي كانت صالحة قبل سقوط روما سنة 476م. وصار الناس يوظفون هذا المثل للتعبير على أن هناك طرقاً ووسائل كثيرة توصل إلى الهدف. ونحن ما علينا إلا اختيار الطريق أو الوجه الأحسن. فهو يشير إلى أصل المثل الإيطالي، عندما كانت روما في أوج قوتها، كما يشير إلى تاريخ اشتئاره. ونحن العرب نستعمل هذا المثل باللغة الفرنسية وترجمته العربية كما يستعمله غيرنا بلغات مختلفة.

(1)-Jean-Loup Chiflet, op, cit, p 14.

(2)-Ibid, p 32.

A bon Chat bon Rat⁽¹⁾ أما المثل:- لقط الجيد فأر جيد/

فيقول شفلي: القط الذي يصطاد فأرا، هي قصيدة مصرية قديمة، كانت في عهد الفراعنة. هو القط الذي يحمي مخازن الحبوب في المرافئ، ويصطاد فئران السفن. ثم تطور إلى مثل في القرن السادس عشر. والفار قد طور وسائل دفاعه. فالكاتب يشير إلى الأصول المصرية لهذا المثل. مع أن المثل يستعمل في الثقافة الفرنسية؛ مما يدل على التأثر.

ومن خلال ما تقدّم نستنتج أنه يصعب تحديد المؤثر الأول؛ لأن أمثال الشرق كالتي جاءت في كتاب كليلة ودمنة مثلاً، انتقلت إلى الغرب عبر العرب. كما أن الكتب الدينية التي سبقت القرآن كانت تستند في توجيهاتها إلى الأمثال؛ كما هو الحال في الأمثال التي ذكرتها من إنجيل العهد الجديد في الفصل الأول من هذه الأطروحة. بالإضافة إلى أن كل الشعوب كانت لها أمثالها، وأخذت تدونها منذ عهد بعيد؛ يقول ابن أبي شنب: «منذ العصور الوسطى، شُرع في جمع الأمثال الفرنسية، ولا تزال إلى يومنا هذا تتواتي المنشورات المتعلقة بهذه المادة»⁽²⁾.

أما تأثر الأمثال الشعبية الجزائرية بال מורوث الثقافي العربي الإسلامي، فدرسته ضمن مصطلح التناص؛ لأنها تعدّ امتداداً للثقافة العربية الإسلامية، تحمل المعاني نفسها، وتتشكل من الألفاظ ذاتها، مع بعض التعديل والتصرف بزيادة أو النقصان، أو اللحن، أي عدم الخضوع لقواعد النحوية. رأينا ذلك من خلال النماذج التي أدرجتها في هذا الفصل، للاستدلال لا للحصر.

(1)-Ibid, p12.

(2)-ابن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب، ص13.

الفصل الثالث

تأثير الأمثال الشعبية في مجالات الحياة

تمهيد

تأثير الأمثال في المجال الأدبي

تأثير الأمثال في المجال النفسي

تأثير الأمثال في المجال الاجتماعي

خلاصة

تأثير الأمثال الشعبية في مجالات الحياة

تمهيد:

كما رأينا في الفصل السابق من خلال الدراسة التناصية أن الأمثال الشعبية الجزائرية قد تأثرت - في شكلها وفي مضمونها - بال מורوث الثقافي العربي الإسلامي؛ فإنها قد أثرت كذلك وما زالت تؤثر على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات في الحالات العادية أو الاستثنائية؛ عندما لا يمكن التصرّح بالأراء أو بمحنة النفس. وتؤثر في السلوكيات الأخلاقية، وكذا في الحياة النفسية للفرد والمجتمع. كما يظهر تأثيرها واضحًا في النتاج الأدبي الرسمي والشعبي، نثراً وشعرًا. «ولما عرفت العرب أنّ الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جلّ أساليب القول، أخرجوها في أقوالها من الألفاظ؛ ليحفّ استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجلّ الكلام وأنباته، وأشرفه وأفضلاته؛ لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، وبسيط مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائداتها.

ومن عجائبها أنها - مع إيجازها - تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب. والحفظ موكل بما راع من اللفظ، وندر من المعنى»⁽¹⁾ ولعلّ هذا التأثير نابع من كونها عصارة تفكير جمعي، قبلته الجماعة بعد صقله وتهذيبه، ونقلته إلى أجيالها بالتواتر الشفهي، قبل أن تكون الكتابة وبعدها.

والأمثال الشعبية تعد أحد عناصر الأدب الهمامة، التي يبحث فيها علم الاجتماع وعلم نشوء الشعوب والأجناس والأنثروبولوجيا؛ وذلك لأنّ الأمثال الشعبية تعتبر سجلاً لعادات وطبائع الشعوب؛ فهي تحمل تجاربهم وثقافتهم وعاداتهم، وتدل على نفسيّاتهم، كما أنها تنظم علاقاتهم الاجتماعية، وتحوي بأخلاقهم ومثلهم. هذا من ناحية المضمون.

أما من ناحية الشكل، فالأمثال قد تكون مرسلة، وقد تكون مسجوعة، وهي في بعض أشكالها تشبه الشعر، ولعل هذا ما ينطبق عليه قول بن خلدون: «... وقد استعمل المتأخرُون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع، والتزام التقفيَّة... وصار هذا المنثور إذا تأملته، من باب الشعر وفنه، ولم يفترقا إلا في الوزن»⁽²⁾.

⁽¹⁾ أبو هلال العسكري، جهرة الأمثال، ج 1، ص 14.

⁽²⁾ ابن خلدون، المقدمة، ص 1094.

أولاً-تأثير الأمثال في المجال الأدبي:

1-تعريف كلمة أدب:

أدب في اللغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: أدب، الأدب الذي يتأنب به الأديب من الناس؛ يسمى أدباً؛ لأنَّه يأدب الناس إلى المhammad، وبينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنف يدعى إليه الناس: مداعاة، ومأدبة. والأدب: أدب النفس والدرس. والأدب: الظرف وحسن التناول. وأدب بالضم - فهو أديب من قوم أدباء. وأدبه فتأنب: علّمه. ويقال للبعير إذا ريض وذُلّ: أديب، ومؤدب، والأدب الداعي إلى الطعام. والأدب: العجب.⁽¹⁾

أدب في الاصطلاح: أما في الاصطلاح: فكلمة أدب كثرت تعريفها واختلفت باختلاف المدارس الأدبية النقدية في رؤيتها لهذا المفهوم، وما يحتويه من عناصر فكرية ولغوية، وما يؤديه من وظائف نفسية، سياسية جمالية، اجتماعية، اقتصادية... و مدلولها قد عرف تطوراً كبيراً تبعاً لتطور حياة الأمة العربية، وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدنية والحضارة عبر التاريخ والثقافات.

يقول شوقي ضيف: «إذا رجعنا إلى العصر الجاهلي ننقب عن الكلمة فيه، لم نجد لها تجري على ألسنة الشعراء؛ إنما نجد لفظة: (أدب) بمعنى الداعي إلى الطعام، فقد جاء على لسان طرفة بن العبد: نحن في المشتاة ندعو الجَفَلَ = لا ترى الآدبَ فينا يَنْتَقِزُ»⁽²⁾ فطرفة، يفتخر بكرم قومه؛ فهم في الشتاء عندما يدعون إلى طعام، فإن دعوتهم تكون عامة، وليس خاصَّةً بآناس دون آخرين؛ فالداعي عندما ينادي، ينادي الجميع، ولا ينتقد أياً لا يختار أو يقصد بدعوته أشخاصاً معينين. وهو معنى حسي.

ويرى شوقي ضيف-أيضاً- أن ليس وراء بيت طرفة أبيات أخرى تدل على أن الكلمة انتقلت في العصر الجاهلي من هذا المعنى الحسي إلى معنى آخر، غير أننا نجدها تستخدم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، في معنى تهذيب خلقي؛ ففي الحديث:

⁽¹⁾ - ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 206-207.

⁽²⁾ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ط 8، دار المعارف، مصر، د/ت، ص 7.
* - المشتاة: الشتاء أو المكان الذي يقضون فيه الشتاء. الدعوة الجلفي: الدعوة العامة. ينتقد: لا يختار أنساناً دون آخرين.

«أدبني ربّي فأحسن تأدبي». ويستخدمها شاعر مخضرم، يسمى : سهم بن حنظلة- بنفس المعنى إذ يقول: لا يمنع الناس مني ما أردت ولا == أعطيهم ما أرادوا حُسْنَ ذَا أدبًا⁽¹⁾ و لعل معنى البيت: إما أنه يقهر الناس، فيمنعهم ما يريدون منه، ولا يمنعونه ما يريدون، لعزته. وجعله أدبًا حسناً. أو أن الشاعر أنكر على نفسه بأن الناس يعطونه و يمنعونه، ثم قال: حُسْنَ ذَا أدبًا، أي: ما أحسن هذا الأدب! على سبيل الإنكار والتهكم.

وريما استخدمت الكلمة في العصر الجاهلي بهذا المعنى الخلقي؛ غير أنه لم تصلنا نصوص تؤيد هذا الظن.

أما طه حسين فيقول: « هو أنتا لا نعرف نصا عربيا جاهليا صحيحا ورد فيه لفظ أدب، والشيء الذي لا شك فيه أيضا هو أنتا لا نعرف أن لفظ الأدب قد ورد في القرآن. وكل ما نعرفه أن هذه المادة قد وردت في حديث، مهما يكن رأي المحدثين فيه، فليس هو بالحجة القاطعة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استعمل هذه المادة، وهذا الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم: «أدبني ربّي فأحسن تأدبي» هذا الحديث لا يثبت حكما لغويًا إلا إذا ثبت ثبوتا لا يقبل الشك، أو كان الراجح على أقل تقدير أنه صادر بلفظه عن النبي- صلى الله عليه وسلم - »⁽²⁾ ، ويقول في موضع آخر: «إذا لم نجد مادة الأدب في لغة قريش ولا في العبرانية ولا في السريانية، فليس ما يمنع أن تكون هذه الكلمة قد دخلت في لغة قريش إبان العصر الأموي، انتقلت إليها من إحدى اللغات العربية التي ضاعت»⁽³⁾

ويتحقق - طه حسين وشوقى ضيف - في رفض رأي الأستاذ (نلينو) الذي يقول: بأن كلمة أدب مشتقة من «الدّاب» وهو العادة، أو السنة والسيرة ، ويرى أن هذه الكلمة لم تشتق من المفرد، وإنما اشتقت من الجمع؛ فقد جمعت «أدب» على «أدآب» ثم قلبت فقيل: آداب كما جمعت «بئر» و «رئم» على «أبار» و «أرام» ثم قلبت فقيل: «آبار» و «آرام ». ويعتبر أنه رأيا يعتمد على الفرض؛ فليس لدينا من النصوص أو القرائن العلمية الواضحة ما يبيّن أن لفظ الأدب قد اشتق من الأدب بمعنى الدعوة إلى الولائم، أو اشتق من الأدآب جمع دأب⁽⁴⁾

⁽¹⁾ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، ص 8

⁽²⁾ - طه حسين، الأدب والقدّاد، دار الكتاب اللبناني، ط 1 بيروت، 1973م، ص 25.

⁽³⁾ - طه حسين، المرجع السابق، ص 27.

⁽⁴⁾ - ينظر طه حسين، المرجع السابق ، ص 25. و شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، ص 7.

و في عصر بني أمية صارت تدور في المعنى الخلقي التهذيبى، يضاف إليه معنى ثانياً جديداً، وهو معنى تعليمي؛ فقد وجدت طائفة من المعلمين تسمى بالمؤدبين، كانوا يعلمون أبناء الخلفاء ما تطمح إليه نفوس آبائهم فيهم من معرفة الثقافة العربية، فكانوا يلقنونهم الشعر والخطب، وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام. وأتاح هذا الاستخدام الجديد لكلمة الأدب أن تصبح مقابلة لكلمة العلم، الذي يطلق حينئذ على الشريعة الإسلامية، وما يتصل بها من دراسة الفقه والحديث النبوى وتفسير القرآن الكريم⁽¹⁾ وقريب من هذا المعنى يراه طه حسين إذ يقول: «وكان الناس يقولون : "أدب فلانا" فيفهمون منها هذين المعنين: علمه الأدب، وهو هذا النوع من العلم الذي أشرنا إليه، وأخذه بالأدب، وهو هذا النوع من الحياة التي ذكرناها. وظل لفظ الأدب يدل على هذين المعنين طوال العصر العربي الفصيح»⁽²⁾

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي وجدنا المعنين التهذيبى والتعليمي يتقابلان في استخدام الكلمة؛ فقد سمى ابن الميقن رسالتين له تتضمنان ضرورة من الحكم والنصائح الخلقية والسياسية باسم: «الأدب الصغير» و«الأدب الكبير» وينفس هذا المعنى سمي أبو تمام (ت 232هـ/846م) الباب الثالث من ديوان الحماسة، الذي جمع فيه مختارات من طرائف الشعر، باسم باب الأدب ...

وفي هذه الأزمنة أي في القرنين الثاني والثالث للهجرة وما تلاهما من قرون كانت الكلمة تطلق على معرفة أشعار العرب وأخبارهم، وأخذوا يؤلفون بهذا المعنى كتبًا سموها كتب أدب مثل: البيان والتبيين للجاحظ (ت 255هـ) وهو يجمع ألواناً من الأخبار والأشعار والخطب والنواذر، مع ملاحظات نقدية وبلاغية كثيرة، ومثله الكامل في اللغة والأدب للمبرد (285هـ) وقدّم فيه صوراً من الرسائل النثرية التي ارتفعت صناعتها في تلك العصور. جاء في مقدمته: «هذا كتاب ألفناه يجمع ضرورياً من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر، وموعظة باللغة و اختيار من خطب شريفة، ورسالة بلغة»⁽³⁾

⁽¹⁾ - ينظر: شوقي ضيف، المرجع السابق نفسه، ص.8.

⁽²⁾ - طه حسين، المرجع نفسه، ص.28.

⁽³⁾ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، ص.9.

أما ابن خلدون فقد قال: «الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف»⁽¹⁾

وأخذت الكلمة (الأدب) منذ أواسط القرن الماضي تدل على معنيين: معنى عام يقابل معنى كلمة (Littérature) الفرنسية التي يطلقها الفرنسيون على كل ما يكتب في اللغة، مهما يكن موضوعه، ومهما يكن أسلوبه، سواء أكان علماً أم فلسفه أم أدباً خالصاً؛ فكل ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدباً. ومعنى خاص هو الأدب الخالص الذي لا يراد به إلا مجرد التعبير عن معنى من المعاني، بل يراد به أيضاً أن يكون جميلاً بحيث يؤثر في عواطف القارئ والسامع على نحو ما هو معروف في صناعتي الشعر، وفنون النثر الأدبية مثل: الخطابة والأمثال والقصص والمسرحيات والمقامات.⁽³⁾ واستقر في آخر المطاف على التالي:

الأدب، هو ذاك الكلام الفني الرافي من المنظوم والمنثور، الذي تجود به قرائح الأدباء في كل عصر وحين. قال ابن خلدون: « وإنما المقصود منه -أي من علم الأدب- عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فن المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناجيهم»⁽⁴⁾. فابن خلدون يرى أن الإجادة في الفنين هي سبب سموهما، والإجادة هي ثمرة علم الأدب؛ فالشاعر والكاتب لا يجيدان إلا إذا تحكمَا في أساليب العرب ومناجيهم.

والأدب هو: «الكلام الإنسائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء أكان شعراً أم نثراً»⁽⁵⁾.

يقول طه حسين: «أليست إذا سمعت كلمة الأدب الآن ففهمت منه مأثور الكلام نظماً ونثراً، وما يتصل به من هذه العلوم والفنون التي تعين على فهمه من ناحية وتذوقه من ناحية أخرى»⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ - ابن خلدون، المقدمة، ص 1069.

⁽²⁾ - Micro Robert. Dictionnaire du français Primordial. Le Robert. Paris 1984.P 618.

⁽³⁾ - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، ص 10.

⁽⁴⁾ - ابن خلدون، المقدمة، ص 1069.

⁽⁵⁾ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، ص 7.

⁽⁶⁾ - طه حسين، الأدب والنقد، ص 30.

فالمنظوم من الكلام هو ما يسمى بالشعر؛ لخضوعه للوزن و القافية. أما المنثور فهو الكلام المرسل غير المعتمد على الوزن و القافية. ويقسمه صاحب كتاب البرهان في وجود البيان أربعة أقسام هي: الخطابة والترسل والاحتجاج والحديث قال: «فأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة أو ترسلاً أو احتجاجاً أو حديثاً، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه»⁽¹⁾. ويقول في موضع آخر - مقارنا بين المنثور والمنظوم «اعلم أن سائر العبارات في لسان العرب، إما أن يكون منظوماً أو منثوراً، والمنظوم هو الشعر، والمنثور هو الكلام»⁽²⁾.

غير أن الكلام تسع دلالاته لتشمل الشعر والنثر معاً عند بعض القدماء؛ فهذا أبو الفتح الموصلي يقول: «اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقد إلى آلات كثيرة»⁽³⁾ فالتأليف في الأدب عده صناعة تحتاج إلى آلات وخبرة؛ فالآلات هي علوم ومعارف كثيرة، تتعلق بالشكل والمضمون.

يقول محمد سعدي: «الأدب هو ذلك الكلام الفني الجمالي رفيع المستوى من شعر أو نثر، صادر عن أديب، كاتب أو شاعر، وخاضع لمنطق لغوي وفني معين»⁽⁴⁾ والأمثال جنس أدبي يمتاز بالإيجاز وإصابة المعنى، وهو متداول شفهياً بين طبقات الشعب لما يحمله من تجربة الأسلاف وحكمتهم، الملخصة في هذه العبارة الموجزة المؤثرة؛ فهي تعد رافداً من روافد ثقافة الأمة، التي من الضروري الحفاظ عليها؛ بتوظيفها في الخطاب العادي اليومي، أو الخطاب الأدبي الشعري. وما دام الأدباء جزءاً من هذا الشعب الموظّف لهذا النوع من الأدب؛ فلا غرو أن يتأثر إنتاجهم به، وينتشر في كثير من شعرهم ونثرهم في إطار ما يسمى بالتضمين أو الاقتباس - كما سمي قديماً - أو التناص كما تسميه الدراسات النقدية الحديثة. ففي القديم - عندما ساد الشعر على النثر لأسباب ثقافية؛ حيث البيئة الأمية التي تعتمد الذاكرة للحفظ، وبناسبيها الكلام الموزون المقفى (الشعر) - سادت الأمثال كذلك للسبب نفسه.

⁽¹⁾ - الكاتب، أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن وهب، البرهان في وجود البيان، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1969م، ص 150.

⁽²⁾ - الكاتب، المصدر السابق، ص 127.

⁽³⁾ - ابن الأثير، المثل السائرة في أدب الكاتب والشاعر ، ص 3.

⁽⁴⁾ - سعدي محمد، الأدب الشعري بين النظرية والتطبيق. د.ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1998، ص 9.

يقول طه حسين: « والأمثال بطبعتها أدب شعبي مضطرب متتطور، يصح أن يؤخذ مقاييساً لدرس اللغة، ومقاييساً لدرس الجملة القصيرة، كيف تكون، ومقاييساً بنوع خاص لعبث الشعوب بالألفاظ والمعاني...»⁽¹⁾

وإذا كان الشعر يتمتع بتكتيف المعنى وتركيزه، فإن الأمثال تضاهيه في هاتين الميزتين؛ ولهذا احتاج الشعراء -في بعض الأحيان- إلى ترصيع أشعارهم وتوسيتها بأمثال تقوى معانيهم، وتدل على صحة أفكارهم. قال السيوطي في التضمين: « هو إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى، أو ترتيب النظم »⁽²⁾. كما لجأ الخطباء والروائيون إليها دعماً لمعانيهم، وتأثيراً في سامعيهم أو قارئي آثارهم.

2- تأثر الشعر بالأمثال:

لقد تأثر الشعراء بالأمثال؛ لما تحمله من حكمة مركزة في قول موجز، كما أن المجتمع يحتفظ في ذاكرته بفكرة الأمثال، أو بمغزاها، مما يسهل عملية التواصل بين الشاعر والمتلقي، ولذلك يلجأ إليها الشاعر ليضمنها في شعره، أو يشير إليها في تعبيره عن أفكاره ومقاصده؛ لأنها تمثل تجارب الأمة وفكرها الاجتماعي والتقافي والنفسى على مر العصور. ولهذا فالأمثال قد سايرت الشعر العربي منذ العصر الجاهلي. ومن شعراء ذلك العصر الذين وظفوا في أشعارهم نجد:

النابغة الذهبياني⁽³⁾ الذي نظم قصيدة معتذراً إلى النعمان بن المنذر مادحاً إياه. وهذا مطلعها: أتاني أبيت اللعن أنك لمتنى == وتلك التي أهتم منها وأنصب إلى أن يقول: ولستَ بمستيقِ أخَا لا تُلْمِه == على شعْثِ، أي الرجال المهدّب فإن أكَ مظلوماً، فعَبْدَ ظَلْمَتَه == وإنْ تَكُ ذَا عُثْبَى، فَمِثْلَكَ يُعْتَبُ *

فالنابغة عبر عن موقفه بحكمة. وهي: ليس في الدنيا من خلا من العيوب؛ فإذا لم تقبل صداقة صديق على ما به من عيب، فلن تجد صديقاً، ولا تستبني لك أخا. ثم استفهم استفهاماً دلالته الإنكار. بمعنى لا يوجد الرجل المهدب كاملاً والأوصاف. وهو قد وظف

⁽¹⁾ - طه حسين، الأدب والنقد 1، ص.333.

⁽²⁾ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 243.

⁽³⁾ - النابغة الذهبياني، ديوان النابغة الذهبياني، شرح وتقدير: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1996م، ص 28.

المثل: «أي الرجال المهدب» ، ليختصر به كلاماً كثيراً، ويستشهد به على صحة رأيه وحسن نوایاه، ونبل سريرته، ويستعطف ممدوحه ليعفو عنه.

وهذا زهير بن أبي سلمى، قد ضمن معلقته الكثير من الحكم، التي صارت أمثلاً شائعة بين الناس يتداولونها في أحاديثهم العادية أو في إنتاجهم الأدبي. ومنها:

و من يغترب يحسب عدوا صديقه = ومن لم يكرّم نفسه لم يكرّم⁽¹⁾

يقول: من سافر واغترب حسب الأعداء أصدقاء؛ لأنه لم يجريهم فتوقفه التجارب على ضمائر صدورهم. و المثل: ومن لم يكرّم نفسه بتجنب الدنيا لم يكرّمه الناس.

أما بشار بن برد فيقول⁽²⁾:

بني وائل إن الصغير بمثله == كبير فلا تستعجلوا بهم بـ
على أهلها تجني براوش فاتقوا == جنادة عبد واسعدوا بـ قلوب
صغير الأذى يدعو كيرا لأهله == وتفتح القرى بذنب قريب

وهو في هذه الأبيات يهجو أبا هشام الباهلي، فيحذر وائل؛ لأن باهل تنسب إليه؛ فعلى وائل أن تتجنبه وتحذر منه، وإلا جنت على نفسها كما جنت براوش على أهلها.

فبشار قد وظف المثل: " على أهلها تجني براوش" * * *⁽³⁾ ، وهو مثل يضرب لمن أتاه الشر من نفسه، ولمن عمل عملاً يعود بالضرر عليه، أو على ذويه. وهو هنا قد استعان بعنصر التراث العربي في تحذير أعدائه وزرع الخوف في قلوبهم بإحالتهم إلى قصة براوش مع أهلها، فمنها يأخذون العبرة.

ويقول أيضاً: ⁽⁴⁾ حملتني السوق وباعدتي == ما هكذا الربُ لمريوب *
رضيت ميعادك يا سيدِي == إن لم يكن ميعاد عرقوب

* - مستبق: من استبقى: عفا عن ذويه. الشعث: الفساد، العيب. أي الرجال المهدب: أي الحال من كل عيب. المعنى: الرضا. مثلك يتعجب: مثلك يغفو ويصفح.

(1) - الزويني، شرح المعلقات السبع، ص 121.

(2) - بشار بن برد، ديوان بشار، فؤاد وفديمة إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط 1، سنة 2000، ص 130.

(3) - الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، ص 337.

** - جاء في مجمع الأمثال، ج 1، ص 337 ، براوش: كلبة لقوم من العرب... وقد أغارت عليهم أحد الأقوام ، ومعهم براوش ، وكانت تنجع في أثناء هروبهم ، فاستدل القوم على آثارهم ، عن طريق نباح براوش ، فهجموا عليهم ، فكانت براوش سبب هلاكه .

ولها روايات أخرى.

(4) - بشار بن برد، ديوان بشار، ص 133.

* - يزيد بهذا القول إثبات الرندقة على حماد.

فبشار قد ضمن بيته المثل العربي (مواعيد عرقوب)⁽¹⁾، وهو مثل يضرب لمن يعد فيخلف وعده، وقد ذكر هذا المثل في هجائه - لحمد عجرد - فهو يستذكر إخلال الوعد؛ لأنَّه راض بالوعد، بشرط أن لا يكون مثل مواعيد عرقوب؛ لأنَّ الميعاد في نظره لا يمكن تحقيقه، فهو يؤنب مخاطبه بذكر هذا المثل، ويحثه على إنجاز الوعد.

و من خلال ما جاء في هذه الأبيات وفي غيرها؛ نجد أنَّ بشار قد اعتمد على الموروث التقاوِي العربي باستغلاله الأمثال لتفويت حججه. و توسيعة شعره، و مخاطبة متلقي شعره بما يفهمون.

و من الأمثال التي استعملها «أبو تمام» في شعره، المثل: (كالمستغيث من الرمضاء بالنار)⁽²⁾. وهو مثل يضرب للرجل يفر من أمر خطير إلى ما هو أخطر منه. قال الشاعر: المستغيث بعمرو عند كربته ++ كالمستغيث من الرمضاء بالنار⁽³⁾

قال أبو تمام⁽⁴⁾ :

+ وَقَدْ كُنْتُ فِي سَلَمٍ فَأَصَبَّحْتُ فِي حَرْبٍ +
+ لَعْمَرُو مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارِ تَلَظِي +
+ أَرَقُّ وَأَحْفَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ *

وأشار أبو تمام إلى هذا المثل في قوله السابق؛ ليعبر من خلاله عن معاناته مع من يحب، فأفاد منه دلالات الفلق، والاضطراب اللذين يعتريانه، وبهذا المثل جسد المعنوي في صورة الحسّي، فلا خلاص له من هذا الألم النفسي؛ لعدم امتلاكه حلاً لمشكلاته مع من يحب؛ فهو بين خيارين_ الفراق أو الصبر_ وكل واحد منها أسوأ من الآخر.

والمثل الثاني: (برق الخُلُب)⁽⁵⁾. و هذا المثل يضرب لمن يعطي شيئاً لا قيمة أو لا حقيقة له.

⁽¹⁾ - الميداني، مجمع الأمثال، ج 2. ص. 193.

⁽²⁾ - أبو هلال العسكري، جهة الأمثال ج 2. ص. 133.

⁽³⁾ - أبو هلال العسكري، المصدر السابق، ص 133 - جاء في هامش الصفحة: البيت في اللسان (دعا)، وفي فصل المقال: «وقال أبو الفرج الأصفهاني»: إن قائلنا من قواد أحد بن عبد العزيز بن أبي دلف هرب إلى عمرو بن الليث، وهو يومئذ بخراسان، فعلم ذلك أحد وألقه، فدخل عليه أبو نجدة لحيم بن ربيعة بن عوف منبني عجل، وكان شاعراً فأنشده: = أبياتاً منها :

يا من تيم عمراً يستجير به++ أما سمعت بيت فيه سِيَار .. . المستجير بعمرو عند كربته ++ كالمستجير من الرمضاء بالنار.

⁽⁴⁾ - أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام، تحقيق: محى الدين صبحي، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، سنة 2009م، ج 2، ص 409

**- جاء في المعجم العربي الأساسي ، ص 335. أحفي: من حفا يحفو، حفوا، الحافي ، حفاه، أكربه، أحفي: أكرم. ص، 1034. لاكرب: حزن وغم.

⁽⁵⁾ - العسكري، جهة الأمثال، ج 1، ص 183.

و البرق الخَلْب هو البرق الذي لا مطر معه، وقد ضمن أبو تمام هذا المثل في إحدى مدائنه مصوراً المعنوي بالمحسوس، ومحتصراً تعبيره في كلمتين قائلاً^(١):

* وَيَرْقُتْ لِي بَرْقَ الْيَقِينِ وَطَالِمًا + أَمْسِيَتْ مُرْتَقِبَا لِبَرْقِ الْخَلْب *

فهو يشيد بمدحه؛ وذلك بمقارنة وعد مدحه بوعود غيره من خلال هذا المثل، ويقول: بأن برقه، أي وعده كان صادقاً؛ بينما -في السابق- كنت أنتظر المواعيد الكوانذب من غيرك.

والمثل نفسه (كالمستجير من الرمضاء بالنار) يوظفه الشاعر أحمد مطر في الشعر الحديث بعد تعديل بعض ألفاظه. يقول في إحدى قصائده، (دفاعة عن ضميري)^(٢):

أنا لا أخشى مصيري

فأنا أحيا مصيري

أي شيء

غير إغائي على صbara القر

وصحيي فوق رمضان الهجري

إلى أن يقول: يستجرون من الطغاة بالطاغي الأجير

فهم يستجرون من الطاغية الظالم، بطاغية آخر مأجر، فهو أشد خطراً من الأول.

ولم يشد شعراء الملحقون الحاليون عن شعراء الفصيح السابقين في توظيف الأمثال

في شعرهم. فهذا الشاعر (توفيق ومان). قد وظف المثل الشعبي:

«إذا حَسَنْ صَاحِبُكَ بَلْ أَنْتَ»^(٣). ومعناه، إذا حلق صاحبك شعر رأسه، فبل رأسك بالماء تحضيراً له للحلاقة؛ لأن دورك بعده. قلت استعمل المثل في قصيدة عنوانها: بيروت. ومطلعها:

قلبي راه اعديم من كثرة لمحان = وَيَكَافِ عَيُونِي عَلَى جَهَلِ الْمَصِيرِ
دموع الحَسْرَة تَجْرِي عَلَى لَجْفَانَ = رُحْيِقُ الْكَلْمَة حَفْ وَ اشْلَلُ التَّكَيْرِ

^(١) - أبو تمام، ديوان أبي تمام ج 1، ص 168.

* جاء في المعجم العربي الأساسي، ص 183. الخلب: أصله من الخلابة ، وهي الخداع. يقال: برقُ خلب، وبرقُ خلب. وقيل: الخلب: ما كان خلف برقة.

^(٢) - مقتطفات من حدائق الشعاء، أحمد مطر، نزار قباني، محمود درويش، دار البحار للطباعة والنشر، عمانالأردن، د/ت، ص 70.

^(٣) - الذاكرة الشعبية منطقية بسعادة.

إلى أن يقول:

عيب الأمة إذا حُكِمَ فيها جبان = يَدْمِرُهَا بَقْفًا يُدُو فَيْ قَاعُ الْبَيْرِ
هذا المرة جَ الدُّور عَلَى لِبَنَان = صَابُ الْأَمَّة مُشَتَّتَة وَالجُرْحُ كَبِيرٌ
إذا حَسَنَ خَوْكَ بَلْ عَلَى لَمَانَ = وَجَدَ ذَقْنَكَ زَيْنَ لِمَوَاسِ التَّصِيرِ⁽¹⁾

يدمرها بقفا يدو في قاع البير: قفا: بالقاف المعقوفة: ظاهر اليد، فالجبان يرفع يديه، رمز الاستسلام، فتسقط أنته ووطنه، وتذهب إلى المجهول، قاع البئر. لقد دُمر الوطن العربي، دولة بعد دولة بسبب تخاذل حكامه، وارتمائهم في أحضان الغرب، وجاء دور على لبنان. فالشاعر يذكر الدول - التي ما زالت لم تصلكا شظايا التدمير - بمصيرها؛ فعليها أن تتهيأ له. مستعملاً المثل الشعبي الجزائري: «إذا حسن خوك بل أنت». فكان هذه الدول آمنة ومطمئنة على مصيرها. ولكن موسى التصیر ستصل ذفتها، وتذبحها مادامت متخاذلة. حسب الشاعر. والشاعر تباً بمصير الأمة قبل قوله القذافي في قمة الدول العربية بدمشق سنة 2008. عندما قال لهؤلاء الزعماء - بعد مقتل صدام حسين -: كيف تسمحون للأمريكان أن يعتقلوا صدام حسين ويحاكموه، ويذبحوه؟ - الدور الجاي عليكم.

3- تأثير الأمثال في الخطابة:

الخطابة: لغة: مصدر، فعله خطب، يخطب، خطب على القوم، ألقى فيهم خطبة، خطب على المنبر. جاء في لسان العرب: ذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع، ونحوه. وفي التهذيب: والخطبة مثل الرسالة، التي لها أول وأخر⁽²⁾

الخطابة : اصطلاحاً: كلام منثور مؤلف يخاطب به الفرد الجماعة قصد الإقناع والاستمالة، وهي من الفنون الأدبية القديمة التي اعتمدها الساسة والداعية، ومن خصائصها اعتماد المنطق والحججة، بتضمينها أقوال الحكماء والحوادث المنقوله، والأمثال والأخبار المرورية عن حكيم أو عظيم، وفي الخطابة الإسلامية-إضافة إلى ذلك- يلجأ الخطيب إلى

⁽¹⁾- توفيق ومان، في الشعر الشعبي المعاصر، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، د/ت ، ص-ص 22-24 . وفي صفحة 22 من المصدر السابق، التعريف بالشاعر: (توفيق ومان: من عرش بني ومان، شاعر جزائري معاصر، ولد بتاريخ 03/11/1964). ولادة بسكرة. له أربعة مجموعات شعرية: وعد لعزرا، خير كان، خذق مذق، و 23 قصيدة غزل، وله انطولوجيا تحت عنوان الصوت المكون في الشعر الملحون. الصادر في إطار فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، عن المكتبة الوطنية الجزائرية. شارك في العديد من الملتقيات . كرم في لبنان جوهرة 2007م، عن حلقة الحوار الثقافي بيروت، كما كرم من طرف المكتبة الوطنية الجزائرية في 07/06/2007. بمناسبة اليوم الوطني للفنان. هو عضو مؤسس للرابطة الوطنية للأدب الشعبي، وانتخب رئيساً لها في ديسمبر 2005م).

⁽²⁾- ابن منظور، لسان العرب ج 1، ص-ص 361-361 .

الاقتباس من القرآن والسنة.».. مازالوا يسمون الخطبة التي لم يبتدئ صاحبها بالتحميد، ويستفتح كلامه بالتمجيد (البتراء) ويسمون التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلة على النبي - صلى الله عليه وسلم - (الشوهاء)⁽¹⁾. يدمج الخطيب كل ذلك ببراعته، ويلقيها بعبارات تناسب المقام، ويخرجها في أسلوب مؤثر في سامعيه حسب طبقاتهم أو مستوياتهم الفكرية والعقلية.

من أشهر الخطباء في صدر الإسلام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ومن خطبه التي ضممتها الأمثال، خطبته بعد التحكيم⁽²⁾ التي جاء فيها: «... وقد أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لقصير أمر *، فأبيتم علي إباء المخالفين الجفا، والمنابذين العصاة، حتى ارتتاب الناصح بنصحه، وضنَّ الزند بقدحه *، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنع رج اللوى == فلم تستثنوا النصح إلا ضحى الغد⁽³⁾

حادثة التحكيم، عند مخالفة أصحابه - رضي الله عنه - يُعرف عظمها من قوله: (فأبىتم علي إباء المخالفين الجفا . * * ..) وكل يعرف ما يصنع المخالف الجافي و المنابذ العاصي على أميره، وهو ناصحه حتى ارتتاب بنصحه.

وقوله - رضي الله عنه - : (وضنَّ الزند بقدحه) هذه كناية، أي لم يقدح أولم يعد

⁽¹⁾ - الباحظ، البيان والتبيين، ج 3، ص 293.

⁽²⁾ - علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، شرح الشیخ محمد عبد، راجعه: علي أحـد حـودـ، المـکـبـةـ الـعـصـرـيـةـ، بـیـرـوـتـ، صـیدـاـ، دـاـطـ، تـ2002ـ، جـ1ـ، صـ68ـ.

** قصير هو مولى جذيمة المروف بالأبرش، وكان حاذقا وقد أشار على سيده جذيمة ، أن لا يأمن للزيارة ملكة الجبيرة؛ لأنه كان قد وترها يقتلها أيامه؛ فخالفته، وقصدتها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته، وأدرك تأثيرها. فقال قصير: لابطاع لقصير أمر. فذهب مثلا.

⁽⁴⁾ - علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ص 68.

* - جاء في المعجم العربي الأساسي، ص 778، ضن: بخل، ص 587. الزند: ما تقدح به النار أي تشتعل، ص 969. قدح: الاشتعال. ص 1181 نخل: غريل كما يغريل الطحرين، وهو بمعنى احتثار وأخلص النصح.

⁽³⁾ - علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، الصفحة نفسها.

*** - ينظر علي بن أبي طالب ، نهج البلاغة ، ص ، 68 ، جاء في المامش - وأخوه هوازن هو الدرید بن الصمة والبيت من قصيدة له في الحماسة وقصته أن أحاه عبدالله بن الصمة غراً بيـنـ بـكـرـ بـنـ هـواـنـ فـغـنـمـ مـنـهـمـ وـاسـتـأـقـ إـبـلـهـمـ فـلـمـ كـانـ مـنـعـ رـجـلـهـ اللـوـىـ قـالـ : وـالـلـهـ لـاـ أـبـرـحـ حـتـىـ أـخـرـ النـقـيـعـةـ وـهـيـ مـاـ يـنـحـرـ مـنـ النـهـبـ قـبـلـ القـسـمـةـ فـقـالـ أـنـحـوـ : لـاـ تـفـعـلـ إـلـاـ القـوـمـ فيـ طـبـلـكـ وـأـبـيـ عـلـيـهـ وـأـقـامـ وـخـرـ النـقـيـعـةـ وـبـاتـ فـلـمـ أـصـبـحـ هـجـمـ القـوـمـ عـلـيـهـ وـطـعـنـ عـبـدـالـلـهـ بـنـ الصـمـةـ فـاسـتـغـاثـ بـأـخـيـهـ درـيدـ فـنـهـنـهـ عـنـهـ طـعـنـ هـوـ أـيـضاـ وـصـرـعـ وـقـلـ عـبـدـالـلـهـ وـحـالـ اللـلـيـلـ بـنـ القـوـمـ فـنـجـاـ درـيدـ بـعـدـ طـعـنـ وـجـارـ، فـأـنـشـدـ القـصـيـدـةـ . وـمـطـابـقـةـ المـلـلـ لـلـمـضـرـ ظـاهـرـةـ .

- الحكومة حكمتين: عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري؛ وذلك بعدما وقف القتال بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان، في حرب صفين سنة 37هـ . فإن جيش معاوية لما رأى أن الدبرة تكون عليه، رفعوا المصاحف على الرماح يطلبون رد الحكم إلى كتاب الله، فارتباـتـ عـلـيـهـ رـضـيـ اللـهـ عـهـ . فيـ هـذـاـ التـحـكـيمـ وـرـفـضـهـ، وـنـصـحـ أـصـحـابـهـ بـرـفـضـهـ؛ لأنـهـ خـدـعـةـ، وـأـنـهـ كـلـمةـ حقـ يـرـادـ بـهـ باـطـلـ . ولكنـ أـصـحـابـهـ خـالـفـهـ وـاخـتـارـوـ التـحـكـيمـ الـذـيـ اـتـيـ بـأـخـدـاعـ أـبـيـ مـوسـىـ الـأـشـعـرـيـ عـنـ عـلـيـهـ، لـعـمـرـ عـبـدـالـلـهـ . وـخـلـعـهـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ وـمـعـاوـيـةـ، ثـمـ صـعـودـ عـمـرـ بـنـ الـعـاصـ بـعـدـهـ، وـإـثـانـهـ مـعـاوـيـةـ وـخـلـعـهـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ وـأـصـحـابـهـ .

لي بعد ذلك رأي صالح لشدة ما لقيت منكم من الإباء، والخلاف والعصيان... وهكذا المشير الناصح إذا أتتهم و استغش ، عشت بصيرته ، وفسد رأيه.

فالخطيب وظف المثلين؛ لأن طبيعة المثل مركزة ولا تحتاج إلى حيز واسع، فأشار بهما إلى نتائج عدم الأخذ بالنصيحة، دون أن يشرح قصتي المثلين لأن المتألقين يعرفون ذلك. و لهم أن يعتبروا.

ومن خطباءبني أمية، الحجاج بن يوسف الثقفي، ومن أشهر خطبه- التي ضمنها الأمثال- في أهل الكوفة لما ولـي العراق، خطبته التي مطلعها: أنا ابن جلا و طلـاع الثايا، متـى أضع العمامة تعرفوني. إلى أن يقول: «إني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق و النقاـق، ومساوـي الأخـلاق، ما يقعـع لي بالـشنـان ولا يغمـز جـانـبي كـتعـماـز التـين...»⁽¹⁾ فالـحجـاج قد وظـف المـثـل: «لا يـقعـع لي بالـشنـان»⁽²⁾ والـقـعـقة هي صـوت الضـرب على القـرـب الـيـابـسـة لإـفـزاـع الإـبلـ، وـتـفـيرـهاـ. وـالـشـنـ هوـ الجـلدـ الـيـابـسـ أوـ الـقـرـبةـ الـيـابـسـةـ، وـهـيـ المـصـنـوـعـةـ منـ جـلـدـ العـنـزـةـ. وـالـمـثـلـ يـضـربـ لـرـجـلـ الشـهـمـ، لاـ يـفـزـعـ بـالـوعـيدـ، وـقـرـيبـ مـنـهـ قـولـ بعضـهـ: الـبـغـلـ لاـ تـفـزـعـهـ الـجـاجـلـ؛ كـمـاـ جـاءـ فـيـ شـرـحـ المـثـلـ فـيـ الـجـمـهـرـةـ.

وكثيرا ما يدرج السياسيون المعاصرـون الأمـثالـ الشـعـبـيـةـ فـيـ خـطـبـهـمـ أوـ تـدـخـلـتـهـمـ، وبـخـاصـةـ عـنـدـمـاـ يـخـرـجـونـ عـنـ الـخـطـابـ الرـسـميـ الـمـكـتـوبـ؛ لـأـنـهـ عـادـةـ يـكـتـبـ بـالـفـصـحـىـ. فـهـذـاـ الرـئـيـسـ الـجـازـائـريـ عـبـدـ العـزيـزـ بـوـتـفـلـيقـةـ، أـثـاءـ زـيـارـتـهـ لـوـلـايـةـ سـطـيفـ فـيـ مـاـيـ 2012ـمـ، بـمـنـاسـبـةـ أـحـدـاثـ مـاـيـ 1945ـ. قـالـ: جـيلـناـ أـوـ جـيلـ الثـورـةـ طـابـ اـجـانـوـ». وـهـوـ مـثـلـ شـعـبـيـ نـصـهـ: «ـكـيـ طـابـ اـجـانـوـ نـاـيـفـ جـيـرانـوـ»⁽³⁾. وـمـعـنـاهـ عـنـدـمـاـ نـضـجـتـ غـلـتـهـ قـاطـعـ جـيـرانـهـ. وـيـذـكـرـ هـذـاـ المـثـلـ للـتـدـيـدـ بـالـأـنـانـيـةـ، وـنـكـرـانـ الـجـمـيلـ. وـلـكـنـ الرـئـيـسـ اـسـتـعـمـلـ جـزـءـاـ مـنـ المـثـلـ: طـابـ اـجـانـوـ: وـيـعـنـيـ فـائـدـةـ هـذـاـ الـجـيلـ وـصـلـتـ إـلـىـ نـهـاـيـتـهـ، مـثـلـهـ مـثـلـ غـلـةـ الـبـسـتـانـ عـنـدـمـاـ تـنـضـجـ فـلـاـ بـدـ مـنـ قـطـفـهـاـ وـبـهـ تـنـتـهيـ دـورـتـهـ.

⁽¹⁾ - المحافظ، البيان والتبيين، ج 2، ص 382-381.

⁽²⁾ - أبوهلال العسكري، جمهـةـ الـأـمـثالـ، جـ 2ـ، صـ 316ـ.

⁽³⁾ - قـادـةـ بوـتـارـنـ، الـأـمـثالـ الشـعـبـيـةـ الـجـازـائـيـةـ، صـ 80ـ.

4- تأثير الأمثال في الترسل:

لقد تطور فن الكتابة في العصر العباسي نظروا كثيراً مما كان عليه من قبل؛ حيث استعملوها في كل مجالات الحياة: العلمية والسياسية والأدبية.. وكان تشجيع الخلفاء والوزراء للأدباء وللكتاب باعثاً على النهوض بالكتابة، داعياً إلى ارتفاع شأنها. «وهكذا نجد الكتاب يتبعون المثل والحكمة، سواء أكانت في النثر أم في الشعر، وهذا للاستشهاد بها ولتربيتين كتاباتهم، وإلظهار رصيد معارفهم، وقدرتهم على التصرف فيه، على حسب ما يوافق نسيج أسلوبهم، وفوق كل هذا – فيما يبدو لي – أن الإنسان يسوق المثل والحكمة للعبرة، وهذا تجنياً للورطات التي قد يسقط فيها»⁽¹⁾ إن هذين النوعين قد ترددوا في الرسائل، لأن النقاد أو المنظرين لفن الرسائل، كانوا يشترطون من الكاتب النظر في كتب الأمثال الواردة نظماً ونثراً. كأمثال الميداني، والمفضل، وحمزة الأصبهاني وغيرهم، وأمثال المحدثين الواردة في أشعارهم، كأبي العتاهية، وأبي تمام، والمتibi، وأمثال المولدين.⁽²⁾

وكمثال على استغلال الأمثال في التركيب البنائي للجمل و التعبير، في الرسائل، نأخذ المثال التالي: وهو قول في إحدى رسائل ابن خلدون إلى ابن الخطيب وهو «إني قمت مقام محمود في استمالة الكافة على المناصحة، وما يطلع إليه فضلكم واهتمامكم من خاصيتها في النفس والولد؛ فجهينة خبره مؤدي كتابي إليكم، ناشئ تأدبي، وثمرة تربتي؛ فسهلوا له الإذن حتى يؤدي ما عندي وما عندكم، و أتمنوه على ما تحدثون؛ فليس بظنين على السر»⁽³⁾.

أما المثل الذي ضمنه فهو: «عند جهينة الخبر اليقين»، وهو يدل على معرفته بالشخص المبعوث معرفة يقينية، ويحيل إلى حكاية الأخنس الجهنمي مع حصين الكلبي. هذه الحكاية المعروفة في كتب الأمثال⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ – الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، (في القرنين السابع والثامن)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص 432.

⁽²⁾ – التويري، نهاية الأدب، ج 7، ص 34. نقلًا عن الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، ص 430.

⁽³⁾ – ابن خلدون، تاريخه (التعريف)، م، 7، ق 14، ص 947-948. نقلًا عن محمد الطاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، ص 432.

⁽⁴⁾ – الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، ص 623. (ومفادها أن رجلاً اسمه الأخنس بن شريق من جهة، ترافع مع رجل اسمه حصين بن عمر بن معاوية من كلاب ، لكن الأخنس غدر بحسين وقتلها، وفي طريق العودة التقى بأمرأته فسألته عن حصين، فأخبرها بأنه قتلها، فلم تصدق، وأنشد أبياتاً منها: تسأله عن حصين كل ركب – وعند جهينة الخبر اليقين).

والجاحظ يطعننا على بعض رسائل عصره، في كتابه البيان والتبيين، وهذه رسالة إبراهيم بن سبابة إلى يحيى بن خالد البرمكي يقول فيها: «ولغني أن عامة أهل بغداد يحفظونها في تلك الأيام، وهي ما ترى أولها للأصيد^{*} الجواد، الواري الزناد، الماجد الأجداد، الوزير الفاضل... و اعلم إن كنت تعلم أنه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ومن يحسن يحسن ومن يصنع المعروف لا يعدم...»⁽¹⁾.

والمثل في هذه الرسالة هو بيت الشعر للخطيبة ، الذي صار مثلاً. ونصه:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه = لا يذهب العرف بين الله والناس⁽²⁾

العرف: المعروف. ومضمونه دعوة إلى فعل الخير؛ لأن فاعل الخير سوف ينال جزاءه في الدنيا أو الآخرة. كما يقول المثل الشعبي:
«اعمل الخير وانساه وإذا اعملت الشر اتفكروا»⁽³⁾.

و الذي يفعل الخير لا ينتظر الخير من استفاد من خيره؛ بل عليه أن ينساه و ينتظره من الله أولاً، ثم من الناس؛ لأن فعل الخير يجب أن ينتشر بين الناس؛ فأنت أعتن هذا، وهو يعين آخر، وأنت يعينك غيرهما.

5 - تأثير الأمثال في الروايات:

وكما أثرت الأمثال الشعبية في الشعر العربي قديمه وحديثه، وفي الخطابة والترسل، فهي قد أثرت ومازالت تؤثر في الإنتاج الأدبي الحديث المتمثل في الروايات.

يرى (بوسماحة عبد الحميد) في كتابه: (الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة)، أن للأدب الشعبي بعدين أساسيين؛ أحدهما تعليمي ينمّي أنواعاً من النشاط العقلي والديني والأخلاقي في الإنسان، والآخر جمالي يتمثل في تربية الشعور أو الذوق الفني والترويح عن النفس⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 3، ص 521.

* - الأصيد: من يرفع رأسه كثيراً.

⁽²⁾ - الخطيبة، ديوان الخطيبة، دراسة وشح بن السكريت، دراسة وتبسيط مفید محمد قمیحة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 120.

** جاء في هامش صفحة 120، وقد نال هذا البيت الإعجاب؛ فتتمثل به عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - انظر مجمع الأمثال للميداني 2/162. وفي الكامل للمرد ص 341، إنه أمير شعره. وفي الأغانى 2/172. عن أبي عمرو بن العلاء، أنه أصدق بيت قاله العرب.

⁽³⁾ - الذاكرة الشعبية الجزائرية.

⁽⁴⁾ - بوسماحة عبد الحميد، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل الجزائري، د/ط، سنة 2008م، ص 103.

أ- الأمثال الشعبية في روايات عبد الحميد بن هدوقة:

وريما على الأسسين السابقين أو انطلاقا من تأثر عبد الحميد بن هدوقة بثقافته بيئته الشعبية، كان توظيفه لكثير من الأمثال الشعبية في رواياته. « وقد قام المثل الشعبي عنده على الكشف عن أبعاد الشخصيات الشعبية، وموافقها الأخلاقية والاجتماعية والفكريّة من الحياة »⁽¹⁾ فهو قد وظّفه في مواقف متعددة. و من الأمثال التي ضمنها في رواياته ذكر:

1- رواية الجازية و الدراوיש: فيها نجد مجموعة من الأمثال الدالة على قيم ومشاعر متنوعة؛ فالمثل: «**الملح ما ايدَّوْدُ**⁽²⁾»، مثل يتكون من جملة اسمية واحدة، ساقته الجازية للتعبير عن مشاعرها الثابتة نحو الطيب من جهة، وإظهار وفاء امرأة الريف من جهة أخرى، ولتعبر به عن التمسك بالأصول. وكل شيء أصيل: من بشر أو جماد أو نبات لا يحيط ولا يتغير بتغيير الظروف؛ بل يحافظ على أصالته، عكس المقلد: كقطع الغيار، فهناك الأصلية وهناك المقلدة، كما يقال اليوم (قطع تايوان) عن كل مصنوع مقلد أو مغشوش؛ فهو سريع التلف.

و المثل: «**الشجرة لا تهرب من عروقها**⁽³⁾»، ساقه بن هدوقة ليدل على ارتباط الجبالي وزوجته بالدشرة، وهو مثل يدل على الارتباط بالوطن. و الوطن ليس ترابا نعيش عليه؛ وإنما هو ذكريات من الماضي البعيد، إنه أهل وأحبّة، وعادات وتقاليدي، وتاريخ مشترك، إنه وسط ملائم لحياة الفرد مع جماعته. فالمثل جسد المعنوي في صورة المحسوس، ولخص المعاني السابقة، في جملة واحدة.

وكذلك المثل: «**ماء الجبل ما ايسِيل إلَى أَعْلَى**⁽⁴⁾» ويقال هذا المثل في منطقة بوسادة «**الواد ما يحمل من ذيلو**⁽⁵⁾». فالوادي له منبع أو مصدر، وعادة يكون في مكان مرتفع، وله مصب، وهو المكان الذي ينحدر إليه الماء(السيل). « تدل الدلالات الأولية في المثلين على ملاحظة الإنسان الشعبي، وتجربته التي اكتسبها من خلال احتكاكه بالطبيعة،

⁽¹⁾ - بوساحة، المرجع السابق، ص.105.

⁽²⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدواوين(رواية)، د/ط، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1983، ص.220.

⁽³⁾ - المصدر السابق، ص.15.

⁽⁴⁾ - المصدر السابق، ص.85.

⁽⁵⁾ - الذاكرة الشعبية منطقية بوسادة.

فهو يعبر بملحوظته الطبيعة عن آرائه حول بعض القضايا الاجتماعية، وارتبط هذا المثل بتعبير الدرويش عن رفضه الزواج بين امرأة الريف، ورجل المدينة، ويدل هذا الرفض على العلاقة بين البيئتين القائمة على الصراع الاجتماعي، والاقتصادي والفكري»⁽¹⁾ غير أن هذا المثل يستعمل في منطقة بوسعادة للدلالة على استحالة وقوع حدث من بعض الأشخاص؛ مثل ملاحظة شخص تعود على تلقي الصدقات، ولم يحدث أن تصدق، فإذا قيل: إن فلاناً أعطى أو تكرّم، أو ما شابه ذلك، قيل: هذا المثل، «الواد ما يحمل من ذيلو».

2- رواية ريح الجنوب: وفيها نجد-أيضاً- مجموعة من الأمثلة التي وظفها الكاتب، ومنها:- المثل: «جرح الكبد لا يضر إلا صاحبه»⁽²⁾. يرى بوسماحة أنه «يدل على تالم الأم:- خيرة- من تصرفات ابنتها- نفيسة- حيث ترى أساليب ابنتها في المعاملة انحرافاً عن المألوف؛ فهي لا تعد ابنتها كائناً مستقلاً، بقدر ما هي في نظرها امتداد طبيعي لشخصها؛ ولذلك تقف عاجزة عن فهم كل ما يصدر عنها، من تمرد عن القيم الموروثة، ما عدا التبرير التقليدي المتمثل في العقوق»⁽³⁾ وكأنها تمثل ما جاء في الآخر: «أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض، بعبارة المثل الوجيزة لخصت معاناتها، وجسدها للسامع كأنه يراها في جرح الكبد. وفيها نجد-أيضاً- المثل: «إذا شبعتُ الكرش اتفُولُ للراس غَنِي لي»⁽⁴⁾ يدل على حالة الجماعة النفسية التي وجدت في الموسيقى الوسيلة التي منحتها القدرة على التعبير بالحركة الحيوية، على حاجتها إلى الفرار من رتابة البايدية وركودها بسبب قسوة الطبيعة، وظلم الإقطاع. و هو مثل يضرب لمن لا تفكير له إلا في نفسه؛ فإذا لُبِّيت مطالبه، نسي غيره، بل نسي مستقبله، لأن تفكيره منصب على اللحظة الحاضرة. والمثل يصور تفكير بعض الناس وتصرفاتهم.

وكذلك المثل: «لا تمشي الأرجل إلا حيث أيحبُّ القلب»⁽⁵⁾ ويقال في منطقة بوسعادة: «تمشي الرجلَ وَيْنَ اِيَّهُ الْخاطِرُ». وهو يُفسّح عن العلاقات الإنسانية بين البشر في

⁽¹⁾- بوسماحة، الموروث الشعبي في روایات عبد الحميد بن هدوقة ، ص 106 .

⁽²⁾- عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب(رواية)، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 4، سنة 1980م، ص 28 .

⁽³⁾- بوسماحة عبد الحميد، الموروث الشعبي في روایات عبد الحميد بن هدوقة ، ص 197 .

⁽⁴⁾- بن هدوقة، ريح الجنوب(رواية)، ص 57 .

⁽⁵⁾- المصادر السابقة، ص 31 .

الريف، وتساهم القيم في توجيهها، إذا يقوم بعضها على إرضاء المصالح المحدودة، ويرتبط بعضها الآخر بالخير. وللـ «المثل» في الرواية على شخصية العجوز - رحمة - التي تميّزت بالعطف، والتطلع إلى العمل الصالح بتقديم النصائح والإرشادات للناس، ومنهم عائلة ابن القاضي. وهذا المثل في منطقة بوسعداء، يدل على علاقة الحب بين المتواصليين، هذه العلاقة لا ترتبطها مصالح مادية، وإنما ترتبطها عواطف ودية بحتة.

3- رواية نهاية الأمس: ضمنها الكاتب مجموعة من الأمثال الشعبية أذكر منها: المثل: «**اللي خاف اسلم**⁽¹⁾»، وهو عبارة عن نصيحة لأب أو الأم الحنون، يوصياني بذلك أولادهما بالحذر والتراث حتى يتفادوا الأخطار والكوارث⁽²⁾، وكشف هذا المثل طبيعة العلاقة بين بن الصخري والسكان في ظل الوضع الإقطاعي السائد في الريف؛ حيث يسيطر ابن الصخري على الثروة والسلطة، ويلجأ غالباً إلى استعمال العنف من أجل حماية امتيازاته. وقد أدى هذا السلوك إلى تكريس الصمت، والخوف بين أفراد القرية الذين شعروا بالظلم والاستغلال؛ ولكنهم عجزوا عن تشكيل فعل ثوري يمكنهم من الانتقال إلى حياة أفضل. وعندما يُظهر أحدهم ضجره، أو تبدو عليه مظاهر الاحتجاج ينصحه بهذا المثل. كي لا يعرض نفسه للانتقام. ويسود هذا المثل أو معناه بين الشعوب التي تحكمها الدكتاتوريات. ويضاف إلى هذا المثل في منطقة بوسعداء: (**اللي خاف اسلم، واللي اسلم سعدَتْ أيامُو**) فإذا سلم الإنسان من الأذى عاش سعيداً. فالجزء الثاني نتيجة للجزء الأول.

أما المثل: «**يد الزائر في يد المزار**⁽³⁾»، فمعناه «أن الضيف يترك أمره لمضيّقه، يخدمه ويستجيب لطلباته؛ لأن المزيد من العناية بالضيف ناتج عن المزيد من الكرم»⁽⁴⁾. فالمثل تضمن قيمتين: إكرام الضيف والعناية به، كما أنّ هذا المثل يقوله الزائر عندما يُسأل؛ ليشعر المزار بأنه ليس من حقه أن يشترط مكان الجلوس، أو نوع الأكل، أو وقته... كل هذه الأمور تُترك للمزار أي المضيّف صاحب الدار.

⁽¹⁾ عبد الحميد بن هدوقة، نهاية الأمس (رواية)، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، سنة 1978م، ص 208.

⁽²⁾ راجح خدوسي، موسوعة الجزائري في المثال الشعبية، ص 140.

⁽³⁾ بن هدوقة، نهاية الأمس (رواية)، ص 27.

⁽⁴⁾ قادة بوتلان، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 113.

والمثل: «اللّي في عُمْرُو مُدَّةٌ ما تُقْتِلُ شِدَّةً»⁽¹⁾، يدل على أن الإنسان الذي كتب الله له أن يعيش مدة طويلة، لا تقتله شدة مرض أو أزمة طارئة؛ «ومعنى ذلك أن المشاكل والصعوبات العارضة التي نواجهها لا توقف عجلة الزمن عن الدوران»⁽²⁾، «ويكشف هذا المثل الشعبي الشعور باليأس الذي دفع العجوز (ريحة) إلى التعلل بالقضاء والقدر، بسبب حالة البوس التي منعتها من إنقاذ فريدة من الموت»⁽³⁾. غالباً ما يقال هذا المثل عند عيادة المريض، لبعث الأمل في نفسه بالشفاء. أو يقال لمن اعترضته مشاكل أو أزمات اقتصادية أو اجتماعية، تطمئناً له، وإشعاره بالفرح القريب.

بـ- الأمثال الشعبية في رواية- اللاز - للطاهر وطار:

الطاهر وطار من الأدباء الجزائريين الذين ضمنوا روایاتهم الأمثال الشعبية؛ ففي رواية - اللاز - بلغ عدد الأمثال الشعبية بها أحد عشر مثلاً، يكرر توظيفها أحياناً في حوارات شخصيات الرواية، لما لها من أهمية في التبليغ والتعبير، وبالتالي يبلغ العدد تسعة وعشرين مثلاً.

يرى عبد المالك مرتاض: «أن الأمثال التي وردت في نص - اللاز - وظفت توظيفاً فنياً لائقاً بمقامها، ملائماً في معظم الأطوار لموقعها في الخطاب: سواء أكان سرداً أم حواراً. واضح أن ورود هذه الأمثال كان في الحوار أكثر من السرد. وذلك كيما يتلاءم مع المستوى الثقافي للشخصيات المستشهدة بها، وقد كانت في معظمها أمية أو شبيهة بذلك»⁽⁴⁾ كما يرى أن الأمثال المذكورة قد تناولت أحد عشر موضوعاً أو فكرة⁽⁵⁾ هي:

| التهميش | الأمثال التي تمثلها | الموضوعات أو الأفكار |
|-----------------------------|------------------------------|----------------------|
| الطاهر وطار، اللاز، ص 35-43 | ما يبقى في الواد غير حجاره | 1- البقاء للأصلح |
| اللاز ، ص 39 | الشامي شامي والبغدادي بغدادي | 2- الاختيار |

⁽¹⁾ بن هدوقة، نهاية الأمس، ص 165 .

⁽²⁾ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 12.

⁽³⁾ - بوساحة، الموروث الشعبي في روایات عبد الحميد بن هدوقة ، ص 112.

⁽⁴⁾ - عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د/ط، سنة 1984م، ص 36.

⁽⁵⁾ - ينظر: المصدر السابق، ص 39-50.

| | | |
|------------------|-------------------------------------------------|----------------------------------|
| اللaz، ص 34_28 | اسأل مجرّب ولا تسأل طبيب | 3- التجربة |
| اللaz، ص 94- | كي تجيّي تجبيها شعرة، وكـي اتروح نقطع السلسل | 4- المصادفة |
| اللaz، ص 16 | اعطيها بالدين، وما اتلوحهاش في الطين | 5- عدم التبذير |
| اللaz، 16 | لوكان يحرث ما يُبِيعوه | 6- الترهيد في غير المجدي |
| اللaz، ص 142-148 | أزرق عينيه، لا تحرث ولا تسرح عليه | 7- التشاوُم |
| اللaz، ص 220 | الدوام يتقب الرخام | 8- تأثير الزمن في تغيير الرأي |
| اللaz، ص 19 | زواج ليلة تدبّرها عام | 9- التفكير في العواقب |
| اللaz، ص 68 | النخالة تجلب الكلاب | 10- الحاجة مجيبة للذلة |
| اللaz، ص 94 | مدبوح للعيد، و الا للعاشرة | 11- حدوث المحظوظ |

أما لبيان دلالات الأمثال التي وردت في الرواية فتم الاقتصار على ثلاثة منها المثل الأول: «ما يبقى في الواد غير حجاره». والوادي هو مجرى مياه الأمطار عادة؛ وإذا جلخ الوادي؛ فإنه يجرف معه كل ما يصادفه في طريقه كالأشجار والأخشاب. وقد يلقى في الوادي بعض ما لا يحتاجه الإنسان، وقد يجر معه بعض أثاث من يسكنون بجواره، وقد تترسب بعض الأشياء على جنباته، وقد يجيش مرة ثانية ويكون أقوى، فيحمل كل شيء إلا حجارته، تتشبث بموقعها فيه؛ لأنها منه.

وقد كُرر هذا المثل في نص رواية - اللaz - ثلاث عشرة مرة، واستشهد به من دون سواه ثلاث شخصيات هي: اللاز، وحمو، و زيدان. والغاية من توظيف هذا المثل، هي البقاء

للمثل، وأن الحق لا بد أن يدمغ الباطل، وأن الأصالة الثورية هي التي تفوز في نهاية المطاف فوزاً محققاً⁽¹⁾

وأرى أن السارد أراد من تكرار هذا المثل، أن يركز على حتمية اندحار الاستعمار وبقاء أهل الأرض الأصليين؛ لأنهم هم أصحاب الحق، هم الصح، «سيأتي يوم، ولا يبقى في الوادي إلا الحجارة، إلا الصح، إلا الحق»⁽²⁾؛ لذلك جعل هذا المثل كلمة السر، يرددتها الثوري ثلاث مرات؛ ليتعرف عليه أخوه المناضل.

و عند العامة، يضرب هذا المثل ليدل على الارتباط بالأصل، أو الوطن، أو القيم، أو الدين. لأن كل من يصطنع أفعالاً، أو يتظاهر بصفات، فسرعان ما تزول، وتعود الأمور إلى أصلها. و مثال ذلك: لو مرض أحد أفراد الأسرة، فلا شك أن يهبه كثير من الناس لمساعدته في بداية الأمر؛ غير أن هذه المساعدة تكون ظرفية؛ لأنه عندما يطول به المرض يتخلّى عنه الناس إلا الخاصة من أقاربه. ولذلك قيل: «اللحم إذا انتن ليه أماليه»⁽³⁾ أي أهله، وهو كنایة عن وجوب تولي الأقارب(الأصول، الفروع، الحواشي..) شؤون من تعرض لصعوبات، أو مشاكل مهما كان نوعها.

المثل الثاني: «كي تجي تجيبيها شعرة، كي تروح تقطع السلسل»⁽⁴⁾.

وقد كرر مرتين، مرة استشهد به قدور حين رضيت عنه حبيبته، فقدمت له الشاي ليترشّفه على مقربة من باب دارها، كما استشهد به اللاز في مناجاة له داخلية. [استعمل عبد المالك مرتاض الفعل ليحسُوه، مع أن الطاهر وطار استعمل الفعل ليترشّفه؛ وأراه الأصح]. ويرى عبد المالك مرتاض: «أن هذا المثل يجسد بعداً اعتقاداً شعبياً عميقاً؛ حيث كثير من الناس يؤمنون بالحظ والمصادفة. والنص هنا يوظف هذا المثل فعلاً، بمثل هذا المعتقد الشعبي القائم على الإيمان بمحض المصادفة؛ وذلك أننا نُعْنِي النفس إعناتاً شديداً في سبيل نيل غاية من الغايات دون تحقيقها؛ على حين أن السعادة حين تُرْخي أذنياتها، وترسل سريالها، تتبتسم لنا على بغتة، تراها تُقْبَل دون عناء، وترضى بدون عَنْت. أما

⁽¹⁾ – ينظر: عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز، ص.39.

⁽²⁾ – الطاهر وطار، اللاز(رواية)، ص.37.

⁽³⁾ – الذاكرة الشعبية، في منطقة بوسعداء.

⁽⁴⁾ – الطاهر وطار، اللاز(رواية)، ص.25.

التصديقيون والمؤمنون من الناس، فيعدون مثل ذلك ببساطة قضاء وقدرا، ويستريحون، فلا أحد ينال إلا ما سطر له في اللوح، وكتب عليه في الكتاب»⁽¹⁾

أما قصة المثل في المخيال الشعبي، كما رواها لي الشيخ الدخيلي⁽²⁾ - رحمه الله - فتعود إلى زمن هارون الرشيد مع البرامكة، حيث أن أحد الحكماء تباً لأمير برمكي قائلًا: ستھان وتذل وتقنقر في سبع سنين، فاختار الأمير أن يقضيها في الصغر، فحمل بغلته كنوزاً من الذهب، وبكل ما يتزود به، وغادر قصره، متوجهًا إلى الصحراء، وفي طريقه صادف بركة، فقدم بغلته لشرب؛ فلاحظ أرجلها بدأت تغوص في البركة، حاول جرّها وإنقاذها إلا أن اللجام والسلسل قطعت، وغاصت، فترك البركة وانصرف هائماً في الصحراء، عمل أعمالاً شاقة. و لما انقضت السنون السبع، عاد أدراجه من حيث أتى، وعندما وصل البركة انكب على الماء لشرب، فصادف شعرة، جذبها ليزيلها من مشربه، وكلما جذبها ثقلت في يده؛ حتى خرجت البغلة بكمال حملها. فقيل المثل.

وهو مثل يدل على وجوب الأخذ بالأسباب، (جذب الشعرة)، وترك الباقي على الله، أي على الإنسان المؤمن أن يتوكى على الله في كل أعماله؛ وذلك بالعمل الجاد، أما النجاح وتحقيق المبتغى فيتو Lah العليم القدير. وهذا يخالف المثل: «اخدم يا التaurus للناعس»⁽³⁾.

الذي أورده عبد المالك مرتاض في هذا السياق؛ لأنه مثل يحث على الكسل، وعلى عدم الأخذ بالأسباب، وترك الأمر للخالق، وهذا ما يسمى بالتواكل.

وقصة هذا المثل⁽⁴⁾ : أن أحدهم كان جاداً في العمل، وكان بخيلاً، وكان يخزن كل المال الذي يدره عليه عمله في جذع شجرة خاوية، أما الآخر فكان دائم النوم، وعيشه على زوجته التي تكد وتتعب. وفي أحد الأيام نزل المطر وجlux الوادي، فطلبت المرأة من زوجها الناعس أن يخرج إلى حاشية الوادي، ليلتقط بعض الأخشاب التي يرمي بها الماء، فخرج وجد جذع شجرة ، فجرّه إلى خيمته، ولما شقه وجد بداخله مخزون ذلك الشقي التaurus. فقيل هذا المثل: اخْدَمْ يا التaurus للناعس.

⁽¹⁾ - عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز، ص 41.

⁽²⁾ - الشيخ الدخيلي حلبي مرجع سابق ذكره.

⁽³⁾ - عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز، ص 41.

⁽⁴⁾ - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعدة.

المثل الثالث: «النخالة تجلب الكلاب»⁽¹⁾. ويقال بصيغة أخرى: (القمح الْ أحباب، والنخالة الْ الكلاب)⁽²⁾ النخالة هي قشور حبات القمح بعد طحنه، وغرياته، ليفصل الدقيق عن النخالة، وهذه النخالة تجلب حاليا من المطاحن، وتتابع لمربى المواشي، وقديما، كانت تعجن وتخبز للكلاب، كلاب مربي المواشي، فهي غذاؤها، وهي التي تشدهم، وتجلبهم إلى بيوت أصحابها.

ويضرب المثل لتشبيه حالة بعض الناس في تهافتهم على المال، ولو كان زهيدا، ودوسهم على شرفهم مقابل ذلك، بحالة الكلاب، وانجدابها إلى هذه النخالة.

هذا المثل ساقه السارد على لسان الضابط الفرنسي. ويرى عبد المالك مرتاب أنه يترجم الطوية الخبيثة لهذا الضابط المغدور، ترجمة صادقة؛ وذلك قياسا على ما عرفناه من سلوك رجال الاستعمار ورؤوسهم منذ أن المؤوا على الجزائر إلى أن غادروها مكرهين؛ إلا أنه لا يتلاءم مع واقعية الشخصية التي اصطنعته؛ من حيث لم تك إلا فرنسية لا تتقن العربية بله الآداب الشعبية، فتضرب الأمثال وترسلها في المواقف؛ فهي سقطة لا تلائم، في رأينا على الأقل، اللغة الفنية التي كانت تصطنعها شخصية الضابط الفرنسي⁽³⁾.

غير أنني أرى أن السارد عندما أجرى هذا المثل على لسان ضابط فرنسي، لم تكن سقطة منه؛ بل تُقبل على إحدى الطريقتين: إما أن يكون الضابط الفرنسي قد درس الثقافة الشعبية الجزائرية، ليتعرف على الحياة النفسية والاجتماعية لهؤلاء الأهالي؛ فيسهل اقتبادهم والتعامل معهم. كما ذكر الدكتور عبد الحميد بورابي في دراسته، التي أشار فيها إلى أن الاهتمام بالثقافة الشعبية الجزائرية، قد بدأ منذ الربع الثاني من القرن التاسع عشر، من قبل ضباط فرنسيين؛ قاموا بتسجيلها من أفواه أهلها، وحلّلوها ودرسوها، عن طريق أكثر المناهج استجابة للغرض النفعي المقصود من طرف الإدارة الاستعمارية؛ وهو إحكام السيطرة على الأهالي.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ – الطاهر وطار، اللاز (رواية)، ص.68.

⁽²⁾ – الذكرة الشعبية في منطقة بوسعداء.

⁽³⁾ – عبد المالك مرتاب، عناصر التراث الشعبي في اللاز، ص.48.

⁽⁴⁾ – ينظر: عبد الحميد بورابي، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، د/ط، سنة 2007م، ص.8-20.

وإما أن يكون الكاتب يعبر بالمثل على لسان حال الضابط الفرنسي الذي كان يحتقر الجزائريين، ويتعالى عليهم، ويعتقد أنه يستطيع شراءهم بالمال الزهيد؛ لأنهم في حاجة إلى هذا المال، وبالتالي لا يعيرون أي اهتمام للعزوة أو الشرف، فحالهم هذه كحال من يعبر عنهم المثل.

ج- الأمثال الشعبية في روايات نجيب محفوظ:

لم يقتصر توظيف الأمثال الشعبية على روايات الأدباء الجزائريين؛ بل هو موجود عند غيرهم؛ فها هو نجيب محفوظ ، و هو من أشهر الروائيين المصريين قد ضمن أغلب رواياته الكثير من الأمثال الشعبية ؛ فهي موجودة في ثمان وعشرين (28) رواية من أصل خمس وثلاثين (35). حسب دراسة : سعيد شوقي محمد سليمان، في كتابه : توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، وبلغ عددها مائة وستة وستين (166) مرة . وهذا نموذج مما وظفه نجيب محفوظ:

ففي رواية : « زقاق المدق، نجد المثل: «**يتمسكن حتى يتمكن**»، يدل على أن السامع «**ليعجب لرقة محدثه، ولطفه حتى ليحسبه الجاهل صديقاً ودوداً** وهو في الحقيقة **نمر يتوبّ، يتمسكن، ويتمسكن حتى يتمكن، والويل لمن يتمكن منه**⁽¹⁾» وفي الرواية نفسها نجد المثل: «**كول ما يعجبك والبس ما يعجب الناس**⁽²⁾» ، ومعناه المباشر يتعلق بالأكل الخاص بالشخص نفسه، لأنه هو الذي يتذوقه، وهو الذي يضره أو ينفعه؛ أما اللباس، فإنه يتعلق برأية الآخرين فيجب أن يكون ساتراً نظيفاً، ملائماً للذوق العام، فلا يمكن أن يسير الإنسان مثلاً بلباس السباحة في الشوارع العمومية. أما المعنى الذي يستفاد في بعض السياقات فإنه يدل على بعض التصرفات، أو الأقوال التي يجب أن تكون ملائمة في بعض المواقف. و مما يلاحظ أن المثلين متداولاً بين أفراد المجتمع الجزائري بالصيغة نفسها. ودلالتهمما مباشرة و واضحة.

ويرى سعيد شوقي محمد سليمان: أن نجيب محفوظ يستدعي لغة المثل الشعبي -في كثير من الأحيان- في السرد وال الحوار دون تسمية، أو إشارة إلى كونها مثلاً، « ولكن يخرطها

⁽¹⁾ - نجيب محفوظ، **زقاق المدق**(رواية)، دار مصر للطباعة، القاهرة، د/ت ص 70.

⁽²⁾ - المصدر السابق، ص 74.

في أسلوبه خرطا، دون فاصل أو توضيح، وفي بعض الأحيان يحدد تسميتها بالمثل: قالوا في الأمثال، على رأي المثل، يقول المثل، والمثل القائل، وفي أحيان يحدد أنها قول فقط، مثل: وقالت المرأة لنفسها. أو يسميه غمغمة، أو غمغمة سافرة⁽¹⁾

ومن هنا نلاحظ أن توظيف نجيب محفوظ للمثل في رواياته، وكذلك الطاهر وطار، وعبد الحميد بن هدوقة، يشبه استعمال المثل في اللغة الشفوية، في الحياة اليومية عندنا في الجزائر.

يقول سعيد شوقي: «وربما وضح للكاتب في رواياته التاريخية، أن استخدام المثل الشعبي - بما يحمله من دلالات شعبية، في السرد الروائي أو على ألسنة الشخصوص - يمكن أن يخرج بالجو الروائي من التاريجية، التي تظهرها اللغة المحددة، غير المحملة بدلالات مسبقة، إلى المعاصرة، التي تظهر في استخدام المثل الشعبي، بما يحمله من حس شعبي»⁽²⁾

و استعمال الأمثال الشعبية في روايات هؤلاء الأدباء يدل من جهة- دلالة واضحة على انتمائهم للبيئة الشعبية، كما يدل على تأثرهم بثقافتها، وتأثيرها في إنتاجهم. فالمثل الشعبي تفرضه الطبيعة الفنية للغة الروائية، بقدر ما تفرضه الطبيعة التكوينية للغة الكاتب، بالإضافة إلى قصدهم إعطاء بعد شعبي للشخصوص في رواياتهم، لأن الأمثال الشعبية ترتبط غالبا بالجانب الاجتماعي.

ويدل هذا التوظيف من جهة أخرى على أهمية الأمثال ودورها في حياة الناس. يلاحظ مما سبق، أن الأمثال الشعبية وظفت في أهم أشكال الأدب، قدما في الشعر والخطابة، والترسل وحديثا في الروايات. وقد وظفها أكبر الشعراء والخطباء والروائيين. « ولا مراء في ذلك؛ إنها كما يقول العرب: "المنارات التي تضيء الخطب". بالاستعانة بمثل يتم إسكات ثثار، وإنعاش محاذنة، والتوليف بين القلوب، واجتناب الخطب الطويلة، وتوبیخ ضال وتفنيد حجة و إصلاح خطأ والاستجابة لدعوة»⁽³⁾.

⁽¹⁾ سعيد شوقي محمد سليمان، توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، ط 1، القاهرة، إتراك للنشر والتوزيع، سنة 2000م، ص-338-340.

⁽²⁾ المرجع السابق ، ص-341-342.

⁽³⁾ محمد ابن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب ، ص-13.

ثانياً - تأثير الأمثال الشعبية في المجال النفسي:

لا ريب أن الكثير من المكونات النفسية يمكن تلمسها في شخصية الفرد من خلال تصرفاته، أو من خلال تغيرات تظهر على وجهه أو على أجزاء من جسمه، أو من خلال كلامه في مختلف المواقف. و ملامح الشخصية هذه يمكن أن تكون فردية، تختلف من فرد إلى آخر في المجموعة نفسها، وقد تكون جماعية؛ أي أن يكون تعبير الجماعة بالأسلوب نفسه، الذي يعبر به الفرد. و مادام هناك اختلاف ملاحظ بين الأفراد والجماعات في سمات الشخصية؛ فلا شك أنه بتأثير خارجي؛ لأنه لو كان فطرياً لما كان هناك اختلاف؛ هذا المؤثر الخارجي يتمثل في الثقافة.

أثر الثقافة في سمات الشخصية:

لقد قسم فرويد الحياة النفسية ثلاثة أقسام أو (مناطق).

1_ الـ *الـهو* (id): هو كل موروث يظهر مع الميلاد، أو كل ما هو مثبت بالجبلة، أو هو مجموع الدوافع والغرائز الفطرية؛ التي تحتاج إلى إشباع.

2_ الـ *الـأنا* (ego): ويمثل ما يطرأ على جزء من الـهو، بتأثير العالم الخارجي؛ أي هو ما يتوسط الـهو والعالم الخارجي، وهو الذي يسيطر على الحركات الإرادية؛ ليحدث التوازن المطلوب بين الدوافع والغرائز الفطرية، وبين العالم الخارجي.

3_ الـ *الـأعلى* (super ego): ويمثل رواسب تأثير الوالدين وما يصاحب ذلك من عادات وتقالييد؛ أي ما يتلقاه الـأنا الأعلى للطفل –إبان تطوره الفردي– من إضافات جديدة من خلفاء الوالدين، ومن يقوم مقامهما كالملئمين والشخصيات البارزة، في الحياة العامة، والمثل العليا الموقرة في المجتمع.

ومن ثمّة تكون الـأنا مصيبة في فعله إذا استطاع إشباع مطالب الـهو، والـأنا الأعلى والواقع، في نفس الآن. ومن البين أن الـهو والـأنا الأعلى – على تباينهما الأساسي – يتلقان في أنهما يمثلان الماضي؛ فالـهو يمثل آثار الوراثة، ويمثل الـأنا الأعلى في جوهـهـ ما أخذ

عن الآخرين أما أنا فمحدد - في المحل الأول - بما يخبره بالذات؛ أي الأحداث العرضية الفعلية⁽¹⁾.

ففرويد بتقسيمه هذا، يشير إلى أثر الثقافة في تكوين شخصية الفرد. هذه الثقافة التي تأتي بعد ولادة الطفل، وليس معه؛ «غير أن نظرية التحليل النفسي لديناميات الشخصية تعتبر الهو والأنا والأعلى، جوانب من الشخصية، تشارك في الصراع. ذلك أن الهو غير عقلاني مندفع، يسعى للإشباع المباشر؛ بينما يؤجل الأنماط الإشباع؛ بحيث يمكن تحقيقه على نحو مرض، وبطرق يقبلها المجتمع؛ أما الأنماط الأعلى فيفترض دستوره الخلقي»⁽²⁾. وللتدليل على أثر الثقافة على الشخصية، قدّم الدكتور أحمد بن نعمن عينة من الدراسة التي قامت بها (روث بنيديكت) في كتابها:- نماذج من الثقافة- الذي بينت فيه بوضوح موضوع الأنثربولوجيا النفسية، والمنهج العلمي الذي يجب تطبيقه في دراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية.

فقد قامت هذه العالمة بدراسة تحليلية مقارنة لثقافة ثلات مجموعات من قبائل الهندو-الحمر؛ استنتجت من خلالها أن كل ثقافة من تلك الثقافات قد طبعت الأفراد الواقعين في مجموعتها بسمات معينة؛ يتميز بعضها بالعنف وشدة الانفعال، ويتميز البعض الآخر (على عكس منها) بالالتزان، وقلة الانفعال. وقد ربطت بين تلك السمات الظاهرة في شخصيات تلك القبائل، والأنمط الثقافية لدى كل منها، بالنسبة لطرق تربية الأطفال، وطرق العقاب المتبعة في تلك النظم...⁽³⁾

و قبل أن يقول هؤلاء أو يكتشفوا أثر الثقافة في تكوين الشخصية، أو تكون الاتجاه الديني والعاطفي لدى الإنسان، قالها القرآن في الآية الكريمة: ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإننا على آثارهم مهتدون ﴾⁽⁴⁾، وفي تفسير البغوي⁽⁵⁾ : على أمة، على دين وملة. قال مجاهد: على إمام. ﴿ وإننا على آثارهم مهتدون ﴾، جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم مهتدين. وفي

⁽¹⁾ - ينظر: سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود، عبد السلام القشاش، جمعية الرعاية المتكاملة، مصر، سنة 2000، ص-25-28.

⁽²⁾ - جابر عبد الحميد جابر، وأخرون، مقدمة في علم النفس، دار النهضة العربية، مصر سنة 1985م، د/ط، ص.326.

⁽³⁾ - أحمد بن نعمن، نفسية الشعب الجزائري، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع الجزائر، ط2 سنة 1997م، ص.39.

⁽⁴⁾ - سورة الزخرف، آية 22.

⁽⁵⁾ - البغوي، تفسير البغوي، ج 7، ص201.

ظلال القرآن ، ل سيد قطب: «إنها مجرد المحاكاة ومحض التقليد، بلا تدبر ولا تفكير، ولا حجة ولا دليل ، وهي صورة مزريّة تشبه صورة القطيع؛ يمضي حيث هو منساق، ولا يسأل أين يمضي، ولا يعرف معالم الطريق..»⁽¹⁾ وفي هذا دلالة على تمسكهم بثقافة آبائهم الدينية والاجتماعية.. وتكتذيبهم للرسل. كما أن الحديث النبوى، عن أبي هريرة؛ أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة*، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تُتَّجَّ البَهِيمَةُ بِهِيمَةً جماعَةً. هل تحسون فيها من جدعَاء؟ ثم يقول أبو هريرة واقرئوا إن شئتم: ﴿فَطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ﴾⁽²⁾ يشير الحديث، إلى أن الأصل في الإنسان هو الإيمان بالله المعبّر عنه بالفطرة، والتي يوحى أصلها اللغوي بأنه شيء خلق مع الإنسان وركب فيه كما يركب سائر أعضائه، والإنسان يخرج عن مقتضى فطرته بمؤثرات خارجية من تربية، وثقافة الوالدين، أو من يقوم مقامهما، كالملّمعين والبيئة، في تكوين شخصية الفرد واتجاهه الديني والعاطفي، وسلوكيه الاجتماعي. وقد مثلّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - لحالة الإنسان حين ولادته على الفطرة بحالة البهيمة، جماعَةً، أي مجتمع الأعضاء، سليمة من نقص، لا توجد فيها جدعَاء - بالمد - وهي مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء، ومعناه أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها، وإنما يحدث الجدع والنقص بعد الولادة. أي إذا كبرت قطعوا آذانها أو شقوا أنوفها - قصد تمييزها - أو غيرروا خلقتها، فكذلك ما يتعرض له الإنسان من انحراف في فطرته، هو بتأثير خارجي. فلو قدر أن إنساناً نشأ وترى وحده، دون مؤثر خارجي، لننشأ مؤمناً عارفاً بالله.

⁽¹⁾ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط24، 1995م، م5، ج24، ص3182.

* الفطرة: هي ما رکر في النفوس من الإيمان بوجود الله، والاعتراف بربوبيته، وقيل: الاستعداد والقابلية لقبول خطاب الإيمان. جماعَة: سلالة من العيوب، جدعَاء: مقطوعة الأذن.

⁽²⁾ - سورة الروم، آية 30.

⁽³⁾ - مسلم، صحيح مسلم مجلد 8، ج16، ص169.

مظاهر المكنونات النفسية:

يُخالف محمد قطب غيره في كيفية التعرف على المكنونات النفسية؛ فيقول: «فليس علم النفس وحده هو الذي يتحدث عن النفس، وليس حديثه هو أصدق حديث؛ وإنما الفن والأدب والمجتمع والتاريخ.. والحياة الواقعية بأكملها.. هي الحديث الصادق عن النفس؛ لأنها تتحدث عنها في بيئتها الطبيعية... بيئه (الحياة) ولا تتشاء لها بيئه مصطنعة لحيوانات المعامل الموضوعة تحت الاختبار»⁽¹⁾.

نستشف من قوله هذا، أن المكنونات النفسية يمكن أن تظهر في ما أنتجه أو ينتجه الإنسان أو يخلفه من أثر قولي أو فعلي. والأمثال جزء من الأدب الذي أنتجه الفرد وصقلته الجماعة. ومن عَبَرَ به في المواقف المختلفة تعبيراً صحيحاً، دلّ ذلك على فهمه وتبنيه لفحوه، كما دلّ على اكتسابه ثقافة شعبية؛ كما يدل استعمال المثل على التزام الفرد باتجاه معين، وهو ما قد يوحي بأن استخدام المثل في قياس القدرة على الفهم المجرد، تتدخل فيه عناصر نفسية متعددة: من مزاجية وانفعالية وخلقية.. ولعل هذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿... فلعلهم يسيرون ولتعرفنهم في لحن القول﴾⁽²⁾ جاء في التفسير: أي لا بد أن يظهر ما في قلوبهم، ويتبين بفلات ألسنتهم؛ فإن الألسن مغافر القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير والشر⁽³⁾. و الآية جاءت بخصوص المنافقين، في التفسير المنير: لحن القول: أسلوبه ومعناه، أو إمالته عن وجهه الصريح إلى التعرض والتورية؛ فإذا تكلموا عندك {أي المنافقون} عرضوا بما يعيّب أمر المسلمين..⁽⁴⁾

أما معنى، كلمة: اللحن، في لسان العرب، فقد ذكر لها ستة معانٍ: الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء، والفتنة، والتعريض، والمعنى.

1_ اللحن الذي هو الخطأ في الإعراب، يقال منه: لحن في كلامه، بفتح الحاء، يلحن لحنا فهو لّحان، ولحّانة، وقد فسر البيت التالي:

منطق صائب وتلحن أحيا == نا، وخير الحديث ما كان لحنا.

⁽¹⁾ — محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، د/ط ، دار الشروق، بيروت، 1974م، ص 11.

⁽²⁾ — سورة محمد، آية 30.

⁽³⁾ — عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتنان، موسوعة الرسالة، دار المؤيد، ط 3، سنة 2005، ص 789.

⁽⁴⁾ — وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1991م، ج 26، ص 112.

وهو لمالك بن أسماء بن خارجة الفزارى، بهذا المعنى أي الخطأ - في أحد وجوهه- وبالفطنة في الوجه الثاني، وبالتعريض في الوجه الثالث.

2_الحن: الذي هو اللغة، كقول عمر - رضي الله عنه-: «تعلّموا الفرائض والسنن والحن كما تعلّمون القرآن». يزيد اللغة، وجاء في رواية تعلّموا الحن في القرآن كما تعلّمونه، يزيد تعلّموا لغة العرب، بإعرابها. وقال الأزهري: معناه تعلّموا لغة العرب في القرآن واعرفوا معانيه قوله تعالى: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ أي تحوِّل القول، دل بـهذا أن قول القائل وفعله يدلان على نيته، وما في ضميره، وقيل: في لحن القول، أي في فحواه ومعناه.

3_الحن: الذي هو الغناء وترجيع الصوت والتطريب. شاهده قول يزيد بن النعمان:

لقد تَرَكْتُ فَوَادَكَ مُسْتَجِنًا == مُطَوَّقَةً عَلَى فَنِّ تَعْنَى
يَمِيلُ بِهَا، وَتَرْكَبُهُ بِلَحْنٍ، == إِذَا مَا عَنَ لِلْمَحْزُونِ أَنَّا
فَلَا يَحْرُنُكَ أَيَّامٌ تَوَلَّ == تَذَكَّرُهَا، وَلَا طَيْرٌ أَرَنَا

4_الحن: الذي هو الفطنة. يقال منه: لحنت لـهنا، إذا فهمته وفطنته، وقد حمل عليه قول مالك بن أسماء كما تقدم: وخـير الحديث ما كان لـهنا. و منه قوله- صلـى الله عليه وسلم- «لعل بعضكم أن يكون الحن بـحجـته» أي أـفطن لها وأـحسن تـصرفـاً

5_الحن: الذي هو التعريض والإيماء، وشاهده. قال القـاتـالـ الكلـابـيـ:

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لَكِمَا تَقْهِمُوا == وَوَحِيتُ وَحْيًا لِيـسـ بـالـمـرـتـابـ

ويقال: جـعلـ كـذاـ لـهـناـ لـحـاجـتهـ، إـذـاـ عـرـضـ وـلـمـ يـصـرـحـ. وـقـيلـ: كـأنـ الحـنـ فـيـ العـرـبـيـةـ رـاجـعـ إـلـىـ هـذـاـ، لأنـهـ العـدـولـ عنـ الصـوابـ.

6_الحن: الذي هو المعنى والفحوى. قوله تعالى: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ أي في فـحـواـهـ وـمـعـنـاهـ، وـرـوـىـ المنـذـريـ عنـ أـبـيـ الـهـيـثـمـ أـنـهـ قـالـ: العنـوانـ وـالـحنـ وـاحـدـ، وـهـوـ العـلـامـةـ تـشـيرـ بـهـاـ إـلـىـ إـلـاـنسـانـ لـيـقـطـنـ بـهـاـ إـلـىـ غـيرـهـ. تـقـولـ لـهـنـ لـيـ فـلـانـ:

وـتـعـرـفـ فـيـ عـنـوانـهاـ بـعـضـ لـهـنـهاـ == وـفـيـ جـوفـهاـ صـمـعـاءـ تـحـكـيـ الدـواـهـيـاـ⁽¹⁾

قد يدخل استعمال الأمثال في معاني «لـهـنـ القـولـ»، فـيـ الـحـدـيـثـ العـادـيـ

⁽¹⁾ - يـنظـرـ: ابنـ منـظـورـ، لـسانـ الـعـربـ، جـ13ـ، صـ380ـ382ـ.

بين مخاطبين، أو في الحديث الرسمي في مواقف الخطابة وغيرها، ويُفهم منه في بعض الأحيان نفسية المتحدث، وتوجهه النفسي، وتوجيهه المقصود، بالتمييع لا بالتصريح.

والأمثال مرآة النفس، كما قال الحكيم الترمذى في مقدمة كتابه: الأمثال من الكتاب والسنة⁽¹⁾. و هذا الوصف للأمثال يبيّن دلالتها النفسية، ومن فهم دلالات الأمثال وتدبرها سماه الله تعالى في كتابه عالماً؛ لقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾⁽²⁾.

وللأمثال تأثير كبير على نفوس الناس؛ فهم يتّقدون فيها ثقة عمياء، كما قال "حنفي بن عيسى": «.. فقد صرنا في العصور الحديثة نمنح الكلمات ثقة مطلقة، ولا نفكّر أحياناً في مضامينها؛ فأكثر الناس مثلاً يتّقدون بصحّة الأمثال الشعبية، أو أقوال الحكماء من الشعراء؛ لذلك نراهم في بعض المواقف يطلقون الأحكام جزافاً. فعوض من أن يدرسوها موقف، ويتفهّموه على حقيقته، نجدهم يفسرونها لك بكلمات مأثورة أو بيت من الشعر»⁽³⁾.

وبهذا فالآمثال قد تسهم في تكوين الاتجاهات الفردية والجماعية، وتنبّيتها لفترات طويلة، بفضل تأثيرها على النفس و تداولها .

والاتجاه Attitude : «يدل على توجه الفكر، والاستعدادات العميقه لوجودنا - اللأشعوريه على الغالب- التي تقود تصرفنا. ويدل أيضاً على الوضعيات الجسمية و السلوکات الاجتماعیة- الاتجاه الإحساني مثلاً - كما يدل على الحالة الذهنية، كحالتنا أمام بعض القيم: - قيمة الجهد و قيمة المال... فالاتجاه هو إذن على وجه الضبط حالة ذهنية تهيئ للعمل، قادرة على أن تجند كل منابع الشخص تبعاً للوضع...»⁽⁴⁾

وترى الدكتورة نبيلة إبراهيم الرأي نفسه في أثر الأمثال على نفوس الأفراد؛ حيث تقول: «إننا نعيش جزءاً من مصائرنا في عالم الأمثال. ولعلّ هذا يفسر لنا استعمالنا الدائم للأمثال، على عكس الأنواع الشعبية الأخرى مثل: الأسطورة والحكاية الشعبية والألغاز وغير

⁽¹⁾ - أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذى، الأمثال من الكتاب والسنة، الأإنترنت www.al-mostafa.com-pdf-000680

⁽²⁾ - سورة العنكبوت، آية 43

⁽³⁾ - حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1980م، ص180.

⁽⁴⁾ - نوربير سيلامي، بمشاركة مائة وثلاثة وثلاثين اختصاصياً، المعجم الموسوعي في علم النفس، ترجمة وجيّه أسعد، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2001م، ج5، ص2118.

ذلك. فالأمثال بالنسبة لنا عالم هادئ، نركن إليه حينما نود أن نتجنب التفكير الطويل في نتائج تجربتنا. ونحن نذكرها بحرفيتها إذا كانت تتفق مع حالتنا النفسية؛ بل إننا نشعر بارتياح لسماعها، وأن نعيش التجربة التي يلخصها المثل⁽¹⁾.

ولا يبتعد التّلّي بن الشيخ عن رأي سابقيه؛ حيث يقول: « وما يمكن أن يقال عن المثل: إنه دقيق في التعبير والنفذ إلى الحالات النفسية الكامنة وراء السلوك، فيعبر عنها بطريقة جيدة »⁽²⁾.

والأمثال الشعبية تتضمن الكثير من الآليات النفسية الدفاعية من قبيل الكبت والتبرير والإسقاط والتعويض والتقمص. كما تتضمن الكثير من القدرات و الصفات والانفعالات النفسية للفرد والجماعة.

الآليات النفسية الدفاعية:

1 - الكبت *En:Repression-F:Refoulement.*

وهو إبعاد الأمور غير السارة عن الذاكرة أو إرسالها إلى اللاشعور⁽³⁾ ويعتبر الكبت أحد الحيل الدفاعية- لأنـا- تُطرح بواسطتها وتظل خارج ساحة الشعور، عواطف وأفكار وذكريات، مرتبطة بدافع غير مقبول. والكبت ظاهرة لا شعورية. وينبغي أن يُميز من القمع، فعل شعوري وإرادي يتخلّى الفرد بواسطته عن رغبة تدينها أخلاقه الشخصية. و الكبت لا يمارس على الحالة الانفعالية ولا على الدافع، بل على امتنال هذا الدافع. فالمرفوض إنما هو ترجمة الدافع إلى كلمات وأفكار أو صور... ومن نتاجات اللاشعور: الحلم، زلات اللسان والقلم، حتى النكتة..⁽⁴⁾

والكبت يلجاً إليه الإنسان حينما لا يستطيع أن يعبر عن أفكاره أو مشاعره، أو حينما لا يستطيع أن يتصرف بسلوك معين يرضيه. وكلنا نلجاً إليه بمقدار معين، ولكن إذا أسرف الفرد في الاتجاء إليه كحل لمشكلاته ورغباته انتقل به إلى حالة المرض، ومن ثم الوقوع في

⁽¹⁾ - نبيلة إبراهيم، *أشكال التعبير في الأدب الشعبي*، ص182.

⁽²⁾ - التّلّي بن الشيخ، *منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري*، ص159.

⁽³⁾ - فاخر عاقل، *معجم علم النفس*، انكليزي - فرنسي - عربي - دار العلم للملايين، بيروت، ط1985، 4، ص97.

⁽⁴⁾ - نوربير سيلامي، *المعجم الموسوعي في علم النفس*، ج5، ص2118.

سلوكيات غير طبيعية. فالكتب المتصل يمنع الفرد من مواجهة مشاكله مواجهة موضوعية، وبالتالي عدم حلّها. وسبب ذلك قد يكون الدين أو المجتمع أو السلطة أو القوانين... وقد يظهر الكتب من استخدام المثل الشعبي: «يا مُرَوْقٌ من بَرَّ وَالْحَالُ مِنْ دَاخِلٍ»⁽¹⁾. حيث يضرب هذا المثل في من يهتم بما يراه الناس فيزيئه؛ برغم أنه لا يناسب رغباته، ولا يتماشى مع ميوله- سواء أكان ذلك في المبني أم الملابس أم الكلام .. أم غير ذلك- ويكتم أو يخفي ما يناسبه هو. و التعبير بهذا المثل يدل على أن قائله مطلع على أسرار من يُضرب في حقهم، عالم بما في نفوسهم. و في ضرب هذا المثل دعوة إلى ضرورة التناسب ما بين المظاهر والمخبر.

كما تظهر الدعوة إلى الكتب في المثل: «اللَّيْ تَخَدُّمُ طِيعُو وَاللَّيْ تَرْهُنُ بِيَعُو»⁽²⁾. ومعنى المثل: يجب أن تطيع من تقوم بخدمته أو تشغله عنده، مهما كانت تصرفاته نحوك؛ إذا أردت أن تحافظ على عملك عنده. فهذا المثل يُقدم كنصيحة لكل عامل أو مرؤوس، بأن يتحمل كل إهانة أو سوء تصرف يصدر عن رئيسه تجاهه، ويدعوه إلى كبت كل شعور بالدفاع عن نفسه أو تأكيد ذاته. وهذا ما يفعله كثير من المرؤوسين.

والأمور المكبوتة قد تظهر في فلتات اللسان، أو في المزاح، وقد تظهر عند الغضب والمثل الشعبي عبر عن ذلك بقوله: «الزعاف يُخَرِّجُ السر»⁽³⁾. و معنى ذلك أن الفرد يكتم أشياء يعرفها عن أشخاص آخرين، أو يكتب كرهه لهم، أو حسدthem أو غيرته منهم، ولكن في حالة غضبه الشديد، قد تتفلت منه هذه المكبوتات دون أن يشعر، أو يتحكم في أقواله.

2 - التبرير Rationalisation

«آلية دفاعية يلجأ إليها الشخص لتقسيير أعماله وأفكاره متجنبًا بذلك معرفة الأسباب والد الواقع الحقيقة، وبالتالي متخلصاً من القلق»⁽⁴⁾ أو «هو عبارة عن اعتذار وأسباب تبدو للنظر العابرة مقنعة ومنطقية، ولكنها ليست الأسباب الحقيقة والد الواقع الفعلية وراء السلوك وهي عبارة عن تبرير لسلوك الفرد ومعتقداته، الذي يعتقد هو في قراره نفسه أنه مخطئ.

⁽¹⁾ - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعداء.

⁽²⁾ - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعداء.

⁽³⁾ - رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 72.

⁽⁴⁾ - فاخر عاقل، معجم علم النفس ، ص 95.

فضابط الشرطة الذي يقسوا على المتهمين يختلف عيوبا تبرر سلوكه نحوهم. و من شأن هذا السلوك أن يحرم صاحبه من التبصر في أفعاله والتحكم فيها، ومراجعة أخطائه؛ ومن ثم قد يتورط في الجريمة. ومثال ذلك اعتقاد الفقير أن الفقر نعمة، وأن الثروة والغنى يجلبان له المشاكل والهموم»⁽¹⁾.

وقد يظهر التبرير من استخدام المثل: «القط كي تبَعُدو الشَّحْمَه اِيُّقُولْ أَخْ مَتَّهَا»⁽²⁾ ومعنى المثل: أن القط عندما يبعدون عنه الشحم، ولا يستطيع الوصول إليها، يعتبرها نتنة، لا تصلح للأكل. و هذا المثل يُضرب في من يفشل في الحصول على شيء؛ غير أنه لا يُعرف بفشلـه لـ الآخرين؛ فيـبرـرـ فـشـلـهـ بـقولـهـ: إـنـ المـطلـوبـ لـأـهـمـيـةـ لـهـ، أوـ أـنـهـ لـيـسـ جـادـاـ فـيـ طـلـبـهـ، أوـ عـرـضـ عـلـيـهـ وـرـفـضـهـ، أوـ وـجـدـ أـحـسـنـ مـنـهـ.. أوـ غـيرـ ذـلـكـ. - وـفـيـ قـرـارـةـ نـفـسـهـ يـقـرـ بـأـنـهـ فـشـلـ - وـلـكـ مـسـتـخـدـمـ المـثـلـ يـعـرـفـ ماـ فـيـ نـفـسـ الـمـضـرـوبـ فـيـ حـقـهـ، مـنـ اـهـتـامـهـ بـالـمـطـلـوبـ؛ـ وـبـالـتـالـيـ فـهـوـ لـاـ يـصـدـقـهـ.

كما يظهر التبرير في المثل: «تـارـكـ الصـلاـةـ اـيـقـولـ: بـابـ الجـامـعـ اـمـبـلـ»⁽³⁾ أي مغلق. ويظهر كذلك في المثل: «الـلـيـ خـانـوـهـ يـدـيـهـ تـقـولـ بـيـ السـحـورـ»⁽⁴⁾ أي أن المرأة الكسولة تبرر عجزها وكسلها عن أداء بعض الواجبات المنزلية، بقولها: إنها مسحورة. ويظهر التبرير كذلك في المثل: «الـلـيـ مـاـ يـحـبـ يـتـزـوجـ، يـقـولـ مـنـ زـهـرـيـ لـمـعـوـجـ»⁽⁵⁾. والأمثال السابقة تطلق على من يقدم تبريرات غير منطقية أو غير مقبولة. كما يظهر التبرير على لسان الرجل البخيل: «لو كـنـتـ نـمـلـكـ الإـبـلـ نـذـبـ حـاشـيـ، وـكـيـ عـدـتـ نـمـلـكـ الـغـنـمـ مـاـ نـحـكـمـشـيـ»⁽⁶⁾*. لو كان يملك الإبل وهي أغلى من الغنم، لذبح جملًا صغير السن؛ لأن لحمه يكون طيباً وسريعاً الطهو، أما الآن فهو يملك الغنم، وهي أرخص من الإبل فلا يستطيع؛ لأن القرار ليس بيده. وهو مبرر واه. وهكذا يبدو التبرير واضحـاـ؛ـ حيثـ لاـ يـرـيدـ الإـلـاـنـسـانـ أـنـ يـعـرـفـ بـعـدـ

⁽¹⁾ - من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. <http://ar.wikipedia.org/wik> [بعد 18/12/2013].

⁽²⁾ - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعداء.

⁽³⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 225.

⁽⁴⁾ - رابح خدوسي، موسوعة الجزائري في الأمثال الشعبية ، ص 143.

⁽⁵⁾ - المرجع السابق، ص 150.

⁽⁶⁾ - التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ، ص 172.

* - حاشي: ولد الناقلة ، الجمل صغير السن، ما له سنة أو سنتان.

قدرته-بخله- أو بعجزه عن القيام بعمل، كان المفروض أن يقوم به.

3 - الإسقاط، Projection:

« نسبة الإنسان حوازه وأفكاره إلى الآخرين؛ وذلك مثلاً كاعتقاد الغشاش أن الآخرين غشاشون، أو اعتقاد الإنسان أن الشر الذي يعرفه كامناً في ذات نفسه، موجود عند الآخرين»⁽¹⁾ وهو «حيلة دفاعية ينسب فيها الفرد عيوبه ورغباته المحرمة والعدوانية أو الجنسية للناس حتى يبرئ نفسه، ويبعد الشبهات عنه؛ فالكاذب مثلاً- يتهم معظم الناس بالكذب. والموظف الذي يحمل مشاعر عدوانية نحو رئيسه قد يسقط هذه المشاعر عليه ويتصور أن رئيسه يكيد له ويترىص به لكي يؤذيه؛ ومن ثم يبادر بالهجوم والاعتداء عليه»⁽²⁾. وقد فيما قال الجاحظ في كتابه البخلاء: «وكانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمّة، فتأمل عياباً، فإنه يعيّب بفضل ما فيه من العيب، وأول العيوب أن تعيب ما ليس بعيوب»⁽³⁾

وقد يظهر الإسقاط من استخدام المثل: «كل أجر حُكّاك وكل خائن شَكّاك»⁽⁴⁾ و المثل يتكون من جملتين: الأولى دلالتها محسوسة، فكل من أصيب بالجرب - وهو مرض جلدي معده - يداوم على حك جلدته، ولو أخفى مرضه فإن الحك دالٌّ عليه. أمّا الثانية فدلالتها غير محسوسة، فالخيانة صفة نفسية لا تظهر للعيان؛ ولكن يستدل عليها بالشك الذي يصاحبها. و بدأت كل جملة بلفظة: كل - وهي كلمة تدل على العموم، دون استثناء، وفي الجملتين استعملت صيغة المبالغة (فعال) حُكّاك: كثير الحك، شَكّاك: كثير الشك للدلالة على الكثرة. فكما أن مظهر الجرب الحك، وهو مرتبط به؛ فكذلك مظهر الخيانة الشك، وهو مرتبط بها. و يضرب المثل في من يكثر الشك في تصرفات الناس؛ فصفة الخيانة التي يتحلى بها يُسقطها على غيره. فالخيال الشعبي عبر عن هذه الصفة الملاحظة في كل من يتصف بالخيانة بهذا المثل. و مستعمل المثل يُظهر ما في نفسه من شك نحو

⁽¹⁾ - فاخر عاقل، معجم علم النفس ، ص 88.

⁽²⁾ - من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. <http://ar.wikipedia.org/wik> 2013/12/18.

⁽³⁾ - الجاحظ، البخلاء ، تقديم وشرح وضبط وفهرسة يوسف المصيلي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م، ص 5.

⁽⁴⁾ - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسنادة.

الشكاك. وهذه الآلية الدفاعية يعبر عنها مثل آخر هو: «اللي فيه ايدiero في الناس»⁽¹⁾.
يقال في من يتهم الآخرين بعيوبه.

وفي الموضوع نفسه، يستعمل المثل: «لا يظن السفيه إلا ما فيه»⁽²⁾. أي يعتقد أن ما يفكر فيه أو ما يتصرف به أو يميل إليه، هو موجود بالكيفية نفسها عند الآخرين، وبالتالي إذا كذب أو خالف وعدا، أو خان أمانة .. فهو يتصرف كما يتصرف الآخرون، ولا لوم عليه. فمستعمل المثل يفهم نفسية المضروب في حقه، وبالتالي لا يلومه؛ لأنَّه يرى أن تصرفه موافق لصفاته النفسية؛ وإنما اللوم يقع على من خدعاه هذا السفيه؛ لأنَّه لم يكن فطناً.

4 - التعويض النفسي، Compensation:

«آلية نفسية يُخفي الإنسان بواسطتها صفة غير مرغوب فيها عن طريق إظهار صفة مرغوب فيها، ثم المبالغة في إظهار هذه الصفة الأخيرة»⁽³⁾ وهو «حيلة دفاعية يحاول أصحابها إخفاء ما يشعر به من نقص جسماني أو عقلي أو اجتماعي أو علمي؛ سواء أكان هذا النقص حقيقياً أم متوهماً. والشعور بالنقص قد يكون شعورياً أو لا شعورياً: والأول شائع ومعرف لدى الأسوىاء، أما الثاني فيظهر في أساليب سلوكية شاذة وملتوية؛ نتيجة لفشل الفرد في فهم نفائه ومصادرها، ونتيجة لضعف إمكاناته، وضعف ذاته في التغلب على مشاعر النقص عنده.

ومن أشكال التعويض، العناد والمكابرة والاستبداد بالرأي. كذلك يرجع الكثير من السلوك الإجرامي لدى الصغار والكبار إلى مشاعر دفينة بالنقص أو العجز، ومن أشكاله التعدي على الغير بالقول أو الفعل، السرقة، التخريب، التمرد على السلطة. وكل ذلك لكي يثبت المرء لنفسه أنه قوي وقدر»⁽⁴⁾. «ويمارس التعويض في بعض الأحيان حسراً على المستوى المتخيل؛ فلبعض أفكار العظمة، وبعض التصرفات التي تتصرف بهوس الكذب

⁽¹⁾ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائية، ص 192.

⁽²⁾ - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسغادة.

⁽³⁾ - فاخر عاقل، معجم علم النفس ، ص 26.

⁽⁴⁾ - من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. <http://ar.wikipedia.org/wik> 2013/12/18م.

وبعض الهذيات، المسمة تعويضية، وظيفة مفادها أن تخف من أثر الإخفاقات التي عانها الفرد في حياته»⁽¹⁾

ويعبر عن ذلك بالمثل: «كل منقوص منحوس»⁽²⁾ كما يقال: كل ناقص ناحس؛ أي أن إحساسه بالنقص يدفعه إلى القيام بتصرفات فيها ضرر للغير، ليغوص عن نقصه.

وقد يظهر التعويض النفسي من استخدام المثل: «معزة ولو كان طارت»⁽³⁾.

قصة المثل أن شخصين رأيا شيئاً أسود من بعيد؛ فقال أحدهما: تلك معزة. وقال الآخر: ذلك غراب. ولما اقتربا منه، طار ذلك الشيء. قال الثاني لقد قلت: إنه غراب. فرد الأول: معزة ولو كان طارت. وهذا يدل على عناد الأول ومكابرته، وعدم اعترافه بالخطأ؛ لأنه يعذر اعترافه بالخطأ نقصاً. ويضرب المثل في حق كل من اتصف بهذه الصفات. وضارب المثل يفهم نفسية المضروب في حقه؛ وعليه يمكن تجنب جداله؛ لأنه لا يقتصر بالحقيقة.

ومن مظاهر التعويض أن ينسب المرء إلى من هو أرفع منه شأناً ويخرج من مصارحة واقعه؛ فقيل في هذا الشأن: - «من هو أبوك يا البغل؟ قال: خالي الحصان»⁽⁴⁾ فالإجابة تدل على التهرب من الواقع، وعدم القدرة على مواجهته؛ فالسؤال موجه إلى معرفة الأب. و البغل لم يجرؤ على أن يقول: إن أباً حصان أو حمار، واضطر إلى الانتساب إلى حالة. فالتعبير بهذا المثل يراد منه إظهار سلوك الإنسان حين يواجه موقفاً، ولا يملك القدرة على الإفصاح عنه بالحقيقة. و هو نقص في الشخصية، يجب تجنبه؛ لقول المثل: «ما ينكر أصله غير البغل»⁽⁵⁾.

5- التقمص - مج - Fr.Identification

التقمص في التحليل النفسي عملية عقلية، تعبّر عن ذاتها على شكل صلة انفعالية بأشخاص آخرين، أو أوضاع أخرى، بحيث يتصرف الفرد وكأنه الشخص الآخر المتصل به؛ لأن له نفس المشكلات، وهو يعتبر النقد الموجه للشخص الآخر نقداً له⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ - نوربير سلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس ، ج2، ص659.

⁽²⁾ - قادة بوتارن ، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص34.

⁽³⁾ - الذكرة الشعبية بمنطقة بوسعداء.

⁽⁴⁾ - التلبي بن الشيخ، مطلعات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ، ص172.

⁽⁵⁾ - راجح خدوسي، موسوعة الجزائري في الأمثال الشعبية ، ص164.

⁽⁶⁾ - فاخر عاقل، معجم علم النفس ، ص55.

يظهر التقمص في المثل: «**الخادم تعاشي بشبوب لالاها**⁽¹⁾». فالخادم أو العاملة في منازل الأغنياء، قد لا تكون جميلة؛ فتراها عندما تتحدث النسوة عن الجمال، تراها تعاishi أي تبااهي بجمال لالاها، أي سيدتها التي تشتعل عنها، وكثيراً ما ترى بعض الكتاب في الإدارات العمومية يتقمصون شخصيات مديريهم، فيتصرفون تصرفاتهم، ويظهرون بمظهرهم. فهم يقلدونهم في اللباس وفي الكلام، وقد يذهب بهم الحال إلى أن يعتبروا كل نقد موجه لمديريهم هو نقد موجه لهم، وكل ما يصيب رؤسائهم يصيبهم، فيتألمون بذلهم. وهذا ما عبر عنه المثل الشعبي بقوله: «**الدجاجة تبيض والديك يوجعو قاعو**⁽²⁾» أو بعصوصه. أي أن الدجاجة التي تضع البيضة التي قد تؤلمها، لا تظهر الألم، بل تواصل التبييض كل يوم. أما الديك، فإنه لا يبيض، ومع ذلك يحس بالألم في مؤخرته(قاعو) فيضجر، ويشكو.

6- إلقاء اللوم على الآخرين :Processus de bouc- Emissaire

«عملية إيجاد شخص أو جماعة تكون كبش الفداء Scape goat يلقى عليه اللوم من أجل خطأ حقيقي أو خيالي. إيجاد بديل يوجه إليه الإنسان هجومه؛ وذلك في مثل حالة الزوج الغاضب من زوجه، حيث يهاجم أولاده أو مستخدميه ⁽³⁾»

عبر المثل الشعبي عن ذلك بقوله: «**كرعين اليتيم قطاعين الحصير**⁽⁴⁾».

وقوله: «**إذا تصاكت الخيل انجي في الضعيف**⁽⁵⁾» في المثل الأول، كرعين أي رجال اليتيم تمزق الحصير، وال Hutchinson فراش مصنوع من نبات الحلفاء عادة، وإذا تمزق الحصير، يلقى اللوم في ذلك على اليتيم؛ لعدم قدرته على الدفاع عن نفسه، وفي المثل الثاني، تصاكت الخيل؛ أي صك بعضها البعض الآخر، والصك هو استعمال الأرجل الخلفية في الصك، أي الضرب، ويقع الضرار على الضعيف من الخيل. ومنه قول المثل: «**فلان امسح في صاحبو الموس**⁽⁶⁾» أو امسح فيه الموس، أو امسحت فيه الموس، أو تمْسَح فيه الموس، بالبناء للمجهول، والمhos هي الموسى، أو الخنجر والموسى هي آلة للحلقة أو الذبح أو القتل

⁽¹⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 142.

⁽²⁾ - رابح خدوسي، موسوعة الجزائري في الأمثال الشعبية ، ص 58.

⁽³⁾ - فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ص 101.

⁽⁴⁾ - رابح خدوسي، موسوعة الجزائري في الأمثال الشعبية ، ص 124.

⁽⁵⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 50.

⁽⁶⁾ - رابح خدوسي، موسوعة الجزائري في الأمثال الشعبية ، ص 1560.

وعند استعمالها تتشوه بالدم، فيقوم الجاني بمسحها في ثياب آخر بريء ليلصق به التهمة فالمثل يضرب في كل عمل سيئ يقوم به شخص كالسرقة مثلاً - ويتهم به غيره. وكم من الجرائم يقوم بها الأقواء وتتسب إلى الضعفاء. وهذه الأمثال توظف في حالة التهرب من تحمل المسؤولية، بإلقاء اللوم على الآخر. و هذه النزعة النفسية ذكرها القرآن الكريم، ونهى عن الاتصال بها في قوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾⁽¹⁾.

ومن القدرات والصفات النفسية التي تتضح من تعبير الأمثال الشعبية:

7- الذكاء: Intelligence : وتعني القدرة على اكتساب المعرف واستخدامها في التكيف مع المواقف المستجدة، أو مرونة التكيف مع الأوضاع الجديدة أو المشكلات التي يواجهها الفرد⁽²⁾. ويستدل على الحالات النفسية، والقدرات العقلية للفرد، من خلال تصرفه عندما تواجهه مشكلات في الحياة. ويعبر عن ذلك بالمثل: «الحادق كيما يلقى و الجايح كيما اتوصيه»⁽³⁾. فالحادق-الذكي - يتكيف مع الوضع الجديد، بتوظيف خبراته ومكتسباته السابقة بكيفية جيدة لحل المشكل، ولا يلتزم بما طلب منه حرفياً، إذا كان لا يتاسب مع المستجدات.

أما الجايح* - الغبي - فإنه يلتزم بما طلب منه ولا يعمل فكره، ولا يلجأ إلى خبراته أو مكتسباته؛ لأنه لا يستطيع تقدير الموقف الجديد. ومثال ذلك: لو طلب الأب من أحد أولاده في مساء يوم رمضان، الذهاب لشراء خبز دائري به السينوج. لكن الولد لم يجد هذا النوع من الخبز في المخبزة، فلم يشتري، وعاد ليستشير أباًه مع أذان المغرب. فهذا الولد لم يستطع التكيف مع الموقف الجديد - عدم وجود الخبز الدائري مع وجود غيره - أما لو اشتري الخبز الموجود مادام لم يجد الخبز المطلوب - لأن المهم وجود الخبز على المائدة - فهنا نقول: إنه تكيف وتصرف حسب الموقف، وحسب ما لقي. فهو الحاذق الذكي.

8- الاستدلال - Raisonnement

⁽¹⁾ - سورة النساء، آية 112.

⁽²⁾ - فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ص.5.

⁽³⁾ - من الذاكرة الشعبية يمنطقة بوسعدة.

فُلّ من أفعال الذهن يكمن في تسلسل منطقي للقضايا بغية الوصول إلى نتيجة. نميز على وجه العموم شكلين من الاستدلال:

1- الاستنتاج: الذي يمضي من المبادئ إلى النتائج (كل الناس فنانون، خليل إنسان إذن خليل فنان).

الاستقراء: الذي يمضي من الحوادث إلى القانون.
فالاستدلال حركة الفكر التي تدعها الوجданية كلها. وتأثير فيه العواطف (حب/كره)
والانفعالات (غضب)، والأهواء (غيرة)، وتوجهه.^(١)
والأمثال الشعبية لا تخلي من الاستدلال؛ فالمثل: «الغم إذا كان قَيَّدَهَا عَتْرُوسُ
أَمْقِيلُهَا سَدْرَاهُ»^(٢). فالعتروس هو التيس، ذكر العنزة، فإذا كان التيس هو قائد قطيع الغنم
فإن مكان قيلولتها هو شجر السدر، المعروف بشوكه، وإذا كان التيس يستطيع أن يأكل
أوراق السدر ويستظل بظلها؛ لأنها مكسو بالشعر، فإن الغنم تتأنى من شوكه لأنه يمسك
بصوفها ويشل حركتها. والتسلسل المنطقي واضح في هذا المثل. وبضرب هذا المثل في
تصريف القائد الفاشل، أو المعلم الفاشل أو... الذي تكون نتائجه قيادته أو تعليمه الفشل. كما
جاء في كتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم: (إنك لا تجني من الشوك العنبر)^(٣) ، أي إنك
لا تحقق الصلاح من الفساد؛ كمن يغرس شجرة شوك وينتظر ثمارها عنبا.

ومن الاستدلال المثل: «إذا أحمرت العشية هيء دباییک للْمُشِيَّة، وإذا أحمرت الصباح رجع دباییک للْمَرَاح»⁽⁴⁾. ومعنى المثل: إذا احمرت السحب في الأفق عند مغيب الشمس، فإن حالة الطقس في اليوم الموالي تكون حسنة. فما على الرعاء إلا أن يهئوا أنعامهم للخروج للرعى. وإذا احمرت السحب عند طلوع الشمس في الصباح، فإن حالة الطقس تكون سيئة مما على الرعاء إلا الرجوع بأنعامهم إلى المراح ، وهو الزريبة أو مكان

* جاء في المسجد في اللغة والإعلام ، دار المشرق، بيروت، ط25، 1973م، ص108 .الحادق من حدق، حلق، حلقاً، حلقـاً- الكتاب تعلمـه، حلقـ كان ماهراً، حدقـ العمل مهـرـ فيه، وتعـنيـ فيـ المـثلـ الـذـاكـرـ.

وفي ص 123 . الحالات، من حاج، جوحا: عدل عن الطريق إلى غيرها، ستة حالات: سنة جديدة. جائحة، حالات: البلية، التهلكة، الداهية. وهي في المثل: الغي.

⁽¹⁾ - نورير سيلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس ، ج 1، ص 181.

⁽²⁾ - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسادة.

⁽³⁾ —البوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج ١، ص ١٢٧.

⁽⁴⁾ - المجموعة جمدة سددة، عاشت بين 1924-1981، أم صاحب هذا البحث.

تجمع الأغnam الذي ترثاه فيه وتنام أو تعلف. وفي المثل استدلال، فالاحمرار في تلك الأوقات يدل على حالة الطقس. فمن المقدمات تستنتج النتائج.

ومن الاستدلال-أيضاً- المثل: «العام ايبان من خريفو»⁽¹⁾. يقصد بالعام الموسم الزراعي؛ أي أننا نستطيع معرفة الموسم الزراعي الجيد بهطول الأمطار الغزيرة في بدايته أي في فصل الخريف، وهو أوان البذر والحرث. و ربما لم يستعمل الفلاحون عندنا في الجزائر كلمة موسم؛ لأن حصاد القمح والشعير -وهو غالب قوت الجزائريين- لا يتم إلا مرة في العام. وتعتمد أغلب الأرضي الفلاحية على المطر؛ فالمخيال الشعبي استدل على جودة الموسم أو رداعته بمقدمات الموسم في الخريف، ولو أن هذا ليس مقاييساً؛ لأن الجودة تتوقف على تواصل هطول الأمطار طوال الموسم، غير أن مطر الخريف ضروري للحرث، وعلى ضوء هذا الاستنتاج يقدم أغلب الفلاحين على حرث الأرض في الخريف أو تركها بورا. والمثل يضرب «في بوادر نبوغ الطفل»⁽²⁾. ومن الاستدلال قول المثل: «الترفاس يصطاد بالقصيص»⁽³⁾. والترفاس يسمى الكماً وهو نبات يشبه حبة البطاطا، ينمو في الصحراء عادة بعد موسم الأمطار، ويبحث عنه في الجزائر في بداية الربيع. ويستدل عليه بنية تجاوره تسمى القسيص. وقد يراد بالمثل معناه المباشر، أو يراد به الإشارة إلى ظاهرة الاستدلال التي تعني: وجود شيء، دلالة على وجود شيء آخر لعلاقة بينهما. كما جاء في الأثر العربي: البعثة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير.

9- الترابط : Association

اتحاد حادثتين نفسيتين أو عدة حوادث، أو ارتباطها، أو تقاربهما. فلعناصر الحياة الذهنية، العقلية الوجدانية، على حد سواء خاصية ارتباط بعضها ببعضها الآخر، حتى دون أن تكون شاعرين بها، وبصورة مستقلة عن إرادتنا. فأرسطو (384-322ق.م) بين، إذ لاحظ أن استدعاء الذكريات كان ميسوراً بفعل تذكر انطباعات أخرى، أن ثمة بين بعضها وبعضها الآخر علاقات تشابه (الأبيض يستدعي الثلج، الحليب...) أو تضاد أو تقابل (الأبيض

⁽¹⁾ عبد المالك مرطاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 174.

⁽²⁾ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 198.

⁽³⁾ المرجع السابق، ص 115.

يستدعي الأسود) أو علاقات اقتران مكاني أو زماني (الأبيض يجعلني أفكر بالشთاء وبكومات النزل الألبينية...) ... حياتنا دون شاك مصنوعة من ارتباطات لا يحصى عددها بين الأفكار والعواطف والإحساسات والكلمات والارتكاسات النفسية الجسمية... أفعى تثير الخوف ... فهناك تحويل ممكن لانطباع دلالي من كلمة إلى أخرى تحت تأثير الاقتران، كما يحدث ذلك في تجارب الإشراط.⁽¹⁾

يظهر الترابط في المثل الشعبي: «المدوغة من الحنش من جرّ الحبل تذوّى»⁽²⁾؛ الحنش هو الثعبان، وتذوّى من ذوى الرعد، أو الانفجار؛ فصوته القوي يثير الرعب. ومعناه أن الحيوان كالنعجة مثلاً إذا لدغها (سعها) ثعبان أو أفعى، فإنها تذوّى أي تصاب بالذعر وتهرب، إذا جُر حبل بجوارها، وهذا لارتباط صفة الحبل وحركته على الأرض، بصفات الثعبان (النشن) وحركته. ويضرب المثل في اتصف الفرد بصفة الحذر والخوف، من مثل ما سبب له أو لغيره مشاكل.

ومن الارتباط : المثل: «إذا لدغتْ شُوفْ تحت رجليك»⁽³⁾. ومعناه، إذا لسعتك أو لدغتك عقرب مثلاً، فانتظر تحت رجليك، لأنها قريبة منك. ويضرب المثل في ما يحدث بين الأقارب من خيانة أمانة، أو سرقة أو قتل.. نتيجة حسد أو غيرة أو كره ؛ لأن ما يحدث للشخص من المصائب يكون في كثير من الأحيان بفعل الأقربين إليه، أو بمساعدتهم الغير عليه. و هذا ما يجعل التحقيقات الأمنية والقضائية تتطرق من محيط الضحية، لأن هذا المحيط هو المطلع على أسراره.

10 - الحسد :en/ envy-f/Envie

«شعور أو موقف اجتماعي غير سار، يثيره في الإنسان امتلاك إنسان آخر لشيء يرغب هو في امتلاكه»⁽⁴⁾ . وهو أن يتمنى إنسان زوال نعمة عن غيره وتحويلها إليه وهو صفة نفسية ذمية. ولتفادي صفة الحسد أو اتقاء شر الحسد قال المثل:

⁽¹⁾ - نوربير سيلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس ، ج 2، ص-563-564.

⁽²⁾ - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعدة .

⁽³⁾ - رابح خدوسي، موسوعة الجزائري في الأمثال الشعبية ، ص 24.

⁽⁴⁾ - فاخر عاقل، معجم علم النفس ، ص 40.

«كُولْ وَدَرَقْ وَلَا كُولْ وَفَرَقْ»^(١)* ومعنى المثل أن الإنسان إذا أتى أسرته برزق، كالفاكهه واللحام أو غيرهما مما يؤكل، وكان له أقارب أو جيران يشاهدون، ولا يستطيعون الحصول على مثل ما أتى به؛ فعليه أن يأكل ويسْهِمُّ بهم منه، أو يخبيء ما أتى به عنهم؛ فليس من المروءة، ولا من الذوق إظهار ما تستلذه الأعين أو تشتهيه الأنفس؛ لما في ذلك من أثر على النفوس من الغيرة والحسد، وبخاصة لدى النساء والأطفال.

و يدعم المثل السابق مثل آخر، يقول: «إذا كُنْتْ زَيْنَ اسْتُرْ رُوحَكَ مِنَ الْعَيْنِ، وَإِذَا كُنْتْ شَيْنَ اسْتُرْ رُوحَكَ مِنَ الْفَضَائِحِ»^(٢). و معناه حاول إخفاء ما تميّز به عن غيرك، ولا تتباهي به؛ لأن ما تراه العين هو سبب الحسد. وإذا ابتليت بصفات قبيحة، أو تصرفات سيئة فحاول إخفاءها أيضاً؛ لكي لا تتعرض للفضائح، وتصبح على كل لسان. يقول ابن خلدون في شأن العين: «ومن قبيل هذه التأثيرات النفسية الإصابة بالعين، وهو تأثير من نفس المعيان عندما يستحسن عينه مُدركاً من الذوات أو الأحوال، ويُفْرط في استحسانه، وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عمن اتصف به؛ فيؤثر فساده. وهو جبلة فطرية، أعني هذه الإصابة بالعين»^(٣). والحسد معروف، وبخاصة بين الأقارب ولا أدل على ذلك من قصة يوسف وإخوته، لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بْنِي لَا تَقْصُصْ رَوْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيُكَيِّدُوكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلنَّاسِ عَدُوٌ مُبِينٌ﴾^(٤)

كما يظهر الحسد من استعمال المثل: «اللَّحْمُ يُجِي لِلَّيْ مَا عَنْدُو شُسْ سَنِينْ»^(٥) أي أن اللحم يأتي للإنسان الذي ليس له أسنان أو أضراس يستطيع أن يمضغه بها، يضرب المثل في من يحسد من أنعم الله عليه برق، ويتمناه لنفسه؛ لأنّه يعتبر نفسه أحق به، ولا يتذكر أن الله تعالى هو الذي يقسم الأرزاق بين عباده، بواسع علمه وحكمته، لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٦).

^(١) - عدلاوي علي بن عبد العزيز، الأمثال الشعبية ضوابط وأصول، منطقة الجلفة غوذاجا، ط١، دار الأوراسية، الجلفة، ط٢٠١٠، م، ص ٧٥.

* - كول: كل، دَرَقْ بمعنى نحي. فرق بمعنى وزع. أي وزع على الأقارب أو الجيران.

^(٢) - عدلاوي علي بن عبد العزيز، المراجع السابقة، ص ٥٨.

^(٣) - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ٥٠٣.

^(٤) - سورة يوسف، آية ٥.

^(٥) - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعدة.

^(٦) - سورة النساء، آية ٥٤.

11- الغيرة :En/Jalousy :F/ Jalously

هي أفكار وأحساس وتصيرات تحدث عندما يعتقد شخص أن علاقته القوية بشخص ما تهدد من قبل آخر منافس، والغيرة انفعال مركب ، يجمع بين حب التملك، والشعور بالغضب. جاء في المعجم الموسوعي في علم النفس:^{الغيرة} « خشية من أن يجد المرء نفسه محروماً، منزوع اليد. ونفهم من الكلمة غيرة، على نحو أكثر تحديداً، انشغال البال المرتات

الناجم عن فكرة: أن شخصاً محبوباً يمكنه أن يؤثر عليه شخص آخر»⁽¹⁾

و^{للغيـرة عـدة معـانٍ}: -أ- قد تكون الغيرة من الآخر - زميل في الدراسة أو المهنة مثلاً- تفوق علينا أو نافسنا في موارد رزقنا، كما تكون بين الإخوة- صغراً أو كباراً- وبخاصة عندما يميل الآباء بحنانهم وكرمهـم إلى البعض دون البعض الآخر. يقول المثل في هذا: «**قـالـوا وـاشـكـونـ اـعـدوـكـ**. **قـالـوا صـاحـبـ مـهـنـتكـ**»⁽²⁾. والمـعـنى قـيل لـهـ: من عـدوـكـ؟ قال: صـاحـبـ مـهـنـتكـ، والمـقصـودـ بـالـعـداـوةـ هـيـ الغـيرـةـ؛ لأنـهاـ مـقـدـمـاتـ العـداـوةـ بـيـنـ أـصـحـابـ الـمـهـنـ الـواـحـدـةـ لأنـ بـعـضـهـمـ قدـ يـحـتـكـرـ السـوقـ، ويـقـلـلـ مـنـ رـزـقـ الـآخـرـينـ. ويـقـولـ مـثـلـ فـيـ شـأنـ الإـخـوـةـ: «**الـلـيـ اـعـطـاهـ بـوـهـ مـاـ يـفـكـلـوـ خـوـهـ**»⁽³⁾ أيـ الـذـيـ أـعـطـاهـ أـبـوهـ مـاـلاـ مـثـلـاـ- ليسـ مـنـ حـقـ أـخـيهـ أـنـ يـنـتـرـزـعـهـ مـنـهـ. وفيـ المـثـلـ دـلـالـةـ عـلـىـ تـذـمـرـ وـغـضـبـ(غـيرـةـ) الـأـخـ الـذـيـ لـمـ يـسـتـفـدـ مـاـ اـسـقـادـهـ أـخـوهـ مـنـ أـبـيهـمـاـ. وـهـذـاـ اـنـفـعـالـ قـدـ يـوـلـدـ العـداـوةـ وـالـأـحـقادـ بـيـنـ الإـخـوـةـ؛ ولـذـلـكـ يـطـلـبـ العـدـلـ بـيـنـ الإـخـوـةـ.

-ب- غيرة المرأة على زوجها من امرأة أخرى حفاظاً على أسرتها ومركزها، أو غيرة الأم من كناتها (زوجة ابنها)، أو غيرة الكنة من حماتها على زوجها. وهي غيرة ناتجة عن التناقض والصراع وحب التملك، فالأم تشعر أن كناتها أخذت ابنها منها، فتعاديها، والعكس بالنسبة للكنة، قال المثل في هذا: «إـذـا اـتـفـاهـمـتـ العـجـوزـ وـالـكـنـةـ يـدـخـلـ اـبـلـيـسـ الجـنـةـ»⁽⁴⁾. يستحيل أو يندى التفاهم بينهما بسبب الغيرة. وقد يصاحب الغيرة كثير من مظاهر الثورة التشهير، والمضايقة، العناد، والعصيان، والتخاريب. مما قد يُسبب مشاكل اجتماعية بين

⁽¹⁾ - نوربر سيلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس ، ج 4، ص 1944.

⁽²⁾ - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعداء.

⁽³⁾ - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعداء.

⁽⁴⁾ - راجح عادوسي ، موسوعة المجاز في الأمثال الشعبية ، ص 36.

الأسر: كقطع صلات الرحم بين الرجل وأمه أو أخته، أو غير ذلك. وفي هذا قال المثل: «**الغيرة اللي قتلت ميرة**^(١) أي قد تتسبب غيرتها في مقتلها أو مقتل غيرها؛ بسبب أخطائها أو وشایتها، وللحافظة على علاقة الود بين عناصر الأسرة، والتغلب على الغيرة، قال المثل: «**اللي ابغاث خوها تصحب امرأتو**^(٢). من أرادت أن يحبها أخوها أو أن تحافظ على صلته بها؛ فما عليها إلا أن تحسن لامرأته، وتحاول أن تكسبها في صفها، وهذا يدل على قدرة المرأة على قطع صلات رحم الزوج دون أن يردعها رادع ديني، أو يزعها وازع إنساني لفرط أنانيتها. والمرأة قد تغار من كل امرأة تجدها أجمل منها، أو أكثر حظوة عند زوجها. أو أكثر مالاً أو أولاداً. عبر المثل الشعبي عن ذلك بقوله: «**لو كان ما لقناو ما ثجيبل النساء لولاد**^(٣). والعناد في العامية، التنافس، أن تنافس المرأة المرأة؛ بأن تكون مثلها أو أحسن منها. و يكون التنافس على إنجاب الأولاد، وتتعرض الأنثى في هذه الوظيفة الطبيعية إلى متابع صحية، ومخاطر قد تفضي بها إلى الموت؛ ومع ذلك تقبل على هذه الوظيفة غير مبالغة بنتائجها. وقد تظهر غيرتها بتقليد ما تفعله المرأة التي تغار منها؛ فمثلاً إذا كانت كبيرة في السن، تحاول لبس ما تلبسه الصغيرات، أو التزيّن بزینتهن، أو حتى تقليد تصرفاتهن أو طريقة كلامهن. وفي هذا يقول المثل الشعبي «**الغيرة تردد لعجوذ صنيرة**^(٤).

-ج- الغيرة على الدين والعرض والوطن. وهي غيرة محمودة، ومن لا يغار على دينه فليس بمؤمن، كما أن الذي لا يغار على أهله يعد ديوثاً؛ ولذلك قال المثل: «**القلب اللي ما اينغير ولا اينحير يستاهل قفة اشعير**^(٥).

كانت المرأة عند العرب قمة شرفهم وذروة عرضهم فقد تقنعوا في الدفاع عنها. فالرجل الذي لا يغار على أهله يعده المثل الشعبي حماراً، ليس له شعور بالكرامة؛ فهو للأكل والعمل. ولذلك فجزاؤه قفة شعير. و من لا يغار على وطنه كمن لا يغار على عرضه. و الغيرة هي التي دفعت آباءنا وأجدادنا إلى التضحية بكل غال ونفيس من أجل

^(١) المصادر السابق، ص 108.

^(٢) المصادر السابق نفسه، ص 136.

^(٣) الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

^(٤) الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

^(٥) رابح خدوسي، موسوعة الجزائري في الأمثال الشعبية ، ص 117.

استرداد وطننا الحبيب وإعادة بعث لغتنا وديننا الحنيف.

12-الانطواء: Fr/ **Introversion** : مصطلح يستعمل للدلالة على اتجاه الاهتمام نحو العالم الداخلي وليس إلى العالم الخارجي (عالم الأشياء والأشخاص). نموذج من نماذج الطبع والشخصية، يميز الأشخاص الذين يتوجه اهتمامهم إلى أفكارهم الخاصة ومشاعرهم الذاتية بدلاً من اتجاهه إلى العالم المحيط بهم.⁽¹⁾

يرى "أحمد بن نعمان": أن سمة الانطواء على الذات لدى الفرد الجزائري، والميل إلى التفرد وعدم التفتح، والابتعاد عن الأضواء، والعزوف عن العيش ضمن التجمعات الكبرى تعود هذه السمة إلى أسباب جغرافية، واجتماعية وثقافية. فمن الناحية الجغرافية لعب عامل الاتجاه في المناخ والطبيعة على دفع أفراد المجتمع إلى العيش في شكل جماعات متقطعة على أنفسها، ومنغلقة اقتصادياً وثقافياً، في مناطق جبلية أو صحراوية أو ساحلية... إلى جانب السياسة الاستعمارية التي ظلت تسعى إلى تفتيت المجتمع الجزائري إلى طوائف عرقية ولغوية، عملاً بمبدأ فرق تسد... بالإضافة إلى سياسة التجهيل، التي اتبعتها الاستعمار مع أفراد المجتمع الجزائري؛ فقد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى تكريس الانطواء على الذات. ومن الأمثل الشعيبة التي تعكس سمة الانطواء، والانغلاق على الذات: «**الخلطة اترّدي والجرب يغدي**⁽²⁾». والخلطة معناها الاختلاط بالغير أو الآخرين من الناس، و اترّدي معناها ثهلّك أو ثُمْرض، فهو من الردى، وهو الهلاك أو الموت؛ لأنها تشبه الجرب، والجرب مرض معد، و لا يتم إلا بالاحتكاك بالمريض. فالمثل يدعو إلى تجنب الاختلاط الآخرين وبخاصة الأجانب. وإذا كان الأجانب يتعاونون ضمن شركات مختلطة وحتى متعددة الجنسيات، فإن أفراد الشعب الجزائري يحبذون العمل الفردي المستقل والمؤسسات الخاصة. ولسان حالهم يعبر عنه المثل الشعبي: «**الشركة هلكة**». وهو مثل مصدره الفلاحون، كما يرى عبد المالك مرتاض، حيث يقول: «إإننا نحسب أنه ابن بيئته زراعية لأن كثيراً من الفلاحين الفقراء أو أنصاف الفقراء كانوا مضطربين إلى الاشتراك»،

⁽¹⁾ - فاخر عاقل، معجم علم النفس ، ص60.

⁽²⁾ - أحمد بن نعمان، نفسية الشعب الجزائري، ص-138-139.

بعضهم مع بعض في الزراعة والحساب و الدرس...»⁽¹⁾. فقوله: مضطرين إلى الاشتراك يؤكّد دلالة المثل على التغير من الشركة، وفيه دلالة على الانطواء على الذات.

وسمة الانطواء يؤكّدتها أكثر مثل آخر: «داري تستر عاري»⁽²⁾ ففي المثل دعوة إلى الالتزام بالمنزل، وعدم مشاركة الآخرين في أفرادهم، أو نشاطاتهم الاجتماعية، فمهما كانت عيوبه (الجسمية أو العقلية أو الأخلاقية أو المادية..) ؛ فإنها لا تظهر إذا ابتعد عن الناس ولم يخالطهم. ويقول مثل آخر: «اللّٰٰي عَرْسُو فِي قَبْوٍ وَاَشَّ اللَّالُو بَعْرَاسُ النَّاسِ»⁽³⁾ ، أي أن الإنسان المرتاح نفسياً السعيد في منزله - كأنه في عرس - واش اللالو أي لا يبحث، ولا يسعى إلى أعراس الناس؛ فالأفضل له أن يبقى في سعادته وارتيابه في منزله. لأن الاختلاط بالناس في هذه المناسبات قد يلاقيه بأشخاص لا يحب أن يراهم؛ لأنّه يعتبرهم كالشياطين، لقول المثل: «اقْعُدْ وَحْدَكَ مَا شُوْفَ شَيْطَانٌ مَا تُسَمِّي مِنْوُ»⁽⁴⁾ ومعنى المثل: لا تختلط حتى لا ترى إنساناً كالشيطان في تصرفاته أو سلوكياته - ما تسمى منو -: تضطر أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم؛ وهذه التسمية عند العامة تقال بدل أعود بالله من الشيطان الريجيم؛ عندما يرى هذا الشخص. وفي المثل دلالة نفسية على تفضيل الانطواء والعزلة.

الاتجاهات والقيم:

لا شك أن شيوخ الأمثال وتداولها بين أفراد المجتمع، تدل على اتجاهات مستعملتها النفسية، نحو مضمون تلك الأمثال، ومعانيها، كالاتجاه الديني مثلاً.

1- الاتجاه الديني:

فالاتجاه الديني من أبرز سمات الشعب الجزائري، كما يرى أحمد بن نعман⁽⁵⁾ حيث يقول: تعتبر سمة الدين من أبرز سمات الشخصية الجزائرية، كما تدل عليها العديد من الشواهد الثقافية، ومن أهمها: تمسك المجتمع الجزائري بالدين الإسلامي اعتقاداً وتطبيقاً ويدل على ذلك صموده الشديد والثابت أمام عمليات التدمير التي استهدفته طوال عهد

⁽¹⁾ - عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 105.

⁽²⁾ - من الذاكرة الشعبية بوسعدة.

⁽³⁾ - أحمد بن نعمان، نفسية الشعب الجزائري ، ص-ص 138-139.

⁽⁴⁾ - المرجع السابق، ص 140.

⁽⁵⁾ - المرجع السابق نفسه، ص-ص 161-163.

الاستعمار الفرنسي.. التقاني في بناء المساجد والمؤسسات التعليمية الدينية، بماله وجهده دون انتظار دعم الدولة.. حب الجهاد والتضحية في سبيل تحرير الوطن من المستعمر الكافر. كما أنّ الجهاد يتم رغبة في دخول الجنة. ومن الأمثلة الشعبية الدالة على الاتجاه الديني: «**اللي صلّى وخلّى أوصَلْ لِجَنَّةَ أُوْلَئِي**⁽¹⁾». ومعنى المثل أنّ الذي يصلّي ثم يترك الصلاة أو يتخلّى عنها؛ فمثله كمن وصل إلى الجنة ثم عاد منها ولم يدخلها. وفي المثل حثّ على مداومة الصلاة في وقتها. ويدعم هذا المثل مثل آخر يقول: «**اللي يصَلِّي ويترَكْ يدخل النار مفترِكْ**⁽²⁾» ومعنى مفترك في العامية، منهوك القوى، خائز الجسم. فقد يعبده الله في الدنيا، ثم يعبده في الآخرة. وفي المثل ترهيب من جهنّم لمن يستهزئ بهذه العبادة؛ فهو يقوم بها في فترات ويتركها في فترات أخرى، فكانه غير مؤمن بوجوبها. وللتوضيغ في هذه العبادة التي تبدأ بصلاة الصبح، قال المثل: «**ثلاثة اتَّحَمَّرَ الوجهُ: صلاة لفَجَانٍ، و ازْوَاجٍ لبَكَازٍ، ومعرفة الناس لكُبَارٍ**⁽³⁾». فحمرة الوجه-على الغالب- دلالة على صحة الجسم بعكس الصفرة والسوداد اللتين تدللان على المرض. وفي تداول هذه الأمثلة وغيرها دليل على التوجه الديني الإسلامي للمجتمع الجزائري.

ومن السمات الحسنة التي تظهر في الأمثال الشعبية الجزائرية:

2- الوفاء والصدق:

الوفاء أن يلتزم الإنسان بما عليه من عهود وعقود، وواجبات، والوفاء صفة نفسية لا تتأتى إلا لمن ظهر قلبه. وصفة نفسه، و هو صفة حميدة وخلق كريم، ينبغي أن يتحلى بها كل إنسان؛ لأنّها النفسي الإيجابي على المتعاملين، فهي تبعد الشك والاضطراب عن نفوسهم. فيقبلون على واجباتهم الاجتماعية والاقتصادية بجد لا يخامره تردد. و الوفاء ابن الصدق، فمن كان صادقاً كان وفياً، وصفة الوفاء من أهم الفضائل التي عنى بها القرآن الكريم، وحثّ عليها واعتبرها ضرباً من التقوى، ووعد الله تعالى المتصفين بها، بالأجر العظيم، قال تعالى: «**وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَنُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**⁽⁴⁾». والأمثال

⁽¹⁾ - أحمد بن نعman، المرجع السابق ص163.

⁽²⁾ - من الذاكرة الشعبية بوسعدة.

⁽³⁾ - من الذاكرة الشعبية بوسعدة.

⁽⁴⁾ - سورة الفتح، آية، 10.

الشعبية حثت على هذه الصفة. قال المثل: «**اللي خرجت من الفم تَسْمَى دين**»^(١). أي أن كل التزام أو تعهد يتخذ - ولو مشافهة - يجب أداؤه، كما لو كان ديناً، ومن ثمّ يجب ألا يلتزم الإنسان بدون رؤية؛ لأن المثل يقول: «**المؤمنين عند أقوالهم**»^(٢). أي أن المؤمن الحقيقي قوي الإيمان، هو الذي يقف عند أقواله والتزاماته، فلا يتخلى عنها. وتعتبر الأمثال الرجولة متوقفة على الوفاء بالعهد والوعد، ومن ينكثهما فهو مذموم. قال المثل: «**رأس مال الرجال كلمتو**»^(٣). وتمثل الأمثال لخروج كلمة الوعد من الفم، بخروج البارود من البنديقة، لا يمكن إرجاعه؛ كما لا يمكن التراجع عن العهد أو الوعد. قال المثل: «**الكلام كي البارود إذا اخرج ما يُولِيش**»^(٤). فكلمة الرجل هي شرفه وهي الميزان الذي يوزن به بين الناس.

وللحث على الوفاء بالعهد، وذم نقضه، أو عدم الوفاء به، قال المثل: «**قالت موكة: أنا خير من ثلاثة: اللي قال كلمة وما وفّاها، واللي دار قصة وما املأها، واللي كبرت بِنْثُو وما اعطَاها**»^(٥). المراد بهذا، الحث على التزام ما جرت به العادة في هذه الثلاثة. كما يقال أيضاً بمناسبة الحديث عن واحد منها. فالوفاء بالعهد واحترام الكلمة، تفرضها العادات والأخلاق والأديان في كل المجتمعات. فعدم احترام الكلمة نقص في كمال الرجلة ورذيلة، ودليل على النذالة. وإطعام الطعام خلق من الأخلاق الجزائرية، وسجية من سجايا مجتمعنا. وقد جرت العادة أن تملأ الحِفان، (**لُقْصَانُ**) ومن العار أن تقدم غير ممتئلة؛ لأنه دليل على الشح. أما فيما يتعلق بالجزء الثالث، فإن الناس في الجزائر وفي المجتمعات العربية الإسلامية التقليدية، يرون أن تزويج البنت إذا بلغت سن الزواج يحفظ لها كرامتها، وكرامة أهلها. فهم يقولون: «**من عنده في الدار بنت عنده بونبة Bombe**»^(٦). أي قبلة لا يدرى أحد متى تتفجر.

و موكة: هي البومة، وهي من أحقر الطيور، وأنتها، ولا تظهر إلا في الليل؛ ترى البومة أنها أحسن من هؤلاء الثلاثة المذكورين في المثل. وقد سبق المثل على لسان البومة

^(١) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 59.

^(٢) - قادة بوتارن، المرجع السابق، ص 60.

^(٣) - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 84.

^(٤) - المرجع السابق، ص 172.

^(٥) - المرجع السابق نفسه، ص 153 . وقادة بوتارن، مرجع سابق ذكره، ص 63.

^(٦) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعدة.

لتأكيد أهمية الأشياء التي يشتمل عليها. وإن كان المخالف لها أحق من البومة. كما أن الغاية من سوقِ الأمثال على لسان الحيوان والطيور، ترسّخُها في أذهان الناس. وفي الموضوع نفسه يقول المثل: «الَّذِي يُؤْلِي عَلَى قَيْهُ غَيْرُ الْكَلْب»⁽¹⁾. أي لا يلعق قيئه إلا الكلب. يشبه هذا المثل الشخص الذي يسترد ما قد أعطاه، أو الذي يخلف وعده، بالكلب الذي يعود لما قاءه فياكله.

وفي التهكم على الذي يخلف الوعد، يقول المثل: «كَلَامُكَ زِيدَةٌ كِيْ يَطْلَعُ النَّهَارُ يَذُوبُ»⁽²⁾. ويقال هذا المثل في منطقة بوسعدة: كلام الليل مدهون بالزبدة عندما تطلع الشمس يذوب. والمثل يضرب للذّاب، يعد بالشئ، ثم يخلفه من يومه أو من غده.

فالوفاء بالعهود هو صفة مكتسبة، بها يلجم المرء شهواته النفسية، هذه الشهوات التي تدفعه إلى عدم الوفاء بغرض تلبية مطالبها ولو بطرق غير مشروعة أو بوسائل غير شريفة. قلت شهوات نفسية لقوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطِرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَثِ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآب﴾⁽³⁾

إن الوفاء بالعهد يكتسب أهمية كبيرة؛ كونه أساس التعامل بين الأفراد والجماعات، بل بين الدول، وهو القاعدة لبناء المجتمعات الفاضلة، التي تسودها المحبة والتعاون والرحمة. وإذا احترمت العهود والمواثيق، عاش الناس في خير وأمن واستقرار، وعندما تنقض العهود ولا تحترم الوعود، تدب الفوضى، وتتحول الإنسانية إلى بهيمة، يظلم بعضهم بعضاً ويأكل القوي الضعيف. فكثيراً من النزاعات الفردية التي تصل إلى المحاكم، سببها عدم تطبيق العهود والمواثيق. لذلك حثت الشرائع والقوانين والأمثال على التحلّي بهذه الصفة لخير الجميع. والأمثال الشعبية تحمل الكثير من الاتجاهات والسمات النفسية، التي لا يمكن الإحاطة بها جميعاً في هذه العجالة. فالدكتور أحمد بن نعمان ذكر مجموعة كبيرة منها في كتابه: نفسية الشعب الجزائري.

⁽¹⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 63.

⁽²⁾ - عز الدين جلاوجي، الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف، ص 89.

⁽³⁾ - سورة آل عمران، آية 14.

وأخيرا رأينا من خلال تحليلنا للأمثال المذكورة في هذا البحث، أنها تعبر عن حالات نفسية، وتشي بمكونات في اللاشعور، تبرز من خلال استعمال المثل في المواقف المناسبة فمستعمل المثل يُظهر -لا شعوريا- إحساسه تجاه موضوع معين؛ كما يُشعر بفهمه لحالة المخاطب النفسية. كما أن هذا النوع من الأمثال يبني بالاتجاهات والقيم التي يتمسّك بها المجتمع الذي تسود بين أفراده قديماً أو حديثاً. فهو قد ركّزها وحفظها في هذا القول الموجز بعد تجارب و ملاحظات لمدة طويلة.

ثالثاً - تأثير الأمثال في المجال الاجتماعي:

أ- الإنسان مخلوق اجتماعي:

الإنسان لا يستطيع أن يعيش منفرداً منعزلاً عن غيره من أبناء جنسه؛ «فرغبته في الاجتماع بالآخرين والميل إليهم والخضوع للمجتمع هي حقائق نابعة من داخل النفس وليس مفروضة عليها من خارجها، هذه الرغبة تجعل الإنسان يضحى -أحياناً- ببعض رغباته ومذاته الفردية في سبيل الوجود في مجتمع، وهي رغبة فطرية موجودة في داخل النفس، ولا تملك قوة في الأرض أن تنشأ إنساء - مجرد الضغط - لو لم تكن موجودة بالفعل...»⁽¹⁾. بالإضافة إلى أنه لا يستطيع أن يلبي كل حاجاته، المادية والنفسية، الفطرية أو المكتسبة؛ وعليه، فتعاونه مع غيره ضروري لبقاءه. يعبر عن ذلك مثل شعبي: «الخارجية من فريقها ناشف ريقها»⁽²⁾، أي الخارجية من أصلها ومجموعتها، ينشف ريقها بمعنى تتعب وتموت. وهذا يطابق ما تراه النظرية البنائية من أن الذات الإنسانية لا يمكنها أن تكون مستقلة تماماً. وعليها أن تدخل مع غيرها في علاقات تؤدي إلى التفاعل. و التفاعل هو المبدأ الأساس في أي بناء اجتماعي، به يقاس الوجود الاجتماعي⁽³⁾. لقول ابن خلدون: «إن اجتماع الإنسان ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بالطبع. أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمran. وبيانه أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاها إلا بالغذاء، وهذا إلى التماسه بفطرته وما ركب فيه من القدرة على تحصيله؛ إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه»⁽⁴⁾ ويدلل ابن خلدون على ذلك بما يتطلبه خبز يوم من بذر وزرع، وحصاد وطحن، وعجن وطبخ، وما يتطلب ذلك من آلات متعددة ومواعين تحتاج إلى صناع آخرين. وقس على ذلك ما يحتاجه من ملبس ومسكن ودفاع عن النفس، فهذه الحاجات لا تحصل إلا بالتعاون؛ فهذا الاجتماع ضروري النوع الإنساني. ويرى آخرون أن الحاجات- Les Besoins - في أساس نشأة الجماعة؛ لأن

⁽¹⁾ محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ص 19.

⁽²⁾ راجح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية ، ص 54.

⁽³⁾ - سعد ضاوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1994م، ص 176-177.

⁽⁴⁾ - ابن خلدون، المقدمة، ص 69.

الجماعة لا تظهر عادة، إذا لم يكن في وجودها إشباع لحاجات لا يتم خارجها. وعلى هذه الحاجات يتوقف بناء الجماعة و استمرارها.. كما أن الحاجات تتزايد وتتطور، فتختلف حاجات اليوم في عددها وكيفية إشباعها عن حاجات الأمس، وهناك حاجات جديدة تظهر باستمرار؛ بينما حاجات قديمة تتضاءل أهميتها؛ فالحاجات الأساسية والثانوية في حركة دائبة، والجاجات التي تؤمن بها الجماعة بعضها مادي، ويختلف من جماعة إلى أخرى وبعضها نفسي، كالحاجة إلى السيطرة أو الظهور، ولفت الأنظار، أو الحاجة إلى الانتماء الذي يعطي الثقة في النفس، والإحساس بالقوة والدعم⁽¹⁾. ولكي يقع التعاون بين الأفراد والجماعات، ويحقق بعضهم للبعض الآخر حاجاته المختلفة، فلا بد أن تكون هناك ضوابط تنظم العلاقات بينهم. قال ابن خلدون: « ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض؛ لما في طباعهم الحيوانية من العداون والظلم»⁽²⁾ هذا الواقع يحصره ابن خلدون في الملك أو الحاكم الذي يكون له السلطان عليهم، وهو واحد منهم. فالحاكم هو الذي يشرع لتنظيم العلاقات بينه وبينهم، وبين الأفراد داخل الجماعة، اعتمادا على آراء الفلاسفة والمفكرين، وعلى خبرة وتجارب الأفراد والجماعات، التي كانت تكتنز في نصوص شفوية أو مكتوبة.

بـ- الأخلاق في التراث:

إن الشرائع السماوية جاءت لتنظم العلاقة بين الخالق وعباده، وبين العباد بعضهم مع بعض. « والدين إذا كانت له مهمة يؤديها في هذه الحياة، فليست هي هداية الإنسان إلى العمل من أجل الحصول على نعيم الآخرة. إذ هذا النعيم ليس مقصودا لذاته؛ وإنما هو مجرد جزاء لما نفعه في هذه الدنيا. إن مهمة الدين الحقيقة هي هداية الإنسان إلى استكمال إنسانيته العقلية بالسيطرة على حيوانيته الغريزية»⁽³⁾. وفي هذا المجال تذكر كلمة الأخلاق التي تحتوي القيم والتوجيهات التي تنظم هذه العلاقات. يقول الدكتور عبد الله شريط، في معرض حديثه عن تعقد مادة الأخلاق: « على أن الأمر الذي لاشك فيه، هو أن مفهوم

⁽¹⁾ - سعد ضاوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب ، ص 179 .

⁽²⁾ - ابن خلدون، المقدمة، ص 71 .

⁽³⁾ - عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، ط 2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975، ص 178 .

الأخلاق نفسه، لم يكن محدداً واضحاً في تراثنا الفلسفى، فهو أحياناً سلوك يؤخذ من الشريعة، وحياناً آخر اسم ثان من أسماء التصوف، وهو عند البعض لا يختلف موضوعه عن موضوع الأدب، وعند البعض الآخر هو الفلسفة نفسها⁽¹⁾ ومهما تعددت هذه المفاهيم فالتهذيب أو التأديب بمعناه التهذيبى أو بمعناه الحامل للقيم الأخلاقية، يجمعها.

يرى عبد الله شريط: أنه يمكن العثور على ما يتفق مع التعريف السابقة في التراث القديم وفي فلسفتنا الإسلامية؛ غير أنه لا يحمل اسم الأخلاق، بل يحمل اسماً فلسفياً هو: الحكمة العملية، التي لا يقصد بها شيء آخر غير الأخلاق. «فقد جاء في (كتاب اصطلاحات الفنون) الذي يرجع عهد تأليفه إلى القرن الثاني عشر الهجري أن الحكمة العملية، ثلاثة أقسام: لأنها إما علم بمصالح شخص بانفراده، ويسمى تهذيب الأخلاق، وعلم الأخلاق والحكمة الخلقية، وفائتها تنتفي الطبائع؛ بأن تعلم الفضائل وكيفية اقتدائها، وتعلم الرذائل وكيفية توقيتها. وإنما علم بمصالح جماعة مشاركة في المنزل، ويسمى تدبير المنزل؛ وفائتها أن تعلم المشاركة التي ينبغي أن تكون بين أهل منزل واحد لتنظم بها المصلحة المنزليّة. وإنما علم بمصالح جماعة مشاركة في المدينة، ويسمى السياسة المدنية، ويسمى أيضاً علم السياسة، والحكمة السياسية، والحكمة المدنية، وسياسة الملك؛ وفائتها أن تعلم كيفية المشاركة التي بين أشخاص الناس؛ ليتعاونوا على مصالح الأبدان، ومصالح بقاء النوع الإنساني»⁽²⁾.

وأخيراً ينتهي هذا التعريف بفكرة نجدها أساسية في علم الأخلاق الحديث، وهي فكرة الهدف، أو المثل الأعلى. «ثم أعلم أن موضوع الحكمة العملية، هو الأفعال الاختيارية .. والأفعال الاختيارية لا بد لها من غاية وفائدة، وتلك الفائدة عائدة إلى كمال القوة إلى الشخص أو الاجتماع»⁽³⁾ و لا شك أن قيم المجتمع ومبادئه واتجاهاته مثبتة في أدبه؛ فهو يلقنها أبناءه في المدرسة أو خارجها، فمبادئ التربية يجب أن تكون واحدة، لكنه لا يكون هناك تناقض بين ما يتلقاه الفرد في الفضاء بين - المدرسي وخارج المدرسة - فالمبادئ التي

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 150.

⁽²⁾ - المرجع السابق، ص 151.

⁽³⁾ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ترتكز عليها التربية في آراء (جون ديوي) الاجتماعية هي: «أنه لا يمكن أن يكون هناك صنفان من المبادئ الأخلاقية، تختص إحداهما بالحياة المدرسية، والأخرى بالحياة خارجها؛ لأن السلوك وحده لا تتجزأ»⁽¹⁾

ولو عدنا إلى الأدب العربي، وبحثنا في أقدم ما عُرف له من نماذج لوجدنا الغرضية الاجتماعية بأبرز مظاهرها - سواء في ذلك الشعر الجاهلي، والنشر المتمثل في الخطابة؛ فالقصيدة الجاهلية، مع كل ما فيها من فيض وجданى يرافقها من مطلعها إلى بيت قصيدها إنما هي رسالة هادفة؛ تقال لتسمع، تتناولها الركبان .. إلى أن تصل إلى الأذن المعنية، وما تحمله هذه الرسالة، على ما فيه من انفعالات شخصية؛ تتمثل في نسيب أو مدح أو هجاء أو فخر .. هو اجتماعي ال باعث واجتماعي الفعل. إن الفخر مثلا، نادراً ما يقتصر على الفرد.. فخر بالجامعة التي بها يقوى الفرد، وفيها يجد الحماية والأمن، وكذلك الهجاء.. هكذا كان الشعر يقال فيُردد ويُنشر. والخطابة هي الفن النثري الوحيد الذي عرفه الجاهليون في غياب انتشار الكتابة والقراءة على نطاق واسع. والخطابة بطبيعتها خطاب يتوجه إلى جمهور؛ يُفصّل بمقاييس مشاكله واهتماماته، يتوقع أن يحدث في الجمهور تأثيراً فوريًا؛ فيشفي بعض عله، أو يؤزم بعض انفعالاته، أو يوجه فكره وخياله⁽²⁾. و هنا تدخل الأمثال؛ لأن الشعراء والخطباء كثيراً ما يضمون أثرهم الأدبي للأمثال للتوضية أو الاستشهاد أو الحاج... قال فائز الداية: « .. وتبدو الأمثال مصدراً هاماً للشعراء في هذا المجال، ذلك أنها تعد بنية رمزية، فتجمع بين الإيجاز وتكليف تجربة إنسانية، ثم نجدها ترتفع إلى مرحلة الشمول عندما تغادر رقعة الواقعية الجزئية، فهي تصلح لإشعاع قيم شعورية، وقيم اجتماعية أو فكرية في حركة الحياة وتجارب الناس »⁽³⁾. و الأمثال جنس أدبي متداول بين الخاصة والعامة من أفراد المجتمع؛ بسبب تأثيره في نفوسهم، هذا التأثير الذي يظهر في علاقة الفرد بنفسه أو بغيره.

⁽¹⁾ - جون ديوي، المبادئ الأخلاقية للتربية، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966م، ص 19.

⁽²⁾ - ينظر: سعد ضاوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب ، ص 296.

⁽³⁾ - فائز الداية، جماليات الأسلوب - الصورة الفنية في الأدب العربي - ط2، دار الفكر، دمشق، 1996م، ص 190.

والأمثال تتجه في تناولها للأخلاق، الفردية والجماعية اتجاهها يخالف اتجاه الشعر؛ ذلك أن الأمثال حكمة الأمة أو الشعب، والحكمة تتوجى الموعظة والنصيحة دائماً، وتحت على الفضائل وتتفرّج من الرذائل. أما الشعر - إذا استثنينا منه شعر الحكمة والأمثال - فإن وظيفته الأولى تهيج العواطف، وإثارة الانفعالات، بغض النظر عن الحق والباطل، والخير والشر، ومن ثم وجدنا معظمها يقوم على الكذب، والمبالغة والتهويل، وتزييف الواقع، حتى قيل: (أعذب الشعر أكذبه).⁽¹⁾

إذا درسنا خلقا كالجود عند العرب، وجدنا أمثالهم تدعى إليه، وتبيّن عوائده على الفرد والجماعة، ثم تدمي البخل، وتحذر من عواقبه الوخيمة، كل ذلك في أساليب هادئة، تبدو فيها آثار التدبر والتعقل والفكير العميق. مثل قولهم: «إن الرثيَّة^{*} تفتأ الغضب» وأصله أن رجلا غضب على قوم، وكان مع غضبه جائعاً، فأتاهم ليوقع بينهم، فسقوه رثيَّة، فسكن غضبه، وكف عنهم⁽²⁾.

كما أن توجيهات الأمثال تختلف - أيضاً - توجيهات النصوص الدينية، فإذا كانت النصوص الدينية تلزم بوجوب القيام بالفعل كتطبيق الفرائض، أو وجوب عدم فعله، كتجنب المحرمات، عن طريق الترغيب والترهيب؛ لأنها تقر لذلك جراءات أو عقوبات عاجلة أو آجلة. وإن الأمثال تقدم نقداً لوضع اجتماعي وتترك حرية الاختيار للفرد. «فالمثل الشعبي ينظر إلى العلاقات الاجتماعية من زاوية إرادة الإنسان ووضعها أمام امتحان ذاتي، وليس على أساس أسلوب الوعظ والإرشاد الخارجي، القائم على الترغيب أو الترهيب، وهي طريقة يمكن أن نسميها طريقة النقد في الأمثال الشعبية من ذلك قولهم: «أنا نقول لك يا سيدي وأنت أعرف مربطك»⁽³⁾ وتنطق في جهات أخرى: وأنت أعرف منزلتي. أي قدرِي، وقيمتِي. وكلمة منزلتي أكثر تهذيباً من كلمة مربطك؛ لأن المربط يكون للحيوان الذي يربط. كالحمار مثلاً، وتعني الزم حدودك. وتقال مربطك عند الغضب.

⁽¹⁾ - ينظر: عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، ص 301.

* - الرثيَّة: لمن حامض يصب عليه حليب فيحشر . وتفتأ: تكسر وتسكن.

⁽²⁾ - ينظر: عبد المجيد قطامش، المراجع السابقة، ص 329.

⁽³⁾ - التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي المزايدي، ص 174.

و الإنسان يكتسب قيمه وميوله واتجاهاته منذ طفولته في مؤسسات متخصصة في التربية كالأسرة والمدرسة - تربية مقصودة- كما يكتسبها في مؤسسات غير متخصصة كالنادي دور العبادة، وحتى في الشوارع والأسواق وغيرها - تربية غير مقصودة- بفضل الاختلاط والتواصل اللغوي. « وبفضل العرف اللغوي والرصيد يغدو الفرد قادرا على الانتظام في المجموعة البشرية المنتهي إليها، فهو يتصل بالآخرين متلقياً ومرسلاً الكلمات ومنظماً الاستجابات وفق فهمه لمساحتها الدلالية؛ كما نلاحظ أن حيازة مقدار أكبر وأدق من الرموز تتيح مشاركةً أوسع، وأكثر عمقاً ومتخصصاً في الحياة اليومية والعملية والفكرية »⁽¹⁾.
و في هذه الميادين توظف الأمثال الشعبية الحاملة لقيم المجتمع واتجاهاته، وبنكرارها الشفوي أثناء التفاعل بين الفرد ومحيطة الاجتماعي تترسخ هذه القيم، وتدفع إلى تبنيها والعمل بها، وتدالولها لتنقل إلى الخلف.

والقيمة: « طريقة في الظهور أو التصرف، يراها الشخص أو الجماعة، نموذجية وهي وبالتالي تجلب التقدير للشخص الذي يراعيها أو للتصرف الذي يصب في اتجاهها.. إنها تنتهي إلى التنظيم المثالي لا إلى نظام الأشياء الملموسة أو الأحداث. وهذه يمكن لها أن تعبّر عن قيمة أو أن تمثلها، ويمكن لها أن تذكر بها أو تستفهمها؛ إنما لا قيمة لها بحد ذاتها. إنها لا تستدعي الاحترام و تستحقه إلا بانتسابها إلى القيم أي إلى التنظيم الخلقي الجمالي أو الفكري، الذي يكون قد ترك عليها طابعه.. فالجوع الذي يحفز إليه (الريجيم) ويحافظ على جمال الشكل، هو أمر ذاتي بل أناي؛ لكنه إذا كان بسبب إثارة الآخرين بالطعام غداً كرماً، وانتهي إلى التنظيم المثالي، أي إلى عالم القيم »⁽²⁾.

ج- توجيهات الأمثال:

والأمثال الشعبية عندما تستحسن صفات أو تصرفات فهي تُرشد إلى التحلي بها دون إجبار، أي عن طريق اختيار الفرد بعد اقتناعه بصوابها. وعندما تستهجن صفات أو مواقف فإنها تحث على تجنب الاتصاف بها، عن طريق اختيار أيضاً، وفي كلا الحالتين فهي

⁽¹⁾ - فائز الديبة، جماليات الأسلوب- الصورة الفنية في الأدب العربي ، ص175.

⁽²⁾ - سعدي ضاوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب ، ص245.

موجهة لفرد بصفته عنصرا في علاقة مع جماعة، يؤثر فيها ويتأثر بها. ومن السلوكيات التي فصلت الأمثال القول فيها : استعمال اللسان.

١- استعمال اللسان:

اللسان هو قطعة لحمية في الفم تساعد على مضغ الطعام وتذوقه وبلعه، وهو عضو النطق لدى الإنسان، ولذلك سميت اللغة والكلام به، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾^(١) فاللسان يدل على اللغة. و اللغة كما هي وسيلة تواصل، فهي وعاء الأفكار والعواطف. فكلام الفرد له أثر على الفرد نفسه، كما له أثر على غيره. فيمكن أن يوظفه الإنسان في الخير كما يمكن أن يوظفه في الشر، فهو سلاح ذو حدين. فكم من مشاكل وقعت بين الأفراد والجماعات، وكم من حروب اندلعت بين الشعوب بسبب كلمات، وكم من مشاكل حلّت بفضل كلمات؛ بكلمة تقوم الحروب، وبكلمة تهدأ وتخدم، وبكلمة تدخل السرور على شخص، وبكلمة تدخل الهم والضيق على آخر. بكلمة يتم الزواج، وبكلمة يتم الطلاق. والمرء مخبئ تحت لسانه؛ فإذا تكلم ظهر ما في قلبه. قال الشاعر :

وفي الصمت ستر للعيي وإنما = صحيفه لب المرء أن يتكلما^(٢).

هذا فيما يتعلق بالكلام الشفوي؛ أما المكتوب، فيقول الجاحظ: « وقال موسى بن يحيى بن خالد: قال أبو علي: "رسائل المرء في كتبه أدلّ على مقدار عقله، وأصدق شاهد على غيه لك، ومعناه فيك من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة" »^(٣)

جاء في الأثر: إن تكلم الرجل عرف في حينه، وإن لم يتكلم عرف في نهاره. أي من خلال كلامه ثُرِف ثقافته، واتجاهاته، وقيمه. وهنا تحضرني حادثة شعبية في هذا الموضوع. قيل: دعيت مجموعة من الرجال البدو إلى وليمة، وأخذوا يتجادلون أطراف الحديث في مواضيع شتى، وكل منهم يدلُّ بدلوه، ويبدي رأيه، إلا واحداً، كان غير معروف ذا هيئة حسنة، تبدو عليه المهابة؛ ولكنه لم يشاركهم الحديث، وظل صامتاً؛ فأراد أحدهم أن

^(١) سورة النحل، آية 103.

^(٢) - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 138.

^(٣) - المرجع السابق، ص 139.

يستفذه، فطرح السؤال التالي: إذا تجمعت الزبدة في الشكوة، فكيف يخرجها الراعي وفم الشكوة ضيق؟ (الشكوة: جلد نعجة مدبوغ، ومهمأً إما لوضع الطحين فيه وإما لمخض اللبن وإخراج زبنته)؛ فنطق الساكت قائلاً: يُفْكَ حَلَّهَا أي يفتح قاعدتها. والخلال هو قطعة خشبية تستعمل في ربط الأوعية المصنوعة من الجلد أو الشعر والوبر كالغرائر. عرفوا مهنته.

والأمثال الشعبية حرصت على حسن استعمال هذا العضو؛ لأنّه سبب شقاء الإنسان أو سعادته. قال المثل: «لسانك حصانك إن صنته صانك، وإن هنته هانك»⁽¹⁾ شبه اللسان بالحصان، المعد للسباق مثلاً؛ فإن حافظ عليه واعتني به صاحبه: من تدريب وأكل ونظافة استطاع صاحبه أن يسبق به، لكنه إذا لم يعتن به، وأهانه؛ فإن الحصان لا يسبق غيره. وكأنه أهان صاحبه. فكذلك الإنسان إذا حافظ على لسانه، واختار الفاظه، واستعمله في ما يفيد، حافظ على نفسه وعلى كرامته، لكن إذا استعمله في الإضرار بالغير عرض نفسه للنقد، والإهانة والخطر. والإنسان محاسب على كلامه أمام الله. لقوله تعالى: ﴿مَا يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد﴾⁽²⁾

والاستعمال السيء- كأن يسب المرء شخصاً أو يتناول عرضه، أو يهينه بكلام جارح- يعرض صاحبه للكره والحدق، وربما للانتقام، وبهذا تفسد العلاقة بين الأفراد، قال المثل: «اللي جرّ القلب و ادماءه، واش من عين تلقاه»⁽³⁾ فمن جرح القلب بالكلام، فإن ذا الجرح لا يندمل، وبالتالي لا يمكن ملاقاته، ومصادقته مرة أخرى.

ولذلك توحى الأمثال بتجنب الكلام الجارح، وتحبذ الكلام الحلو؛ لأنّ به تصفو القلوب، وتنشأ المحبة بين الناس. قال المثل: «اللسان الحلو يرضع اللبة»⁽⁴⁾. اللبة هي أنثى الأسد. فعلى شراستها و قوّة افتراسها؛ فاللسان الحلو يمكن أن يرضعها، أي باللين يمكن ترويضها. و هو تمثيل لأثر الكلام الطيب في إنشاء المودة بين الناس. فكثيراً ما يُنصح الشباب بهذا المثل لقضاء حوائجهم باللين، دون اللجوء إلى العنف اللفظي الذي قد يضيّعون به مصالحهم.

⁽¹⁾ رابع حدسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 150.

⁽²⁾ سورة ق، آية 18.

⁽³⁾ رابع العوبي، أنواع النثر الشعبي، ص 53.

⁽⁴⁾ المرجع السابق، ص 60.

و الأمثال تتصح الفرد بأن يتكلم إذا كان كلامه فيه خير؛ وإلا عليه بالصمت، لكي لا يقول كلاما فيه مضره له أو لغيره. قال المثل: «**قل كلام الخير أو اسكت خير**»⁽¹⁾. وهو مثل يدعو الإنسان إلى التروي والتفكير قبل أن يتفوّه بأي كلام؛ فإذا كان الكلام من فضّة فإن السكوت من ذهب. وهنا يحضرني مثل فرنسي يقول:

«Il faut tourner sept fois sa langue dans sa bouche avant de parler»⁽²⁾

وترجمته: يجب أن يدير لسانه سبع مرات في فمه قبل أن يتكلم. وهو دلالة على وجوب التفكير والتروي قبل التحدث إلى الغير أو إصدار الأحكام. وهي حكمة إنسانية لحفظ اللسان من الخطأ.

يدعّم المثل السابق مثل آخر هو: «**الصَّمْت حِكْمَةٌ تُخْرُجُ مِنْهُ لَحْكَائِمٍ**، لوما تصَمَّصِيمْ ولد الحجلة ما يُجِي لَحْنَشْ هَائِمٌ»⁽³⁾. الصمت أبو الحكم، وهو أفضل من الحديث المُضر، والدليل: أن ابن الحجلة - وهي طائر صغير في حجم الحمام - لو لم يُحدث صوتا، وهو في عُشه، لما أتاه الحنش أي الثعبان، وأكله؛ فسبب هلاكه، هو صوته الذي نبه به الحنش. وللحث على الصمت - أيضا - يقول المثل: «**الفم المزموّم ما تدخله ذبابة والفم المطول تُعشش فيه**»⁽⁴⁾. يقال في مدح الصمت والتحذير من الثرثرة.

و إذا تكلم الإنسان فعليه أن يكون صادقا في أقواله، وأن يتحمل تبعات كلامه، وأن يفي بوعوده. لقول المثل: «**اللَّيْ خَرَجَتْ مِنَ الْفَمِ تَسْمَى دِين**»⁽⁵⁾. كل التزام أو تعهد يُتخذ؛ ولو مشافهة، يجب أداؤه؛ كما لو كان دينا. ومن ثم وجب ألا يلتزم الإنسان بدون رؤية.

2- الغيبة:

ومن أضرار اللسان الغيبة، وهي أن يذكر المرء شخصا آخر بما يكره - سواء أكان صادقا أم كاذبا - وفي هذا يقول المثل: «**كُلْ شَيْءٍ يَبْرَا يَا هَبْرَةً*** غير كلام العيب»⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 121.

⁽²⁾ - Jean-Loup Chiflet. Op ,ct. P 81.

⁽³⁾ - رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي ، ص 53.

⁽⁴⁾ - رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 111.

⁽⁵⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 59.

⁽⁶⁾ - المرجع السابق، ص 146.

* - ذكر قادة بوتارن في المرجع نفسه، ص 56. المثل: «**شَرْطُ الْجَاهِرِ عَلَى هَبْرَة**». الجاهر وهبّة قبيلتان في الغرب الجزائري، كانتا في خصام دائم لمناخة أراضيهما، قامت حرب بينهما، فانتصرت الجاهر على هبّة ، فاشترط الغالب على المغلوب للمساعدة شروطا بالغوا فيها، حتى ضرب بها المثل، ويذكر في كل اتفاق، تكون شروط أحد الطرفين جد تعسفية.

الهبرة: قطعة اللحم. إن العامة تتسب هذا الكلام للأسد. وكان قد واطأ امرأة، فوجدت رائحته كريهة، فأخبرت الناس بذلك. و قبل أن ينتقم الأسد منها، قال لها هذه العبارة. وقد صارت عند العرب أصلاً من أصولها: أن لا يغتاب الإنسان أخيه، ولا يذكره بسوء. لأن الغيبة سلوك سيئ يؤدي إلى العداوة بين الناس. وأصحاب المروءة يتتجنبون الوقوع في الغيبة، مهما كانت المغريات. قيل: أن قوماً من البدو دعوا قوالاً، بالقاف المعقوفة، (شاعراً) فأكرموه إكراماً لا مثيل له، ثم طلبوا منه أن يُمَجِّدُهُمْ (يمدحهم)، ويَمْعَرَ (يهجو أو يذم) قوماً آخرين. فقال لهم:

ما نَفَتْبُ فَأَنْجُوْغُ غَنْبَهُ = لَحِيدِثُ عَنِي يَتَعَادُ *
نَثْمَا مَدِينَةُ رَحْمَةٌ = وَهُمَا ابْطَالُ وَاجْوَادُ⁽¹⁾

الغيبة هي الغيبة، وأنجوع: يقصد بها بيوت الشعر، والبدو الرحل الذين يتلقون طلباً للكلا، فيقيمون في المنتجع، أو المستجع، موضع الكلا⁽²⁾. نثما في العامية بمعنى أنتم. فهذا الشاعر الشعبي أبى أن يغتاب أو يذم قوماً آخرين، لأن قوله سوف يصلهم، فينتقمون منه. ثم ساوي بينهم في المدح؛ حيث اعتبر من ضيفوه وأكرموه مدينة رحمة. أما الآخرون فيمتازون بالبطولة والجود. وفي المثل تتفير من الغيبة.

كما أن الله تعالى قد حرم الغيبة، ونعت المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتاً. وهي صفة تشمئز منها الأنفس الكريمة. قال تعالى: ﴿ لَا يَغْتَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحَبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلْ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرْهُتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابٌ رَّحِيمٌ ﴾⁽³⁾. كما تحت الأمثال على عدم تتبع عيوب الناس ومساؤهم، وأخبارهم. بغية إفشاءها للناس - بعلم أو بغير علم - قال المثل: «كثرة التباش تجرح السنين»⁽⁴⁾. والتباش من النبش وهو الحفر أو البحث لإخراج شيء مستور، كمن ينشق قبراً لاستخراج رفات ميت لينكل به. والتباش: أي البحث عن أسرار الناس، يضر صاحبه. والتباش في العامية : حفر المرء باستعمال أظافره، أو نبش اللحم أي نهشه و أخذه قطعاً صغيرة باستعمال الأسنان. ومن بالغ في هذا الفعل تتعرض

⁽¹⁾ – رواه المرحوم حلبي الدخيلوي، أبو صاحب الأطروحة، (1911-2005م).

* – النجوع، مفردتها : نجع: وهو مكان انتجاج البدو ، أي المكان الذي يجدون فيه الكلا. ثم صارت تطلق على البدو الرحل.

⁽²⁾ – ينظر: المتجدد في اللغة والأعلام، ط25، دار المشرق، بيروت، 1975، ص792.

⁽³⁾ – سورة الحجرات، آية 12.

⁽⁴⁾ – عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص164.

أسنانه للجرح أو الكسر، وهو كنایة عن مضار التباش.

3- النميمة:

و من آثار اللسان النميمة، وهي نقل كلام بين طرفين -سواء أكان صحيحاً أم كذباً- بقصد الإفساد بينهما. و من مضارها التفرق بين المتحابين، وخلق العداوات بين أفراد المجتمع، وقطع الأرزاق.. والمثل الشعبي يُنَفِّرُ منها بقوله: «اللَّيْ مَا يَقْدَرْشُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ فِي عَامٍ، يَدِيرُهُ الْقَرَاضُ فِي سَاعَةٍ»⁽¹⁾. القراء بالقاف المعقوفة، هو النمام؛ فالمثل يقارن بين فعل الشيطان في التفرق بين الناس وخلق الأحقاد والعداوات، وبين فعل القراء، أي النمام؛ ويرجح كفة النمام. لخطورة نيمته التي تتم في ظرف قصير، بكلمة أو كلمتين. فتحدث فتنة تدوم زمناً طويلاً، وقد تترتب عليها جرائم، لا يمكن علاجها. والأمثال الشعبية تذم الإنسان الذي ينشغل بعيوب الناس وينسى عيوبه، وتنعته بأقبح الأوصاف. قال المثل: «الخرا في لحيتو وهو يقول: وين ريحتو»⁽²⁾. وين في العامية: هي أين. يضرب المثل في من يثبت أعراض الناس؛ وعرضه محل تغامز من الناس وتفكههم. يقول مثل آخر: «الجمل لو كان يُشوف حديثو تنقطع رقبتو»⁽³⁾ ، أي أن الجمل لا يرى حدبه-سنانه- ولكنه يرى حدبات غيره. و كذلك الإنسان لو اكتشف عيوبه وفكرا فيها واهتم بها لنسي عيوب الآخرين.

والقرآن قد حرم النميمة كما حرم الغيبة. لما تسببه من إضرار بالمجتمع. قال تعالى: «وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَازٍ مَشَاءِ بِنَمِيمٍ، مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدِ أَثِيمٍ»⁽⁴⁾ جاء في تفسير البغوي: «لا تطع كثير الحلف بالباطل، فهو مهين: ضعيف حقير. قيل من المهانة، وهي قلة الرأي والتمييز. هماز: أي مغتاب يسعى بين الناس بالنمية ليفسد بينهم. مناع للخير: بخيل بالمال. مناع للخير: أي يمنع الناس من الدخول في الإسلام. معتد: ظالم. أثيم: فاجر»⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص.54.

⁽²⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص.126.

⁽³⁾ - من الذكرة الشعبية بمنطقة بوسعدة.

⁽⁴⁾ - سورة القلم، آية 10-11.

⁽⁵⁾ - البغوي، تفسير البغوي، م.8، ج.29، ص.192.

4- الضيافة:

ومن السلوكيات والقيم التي تقوى روابط المحبة بين أفراد المجتمع، وتمتن نيات العلاقات الاجتماعية، الضيافة. إكرام الضيف من القيم الاجتماعية في المجتمع العربي منذ العصر الجاهلي. فكل فرد يحب أن يوصف بالكرم. و لا يحب أن ينعت بالبخل. وفي الأدب العربي يُمدح الأفراد والقبائل بالجود والكرم، وبهجون بالبخل والشح.

ففي الكرم والجود، قال أبو تمام⁽¹⁾ مادحاً (المعتصم بالله):

هو اليم من أي النواحي أتيته = فلجلته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو أنه = ثناها لقبض لم تجبه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه = لجاد بها، فليتق الله سائله

فهو يشبه مدوحه بالبحر في الكرم، و جوده موجود في ساحله، أي في متداول كل من يصل إليه. والجود أصالة فيه، فلا يستطيع أن يمنع جوده ولو أراد؛ فكأن الجود فيه سلوك لا إرادي. ولو تحولت نفسه إلى محسوس يُجاد به ، لجاد بها. والإكرام في حالة العسر أهم من الإكرام في حالة البسيط.

أما البخل فمن أسوأ أساليب الوصف فيه، قول الأخطل⁽²⁾ يهجو جريراً في قصيدة مطلعها:

مازال فينا رباط الخيل معلمة = وفي كليب رباط الذل والعار

إلى أن يقول:

| | | |
|--------------------------------|---|-------------------------------|
| واستونقوا من رتاج الباب والدار | = | القوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم |
| قالوا لأمهem: بولي على النار | = | القوم إذا استتبخ الأضياف كلهم |
| فتمنع البول شها أن تجود به | = | وما تبول لهم إلا بمقدار |

فالشاعر يهجو بأسلوب ساخر وبصور مقرضة، منفرة من هذا السلوك المهين؛ حيث يقول عنهم: إنهم عند أكلهم يخفضون أصواتهم، لكي لا يسمع كلامهم من يمر ببابهم، كما أنهم يستونقون من سد الباب بالمزلاج، حتى لا يفاجئهم أحد بالدخول عليهم وهو في حالة الأكل. وللامعان في الهجاء جعلهم لا يملكون إلا كلباً واحداً لا ينبع فهو يشبههم في البخل

⁽¹⁾ - الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، ج 2، ص 15.

⁽²⁾ - الأخطل، غياث بن غوث بن صلت بن طارقة بن عمرو أبو مالك، ديوان الأخطل، دار البير للطباعة والنشر، الجزائر، د/ت، ص 142.

إلا إذا أخرجه الأضياف القليلون - استعمل الشاعر جمع القلة، أفعال - لقلتهم وندرة طرورهم بيت هؤلاء القوم. وللمبالغة في إهانتهم، جعلهم يقولون لأمهم: بولي على النار لتطئفها بالبول بدل الماء - لعزة الماء ولشحهم - ولكن لا يرى الأضياف النار، فيحسوا أن في البيت طعاما. غير أن أمهم كانت أشد بخلا منهم؛ فهي تشح حتى ببولها. فلا تبول إلا بمقدار.

و البخل قد تحدث عنه الجاحظ في كتابه البخلاء، بأسلوب ساخر؛ حتى يصل تأثيره إلى قلوب الناس جميعا، فيتقطنوا إلى هذه الظاهرة السيئة المضرة بالمجتمع و يتجنبوها. ومن طرائف الجاحظ في كتابه البخلاء « قال أصحابنا : يقول المرزمي^{*} للزائر إذا أتاها ، وللجليس إذا طال جلوسه : تغذيت اليوم ؟ فإن قال : نعم ، قال : لو لا أنك تغذيت لغذيتك بغذاء طيب ، وإن قال : لا ، قال : لو كنت تغذيت لسقيتك خمسة أقداح ؛ فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير »⁽¹⁾.

فالبخل خلق ذميم ينافق تماما طبيعة الإنسان الذي يعيش في جماعة؛ يحتاج بعضها بعضا؛ فإعانة الآخرين ويدل المال والجهد لهم هو الذي يجعل المجتمع متضامنا غير مقتت. وهذا لا يعني ترك العمل من أجل جمع الثروة التي بها ينهض الاقتصاد؛ وإنما المقصود ألا يكون الهدف الجمع من أجل الجمع. وألا تبقى الثروة في يد جماعة قليلة فقط. وهذا ما حاربه الإسلام. قال تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾⁽²⁾. أي مال الفيء أو الغنائم يوزع على الفقراء والمساكين، كي لا يبقى متداولا بين الأغنياء دون الفقراء. بل مدح القرآن الكريم الذين يعيون المحتاجين، ولو كانوا هم في حاجة إلى ذلك المال. قال الله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاَّةٌ ﴾⁽³⁾. أي يساعدون المحتاجين بالطعام والمال. بل يفضلون غيرهم على أنفسهم ولو كانت بهم فاقة وحاجة إلى المال.

فالكرم والبخل سلوكان متناقضان، وكلاهما يظهر في الضيافة، والأمثال الشعبية وجّهت إلى كيفية التعامل مع الضيف. فكثيرا ما ينزل الإنسان ضيفا على غيره؛ سواء أكانت

⁽¹⁾ الجاحظ، *البخلاء*، تقديم وشرح وضبط وفهرسة يوسف الصملي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م، ص19.

* المرزمي: نسبة إلى مدينة مرزق بخراسان.

⁽²⁾ - سورة الحشر، آية 7.

⁽³⁾ - سورة الحشر، آية 9.

الضيافة بدعوة من المضيف أم بغير دعوة. و في هذه الحالة نظمت الأمثال العلاقة بين الضيف ومضيفه، وحدّدت صفات من الضروري أن يتحلى بها كل منهما.

5- صفات المضيف:

قال المثل: «**الضيف ضيف، ولو كان يقعد شتاء وصيف**»⁽¹⁾. فالمثل يحث على احترام الضيف وإكرامه، مهما طالت مدة ضيافته- من الشتاء إلى الصيف- فلا يمكن تكليفه بعض الأعمال لصالح المضيف، أو مطالبته بالمساهمة في نفقات الأكل مثلا. و هذه مبالغة في الإكرام، وهي طريقة في التعبير شائعة في الدارجة؛ لأن المثل يقول في العادة: «**ضيفة النبِي ثلاثة أيام**»⁽²⁾. أي يجب أن يُحترم الضيف ويُكرم، على الأقل ثلاثة أيام، لا يُسأل خلالها عن أصله إذا كان غير معروف. و بعد الثلاثة أيام يمكن سؤاله عن أصله وعن رغباته وغيرها. و هذه الطريقة في إكرام الضيف تقوي الروابط الإنسانية بين الناس. وكان من عادة العرب، في الحفاوة بالضيوف، أن يتلقوه بالحديث والبشاشة وطلقة الوجه. يقول الجاحظ: «لأن العرب تجعل الحديث والبسط و التأنيس والتلقي بالبشر، من حقوق القرى، ومن تمام الإكرام به، وقالوا: من تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المؤكلة ، وقال شاعرهم:

سلى الجائع الغرثان* يا أمَّ مُذْنِر = إذا ما أتاني بين ناري ومَجْرِي
هل أبسط وجهي إنه أول القرى = وأبذل معروفي له دون مُذْكَرِي»⁽³⁾

والأمثال تحت على العناية الجيدة بالضيوف. يقول المثل:

«**رَدْلَة مُسَرَّهَدَة، وَلَا ضِيَفَه مَرْمَدَه**»⁽⁴⁾.

رَدْلَة: تعني عدم القيام بواجب الضيافة، و رَدْلَة مأخوذة من رذل، رذيلة وهي عكس الفضيلة، فعدم التضييف يعد رذيلة، و مُسَرَّهَدَة تعني في العامية واضحة ومكشوفة. يقولون:

⁽¹⁾- عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 271.

⁽²⁾- المرجع السابق، ص 271.

*- الغرثان: شدة الجوع.

⁽³⁾- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 13.

⁽⁴⁾- من الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسادة.

* مُسَرَّهَدَة: جاء في المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق بيروت، ص 331، سرهد الصبي: أحسن غذاءه. والسرهد: شحم السنان، ماء سرهد: غزير، المُسَرَّهَد: السمين. وربما استعمل البدو كلمة مُسَرَّهَدَة بمعنى الوضوح والبروز، كسنام الجمل.

ليلة مسرهدة ، ليلة لا سحاب فيها فهي مكسوفة للجليد. أما مرمرة ، فتعني مهانة لا قيمة لها؛ فهي من الرماد وهو بقايا النار ، فكان الضيف قد ضيف ضيفه على ملأة: وهي العجينة التي توضع في رماد النار الساخن لتتضج وتصير خبزة صالحة للأكل. فالمثل الشعبي يفضل رذيلة عدم التضييف، على إهانة الضيف بهذه الطريقة. و المثل يحث على أن يكرم الضيف أحسن إكرام، ويقدم له ما لذ و طاب، ولو تكلف ذلك، واستدان من أجله، أو لا يقوم بقبول الضيوف ولا بدعوتهم. وعندما يوصف بأنه: ردّل، أي تغلب عليه الشح، أو لم يجد الشجاعة للتغلب على نفسية البخل عنده. ومع ذلك فالرجلة أفضل من ضيف لا تفي بمقام الضيف. وفي المعنى نفسه يقول مثل آخر: «زعّاك ضيّفه، ولا عَزَّازٌ بِهِ»⁽¹⁾. ومعنى المثل: أن يصرف الإنسان ضيفه أو يطرده، أفضل من أن يغرس به أي يمسكه ولا يكرمه. هذا بالنسبة لمن له مال وهو بخيل. أما الفقير أو قليل المال فالأمثال تطالبه بأن يوجد أو يكرم الضيوف حسب طاقته؛ أو حسب ما يملك. المهم ألا يدخل أو يتأخر عن هذه الفضيلة؛ فتقول له: «الجود من الموجود»⁽²⁾، أي دون تكلف، أو استدانة. فلا يشترط أن يكون الإنسان غنيا ليكون كريما.

ومن علامات البخلاء الذين لا يحبون الضيوف؛ غير أنهم في بعض الأحيان يكونون مرغمين - اجتماعياً أو خلقياً - على التظاهر بالكرم أمام الناس، فيستقبلون بعض الضيوف على مضض، وتنظر مؤشرات الضجر والبخل في تعاملهم مع الضيوف؛ فهم لا يطرحون أفرشة لهم، بل يجلسونهم على التراب، ولا يجلسون معهم لكي يحادثوهم، فيجعلونهم كأنهم غرباء، وإذا تكلم الضيف أو قص قصة، أو أورد خبرا، كذبواه. والمثل لخص هذه التصرفات في قوله: «الضيف اللي ما تُحِبُّو تَرِبُّو، وغَرِيبُو، وإِذَا تُكَلِّمُ كَذِبُو»⁽³⁾. يضرب المثل في الرجل لم يعن بضيوفه، كما يتمثل به من لم يجد إكراما من ضيوفه. هذه التصرفات تعالجها المخيال الشعبي بالمثل التالي: «أعْطَنِي عِسْتَكَ، مَا أَرْدَتْ خِبْرَتَكَ»⁽⁴⁾. إن المرء عزيز النفس - حتى ولو كان فقيرا - لا يقبل الضيافة أو الهدية إلا إذا كانت عن طيب قلب.

⁽¹⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 111.

⁽²⁾ - السابق، ص 110.

⁽³⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 272.

⁽⁴⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 103.

وأسلوب التصرف في ذلك يهمه كثيراً. فالهدية لا تشفع لعبوس الوجه، أو الكلام الجارح. و المقصود بـ (عستاك). ألا يكون عبوساً، بل طلاق الوجه ، قبل الخبزة أو الهدية. و لذلك على الإنسان الذي يحترم نفسه ألا يقبل أن ينزل ضيفاً على مثل هؤلاء الناس الذين لا يحبون الضيف؛ لأنّه يعرض نفسه للإهانة. و خاصة إذا كان غير مدعو. لقول المثل: «**اللي جاء بلا عرضة يقدر بلا فراش**»⁽¹⁾. بلا عرضة: بلا دعوة.

ومهما كان إكرام المضيّف ضيفه، فإنّ الإنسان لا يستريح في مكان أحسن من استراحته في بيته. ولذلك قال المثل: «**اللي لقى بيته خير من بيته، يدعى على بيته بالخلا**»⁽²⁾. يدعى: يدعو الله. و معناه أنّ الذي يجد بيته يستريح فيه، أحسن من بيته، فما عليه إلا أن يدعو على بيته بالخلا أو الخراب. وفي المثل نفي لراحة الإنسان في بيت غير بيته. يقال المثل في الضيف النقيل لا يكاد يرتحل.

6- سلوكيات الضيف:

ومن السلوكيات التي يجب أن يتحلى بها المرء المدعو إلى طعام، أن يُقدّر حالة الداعي، فقد تكون الدعوة من باب المجاملة، أو يكون الدافع إلى الدعوة حياء الداعي؛ في حين أن إمكاناته لا تسمح بذلك، أو أن طعامه غير مهياً، أو غير موجود. كمن تزوره في منزله لقضاء حاجة أو مصلحة وقت الغداء؛ فيعرض عليك الدخول لتناول الطعام، وربما كان هذا الطعام قليلاً، أو لا يليق بالضيف، أو غير ذلك، فإن قبلت أحراجت الداعي، وكلفتة الطهو من جديد. فعلى المدعو ألا يقبل مثل هذه الدعوة، حفاظاً على كرامة الداعي والمدعو.

ومن صفات الضيف ألا يشترط على المضيّف مكان جلوسه، أو نوع أكله، أو شريه بل يترك ذلك للمضيّف الذي سوف يسعى في راحة الضيف، وإكرامه حسب إمكاناته. وفي هذا يقول المثل: «**الضيف ما يتشرّط وموْل الدار ما يفترّط**»⁽³⁾. ويقول مثل آخر: «**يد الزائر في يد المزار**»⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 194.

⁽²⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 117.

⁽³⁾ - رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 91.

⁽⁴⁾ - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعداء.

أو «لحية الضيف في يد المضيّف»⁽¹⁾. و بتطبيق فحوى هذه الأمثال لا يُحرج أيّ من طرفي الضيافة، مما يساعد على استمرار التحلي بصفة الكرم، و تمتين علاقات الود بين عناصر المجتمع.

و مما يريح المضيّف ألا يكون الضيف مُملاً ثقيلاً، يواصل الجلوس في بيت المضيّف، بعد إكرامه؛ مما قد يضيع عنه مصالحه؛ بكونه ملزماً بالبقاء مع الضيف تقديرًا له. وهنا يُذكّر المثل الضيف بضرورة مغادرة المنزل فور قضاء حاجته. فيقول: «الله يرحم من زار وخفّ»⁽²⁾.

وعلى الإنسان ألا يكثر التردد على من ضيّقوه وأكرموه، كي لا يملوا زيارته، ويكرهوه، فكلما تباعدت الزيارات كان صاحبها عزيزاً. وفي هذا يقول المثل: «ضيف عام يلزم له الذبيحة، وضيف شهر له ماكلة امليحة، وضيف كل يوم أعطه اطريحة»⁽³⁾. والمثل كما ترى يرتب الضيوف حسب عدد زيارتهم الكريم؛ فمن باعد بين زياراته - من العام إلى العام - مثلاً؛ يُهياً طعامه باللحم، وهو أعز ما يقدم للضيوف. وفي البوادي يقوم المضيّف بذبح خروف إكراماً للضيوف. و من كانت المدة بين زياراته قصيرة كالشهر مثلاً؛ فهذا يقدم له ماكلة مليحة، مقبولة ليس فيها تكلف. أما من كانت زيارته يومياً، فهذا جزاوه الضرب . والطرد. اطريحة: أي يضربونه، فكأنهم طرحوه أرضاً.

7 - التعاون:

مادام قيام المجتمع يعتمد على تعاون أفراده؛ بل لا يكون هناك مجتمع إذا لم يتعاون أفراده- راغبين أو مرغمين - ولكن الناس أصناف فمنهم من يعين غيره تطوعاً، ومنهم الأناني الذي لا يحب الخير إلا لنفسه. وهنا تتدخل الأمثال الشعبية لتعديل هذا السلوك؛ لأن انتشاره يقضي على تضامن المجتمع، وعلى توفير حاجاته. يقول المثل: «الناس بالناس والناس بربى»⁽⁴⁾. يقال في الحاجة إلى التعاون، وضرورته الاجتماعية؛ فلا بد أن يعين الناس بعضهم بعضاً، والله يعين المتعاونين. جاء في الحديث الشريف: «... و الله في عون

⁽¹⁾ - راجح العوبي، أنواع النثر الشعبي، ص 58.

⁽²⁾ - راجح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 199.

⁽³⁾ - المصدر السابق، ص 90.

⁽⁴⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 36.

العبد ما كان العبد في عون أخيه⁽¹⁾. فالتعاون يسهل الصعب، ويريح الجسم، ويطمئن النفس؛ مما كان الفرد لينجزه في شهر مثلاً؛ بالتعاون يمكن أن ينجزه في يوم. وهناك أعمال لا يستطيع فرد أن يقوم بها وحده. تجد الفلاحين - مثلاً - في موسم الحصاد، يقومون بالحصد جماعات؛ مما أن يتموا حصد حقل أحدهم حتى ينتقلوا إلى حقل آخر، يؤدون هذا الواجب الاجتماعي في جو يسوده الحب والمرح، تتخلله الأهازيج. من مثل:

الله الله آبُوطِيَّة داونِي = حالٍ مَضْرُورًا قُلُوْيَّعْ زَيْنِي

شُبَانْ اصْغَارًا طَاحُو في فَمْح امسَبْ = حَطُوهُ افْمَارَا وَالصَّلَاة عَلَى النَّبِي⁽²⁾

ولسان حالهم يردد مضمون المثل: «لمحاميَّة تغلب السبع»⁽³⁾. والمثل يقال في أهمية التعاون والتكافف في كل شيء. فالسبعين لا يغله الرجل وحده، ولكنه مع غيره يستطيع ذلك وأكثر. والسبعين يمثل الصعوبات التي تتعثر في الفرد. ولذلك قالوا: «يد وحدها ما تصفق». والأمثال تؤكد لنا أن العمل المنفرد في أكثر الأحيان لا يحقق المرغوب، لا للفرد ولا للجماعة. قال المثل:

«عُودْ وَهُدوْ مَا افْدَا وَفَارِس وَهُدوْ مَا اغْزَا»⁽⁴⁾. عود: قطعة من الخشب. افدا: أودن ناراً. أغزا: قام بالغزو والإغارة. فكما أنه لإشعال النار يلزم مجموعة من الأعماد، وكذلك الغزو على الغير، لا بد له من مجموعة من الفرسان لأن الإغارة، أو الحرب تتطلب التعاون وتوزيع المهام.

ولأهمية الجماعة وتعاونها ونجدة بعضها بعضاً - وبخاصة في المسكن أو السفر - تتصح الأمثال بضرورة السكن مع الجماعة، أو السفر معها. قال المثل: «الرفاقه اشريهها والا اكريها والا ارحل وحط اعليها»⁽⁵⁾. الرفاقه: الرفقه من الرفيق، فالمثل يطلب من الفرد التضحية بماله في سبيلها، أو تحمل المشاق من أجلها، فالرفقة نافعه والوحدة مضره.

⁽¹⁾ أبو داود ، سنن أبي داود، ج 4، ص 287.

⁽²⁾ من الذكرة الشعبية بمنطقة بوسعداء.

⁽³⁾ بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 66.

⁽⁴⁾ من الذكرة الشعبية بمنطقة بوسعداء.

⁽⁵⁾ من الذكرة الشعبية بمنطقة بوسعداء.

وإذا رکن الفرد إلى أنانیته، وتخلّى عن إعانة غيره المحتاجين إلى إعانته؛ فإنهم سوف يتخلون عنه إذا احتاجهم عند الضيق. يقول المثل: «اللّي ما يعاون خوه في الضيق، ما يلقى في الشدة زفيق»⁽¹⁾. يقال هذا المثل في الحث على معاونة الآخرين، كما يقال في التذيد بمن لا يساعد غيره، ولا تهمه إلا مصلحته. فعندما يجرب الناس شخصاً ويرون أنه لا يحب الخير إلا لنفسه؛ فبرغم مساعدتهم إياه في مواقف كثيرة؛ إلا أنه لا ينظر إليهم ولا ينهض لمساعدتهم إذا احتاجوه؛ ففي هذه الحالة ينقطعون عن مساعدته وهم يرددون المثل: «من عندي ومن عندك تتطبع، أما من عندي براك تقطّع»⁽²⁾. وهو مثل يقال في الرجل لا يبادر صاحبه الجميل، أو الإنفاق، أو غير ذلك من أنواع العلاقات والمعاملات.

(تطبع: تحلو وتستمر، أي تصبح طبعاً وعادة). براك: فقط.

وتذهب الأمثال الشعبية بعيداً في تحبيب التعاون بين الناس، ونجد بعضها بعضاً سواء كانت الإعانة في جوانب مادية، أو معنوية، أو عملية، أو حتى دفاعية. يقول المثل: «اللّي ناداك ناديه، ولو كان عمرك فيه»⁽³⁾. ناديه: هنا بمعنى استجب لندائه. يقال هذا المثل في الاستجابة لمن استغاثتك، ليلاً أو نهاراً. و لا تتأخر بذرية الخشية من أن يكون سارقاً، أو يريد بك شراً، لأن من يريد بك شراً لا ينجيك منه تخلفك عن مواجهته. تتأكد هذه الاستجابة أكثر إذا كان المنادي في خطر. فكثيراً ما سمعنا عن أناس ضحوا بأنفسهم من أجل إنقاذ آخرين من غرق أو حريق أو فك خصومات أو غير ذلك.

وكل ما جاء في الأمثال السابقة دعوة إلى التعاون بين أفراد المجتمع في السراء والضراء؛ لأنه بالتعاون يتغلبون على مصاعب الحياة، وعلى مشاق العيش، فيحققون الراحة الجسمية والسعادة النفسية. وكثير من الناس يطبقون مضمون هذه الأمثال دون تردد.

وإذا تخلّى بعض الأفراد عن التعاون، ولم يعاملوا غيرهم بمثل ما عولوا به من مودة ومحبة، وبذل وعطاء، وجهد؛ فإن الأمثال الشعبية قد قررت قواعد للتعامل مع هؤلاء.

⁽¹⁾ - بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 197.

⁽²⁾ - المرجع السابق، ص 215.

⁽³⁾ - المرجع السابق، ص 198.

8- المعاملة بالمثل:

كثيرة هي المناسبات التي يتلقى فيها الفرد بعض الهدايا، كمناسبات الزواج، و الختان و النجاح... وكثيرا ما يدعونه لولائم يتكرمون فيها عليه. غير أنه لا يبادلهم الكرم نفسه، فإذا أُولئِمَ لا يدعوه، أو إذا زوج أو ختن مثلاً - لا يلوم؛ فهو سلبي يتلقى دون أن يعطي؛ فهذا الإنسان تتصحه الأمثال بقولها: «**اللي اكلَ خرفان الناس يُوجَدْ خَرْفَانُو**»^(١). والمثل يقال في من يحاول التهرب من أحسن إليه، كما يقال في الرجل يقوم بواجبه مع من أحسن إليه؛ ففي المعنى الثاني تأكيد على لزوم ذلك، وفي الأول تحذير من مغبة ذلك السلوك وتنبيه به. يدعم المثل السابق مثل آخر: «**اللي اتعشى مع الضياف أَيُوجَدْ أَغْدَاهُم**»^(٢). يقال في عدم التملص من الواجب إزاء المحسن، كما يقال في من يقبل هدية أو غيرها دون أن يفكر في ما يتربت على ذلك من واجبات. ويقال أيضا في معناه الأصلي: من دعاك إلى العشاء مع ضيفه، وجب عليك أن تدعوه إلى الغداء. فتلك هي عادة الناس في الأرياف والبادية.

المعاملة بالمثل.

و تذهب الأمثال أبعد من ذلك في التشديد على المعاملة بالمثل؛ لأنها هي الوسيلة الوحيدة التي ترد الجانيين إلى صوابهم، وتلزمهم بقيم الجماعة التي تهدف إلى مصلحة الجميع في تماسك المجتمع وتواده. قال المثل: «**اللي باعَكْ بالبلوط ، بِيَعُو بِقْشُورُو**»^(٣).

بيعرو: بعه. البلوط: ثمر الشجر المعروف في الفصحى بهذا الاسم. وإذا كان البلوط لا قيمة له في نفسه، فأحرى وأولى ألا تكون لقشوره قيمة. و المثل يقال في من استبدلك أو تخلى عنك في سبيل شيء تافه، تقاهة البلوط، أو فضل غيرك عليك؛ فعليك أن تتركه، وتتخلى عنه في سبيل شيء أرخص منه أو أقل قيمة، وأن تفضل ممن هو أقل منه عليه. بأنه يتمثل في هذا المعنى قول عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي في معلقته^(٤) :

ألا لا يجهل أحد علينا = فنجهل فوق جهل الجاهلين
إلى أن يقول: بأي مشيئة عمرو بن هند = تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

^(١) المرجع السابق، ص183.

^(٢) المرجع السابق ، ص190.

^(٣) المرجع السابق نفسه، ص184.

^(٤) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص-178-179.

أي لا يسفهن أحد علينا فنفسه عليهم فوق سفهم، أي نجازيهم بسفههم جزاء يربو عليه فسمي جزاء الجهل جهلا لازدواج الكلم، وحسن تجانس اللامفظ. وفي البيت الثاني، يقول: - معاذبا - كيف تشاء أن تطيع الوشاة بنا إليك وتحتقرنا. أي أي شيء دعاك إلى هذه المشيئة؟ أي لم يظهر منا ضعف يطمع الملك فينا حتى يصغي إلى من يشي بنا إليه، ويغريه بنا فيحترقنا.

و الأمثال تحبّذ أن تكون العلاقات بين أفراد المجتمع علاقات حب متبادل. هذا الحب لا تراعى فيه الطبقات الاجتماعية أو الرتب الوظيفية؛ وإنما تراعى فيه الأحساس والمشاعر المتبادلة بين الفرد وغيره. يقول المثل: «اللي حبك حبو ولو كان أبوه أوصيف، واللي كرهك أكرهه ولو كان أبوه شريف»⁽¹⁾. أوصيف: معناها عبد، رقيق. كان الرق سائدا في زمن مضى؛ فابن الرقيق يكون ريقاً مثل أبيه. أما الشريف، فهو الذي ينتمي إلى سلالة الأشراف كسلالة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وابنه يرث شرفه. فالمعاملة بالمثل تقضي أن يحب الإنسان من يُحبه ويكره من يكرهه؛ وبهذا، فمن أراد أن يُحبَّ، فما عليه إلا أن يبادر الناس الحب لا أن يتعالى عليهم؛ لأن التعالي على الآخرين يقضي على الروابط الاجتماعية التي يدعوا إليها الدين وتتضمنها الأمثال.

كما أن عدم إحسان المرء إلى غيره مثل ما يحسن ذلك الغير إليه، يعد نكراناً للمعروف، يؤلم المحسن ويدفعه إلى عدم الإحسان. يقول المثل: «دير يدك على قلبك، كما توجعك توجع صاحبك»⁽²⁾. يقال المثل للرجل يعمل عملاً فيه مضرّةً للآخرين، فالمثل دعوة إلى اعتبار مصلحة الغير في ممارسة أي عمل؛ إذ بدون ذلك لا تتنظم أي حياة اجتماعية سليمة. ويستعمل العامة المثل: «حُكْ لي انْحُكْ لك»⁽³⁾. في تبادل المنافع، وهو مثل مأخوذ من ملاحظة بعض الحيوانات كالخيول، البغال، الحمير، يحك بعضها رقاب بعض. و معناه: فإن نفعتي نفعتك. و إلا فلا.

⁽¹⁾ - رابع العوبي، أنواع النثر الشعبي، ص 52.

⁽²⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 80.

⁽³⁾ - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعدة.

9- المصاہرہ:

ومما ينشئ علاقات اجتماعية جديدة بين أفراد المجتمع ويوطدها، التصاهر والتصاهر هو العلاقة السببية الناتجة عن الزواج. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسْبًا وَصَهْرًا وَكَانَ رِبُّهُ قَدِيرًا﴾⁽¹⁾. وجاء في تفسير المراغي: «أي وهو الذي جعل الماء جزءاً من مادة الإنسان ليقبل الأشكال المختلفة، والأوضاع المتنوعة، وقسمه قسمين: ذوي نسب ينسب إليهم وهم الذكور، وذوات صهر يصاهر بهن، وهن الإناث، كما قال تعالى في سورة القيامة آية 39: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ زَوْجِيْنَ الْذَّكْرَ وَالْأُنْثَى﴾⁽²⁾ والأصهار هم أهل الزوجة، وصارت كلمة أصهار عند العامة تعني أقارب الزوجة أو الزوج. و يستعملون أحياناً كلمة أنساب بدلها؛ فيقولون: هذا نسيبي زوج ابنتي. وهذا نسيبي أب زوجتي. والأنساب هم الأقارب، أو هم من ينسب المزء إليهم. جاء في القرآن: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾⁽³⁾. جاء في تفسير الشعراوي: الصور: البوق الذي ينفع فيه إسرافيل، والمراد هنا النفخة الثانية للبعث. و الأنساب: جمع نسب وهو الالتقاء في أصل مباشر، كالتقاء الابن بالأب، أو الأب بالابن، أو التقاء بواسطة كالعمومة والخولة. و النسب هو أول لحمة في الكون تربط بين الناس في مصالح مشتركة. و هو الالتقاء الضروري الذي يوجد لكل الناس؛ فقد لا يكون لك أصدقاء، ولا أصحاب ولا زملاء عمل؛ لكن لابد أن يكون لك نسب وقرابة وأهل.

فحين ينفي الحق سبحانه وتعالى ، النسب بقول: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ فليس النفي لوجود النسب، فإذا نفخ في الصور منعت البنوة من الأبوة أو الأبوة من البنوة؛ إنما النسب موجود حقيقة؛ لكن لأن النسب المعروف فيه التعاون على الخير، والتآزر في دفع الشر فالنفي هنا لهذه المنفعة، في هذا اليوم بالذات؛ حيث لا ينفع أحد أحدها. فالنسب موجود لكن دون نفع، فالنفع من أمور الدنيا، أن يوجد قوي وضعيف؛ فالقوى يعين الضعيف، ويفيض عليه، أما في هذا الموقف فالكل ضعيف.⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - سورة الفرقان ، آية 54.

⁽²⁾ - المراغي، أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط 3، دار الفكر، دمشق، 1974. م 7، ج 19، ص 26.

⁽³⁾ - سورة المؤمنون، آية 101.

⁽⁴⁾ - ينظر: الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد 16، ص 10150.

فعلاقة القرى توثق سلوك التعاون والتآزر -عادة- في الدنيا. ولكنها لا تنفع يوم القيمة. ورباط الزوجية الذي يتم بين الزوجة والزوج، الأصل فيه الدوام. وفي الدين الإسلامي يُشترط قبول الولي، وفي العرف لا يتم هذا العقد إلا برضى الأسرتين. لأن العلاقة بهذا الزواج تصير علاقة متعددة، بين أقارب الزوجين. وقد تتسع إلى القبيلتين. وعلاقة الزواج ليست نزوة لإشباع الغريزة الجنسية فحسب، بل هي رباط مقدس لحفظ النوع والدين، وحفظ النوع يعني التكاثر بفضل هذه العلاقة التي ينشأ عنها أبناء لهم امتداد عرقي في أسر متباعدة. قال أبو حامد الغزالى في شأن الزواج: «وفيه فوائد خمس: الولد، وكسر الشهوة، وتديير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن... والولد هو المقصود بالفطرة، و الحكمة. والشهوة باعثة عليه»⁽¹⁾

و في الترغيب في الزواج بالمرأة الولود، قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - «... تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم»⁽²⁾. أخرجه النسائي في النكاح - باب كراهة تزويج العقيم - لذلك اهتمت الأمثال بهذه العلاقة، وذكرت مجموعة من الصفات المطلوبة في الزوجة أو في الزوج لتنتمي المصاورة، ولا تتفتت عرها بسبب سوء الاختيار.

10- صفات المرأة المطلوبة للزواج :

جرت العادة في المجتمعات العربية الإسلامية أن يقوم الرجل بخطبة المرأة، وعليه فالخيار له، بحكم القوامة والنفقة. لذلك يفضل توفر بعض الصفات فيها. وفي هذا المجال مجال الاختيار، يقول المثل:

«ما يعجبك نوار دفلة - في الواد دائير ظلليل +

ما يعجبك زين طفلة- حتى تشوف الفعail»⁽³⁾.

في المثل تشبيه تمثيلي؛ فنوار الدفلة يمتاز بانعدام رائحته، وبمرارة مائه عند لمسه، بخلاف منظره الجميل. فكذلك، على الرجل ألا يغتر بجمال المرأة الظاهري، إذا لم يطابق المظهر الخبر في الأخلاق الحميدة، وفي الأعمال الصالحة، والقدرة على تولي مسؤولية البيت.

⁽¹⁾ - أبو حامد الغزالى، إحياء علوم الدين، د/ط، لبنان، دار الكتب العلمية بيروت، 1996م، ج 2، ص 27-29.

⁽²⁾ - النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، شرح جلال الدين السيوطي، د/ط ،دار الفكر، بيروت، د/ات، المجلد3،الجزء6، ص 66.

⁽³⁾ - عبد الرحمن رياحي، قال المجنوب، ص 67.

فالرجل إذا لم يراع هذه الجوانب قبل الزواج، فقد يقع المبغوض، وتتفصّم العلاقة بين الزوجين، وقد تؤثّر على الأسرتين أو حتّى على بقية الأقارب لکلّيهمَا.

ولهذا فالآمثال تحت على التريث، والبحث الجيد عن المرأة الصالحة أو الرجل الصالح قبل الإقدام على الزواج؛ لأنّه رباط، المفروض فيه أن يكون دائمًا؛ لما يتربّ عليه من أثر مادي ومعنوي. قال المثل: «زوج ليلة يحتاج لو تدبير عام»^(١). يقال في التأني والتفكير الجيد، لا المدة .

وللنّاس مشارب في الصفات المطلوب توفّرها في المرأة المراد التزوج بها؛ فبعض الناس يرون في المصاہرة توسيعًا لعلاقاتهم الاجتماعية، التي سوف تمدهم بقوّة مادية يجعلهم أفضل حالاً مما هم عليه، أو ترفع نسبهم - إذا كان وضعياً - وتجعلهم ينتّمون إلى إلى رجال لهم مكانة في المجتمع، يمكن أن تحميهم، أو توفر لهم سبل الارتقاء في سلم الطبقات الاجتماعية. ومنهم من يفضل المرأة ذات الأخلاق الحميدة، بغضّ النظر عن مستوى أهلها الاجتماعي أو المادي؛ لأنّها هي التي تحفظه في ماله وعرضه.

والأمثال الشعبية تفضّل ذات الدين على غيرها من الصفات المرغوبة لدى الرجال حسب المثل: «اللي يتزوجها على مالها يمُوتْ فقير، واللي يتزوجها على رجالها يمُوتْ حُقِير، واللي يتزوجها على دينها يحبُّ رَبِّي والنَّبِيَّ البَشِير»^(٢). وهذا المثل يقترب في معناه من حديث الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القائل: «تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت * يداك»^(٣). فالإسلام يفضل اختيار الزوجة المتدينة، ذات الأخلاق الفاضلة، والسلوك الحميد مع الزوج، ومع بقية الأقارب. وتتأخر ذكر الدين في الحديث الشريف؛ لأن اختيار الرجل منذ الوهلة الأولى ينصب في كثير من الأحيان على العناصر المذكورة قبل الدين، مع أنها قد لا تديم العشرة بين الزوجين، إذا ذهبت الأخلاق والتضحية، والصبر، ولذلك كان هذا الدعاء على من فضل غير ذات الدين في هذا الاختيار.

^(١) عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 91.

^(٢) رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 139.

*تربت يداك: التصقت بالتراب، وهو دعاء بالفقر على من لم يكن الدين من أهدافه.

^(٣) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، م 9، ص 132.

والزواج إذا كان بين الأقارب فهو لتمتين العلاقة بين الأسر، بفضل التعاون الذي سوف ينشأ أو يزداد، لتقارب المستوى الاجتماعي، بالإضافة إلى أن هذا الزواج يساهم في القضاء على العنوسة بين الأقارب مما يساعد على حفظ الشرف. ولهذا فبعض الأمثال نظرت من هذه الزاوية، وفضلت التزوج بالقريبات، ومنها: «مَلْسُ مِنْ طِينٍ يَسْجُنَ لَكَ»^(١). «بَنْتُ عَمَّكَ تَرْفَدُ هَمَّكَ»^(٢).

يقول المثل على لسان المرأة: «بَنْ عَمِي بَحْلَاسُو خَيْرٌ مِنَ الْبَرَانِي بَلْبَاسُو»^(٣). و لا شك أن لهذه الأمثال تأثيراً كبيراً على طائفة من المجتمع وبخاصة القروي منه، على تفضيل الزواج بالقريبات. وإذا كان للأمثال السابقة مبرراتها في هذا التفضيل؛ فإن هناك أمثلاً أخرى تفضل الزواج بالغربيّة أو البعيدة عن المسكن ومنها: «امرأة غريبة ودمنة قريبة»^(٤) ويقال بصيغة أخرى : «عليك بالسانية القرية والمرأة الغربية»^(٥) يفضل الزواج بال الأجنبية عن عائلة الزوج، أو البعيدة عن مسكن أهلها؛ لأن هذا يقلل من زيارات أهلها لها التي تسبب الملل، والإحراج للزوج وأسرته، مما ينشأ عنه سوء التفاهم بين الزوجين أو بين الأسرتين؛ فالبعد يساعد على التكيف مع الوضع الجديد دون تدخل من أهلها، كما أن نسل الأجنبية قد لا يضُو. وبال مقابل يفضل الأرض الفلاحية أو عين الماء القرية ، ليسهل الانتفاع بها دون عناء التنقل، ويؤكد هذا الرأي المثل التالي:

^(١) — قادة بوتران، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 158.

* جاء في المنجد في اللغة والإعلام، ص 773. ملمس ملمس بضم اللام و كسرها، ملوسة، ضد حشن، وملس الشيء صيره أملسا، وملس الأرض سواها، وفي العامية : ملمس القدر أو الطاجين: صنعه من الطين. وإذا كان من طين بذلك، فأنت تعرفه، وتعرف كيف تصنع منه، ويسجي: في العامية يعني يصلح لك ، وهو كناية عن تفضيل الزواج بالقرية.

^(٢) — عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 49.

^(٣) — رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 30.

** حلاسو: كساء يوضع تحت بردة الحمار أو الحصان، وفي الغالب يكون من الأفرشة القديمة، ونسبةه إلى الإنسان دلالة على الفقر.

^(٤) — عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 213.

^(٥) — قادة بوتران، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 155.

«لا تُكْبِر لَغْرَارَةٍ * عَلَى فُمَهَا، وَلَا تُسَامِي الْبَنْتَ لَمَّا هَـا»⁽¹⁾. وهذه الأمثال الأخيرة قد أثرت على طائفة من المجتمع في رباط الزواج؛ حيث تراهم يتزوجون من أجنبيات عن الأسرة أو القبيلة، وباختيارهم هذا، أنشأوا علاقات مع أسر بعيدة.

وسواء أوقع الاختيار على القرية أم على الغريبة، فإن الأمثال توسع مجال الاختيار إلى أهل الزوجة، وتحبذ أن يكون ممن يمتازون بالحسب والنسب. قال المثل: «خُوذ بنت الناس إذا ما لقيت لها تلقى لخالص». إذا كانت بنت حسب ونسب، فإذا لم يجد ما كان يرنو إليه من سعادة وهناء معها؛ فإنه يجد معها ومع ذويها التفهّم والخلاص بالحسنى؛ إذا وصلت الأمور إلى الانفصال؛ بينما الأنذال لا خلاص معهم.

خوذ: خذ. و في الدارجة لها معان عديدة: شد، امسك، تناول، استلم، اتبع الطريق، تزوج، والمعنى الأخير هو المقصود.

11- صفات الرجل المقدم على الزواج

لم تشترط الأمثال في الرجل المقدم على الزواج إلا شرطين : المال والشهمة: أما المال فهو الذي يقيم به البيت وينفق به على زوجته وأولاده، وفي كثير من الأحيان لا يشترطون توفره، وإنما القدرة على توفيره، لأن يكون عاملاً، أو قادراً على العمل قال المثل: «الراجل عيبو في جيبو»⁽²⁾ أي إذا كان فارغ الوفاض. أو كسولاً لا يشتغل فإنه لا يستطيع أن يبني أسرة.

و أما الشهمة فتعني ألا يكون نذلاً. قال المثل: «فَعَادَ بَيْتُ بُوهَا وَلَا زَوَاجٌ لَفْضَائِحٌ»⁽³⁾. يقال في التحذير من مصاهرة سيء السمعة، وكل نذل و رذيل من الرجال؛ لأن هذا النوع من الرجال لا يهتم بحقوق المرأة، وقد لا يعاملها بالحسنى أو يحترم أهلها. فالمثل يفضل أن تبقى عانساً، دون زواج على أن تتزوج نذلاً يُهينها، ويفضحها في الوسط الاجتماعي أو أمام المحاكم.

⁽¹⁾ - الذكرة الشعبية بوسعدة. غرارة مفرد. جمعه: غراري، هي ظرف مصنوع من الشعر والصوف تقل فيه الحبوب. وهو مخاطر من الأسفل، ومنفتح من الأعلى عندما تملأ بالحبوب تخلل أي تغلق بضم حواشيها بواسطة أعود كأنما مخاطة بجم، يقول البدوي : إنه حللها أي أحکم غلقها بالخلال، وهو هذه الأعود أو القطع الخشبية الصغيرة؛ فيجب ألا تغلق على فمهما كي لا يسقط ما يدخلها عندما تحمل على الجمال. تسامي: تجاوز.

⁽²⁾ - الذكرة الشعبية في منطقة بوسعدة.

⁽³⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 151.

وهناك بعض الرجال يمتازون بكثرة الزواج وبالتالي كثرة الطلاق، فهم يؤثرون سلباً على حياة من تتزوج بهذا النوع من الرجال، الذين يوصفون بالذوقيين، أو يقال عنهم: - مزاج مطلق - يقول المثل: «البيوت يخلوها الزغاريت وإنما المساليت»^(١). فالبيوت أي الأسر، تدمرها الزغاريد، وهي نهاية عن كثرة الزواج، التي تعني إنفاق كثير من المال إلى حد الإفلاس، وتشريد المرأة المطلقة مع أولادها. فالزواج والطلاق لغير ضرورة ينتهي بصاحبه إلى الإفلاس، وإلى تحطيم أسرته. فالمثل دعوة إلى التبصر وعدم التزوج والطلاق إلا بحكمة ، ولضرورة.

أما المساليت؛ جمع، مفرده: مسلوت. وهو العصا الطويلة الرقيقة. و هذه العصا لا تصلح إلا للضرب. وفي الضرب مضره؛ فيقال: ضربه بمسلوت. و هذه العصا عبارة عن غصن سليلت، أي نزعـت منه أوراقه، وثماره. فصار لا فائدة منه. وهو نهاية عن الأبناء الكسالى الذين لا يتكسبون، يفنون أموال والديهم مهما طالت وكثـرت. إلا أن بن هدوقة يرى أن (مساليت) من سـلت بضم السين، وسـكون اللام، جـمع أـسلـت، وهو من قـطـعت أـنـفـه فـكـأنـهـ الذي لا يـعـملـ لا كـرـامـةـ لهـ؛ لأنـ الأنـفـ عندـ النـاسـ كـنـاـيـةـ عنـ الشـرـفـ وـالـكـرـامـةـ. غيرـ أنـيـ أـرـىـ أنـ (ـأـسـلـتـ)ـ :ـ تعـنيـ مـنـزـوـعـ الشـعـرـ،ـ مـثـلـ أـمـرـدـ،ـ أـصـلـعـ.

فتزويج الناس ذا الخلق الحسن واجب لنجاح ناجح. قال الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلفه، فزوجوه، إلا تفعلوا تكون فتنة في الأرض وفساد عريض»^(٢).

و من هنا فاختيار الزوج الصالح واجب ديني وأخلاقي، واجتماعي ونفسي؛ لما يتربـ عليهـ منـ صـلاحـ الأـسـرـةـ وـتـضـامـنـهـ أـوـ فـسـادـهـ وـتـقـكـكـهـ،ـ وـتـشـرـدـ أـفـرـادـهـ.

12- العمل و أداء الواجب:

مما يؤثر على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع العمل و أداء الواجب. يقول السيوطي في معرض حديثه عن نشأة اللغة بصفتها ضرورة اجتماعية: «إن الإنسان لما لم يكن مكتفياً بنفسه في معيشته، ومقيمات معيشته، لم يكن له بد من أن يستردد المعاون من

^(١) المرجع السابق ، ص 50.

^(٢) - الترمذى، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى، ج 3، ص 394.

غيره؛ ولهذا اتّخذ الناس المدن ليجتمعوا ويتعاونوا... وتوزعت الصنائع وانقسمت الحِرف على الخلق، فكل واحد قصر وقته على حرفه يشتغل بها؛ لأن كل واحد من الخلق لا يمكنه أن يقوم بجملة مقاصده⁽¹⁾. فالناس مضطرون إلى التعاون، ولا يتم التعاون في هذا المجال إلا بقيام كل واحد بعمله أحسن قيام، و بإتقان صنعته أحسن إتقان؛ لأنه لو تخلى بعض الناس عن وظائفهم في المجتمع، أو تركوا واجباتهم، أو خلدوا إلى الراحة والكسل، وآثروا الأثرة وحب الذات عن العمل، لاختل توازن المجتمع، ودبّ إليه الفساد، وفشت فيه الرذائل والجرائم - جرائم السرقة والقتل، وغيرهما - من أجل تحقيق مكاسب للعيش؛ برغم وجود قوانين وشرائع تنظم حياة الاجتماع. فلا بد أن يعمل كل فرد من أجل نفسه، و من أجل غيره؛ لأن غيره يعلم من أجله، لقول الشاعر⁽²⁾ :

و الناس بالناس من بدو وحاضرة == بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم.

و كل عضو لأمر ما يمارسه == لا مشي للكف بل تمشي بك القدم

وفي هذا السياق تأتي الأمثال الشعبية لتربى النشء وتحثه منذ الصغر على وجوب القيام بواجب العمل. قال المثل: « العَوْدُ وَلَدُ كَرَاعِهِ، وَالرَّاجِلُ وَلَدُ اذْرَاعِهِ »⁽³⁾. العود: الحصان. مما يعطي قيمة للحيوان أو للإنسان هو مقدار الفائدة التي يقدمها للغير؛ فالعود أو الحصان، قيمته في رجله، أي في سباقه، وما يقوم به من حرث أو حمل أثقال. أما الإنسان فقيمة في عمله الم عبر عنه بالذراع، وهو أداة العمل، و الذراع : ما بين الكف و الساعد، وأحياناً ما بين الكف و الكتف. وعندما ينتون رجالاً بالعمل، يقولون: فلان مُولَ ذراع. أي عامل قوي. وفي المثل حث على العمل، يسمعه الفرد منذ صغره.

ويقول المثل: « صنعة في اليد خير من دينار في الجيب»⁽⁴⁾. ويقال بصيغة أخرى في منطقة بوسادة: « صنعة في اليد خير من عقد في الجيد ». وفي المثل حث على تعلم المهن والصناعات، والعمل بها لكسب الرزق. والأمثال بلغ بها حد الحث على العمل ومحاربة

⁽¹⁾ - السبوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 1، ص 23.

⁽²⁾ - أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاوي التوخي المعري، اللزوميات، تحقيق أمين عبد العزيز الحاخني، منشورات مكتبة الملال، بيروت، د/ت، ج 2، ص 277.

⁽³⁾ - رابح خلاوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 101.

⁽⁴⁾ - المصدر السابق، ص 87.

الكسل، أن أجازت العمل مع النصارى الكفار « الخدمة مع النصارى، ولا لقعاً أخصاراً»⁽¹⁾. ويعني المثل العمل مع النصارى (الفرنسيين) ولا القعود والتكاسل. كان التعاون مع الغزارة في بداية غزوهم للجزائر حراما؛ على الرغم من ذلك، فالمثل يفضله على البقاء دون عمل، وهو في الحقيقة حث على العمل.⁽²⁾

وترشد الأمثال إلى فائدة العمل بالنسبة للأسرة فتقول: «اللَّيْ اتَّكَلَ عَلَى اللَّهِ وَأَذْرَاعُو، أَوْلَادُو مَا جَاءُو»⁽³⁾. ومعنى المثل واضح ومواقف لل تعاليم الإسلامية؛ فالله هو الرزاق وما على الإنسان إلا أن يأخذ بالأسباب؛ فيتوكى على الله، ثم يبادر بالعمل أو بالبحث عنه؛ وبذلك يضمن لأسرته رزقا حلالا. يدعم المثل السابق المثل التالي: «سَبَبْ يَا عَبْدِي وَأَنَا أَنْعِينَكْ»⁽⁴⁾. أي المطلوب من الإنسان اتخاذ الأسباب وانتظار الإعانة من الله. يقال في الحث على العمل وعدم التواكل. فهو استئثار للكسل، واستئثار من ينتظر السماء أن تمطر عليه ذهبا. وفي المعنى نفسه يقول مثل آخر: «الرِّزْقُ بِالْعَمَلِ لَا بِالْأَمْلِ»⁽⁵⁾ والأمثال تمدح القوي الذي يستعمل قوته في إفادة نفسه والآخرين، و بهذا يمكن أن يفتخر. قال المثل: «السَّبَعُ يُفَخِّرُوهُ ارْتُنُودُو»⁽⁶⁾ و الزنود هما البدان.

تلح الأمثال على العمل، وتفضل العمل بأجر زهيد على البطالة والكسل: «اخْدُمْ بِصُورْدِي وَحَاسِبْ الْبَطَالَ»⁽⁷⁾. يقال في الحث على العمل، مهما كانت الأجرا المتقدمة؛ لأن البطالة خسارة كاملة ماديا وأديبا. و الصوردي هو التسمية الجزائرية للخمس سنتيمات من العملة الفرنسية سابقا - أيام الاستعمار - ويرى ابن هدوقة في شرح المثل: أن أصل الكلمة إيطالي . لعله مأخوذ من التسمية اللاتينية: (صوليدوس).

والعمل الذي تلح عليه الأمثال يجب أن يكون دائما. قال المثل: «الصَّابَةُ عَوَامُ والحرث دُوَام»⁽⁸⁾. والصابة تعني المحصول الزراعي الجيد، ومفهوم المثل أن الصابة لا تأتي

⁽¹⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص198.

⁽²⁾ - قادة بوتارن، المرجع السابق، ص198.

⁽³⁾ - رابح خالوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 136.

⁽⁴⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 95.

⁽⁵⁾ - رابح خالوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 66.

⁽⁶⁾ - المصدر السابق، ص 79.

⁽⁷⁾ - بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 69.

⁽⁸⁾ - أحمد بن نعمان، نفسية الشعب الجزائري، ص122.

كل عام؛ وإنما حسب سقوط المطر؛ لأن زراعة الحبوب تعتمد عليه. فيمكن أن يكون العام جيّداً(صابة) أو قحطاً، بسبب انعدام سقوطه. لكن على الفلاح أن يداوم على الحرف كل عام، وينتظر رحمة الله وفضله.

وفي تحبيب العمل، والتحث عليه، قال المثل: «اخدم على روحك تعجب الناس»⁽¹⁾. ولا شك أن العمل هو أساس كل تقدم للأفراد والجماعات على السواء. فالخلف والفقر لا ينزلان من السماء؛ وإنما من الكسل والبطالة والخلود إلى الراحة التي لا تريح. ومن ثمّة كان الحث على العمل في الأمثال وفي القرآن والأحاديث النبوية مما لا يحصى. و الحياة الجماعية تفرض على الإنسان أن يساهم مع الآخرين لأنّه يعيش معهم وينتفع من مجدهم. تقول له: «اعمل كما يعمل جارك والا حول باب دارك»⁽²⁾. يقال في العمل مثل الآخرين ومجاراتهم لما تفرضه الحياة الاجتماعية من انسجام، ولو كلف ذلك صاحبه تكليفاً زائداً.

تحذر الأمثال من الاعتماد على مال الوالدين دون عمل لتنميته؛ لأنّه سوف يفنى بالإنفاق ولا يبقى للفرد إلا مجده الذي يعد هو رأس ماله الحقيقي. قال المثل: «يفنى مال الجدين، وتبقى حرفة اليدين»⁽³⁾.

وفي ذمّ الكسل، ومدّ اليد إلى الغير طلباً للمساعدة، يقول المثل: «اليد التي تُمدُّ خير من اليد التي تُشدَّ»⁽⁴⁾. أي اليد التي تُمدُّ، وتعطي الغير أفضل من اليد التي تأخذ الصدقات. وهذا يطابق قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابداً بمن تعول، و اليد العليا خير من اليد السفلية»⁽⁵⁾. رواه مسلم. والمقصود بالعلو علو المجد والثواب. وتمثلاً للمعنى نفسه سمعت أمي - رحمها الله - تقول: «اللّي ما يَمْدُ بِيَدُو ما يَحْمَاز خَدُو»⁽⁶⁾. ومعناه أنّ الذي يعطي

⁽¹⁾ - بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 70.

⁽²⁾ - المرجع السابق، ص 134.

⁽³⁾ - رابح حدوسى، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 192.

⁽⁴⁾ - قادة بوتان، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 105.

⁽⁵⁾ - النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ط 1، دار بن الهيثم، مصر، 2010م، ج 2، ص 997.

⁽⁶⁾ - حمية سديرة (1924-1981م) أم صاحب هذه الأطروحة.

ببيده، ويساعد غيره، ينور الله وجهه، جاء في الأثر أن الصدقة تدفع الأذى والكروب وتحفظ البدن وتدفع عن صاحبها البليا و الأمراض. وفي الحديث: (حصنوا أموالكم بالزكاة، وداروا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للباء الدعاء)⁽¹⁾.

كما أن الذي يستجدي الناس يوميا يملئ الناس ويكرهونه، وقد يقطعون عنه إعانتهم؛ وبخاصة إذا كان قادرا على العمل. قال المثل: «كلمة أعطيني ما خلّت من يبغيني»⁽²⁾. فهكذا الأمثال الشعبية حثت وما زالت تحث على العمل، وأداء الواجب، وتتفرّ من الكسل؛ لأن بالعمل يكسب الإنسان معيشته، وبالعمل يحقق الفرد منافع له ولغيره؛ بسبب تبادل الإنتاج والخدمات، والعمل يملا فراغ الفرد، ويكتسبه قيمة اجتماعية و به يعين الناس بعضهم بعضا، ويحققون حاجاتهم، فترزو حياتهم، وتحلو معيشتهم.

خلاصة:

ومما تقدم في هذا الفصل نستشف أن الأمثال ما هي إلا حكمة المجتمع، ونتائج تجاريه رُكزت في قول موجز ، تلقيتها طبقاته، وأذاعتها عن طريق التداول التواصلي. تأثر الشعراء والخطباء بشكلها وبمضمونها، فأدرجوها في آثارهم الشعرية والنشرية منذ العصر الجاهلي؛ لأنها تحمل تجارب وحكم مجتمعهم، ولكي يوشوا بها إنتاجهم، ويقوّوا معانיהם، ولا أدل على ذلك من معلقة زهير بن أبي سلمى.

وإذا كانت الخطابة هدفها الإقناع والتأثير في المتلقين، ولا يكون ذلك إلا بالحجّة والدليل، فالمثل يعد من أهم وسائل الحاجج، لذلك اعتمد أشهر الخطباء كالأمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وغيره، مما زاد الأمثال قوة وانتشارا.

ولمّا تطورت الكتابة واعتمدت في المراسلات الإدارية و السياسية، التجأ الكتاب والمترسلون إلى الأمثال، للاستشهاد بها على صحة أفكارهم، أو لإبراز مقدرتهم اللغوية،

⁽¹⁾ - الطبراني، المعجم الأوسط، ج 2، ص 274.

⁽²⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 107.

أو لإظهار اطلاعهم، وحفظهم تراث الأجداد؛ بل كان الحكام يحثون الكتاب على الاطلاع على كتب الأمثال، والإمام بمحتوياتها.

أما في العصر الحديث فقد ضمنها أشهر الروائيين رواياتهم، كنجيب محفوظ في مصر، والطاهر وطار في الجزائر، وغيرهم كثير؛ ليدلّوا بها على أنهم على اطلاع على الثقافة الشعبية؛ بل تأثروا بها، فأدرجوها في رواياتهم خدمة لهذا الشعب؛ لأن لها تأثيراً كبيراً في نفوس الناس.

والآمثال عندما يُعبر بها شخص؛ فإنها تتم على حالته النفسية، حول المتنقي، كما تشير إلى أن المرسل على علم بنفسية المتنقي، حول فكرة ، أو موضوع، أو سلوك ما. فبعض الأمثال تصف الحالات النفسية لبعض الأفراد، من خلال تصرفاتهم أو أقوالهم. فالمثل: (**كل أجرب حاك و كل خائن شاك**) ، المُعبر به متأكد من أن كل خائن ينتابه الشك في الآخرين، ويعتقد أنهم مثله في الخيانة. كما يدل المثل على أن المُعبر به على علم بنفسية من يخاطب، وأنه يفرق بين الخائن والأمين من خلال تصرفاته، أو أقواله.

يوظف الناس الأمثال في مختلف مواقف الحياة، مبدين من خلالها أحاسيسهم ومشاعرهم، نحو القيم والاتجاهات التي تحملها، داعين إلى العمل بها موجهين النشء إلى الالتزام بها؛ وبخاصة أن الأمثال الشعبية تعد من الأدب الإسلامي؛ لأنها تتبنى فيما دينية وأخلاقية في الآن نفسه، هذه القيم التي بدت بوضوح في المجتمع الإسلامي في مختلف العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على حد سواء. بحكم أن مجمل العبادات التي أقرها الدين الإسلامي الحنيف، موجودة في مختلف مظاهر الحياة، ليست مقتصرة على المسجد فقط⁽¹⁾.

والآمثال بعد أن تنشأ وتذاع، يُستشهد بها في نهاية التجربة أحياناً، ويوجه بها قبل التجربة أحياناً أخرى؛ فهي إما لتوكييد حالة وقعت، أو للتبييه على حالة يمكن أن تقع. فالمثل الواحد يتحدد هدفه حسب المقام؛ فالمثل: (**اللي تخدمو طيعو واللي ترهنو بيعو**). يكون للتأنيب إذا كان في نهاية التجربة، إذا قاله أب لابنه بعد أن طرده رب العمل لعدم تنفيذه بعض التعليمات. أما إذا أوصاه به قبل مباشرته العمل، فيكون تعليماً و تبيها. فالمثل شكل

⁽¹⁾ - فتحي بوحالفة، نظرية القيم في الأدب الإسلامي، المجلة العلمية حوليات الآداب واللغات، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، العدد الأول، ص 237.

أدبي أثر في نفوس الناس فوظفوه في تمتين علاقاتهم الاجتماعية. ومن القيم والصفات الحميدة التي تدعوا الأمثال الشعبية الجزائرية إلى التحلي بها: الكرم، الضيافة ، التعاون، العمل... كما أن هناك صفات ممقوتة، تتبه الأمثال إلى تجنب الاتصاف بها منها: حفظ اللسان وعدم استعماله إلاّ في الخير، نبذ الغيبة والنمية، لمضارهما الأفراد والمجتمعات. وهكذا رأينا أن الأمثال الشعبية لها أثر كبير في تقويم السلوك، من خلال توظيفها في مختلف مجالات الحياة.

الفصل الرابع

دراسة أسلوبية دلالية على المثل الشعبي

تمهيد

الأسلوب والأسلوبية

أسلوبية المثل الإنسانية

دراسة تطبيقية على بنية المثل الشعبي

خلاصة

دراسة أسلوبية دلالية على المثل الشعبي

تمهيد:

يعد المثل جنساً أدبياً له مميزاته، وخصائصه الترکيبية المرتبطة بطبعته الخطابية الأدبية، وبنوتجيئاته الاجتماعية الأخلاقية، وتأثيراته النفسية. لذلك فهو يختلف لطبعته الموجزة عن الأنواع الأدبية الأخرى شرعاً كانت أو نثراً.

ولعلّ بنية الترکيبية لها دور في استقلالية جملة المثل وفي اكتمالها؛ فظاهرة الإيجاز التي تسمِّ الأمثال الشعبية هي ظاهرة ترکيبية؛ تنتج عنها أبعاد دلالية وإيقاعية؛ فكل زيادة أو نقصان، وكل تجانس أو اختلاف، له أثره في المعنى؛ لأن لكل زيادة في المبني، زيادة في المعنى. ومن هنا تتنوع أساليب الأمثال الترکيبية، ككل الأنواع الأدبية الأخرى؛ فهي تختار ما يوائمها من أنماط ترکيبية، قادرة على حمل دلالاتها و إيحاءاتها، وأبعادها الوجودانية؛ ولعلّ خاصية الانتقاء والتأليف تعدّان من أهم المعايير التي تعتمد عليها الدراسة الأسلوبية. فالتركيب المفرد قليل الاستخدام، لا يستوقف هذا المنهج، بينما يتم الوقوف عند الأنماط المكررة، التي تشكل ظاهرة أسلوبية واضحة، فالأسلوبية تعنى بخصوصية التركيب، من ناحية كيفية استخدامه؛ لأن التركيب قالب عام يستوعب تحويلات، وتنويعات شتى، وفق مقتضى الكلام و الحال.

يرى نور الدين السد: أن « كل تركيب أسلوبي يتضمن أبعاداً دلالية تخصه، وأن أي تغيير في بنية التركيب بتقديم أو تأخير في بعض وحداته اللغوية، أو تعريف أو تكير، أو إظهار أو إضمار، كل ذلك يكون بهدف، ويتقصد المنشئ عن وعيٍ وإدراك، ولا يمكن أن تظهر خاصية أسلوبية في التركيب دون قصد؛ فمهما كان التغيير طفيفاً في التركيب؛ فإنه يأتي استجابة لنسق، ويتطابه السياق؛ فإذا حل المضارع محل الماضي أو الأمر، أو إحلال الاسم محل الفعل؛ إنما هي ظواهر لغوية يتطلبها الأسلوب، ويستدعيها المقام والسياق، ومن المؤكد أن ذلك يعطي صورة ترکيبية مختلفة و يترتب عن ذلك معاني مختلفة »⁽¹⁾.
وإذا كانت بنية المثل تدخل ضمن الدراسات الأسلوبية. فما الأسلوب؟ وما الأسلوبية؟

⁽¹⁾— نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، 1997م، الجزء 1، ص 172.

هذا ما أحاول مقارنته من خلال هذا الفصل.

أولاً- الأسلوب والأسلوبية:

أ-الأسلوب: مشتق من الأصل الثلاثي س، ل، ب .

جاء في لسان العرب لابن منظور: سلب: سلبه شيء يسلبه سلباً وسلباً ، واستلب إياه. والاستلب الاختلاس. والسلب ما يُسلب ، وكل شيء على الإنسان من اللباس فهو سلَبَ والسلُب ثياب سود تلبسه النساء في الماتم... ويقال للسطر من النخيل : أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والوجه ، والمذهب، أو كل فنٌ من القول. يقال: أخذ فلان في أساليب من القول⁽¹⁾.

والأسلوب: بمصطلحه المتداول اليوم في العربية، يعني مذهبا معينا من الكلام، غالبا ما يكون مطبوعا بطابع شخصي، أو اكتساب طريقة محددة في تدبيج القول.

يقول عبد المالك مرتابض: « لم نر أحدا من مؤلفي المعاجم القديمة، ما عدا ابن منظور، أومأ إلى الأسلوب بمعناه الاصطلاحي الراهن؛ مما يدل على أن استعماله بمعنى اكتساب طريقة محددة في تدبيج القول، جاءت متأخرة، وحتى إشارة ابن منظور لا تعني شيئا كثيرا»⁽²⁾.

وبدأ الاهتمام بدراسة الأسلوب منذ القرن الثاني الهجري، في مباحث الإعجاز القرآني، التي استدعت - بالضرورة- من تعرضوا للتفسير أن يتقهموا مدلول لفظة "أسلوب" عند البحث الموازن بين أسلوب القرآن الكريم، وغيره من أساليب الكلام العربي، متذكرين ذلك وسيلة لإثبات ظاهرة الإعجاز للقرآن الكريم. انطلاقا من قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مَا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَاتَّوْا بِسُورَةٍ مِّمَّا هُوَ عَلَى صِفَتِهِ فِي الْبَيَانِ الْغَرِيبِ وَعَلَوْ الطَّبَقَةِ فِي حَسْنِ النَّظَمِ... لَأَنَّ الْقُرْآنَ جَدِيرٌ بِسَلَامَةِ التَّرْتِيبِ وَالوُقُوعِ عَلَى أَصْحَاحِ الْأَسَالِيبِ وَالْكَلَامِ﴾⁽³⁾.

قال الزمخشري: « معناه فأتوا بسورة مما هو على صفتة في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم... لأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والواقع على أصح الأساليب والكلام»⁽⁴⁾.

أما إذا بحثنا في الأسلوب عند البلاغيين القدماء، فإننا نجد ابن طباطبا العلوي

⁽¹⁾ ابن منظور ، لسان العرب، ج 1، ص 472-473.

⁽²⁾ عبد المالك مرتابض، الألغاز الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2007، ص 127.

⁽³⁾ سورة البقرة، آية 23.

⁽⁴⁾ الزمخشري، الكشاف، م 1/ ص 242.

(ت 322هـ) من الأوائل الذين التمسوا للأسلوب مفهوماً، رغم عدم تسميته لفظاً بالأسلوب؛ حيث نجده يشير إلى ذلك عند حديثه عن طريقة الشاعر إذا رغب النظم، «مخاض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه، فكره نثراً، وأعد له ما يلبسه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه. فإذا انفق له بيت يشكل المعنى الذي يرومته، أثبته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني، على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، بل يتعلق كل بيت يتقدّم نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله. فإذا كملت له المعاني، وكثّرت له الأبيات وفق بينها بأبيات تكون نظماً لها، وسلكاً جاماً لما تشتت منها»⁽¹⁾.

ومن ثم نجد أن الأسلوب هو أساس صناعة الشعر، يجمع بين الرؤية التي يمتلكها الشاعر، والاحتراف اللغوي والإيقاعي والجمالي.

أما الأسلوب عند ابن خلدون، فيظهر في رأيه في صناعة الشعر وجه تعلمه.

« ولنذكر هنا مدلول لفظة الأسلوب عند أهل هذه الصناعة ، وما يريدون بها في إطلاقهم فاعلم أنها عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه... فالصناعة الشعرية ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة، باعتبار انتظامها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيّرها في الخيال كالقالب أو المنوال »⁽²⁾. وبذلك ندرك أن الأسلوب - حسب تصور ابن خلدون - هو صورة ذهنية تغمر النفس وتطبع الذوق، الأساس فيها الدرية النابعة عن قراءة النصوص الإبداعية ذات بعد الجمالي الأصيل، ويمثل ذلك تتكون وتنتألف التراكيب التي تعودنا على نعتها بالأسلوب؛ وإذا كانت التراكيب التي يكون الأساس الأول فيها اللغة، هي الأداة المثلثة لتشكيل الصورة الذهنية "الاسلوب"، فإن الوظيفة الشعرية للأسلوب تعمل على تحقيق التجانس بين مختلف التراكيب المنتظمة في بنية أساسها اللغة، ولا يتحقق ذلك إلا بالتوفيق بين التراكيب النحوية والبلاغية من ناحية والذوق من ناحية أخرى.

ومما سبق يتبيّن أن الباحثين العرب قد تطرقوا إلى الأسلوب في لفظه أو في معناه بصورة

⁽¹⁾ - ابن طباطبا العلوى، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد المختار، ط 1، لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت 1983م، ص 11.

⁽²⁾ - ابن خلدون ، المقدمة، ص 1100.

لم تكن واضحة كل الوضوح. وفي هذا يقول نور الدين السد: «وتحدث في الأسلوب أغلب الباحثة العرب، وتناولوه في حقول معرفية لها علاقة بالخطاب وكيفية نظمها وصوغه وترتيبه، وبخاصة نظم القرآن، ونظم الشعر. لعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا: بأننا نجد في الموروث العربي النقيدي البلاغي، وفي الدراسات القرآنية ملامح الدرس الأسلوبي للخطاب الديني - القرآني بخاصة - والخطاب الشعري بعامة، إننا لا نذهب إلى الادعاء بأن هذه الإنجازات تدخل في مجال الدراسات الأسلوبية المتخصصة؛ ولكننا نقول: بأنها إرهاصات في هذا الميدان، وأنها تتوافر على ملمح من ملامح التحليل الأسلوبي للظاهرة اللغوية في الخطاب القرآني والشعري »^(١).

أما الأسلوب عند الغرب فقد ولد متأخراً، حيث لم يعرف في فرنسا مثلاً، إلا في منتصف القرن الرابع عشر، وفي سنة 1346م على وجه التحديد^(٢). وللغربيين كلف شديد بتحديد الأسلوب ، وتبيان خصائصه، وقيمة الفنية، لأنه يجسد البناء المنسجم بالقياس إلى اللغة التي هي أصلاً، أشتات من الألفاظ، مقرها المعاجم. فالأسلوب نهاية لجهد عقلي يقوم على ثلاثة عمليات تمر بثلاث مراحل:

- التفكير في الموضوع، والمقصود بالموضوع هنا "الرسالة".

- انتقاء الدوال، أي اختيار التعبير الملائم.

- التنسيق بين الدوال والتعبير، أي تحديد العلاقة بين الدال والمدلول.

ويرى عبد المالك مرتاض : «أن التفكير ينشأ عن إيجاد لمحوى ما، أو خلق لأفكار أي مدلولات Signifies وهذه الأفكار غير مرئية، ولا مسموعة، فيستعان على إبرازها لتصبح منطقية بألفاظ أي دوال Signifiants تجسم القيمة الفكرية والمادية لمحوى الكلام لكن الدال والمدلول، لا يكتسبان القيمة الفكرية إلا إذا نسق الباب Emetteur بينهما في صورة نهائية ليقدمها إلى المتلقى Récepteur أو Destinataire»^(٣).

^(١) نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص130.

^(٢) عبد المالك مرتاض، الألغاز الشعبية الجزائرية، ص128.

^(٣) المرجع السابق، ص128.

والأسلوب يختلف من كاتب إلى آخر، ويختلف تبعاً للقدامى والمحدثين، وتبعاً للمعاصرين والمحدثين، وتبعاً للمعاصرين التقليديين والمجددين، وغيرها.

فولتير Voltaire يرى « بأن الناس يحملون على وجه التقرير، الأفكار نفسها، وهو شيء في متناول الجميع، وإنما التعبير والأسلوب، هما اللذان يحددان الفرق تحديداً دقيقاً .. إن الأسلوب ليفرد أكثر الأشياء عمومية، فيقوى الضعف، ويضفي الع神性 على الشيء البسيط»⁽¹⁾.

وقول فولتير، يذكرنا بنظرية الجاحظ "الأسلوبية" التي تتمثل في كون « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الأعمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير »⁽²⁾.

والمعاني هي الأفكار، وكأني بفولتير والجاحظ يلتقيان على فكرة واحدة، هي: أن المعاني مطروحة في الطريق، أوفي متناول الجميع، وإنما الفرق في الأسلوب والتعبير أوفي تخير اللفظ، وإقامة الوزن، وسهولة المخرج، وكثرة الماء. وبفهم من كلامهما أن الأسلوب مراس وصنعة.

أما عبد السلام المسدي فيقول: « وهكذا تنزل نظرية تحديد الأسلوب منزلة لوحة الإسقاط الكاشفة لمخبآت شخصية الإنسان، ما ظهر منها في الخطاب وما بطن، ما صرّح به وما ضمّن. فالأسلوب جسر إلى مقاصد صاحبه، من حيث إنه قناة العبور إلى مقومات شخصيته، لا الفنية فحسب، بل الوجودية مطلقاً»⁽³⁾. فيه إشارة إلى شخصية صاحب الأسلوب

⁽¹⁾-نقل عن عبد الملك مرتاض، الألغاز الشعبية الجزائرية، ص128 . -Voltaire.Dictionnaire philosophie(Style) .

⁽²⁾- الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج.3، ص132 ..

⁽³⁾-عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م، ص68.

« ولا تزال مفاهيم مصطلح "الأسلوب" في تطور، صاحب تطور مفهوم الكلام في علم اللسانيات الحديثة إلى أن نجد من يذهب إلى أن الأسلوب: إنما هو خلق المعاني، أو هو عمل لهيكلة الدال ولنتائج المدلول»⁽¹⁾.

وقد أدى الاهتمام بالأسلوب - من حيث هو ظاهرة لغوية نشأت عن استعمال اللغة، وتقليلها وتحميل ألفاظها بالمعاني الجديدة في كثير من الأطوار - إلى التوصل إلى مصطلح أسلوب جديد وليد القرن العشرين، هو الأسلوبية Stylistique - «على الرغم من أن هذا اللقب، كان قد عرف في ألمانيا منذ سنة 1872م»⁽²⁾.

ب- الأسلوبية:

الأسلوبية مصدر اصطناعي مأخوذ من لفظة أسلوب؛ ليدل على العلم الذي يهتم بدراسة الخصائص الفنية الجمالية، التي تميز النص عن آخر، أو الكاتب عن كاتب آخر، من خلال اللغة التي يحملها خلجان نفسه، وخواطر وجданه، قياسا على هذه الأمور مجتمعة تظهر الميزات الفنية للإبداع؛ إذ منها نستطيع تمييز إبداع عن إبداع، انطلاقا من لغته الحاملة له. ومن ثم فالأسلوبية تحاول الإجابة عن السؤال: كيف يكتب الكاتب نصا من خلال اللغة؟ إذ بها، ومنها يتأنى للقارئ استحسان النص، أو استهجانه، كما يتأنى له أيضا الوقوف على ما في النص من جاذبية فنية، تميزه عن غيره. وهي الأسلوبية الوصفية التي تهتم بالناحية الوظيفية، أي كيف أثر النص في القراء؟

والأسلوبية بشكل عام، منهج يقرأ النص، ويدرسه من خلال لغته، وما تعرضه من خيارات أسلوبية على شتى مستوياتها: نحويا، ولفظيا، وصوتيا، وشكليا، وهي تترصد مكامن الجمال والفنية في الآثار الأدبية، وما تحدثه من تأثيرات شتى في نفس القارئ، لاما تسمى هذه الآثار عن اللغة النفعية المباشرة، إلى لغة إبداعية غير مباشرة، فنية وأكثر إيحاء وتلميحا.

⁽¹⁾ - نقلًا عن عبد المالك مرتاب، الألغاز الشعبية الجزائرية، ص130.
Cohen(Jean).Strcture du langage poétique.Flammarion.Paris.1966.p20.

⁽²⁾ - عبد المالك مرتاب، الألغاز الشعبية الجزائرية، ص130.

وتعتبر الأسلوبية منهجاً نقدياً، يعمل من أجل الكشف عن أسرار اللغة الأدبية في النص الإبداعي من خلال عناصره المكونة له.

يقول الدكتور نور الدين السد: «ترى الأسلوبية أن الكاتب لا يتمنى له الإفصاح عن حسه، ولا عن تصوره للوجود إلا انطلاقاً من تركيب الأدوات اللغوية، تركيباً يفضي إلى إفراز الصورة المنشورة، والانفعال المقصود»⁽¹⁾.

أما "جاكبسون"، فيرى أن الأسلوب هو إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع، وصورة ذلك أن مقومات الاختيار في الخطاب الإنساني، تذعن لمقتضيات العلاقات الركينية؛ في الجملة التالية: (إذا جاء نصر الله)، الأداة: "إذا" اختيرت على حساب: (إن، عندما، لما حينما) وكذلك الفعل: (جاء) قد اختير ضمن (قدم، حل، أطل، أتى) إلا أن في (جاء) انسجاماً مع (إذا) ليس لغيره من تلك الأفعال؛ بما أنه يحتوي على الهمزة الخاتمة، التي هي في (إذا) ابتداء، وينبني على فتحة طويلة في مقطعه الأول، وهي الموجودة في المقطع الثاني من (إذا)⁽²⁾.

وغالباً ما ينصب نقد النقاد الأسلوبيين على مقومات ثلاثة:

- الاختيار: اختيار الأديب مفردات نصه، وأسباب هذا الاختيار، لأنه يميز خاصية من خصائص البحث الأسلوبية.

- التركيب: إن سلامة التركيب في جميع نواحيه ، معجمياً ونحوياً وصرفياً ودلالياً، تستدعي انطلاقه من عملية سابقة عليه، وهي الاختيار، فكلما كان الاختيار دقيقاً، يخدم الكاتب والنص القارئ.

- الانزياح: وهو انحراف الكتاب عن النمط المألف، والطقوس المتداولة في الكتابة في سياق نصوصهم الإبداعية. وهو محمود، تتزع النفس إليه، ما دام يحمل جمالاً فنياً. كقولنا: (هذا نهر طويل) ونعني به مجرى مائي يمتد طويلاً، وهذه الجملة أخبرتنا بمعناها المعجمي دون انزياح، ودون أن نعمل الفكر في فهمها، كما أنها لم تثر فينا أي شعور بالاستغراب أو الدهشة مثلاً. بينما لو قلنا: (نهر يفور لهبا)، فقد انحرفنا بدلالة النهر الأصلية إلى دلالة

⁽¹⁾ - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص 169.

⁽²⁾ - ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب ، ص 141.

أخرى لم تخلق لها في اللغة، وتحولنا من خلال هذا التركيب الأسلوبي للجملة بصفات الماء إلى صفات النار. وهنا يتم التفكير في المعنى، و يتم التخييل ، وهذا موضع الجمال، وإذا أردنا دراسة أسلوب الأمثال الشعبية ، فإننا نعني بذلك التراكيب الصوتية لأسلوب المثل، ثم نعني تحديد العلاقات بين المفردات والمركيبات، أي بين الألفاظ والجمل، ومدى تأثير بعضها على بعضها الآخر؛ « لأن الكلام لا يكون إلا جملا، وهذه الجمل تخضع لنظام كلامي معين ، وهذا النظام الكلامي المعين هو الذي يشكل البنية Structure المادية له وهذه البنية هي التي تحدد طبيعته أي تبرز خصائص أسلوبه، وكل بحث علمي في خصائص الأسلوب ينضوي تحت الأسلوبية»⁽¹⁾.

ج-ألفاظ الأمثال الشعبية الجزائرية:

من الأدباء الذين درسوا الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة أسلوبية، "عبد المالك مرtaض" ، في كتابه "الأمثال الشعبية الجزائرية" ، دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري. وفي هذا الكتاب تحدث عن اللغة المستخدمة في الأمثال الشعبية فقال: «ألفاظ الأمثال الجزائرية، تأتي في الغالب على ثلاثة أصناف:

أ- صنف يمثل المادة الأولى في التعبير والتبلیغ (التبلیغ عن معانٍ ومضامين في الذهن) وهذا الصنف يضرب في الفصحي بسهم وافر. حيث أنه لم يجد في المجموعة التي درسها وعددها مائة وخمسون مثلاً، لم يجد إلا ستة وعشرين لفظاً عامياً صريحاً: إما بالدلالة وإما بالوضع. ويعني هذا أن لغة الأمثال الشعبية الجزائرية في معظمها فصيحة. والفصاحة التي يرمي إليها في هذا المقام: أن يكون اللفظ آتياً من أصل معروف في وضع اللغة بفصاحتها؛ بصرف النظر عما اعتبره من نحت أو تحريف: إما في نطقه وإما في صيغته. وهذا ما قاله قبله "محمد بن أبي شنب" ، في كتابه: "أمثال الجزائر والمغرب": «تقرب لغة الأمثال كثيراً من اللغة الفصيحة، وكثيراً ما تسمع أمياً يذكر مثلاً بعربيّة خالصة، تختفي في بعض الأحيان علامات الإعراب فقط»⁽²⁾

⁽¹⁾ - عبد المالك مرtaض، الألغاز الشعبية الجزائرية، ص132 .

⁽²⁾ - محمد بن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب، ص14 .

ب- صنف يتصل بالألفاظ المستخدمة، ليس لغاية تعبيرية خالصة، بمعنى ابتغاء تبليغ مضمون ما، بواسطة لفظ أو ألفاظ ما؛ وإنما كان لغاية تقنية تتصل بأسلوبية الأمثال الشعبية الجزائرية ؛ ويعني به الألفاظ الخارجية للوحدات أو الجمل. أي الألفاظ التي تمثل الخواتم والفاصلـ. ووـجـدـ بـعـضـ هـذـهـ الـأـلـفـاظـ قـدـ وـضـعـ وـضـعـ رـمـزاـ لـدـلـالـةـ عـلـىـ شـيـءـ بـعـيدـ. وـكـانـتـ الـغاـيـةـ مـنـ إـخـرـاجـ هـذـهـ الـأـلـفـاظـ عـنـ دـلـالـتـهـ الـقـرـيبـةـ الـظـاهـرـةـ ،ـ صـوتـيـةـ.

ج- صنف من الألفاظ وجده يتبعـ من المثل مـوقـعاـ عـلـىـ الـحـقـيقـةـ،ـ أيـ يـحـمـلـ دـلـالـةـ ظـاهـرـةـ قـرـيبـةـ لـاـ غـيـرـ.

ويؤكـدـ عـبـدـ الـمـالـكـ مـرـتـاضـ أـنـ مـعـظـمـ الـأـمـثـالـ الشـعـبـيـةـ فـيـ الـمـجـمـوعـةـ الـتـيـ تـاـولـهـاـ بـالـدـرـاسـةـ،ـ ذاتـ دـلـالـاتـ أـخـرىـ بـعـيـدةـ،ـ تـفـهـمـ لـدـىـ ضـرـبـ الـمـثـلـ.ـ فـكـلـ مـثـلـ لـهـ مـعـنىـ ظـاهـرـ قـرـيبـ وـمـعـنىـ خـاصـ خـفـيـ بـعـيـدـ،ـ وـبـسـتـدـلـ عـلـىـ ذـلـكـ بـهـذـاـ الـمـثـلـ:ـ "ـ الشـيـعـةـ لـلـقـمـحـ وـالـلـذـةـ لـلـمـلـحـ"ـ،ـ فـهـذـاـ الـمـثـلـ لـاـ يـحـمـلـ دـلـالـةـ اـقـتـصـادـيـةـ،ـ مـنـ حـيـثـ أـنـ لـلـقـمـحـ قـيـمـةـ اـقـتـصـادـيـةـ عـالـمـيـةـ،ـ نـتـيـجـةـ لـقـيـمـتـهـ الـغـذـائـيـةـ الـغـنـيـةـ بـفـضـلـ مـاـ فـيـهـ مـنـ طـاقـاتـ وـحـارـيـاتـ،ـ فـحـسـبـ،ـ وـإـنـمـاـ يـحـمـلـ دـلـالـةـ أـخـرىـ بـعـدـ لـدـىـ إـرـادـةـ التـعـبـيرـ عـنـ عـمـلـ قـامـ بـهـ رـجـلـ فـيـ الـظـلـ،ـ وـبـذـلـ فـيـ ذـلـكـ جـهـودـاـ مـضـنـيـةـ،ـ حـتـىـ إـذـاـ أـنـجـزـهـ،ـ جـاءـ آـخـرـ فـعـرـفـ بـهـ وـنـسـبـ إـلـيـهـ،ـ فـواـحدـ عـمـلـ وـنـصـبـ،ـ وـآـخـرـ اـسـتـدـ بـسـمـعـةـ هـذـاـ عـمـلـ وـفـضـلـهـ»⁽¹⁾.

وـدـرـاسـةـ الـكـاتـبـ الـأـسـلـوبـيـةـ لـلـأـمـثـالـ الشـعـبـيـةـ الـجـزـائـرـيـةـ،ـ اـنـصـبـتـ عـلـىـ مـسـتـوـيـنـ اـثـنـيـنـ فـيـ إـطـارـ هـذـهـ الـأـسـلـوبـيـةـ:

- الـمـسـتـوـيـ الـبـنـيـوـيـ،ـ وـالـمـسـتـوـيـ الصـوـتـيـ وـلـمـ يـتـاـولـ الـمـسـتـوـيـ الدـلـالـيـ السـيـمـانـتـيـقـيـ،ـ لـاعـتـقادـهـ أـنـ هـذـاـ الـمـسـتـوـيـ مـتـضـمـنـ -ـ وـلـوـ بـالـإـشـارـةـ مـنـ بـعـيـدـ -ـ فـيـ دـرـاسـةـ الـمـسـتـوـيـنـ الـذـكـورـيـنـ.

ـ الـمـسـتـوـيـ الـبـنـيـوـيـ وـالـدـلـالـيـ:

كـلـ جـنـسـ أـدـبـيـ لـهـ مـضـمـونـ يـتـحـدـثـ عـنـهـ،ـ وـلـهـ شـكـلـ يـمـثـلـ فـيـهـ الـهـوـيـةـ الـفـنـيـةـ،ـ وـيـعـكـسـ النـظـامـ الـكـلـامـيـ لـهـ،ـ وـمـعـرـفـةـ النـظـامـ تـعـرـفـنـاـ بـمـفـتـاحـ سـرـ أـسـلـوبـ هـذـاـ جـنـسـ مـنـ الـأـدـبـ الـشـعـبـيـ

⁽¹⁾ـ عـبـدـ الـمـالـكـ مـرـتـاضـ،ـ الـأـمـثـالـ الشـعـبـيـةـ الـجـزـائـرـيـةـ،ـ صـ-صـ 111-112.

«ومما يدل على أصالة الذهنية الشعبية، وصدق إبداعاتها الفنية، أن أسلوب الأمثال الشعبية، يشبه أسلوب الألغاز الشعبية... والمبدع الشعبي يجد صعوبة في التعبير عن حاجته بأسلوب غير متوازن، ولا موقع، بل كان يعمد إلى نظام من الكلام يقوم على الملاعنة اللفظية المنسجمة، أي على الموازنة بين عدد الألفاظ في كل جملة يتتألف منها اللغز أو المثل ، وكلما تقارب عدد الأفاظ الجملة كان عددها أكثر»⁽¹⁾.

ولقد درس عبد المالك مرتاض(150) مثلا ، في كتابه الأمثال الشعبية الجزائرية و وجد أن عدد الجمل أو الوحدات الكلامية القصيرة المتوازية المتوازنة معا ، أكثر من الجمل الطويلة غير المتوازية، من حيث عدد ألفاظها التي تشكل كنهها. ولكن هذا لا يعني أي توازٍ وأي توازن، فإنه لم يعثر مثلا إلا على نص واحد في هذه المجموعة، يتتألف من جملتين (وحتين)، ليس في الجملة إلا لفظ واحد، وهذه الجملة هي هذا المثل: (الشركة هَكَّة)، والكاتب لا يريد إلى المفهوم النحوي قدر ما يريد إلى المفهوم الأدبي، بحيث أن المبلغ أو المرسل، يتوقف على ما بين اللفظين المسجوعين؛ مما يدل على أنه توهم أن المثل عبارة عن جملتين اثنتين، لا جملة واحدة. هذا التوقف ناتج عن صوت موسيقي تردد في حرفين متجلسين هما: ”كَه“ هو الذي جعله يذهب إلى ثنائية هذه الجملة أدبيا⁽²⁾.

- تركيب المثل الشعبي

يتركب المثل الشعبي:

1- من جملة واحدة، تكون مرسلة، أي خالية من التوقيع والسجع؛ (لأن السجع يفترض وجود وفتين من جنس صوت واحد، يتكرر مرتين أو أكثر) مثل: «وَنِي قَبْلُ مَا اِيْجِيْكُ السَّيْل»⁽³⁾.

ومعنى المثل: احفر نهيرا حول خيمتك قبل نزول الأمطار؛ كي يعترضها ويصرفها عن دخول الخيمة. (ما يُجيِك: ما مصدرية، فهي الفعل في حكم المصدر - مجئي-).

⁽¹⁾ - المرجع السابق ، ص-120-121.

⁽²⁾ - ينظر: عبد المالك مرتاض، المرجع السابق نفسه، ص-121-122.

⁽³⁾ - الناكرة الشعبية في منطقة بوسعداء.

2- أو تكون موقعة: مثل: «**الخطاب رطّاب**»⁽¹⁾. تردد الصوت(طّاب) مرتين. وتعني هذه العبارة أن يقدم هدایاه، ويكون لینا في موافقه، متظاهرا بقبول شروط أهل المخطوبة، مبرزا محسن موكله. فالمثل فيه وصف، وفيه حثٌ.

3- أو يتكون من جملتين مسجوعتين. مثل: «**اللَّيْ مَا اخْذَا رَأِيْ كَبِيرُو، الْهَمْ تَدْبِرُو**»⁽²⁾. (ما أخذ: ما أخذ، ما استمع، ما انتصر). يقال في التحذير من مغبة عدم الأخذ بنصيحة الكبير، أب أو قريب، أو صديق. فهو حث على الانتصاف، وتحذير في نفس الوقت.

4- أو من جملتين مرسليتين. مثل: «**اللَّيْ مَا شَأْوَرَكَ، مَا تَدْبِرَ عَلَيْهِ**»⁽³⁾. يقال في عدم فرض النصيحة على الآخرين، من القرابة أو الأصدقاء، أو غيرهم، لكنه غالبا ما يقال في القريب، كالأخ والابن، لم يستشر قريبه الأكبر. فالمثل فيه تبرئة لمن لم يُستشر، وتحذير من لم يستشر قريبه الكبير.

5- وقد يكون المثل مركبا من ثلات جمل أو أكثر ولا تكون إلا مسجوعة. مثل: «**مَا زَيْحَنَا وَاحْنَانْ نَصَلُوا انْ تَرِيْحُوا وَاحْنَانْ نَقْنُو**»⁽⁴⁾.

يقال في من يدعو إلى فعل مستقبح. فالمثل دعوة إلى الابتعاد عن الأفعال المستقبحة، المخالفة للأعراف والأخلاق.

يمتاز المثل بجمله القليلة والقصيرة؛ لأن طبيعة المثل تقتضي الإيجاز الذي يتتيح له السيرورة والذيع؛ وبالتالي ترفض كثرة الجمل وطولها.«.. ومن الواضح أن الجمل القصيرة أسهل على الفهم من الجمل الطويلة..»⁽⁵⁾.

والأمثال الشعبية بحكم طبيعتها الروائية، التي تستدعي الحفظ والنقل الشفوي، تقوم جملها على شيء من التوازي والتوازن معا. الذي ييسر الحفظ والنقل.

فالمثل: ”الزواج ستة. أو الخطاب رطب. أو اللي خَلَفَ لَبَنَاتْ مَا مات“ . أيسر نقله وأسهل روایة، وأكثر قابلية للذيع والانتشار ، من قولهم مثلا: زواج ليلة يستاهل تفكير عام، أو اللي

⁽¹⁾ - عز الدين جلاوجي، الأمثال الشعبية بسطيف، ص 42.

⁽²⁾ - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية ، ص 194.

⁽³⁾ - المرجع السابق، ص 195.

⁽⁴⁾ - المرجع السابق، ص 207.

⁽⁵⁾ - حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص 254.

ما عندوش ابنا ماعرفوه وَيْنَ مات. أو المثل: أنا نجري له باللقطة لفمه، وهو يجري لي بالعود لوجهي.

على الرغم من أن المثل الأخير متساوي عدد الألفاظ في الجملتين المركب منهما، إلا أن كثرة الألفاظ (5+5)، وخلو الجملتين من السجع، والإيقاع، جعلا هذا المثل عسير الرواية نسبياً، على عكس المثلين قبله، فكأنهم يتحاشون الألفاظ الكثيرة في المثل الشعبي.
« عدد الألفاظ داخل جملة واحدة، أو داخل جملتين متقابلتين، أو أكثر، لا يعني شيئاً كثيراً إذا اختلف في التقابل: لو كتب كاتب فكرة في جملتين متساويتي العدد من حيث الألفاظ، لما كان لهاتين الجملتين من الناحية الجمالية كبير وقع في النفس، إذا لم يكن هناك تألف ومماثلة، بحيث يشبه القسم الأول الثاني، والثاني الثالث، والثالث الرابع. ويكون ذلك بتكرار بعض الألفاظ ذاتها طوراً، وباختيار الألفاظ التي تتلاعماً فيما بينها طوراً ثانياً»⁽¹⁾.

و بالإضافة إلى مبني المثل. فالمعنى عنصر أساس في توظيف المثل في الخطاب. كما يرى أحمد أمين، عندما حدد عناصر الأدب في: (العاطفة، الخيال، المعاني، نظم الكلام وتأليفه) - قال: «المعاني وهي أساس كل نوع من أنواع الفن إلا الموسيقى، وفي بعض أنواع الأدب يكون هذا العنصر أهم ما فيه كالحكم»⁽²⁾. والأمثال حكم سارت.

ومما زاد الاهتمام بالأمثال أنها تُشبه المعاني المعقولة بالأشياء المحسوسة، فالمثل: «وَنِي قَبْلَ مَا اِيْجِيكَ السِّيلُ». الذي ذكرت معناه المباشر الحقيقي آنفاً، له معنى آخر يفهم من المقام، فهو يُضرب في الاستعداد للأمر قبل حدوثه. وفيه تشبيه معنى معقول بحالة حسية، أو فيه معنى أولي يستخدم لمعنى آخر؛ كما تقول التداولية (البراغماتية)، «.. حيث تُعني الدلالة بتفسيير المفظات وفق شروطها وقيودها النظمية، وتحدد المعاني الحرافية لها مع الإشارة إلى أدنى مقاماتها، خدمة للنظام اللغوي، لا لمقاصد المتكلمين... وتعنى التداولية بما وراء ذلك؛ فترتبط مقاصد المتكلم أو الكاتب بالبحث عن المقام المناسب، والشروط التي

⁽¹⁾ - عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص132.

⁽²⁾ - أحمد أمين، النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، لبنان، 1967م، ص44.

تضمن نجاح العبارة..»⁽¹⁾ فالمثل: «ونِي قُبْلَ مَا ايجيك السيل»، لا يفهم قصده من معاني كلماته، وإنما يفهم من المقام الذي قيل فيه.

4- أنواع الجمل في المثل الشعبي:

لقد تطرق "حليتيم لخضر" في كتابه: صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، إلى 190 مثلا. ويتبعه لبعناها، وجد أن الجملة الاسمية، أي المبدوءة باسم، من مثل: (الخطاب رطاب. الزواج ستة. الرجل عيبو في جيبو) هي الغالبة على ما في البحث، حيث بلغ عددها: 190/90 بنسبة: 47.36%.

والجملة الاسمية المبدوءة بالاسم الموصول (اللي)، الذي أصله الذي، من مثل: (اللي يحبّ الزين يصبر لغذابو - اللي ما تُصبر على اقْضاهم، ما تُعيش امْعاهم - اللي خَلَفْ لَبنات ما مات) بلغ عددها: 190/24. بنسبة: 12.63%.

وبجمع النسبتين يكون عدد الجمل الاسمية: 114/190 بنسبة مئوية: 60%.

وبهذه النسبة، تحتل الجملة الاسمية المرتبة الأولى في بنى المثل الشعبي، تليها في المرتبة الثانية الجملة الفعلية الطلبية ، المبدوءة بفعل الأمر ، من مثل: (بكر ل حاجتك اقضيها ، و اتصنت للفال - بنتك قبل الصوم اعطيها، قبل لا يكثر القيل والقال) - و خُوذ لَبنات على لَمات، وخُوذ القلم على السادات).

وعددتها: 190/25 بنسبة: 13.15%. والمبدوءة بفعل مضارع مسوق ببني، من مثل: (ما يَعْجِبُك نوار دفلة، في الواد عامل اظلليل - ما يعجبك زَيْن طْفَلَة، حتى اتشُوف لفَعَالِيَل) - على اعتبار أن (ما) تستعمل للنهي في العامية « تستخدَم دائمًا تقريباً (لا) الناهية الفصيحة أكثر من (ما) الناهية في لغة الحديث اليومي»⁽²⁾ - و (لا تُكْبِ لغرارة على فُمهَا ولا تُسَامِي الْبَنْت لَمَهَا)، وعدد: 190/8 بنسبة: 4.21%. وبجمع النسبتين يكون العدد: 190/33 بنسبة: 17.36%

⁽¹⁾- خليفة بوجادى، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009م، ص-129 .130

⁽²⁾- ابن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب، ص14.

والبني الباقي تتوزع بين الماضي والمضارع المثبتين أو المنفيين. والاستفهام والشرط، والنداء والتعجب. وعدها: 190/51 ، بنسبة: 26.84%⁽¹⁾.

ولعل المبدع الشعبي لجأ إلى الجملة الاسمية؛ لأنها في العادة أقصر من الجملة الفعلية حيث تتركب من عنصري المبدأ والخبر.

والجملة الاسمية لا تحتاج إلى فعل بينما الفعلية تحتاج إلى اسم. والجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت؛ لأنها تحمل وصفاً وتمثل حكماً، والحكم يأتي بعد تقدير وترتيل، «...لأن الوصف يتطلب من الإنسان أن يترى و أن يفكّر في الأمر قبل أن يصدر حكماً ما، بالسود أو البياض، أو الجمال أو القبح، وما إلى ذلك»⁽²⁾ وكذلك لخلوها من عامل الزمن؛ بينما الجملة الفعلية الزمن فيها مسيطر، و به حدتها يتجدد.

وبهذا يمكن القول: إن المبدع الشعبي قد صاغ أمثاله في هذا القالب القصير من التركيب الاسمي؛ لي-dom استعماله، ويثبت وجوده بين الناطقين باللغة التي تحمله.

أما الرتبة الثانية فكانت من نصيب الجملة الفعلية الطلبية وبخاصة المبدوءة بفعل الأمر، أو الفعل المضارع المسبوق بنهي سواء بلا، أو بما. كما تستعمل في العامية الجزائرية وحيث أن الأمر، والنهي لهما وظيفة تباهية إرشادية؛ وهذا ما يحقق الغرض من ضرب المثل الشعبي وهو التعليم غير المباشر، أو الإرشاد والتوجيه، بالإضافة إلى الحاجة والاستشهاد به عند ذكره في موضعه أو مناسبته.

-بنية المثل في التركيب الثنائي:

من يتأمل بنية المثل التكيبية، يتبدّى له ميل الأمثال إلى التركيب الثنائي، فهذا النمط من التركيب يبدو واحداً من البنى الأساسية التي يعتمد عليها المثل باستمرار، بوصفه نمطاً قادراً على حمل الدلالات والإيحاءات التي تكتنفها الأمثال، وقابلًا للتوسيع الدلالي في أكثر الألفاظ إيجازاً، بل إن التركيب الثنائي يجعل جملة المثل جملة مكتملة مغلقة، تفتتح بالوحدة الأولى من التركيب، وتكتمل وتتغلق بالثانية.

⁽¹⁾ـينظر: حلبيم لحضر، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، ط1، المؤسسة الصحفية للنشر والطباعة والاتصال، المسيلة، الجزائر، 2010م، ص204.

⁽²⁾ـحنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي ، ص257

وبإحصاء الأمثال التي جاءت في الفصل الثالث من هذا البحث، وعددتها مائة واثنان وأربعون مثلاً، وجدت أن عدد الأمثال التي تكون من وحدتين (جملتين) مثل: "العَوْدَ وَلْدَ اكْرَاعُو، وَالرَّاجِلَ وَلْدَ اذْرَاعُو". أو من جملة كبرى تتضمن جملة صغرى أو بتعبير آخر جملة مركبة أحد عناصرها جملة بسيطة. كالجملة الواقعة خبراً لمبتدأ مثل: **الرَّاجِلُ عَيْبُو فِي جَيْبُو**. الرجل: مبتدأ. وخبره الجملة الاسمية: **عَيْبُو / فِي جَيْبُو**. وجدت أن عدد هذا النوع من الجمل: اثنان وسبعون جملة. أي أكثر من 50%.

وهذا التركيب الثنائي يتيح للمثل تقديم جمل متعارضة، ودلالات متباعدة، ومفارقات جلية في المثل ذاته؛ إذ نجد المثل يقدم الفكرة ويقدم تعليها. ولنأخذ نماذج من الأمثال التي جاءت في الفصل الثالث.

التعليق: بيان أسباب حدوث الأشياء.

المثل 1: ملّس من طينك، يسجي لك.

يتكون من وحدتين: **ملّس من طينك / يسجي لك** والأولى: دعوة إلى صنع الأواني الطينية من طين بلادك. وهو كناية عن الدعوة للتزوج بابنة العم أي القريبة . هذه هي الفكرة المطروحة.

الثانية: **يسجي لك**؛ أي هذه الأواني تكون صالحة. وهو أيضاً كناية عن أن ابنة العم تكون أصلح للزواج بها. فالجملة الثانية تعد تعليلاً للجملة الأولى.

المثل 2: يتمسكن حتى يتمكن.

يتكون من وحدتين: **يتمسكن / يتمكن**

فالجملة الثانية علة في حصول الأولى؛ لأن سبب وعلة التمسك هو الرغبة في التمكّن.
المثل 3: اخدم على روحك، تعجب الناس.

يتكون من جملتين: **اخدم على روحك / تعجب الناس.**

فالجملة الثانية، لكي تعجب الناس وتحترم، يجب أن تعمل وتنتج؛ ل تستفيد وتفيد. ويمكن أن تكون الثانية نتيجة للأولى.

مقدمة نتجتها منطقية: المقدمات تتبئ بالنتائج.

المثل 1: اللي باعك بِلْبُوطُ، بِيعُو بِقْشُورُو.

يتكون من وحدتين إحداهما كبرى، الجملة الموصولة. والأخرى صغرى خبر الاسم الموصول: اللي باعك بالبلوط / بيعو بقشورو. وقد تستعمل اللي بمعنى إذا.
فالأولى: باعك بالبلوط، (البلوط ثمرة معروفة، وليس لها قيمة غذائية كبيرة). وهو كناية عن من يتخلّى عنك مقابل شيء زهيد. فالنتيجة المنطقية، أن تتخلى عنه بشيء أزهد من البلوط وهو قشوره.

المثال 2: من عندي ومن عندك تنطبع، أما من عندي برك تنقطع.
يتكون من وحدتين: من عندي ومن عندك تنطبع/ أما من عندي برك تنقطع.
فالأولى تعني أن علاقة تبادل المنافع تترسم وتصير طبيعية. نتيجة منطقية.
والثانية: إذا تخلى أحد الطرفين عن التزاماته تجاه الآخر؛ فالنتيجة المنطقية، انقطاع العلاقة.
وفيه دعوة إلى تبادل المنافع.

المثال 3: المدوجة من الحنس من جر الحبل تدوى.
يتربّك من وحدتين: المدوجة من الحنس/ من جر الحبل تدوى.
عندما تعود الصياغة: نعجة لدغها الحنس؛ تدوى من جر الحبل. فالوحدة الثانية نتيجة منطقية للوحدة الأولى.

التقابض: هي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب. والمقابلة في الكلام من أسباب حسه، وإبراز معانيه؛ فالضد يظهر حسه الضد، كما يقولون.
المثال 1: كي اتجي اتجيبها شعرة، وكـي اتروح تقطع السلسل.
يتربّك من وحدتين:

الأولي: كـي اتجي اتجيبها شعرة. أي إذا قدر الله للإنسان خيراً أو شراً، فإن مجـيئـه يكون بأبسط الأسباب.

الثانية: وكـي اتروح تقطع السلسل. أي إذا أراد الله زوال نعمة أنعمـها على عـبـدهـ، فإنـها تـرـوحـ أي تذهبـ، ولو كانت مربوطة بـسـلـاسـلـ حـدـيدـ.

فالجملة الثانية تقابل الأولى في المجيء والذهاب وفي الضعف والقوـةـ، وفيـهـ دعـوـةـ للأـذـ، ولـتركـ الـبـاقـيـ عـلـىـ اللهـ.

المثال 2: يا امزوق من بـرهـ واـشـ حالـكـ منـ دـاـخـلـ.

مكون من وحدتين: يامْرَوْقُ من بَرَّه/ واش حالك من داخل.

وبين الوحدتين تقابل؛ التزيين من الخارج، يقابل عدم التزيين من الداخل، وفيه تهمك، على بعض الناس الذين يتزينون باللباس أو غيره، ولكنهم فقراء، أو يطّلون منازلهم من الخارج ولكن ما بداخلها قديم أو ليس به أثاث، أو يظهرون ما لا يبطنون..

المثل 3: لسانك حصانك؛ إن صنته صانك، وإن هنته هانك.

المقابلة بين الجملتين: صنته صانك/ هنته هانك (عن طريق الاختلاف).

طبيعي عندما يعتني الفارس بحصانه؛ فإنه يسبق به وقت السباق. أما إذا فرط فيه وأهانه فإنه سيضعف، ويحيّب ظنه عندما يحتاجه. وفي المثل تشبيه حالة حالة صاحب الحصان بحالة مستعمل اللسان. وفيه دعوة لاستعمال اللسان في الخير أو ما يفيد، لا في الإضرار بالغير.

التضاد أو الطباق: من المحسنات اللفظية، الموضحة للمعاني.

المثل 1: سال امرّب، و لا تسال طبّب.

مكون من وحدتين: سال امرّب/ لا تسال طبّب.

والطباق في اللفظتين: أسأل / لا تسأل . وهو طباق سلب.

المثل 2: الدجاجة اتبیض والدیک یوجعو قاعو.

يتركب المثل من جملتين: الدجاجة اتبیض/ الدیک یوجعو قاعو

الطباق في اللفظين: الدجاجة/ الدیک. وهو طباق إيجاب.

المثل 3: الحاذق کیما یلقی و الجایح کیما اتوصیه.

يتركب من وحدتين: الحاذق کیما یلقی/ الجایح کیما اتوصیه

والطباق بين اللفظين: الحاذق/ الجایح.

ومعناه الحاذق أي الذكي، يتصرف حسب الوضعية التي يوجد فيها. أما الجایح أي الغبى؛ فيتصرف حسب الوصية التي أوصي بها، ولو لم تكن لصالحه أو صالح من أوصاه، دون إعمال فكره.

ثانياً- المثل والأسلوب الإنساني:

وسواء أكانت الجمل التي يتربّك منها المثل ثنائية الوحدات أم أكثر أم أقل؛ فإن الأسلوب الإنساني لها نصيبيها في تركيبه، بالإضافة إلى التراكيب الشرطية. وأسلوب إنسانية تتقدّم إلى أسلوب إنسانية غير طلبية وتشتمل صور (المدح والذم، والقسم والتعجب). وأسلوب إنسانية طلبية وتشتمل على أنماط تركيبية تتميّز بوضوح أطراها؛ فهناك طالب، ومطلوب، ومطلوب منه، وفيها خمس صور معروفة هي: (النداء، الأمر، النهي، الاستفهام، والتنمي)^(١).

ويبدو أن الأمثل اعتمدت كثيراً في تركيبها على الأسلوب الإنسانية الطلبية أكثر من غيرها من الأسلوب، ونراها شديدة الوضوح في الأمثل، لأنها مناسبة وموائمة لطبيعة المثل حيث تتيح توجيه أمر أو خطاب. وهذا ما يسوغ الالكتقاء بالوقوف عليها في هذه الدراسة. تشيع الأسلوب الإنسانية -الطلبية على الخصوص- في الأمثل شيئاً جلياً؛ لأنها تركيب ينطوي على خطاب صريح؛ وأن المتنقي لا يكون حيادياً إزاءها؛ لأنها توجه خطابها إليه: تأمر، وتنهى، تستفهم وتنادي. فيصبح شريكاً لها في خطابها، بل إنها لا تتحقق إلا بشركته، وتدخله، وقد يتسع التفاعل، فيأخذ شكلًا عملياً، أو ردّ فعل تكتمل به عملية التواصل بين طرفي الخطاب، وهذا ما يمنحك جملة المثل خصوصية وهوية، تميّزها عن غيرها من الخطابات الأدبية.

أما التنمى، فلا يشكل سمة أسلوبية لقلة استخدامه مقارنة بالأسلوب الأربع الأخرى من أسلوب إنشاء الطلب. كما يكثر التعبير عنه في الإطار الدلالي، من خلال الأسلوب الأربع؛ عندما يخرج إنشاء عما وضع له، ويعدّ إلى معان تستفاد من السياق. وسأوضح فيما يلي -كيفية توظيف الأسلوب الإنسانية في تركيب نص المثل.

أ-أسلوب النداء:

يعد أسلوب النداء واحداً من الأسلوبات الإنسانية التي تظهر بوضوح في الأمثل

^(١)-ينظر: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف المصملي، المكتبة العصرية، بيروت، ص 75-

بوصفه وسيلة لعقد الصلة بين المرسل والمتلقي، والنداء في الأصل هو: (طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه، بحرف نائب، مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الإنشاء^(١).

يكتسب النداء في الأمثل وظائف فنية تثريه بالدلالة والإيحاءات، مما يمكن تلمسه في السياقات التي يرد فيها، وفي القرائن المحيطة به، وتتبدى خصوصية النداء في الأمثل من كون المنادى الفعلي و الحقيقى، عند ضرب المثل، لا يكون المنادى الملفوظ في نص المثل، ولذلك نجد النداء يتحرك، في كثير من الأمثل باتجاه المجاز.

المثل 1: يا امزوق من بِرَّة، واش حاڭ من داخل؟.

المثل مكون من وحدتين: يا امزوق من بّرة/ واش حالك من داخل؟

الفالمنادى هنا قد يكون شخصاً، وقد يكون هيكلأ. وهو نداء عام لكل من يتصرف بهذه الصفة. هذا من ناحية المعنى فاللياء للتبيه لما يأتي بعدها: مزوق من برة. يقابل جملة النداء، جملة استفهامية: واسح حالك من داخل. لا تتطلب جواباً. وتركيب المثل بهذا الشكل يعبر عن شعور نفسي يتمثل في التهكم والاستهزاء والاستكثار.

والمثل 2: يا معزة مكيش قادرة تولدي، أعلاه تطرّدي⁽²⁾؟

فالمنتزه مكون من وحدتين: أولاهما تبدأ ببناء، والثانية استقهامة.

ومعنى المثل: أن المعزة الصغيرة الحولية، مادامت لا تستطيع الولادة. لماذا (طرد) أي تعرض نفسها للتيش وتحمل؟

والمثل يضرب في حق الرجل يقوم بتصرفات، أو يتخذ مواقف وقرارات، ولا يستطيع تحمل نتائجها. وفي المثل توبيخ و استتكار ، بل إهانة واحتقار؛ عندما يصف من يخاطب

المثال 3: من هو أئمّةك يا إلهي؟ قال: خالٌ الحصان

والمنتها، وكمون من محدثين استفهام في الآباء تتخلله النداء الذي يحمله التقدمة

والثانية حب الاستقامه . و معروف أن الدغا ، أمه فرس ، وأنومه حمار .

١٠٥ -^(١) حِلَالُ الْأَغْنَى

⁽²⁾ سازمان اسناد و کتابخانه ملی ایران

ويضرب المثل لمن ينكر أصله، وينتسب إلى غير أهله؛ لضعف شخصيته، أو إحساسه بالنقص. كما يضرب في حق من يسأل عن شيء فيجيب بغير المسؤول عنه لجهل، أو لتهرب من الجواب المطلوب.

وفي توظيف النداء للبلغ الذي لا ينادي، يُتَّمِّس امتعاض، وحنق المرسل. من المتألقِ.

المثل 4: سبب يا عبدي وأنا أتعينك.

مكون من جملتين: الأولى: منادي مطالب بأخذ الأسباب. والثانية: نتيجة للأولى

إعانة الله لمن أخذ بالأسباب. وأسلوبه أمر فناء يشبه أسلوب الآية الآتية.

ومعنى المثل على الإنسان أن يأخذ بالأسباب، ويبادر بالعمل، ويتوكل على الله،

وكل من كان هذا دينه، أعانه الله. والمثل يحمل توجيهات و معاني إسلامية سامية. حيث نجد في القرآن الكثير من الآيات التي ينادي الخالق عباده للقيام بعمل الطاعات، مثل: ﴿قُلْ يَا عَبْدِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾⁽¹⁾. وقال: ﴿يَا عَبْدِي فَاقْتُلْنِي﴾⁽²⁾.

اما بخصوص الأخذ بالأسباب فنجد في الآية: ﴿ وَهُزِي إِلَيْكَ بِجُذُعِ النَّخْلَةِ تَساقطُ عَلَيْكَ رُطْبَا جَنِيَا﴾⁽³⁾. حيث أمر الله سبحانه وتعالى مريم بأن تهز جذع النخلة، وكيف تهزه امرأة في حالة مخاض؟ ولكنه أخذ بالأسباب، وأمر بتکليف الكسب في الرزق. والله هو الرزاق.

فالمثل يحمل معاني ما جاء في الآيات؛ عندما ينادي الله عباده بأن يأخذوا بالأسباب، ويباشروا العمل الصالح، يعينهم الله عليه، ويحقق لهم ما يرغبون فيه.

بـ-أسلوب الأمر:

يعد أسلوب الأمر من الأساليب الإنسانية الطلبية التي تحفل الأمثال بها؛ إذ تشيع

⁽¹⁾ سهودة الزمر، آية 53.

سورة النهر، آية ١٦

میراث اسلامی

الأمثال المبدوءة بفعل الأمر، أو يتخللها فعل الأمر، كما يمكن أن يستخدم مكان الأمر، اسم فعل الأمر، أو المصدر النائب عن فعل الأمر، أو المضارع المجزوم بلام الأمر. كما يعد أسلوب الإغراء والتحذير من الصيغ التي تؤدي معنى الأمر.

والأمر بمعناه الصريح: هو طلب حصول الفعل من المخاطب، على وجه الاستعلاء واللزوم⁽¹⁾. فالامر إذاً يحتاج لكي يتحقق إلى جهتين: مرسى يوجه الطلب. ومخاطب يراد منه القيام بتنفيذ فحوى الطلب. هذه هي الوظيفة الأصلية للأمر.

لكن صيغ الأمر في الأمثال كثيراً ما تخرج عن وظيفتها الأصلية (الوجوب، واللزوم) إلى الدلالات البلاغية التي تمنحها صفة الخاصية الأسلوبية، وهي دلالات ومعان تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال.

صيغة الأمر تتناسب مع الاستخدام الشفوي للغة، عندما تفترض وجود طرفي العملية الإبلاغية (المرسل والمرسل إليه) مما يحقق عملية الاتصال التي تكتنز عادة بالشحنات الانفعالية، والوجودانية المتنوعة؛ لذا نجد أسلوب الأمر في الأمثال يتجاوز وظيفة الطلب الصريح، ليعبر عن معانٍ دلالات، وإيحاءات يحددها السياق، كالنصح والإرشاد والحض والتحرير، والاستهزاء واللوم والاستكثار والتحدي..

إذا كان النصح والإرشاد من أكثر المعاني التي تخرج إليها أساليب الأمر؛ فإن هذا يدلّ على منحى التوجيه الاجتماعي الذي تسعى إليه كثير من الأمثال، ويؤكد على أهمية حضور التلقّي للأمثال وأثرها في الناس، بوصفها نصاً ثقافياً يكاد يدخل العقل الجماعي للناس، ويمارس سلطته عليهم، فيحركهم ويشكل انطلاقتهم.

وقد تنوّعت تراكيب الأمثال التي احتوت على الأمر، فمنها ما اشتمل على فعل أمر وجواب الأمر (الطلب) كما في الأمثال التالية:

المثل 1:- «ملس من طينك يسجى لك» . فيسجى لك "معنى يصلح"، يُعدّ جواباً للأمر: ملس من طينك. والأمر هنا معناه النصح والإرشاد.

المثل 2:- «اخدم على روحك تعجب الناس».

⁽¹⁾ -أحمد الماشي، جواهر البلاغة، ص 78.

فالمثال مكون من جملتين يتصدر كلاً منها أمر، والثانية منها: (تعجب الناس) جواب للأولى : اخدم. والأمر هنا أيضا للنصح والإرشاد.

المثل3:- «خوذ بنت الناس إذا ما أقيمت لهنَا تلقى لخلاص».

يتكون من جملتين: الأولى جملة الأمر، خوذ (بمعنى تزوج). والثانية جوابه: الجملة الشرطية بطرفيها. وهو أيضا للنصح والإرشاد؛ فهو يوضح الفائدة من اختيار بنت الناس. وكأنه يشرح ما جاء في المثل الشعبي: زواج ليلة تدبيره عام. أو تفكيره عام. ومنها ما يأتي أمرا معطوفا على أمر، كما في المثل التالي:

المثل4:-«كول وفرق ولا كول ودرق». ومعنى: فرق، ودرق هو:
(فرق: بالقاف المعقوفة: وزع. و درق: بالقاف المعقوفة: خبئ)

المثل مكون من أربعة أفعال أمر كلها. فيما عطف بين الأول والثاني. وبين الثالث والرابع. والمقطع الثاني استئناف للأول، أي إذا لم تطبق النصيحة الأولى؛ وهي أن تعطي من أكلكَ جارك الذي يراك و أنت تأكل، أو يشم رائحة طعامك؛ فعليك أن تأكل في خفاء دون أن يطلع جارك أو يشعر بما أكلت. وفي تكرار الفعل: كول، توكيـد لفظي على استفادته من طعامه سواء أعطى منه أو لم يعط. وفي المثل استكار و اشـمـئـازـ مـمـنـ لاـ يـطـبـقـ هـذـهـ النصيحة؛ فهو بعدم تطبيقها يؤذـيـ جـارـهـ نفسـياـ.

المثل5:-«كول ما يعجبك، والبس ما يعجب الناس».

المثل مكون من وحدتين: الأولى: كول ما يعجبك، والثانية: البس ما يعجب الناس. وأمر الثانية معطوف على أمر الأولى. وفي المثل نصـحـ وإـرـشـادـ، غيرـ أنـكـ تـحسـ بـلـوـمـ منـ لـمـ يـمـتـلـلـ لـلـشـطـرـ الثـانـيـ منـ الـمـثـلـ، لأنـ الـلـبـاسـ غـيـرـ السـاتـرـ، أوـ المـتـسـخـ، أوـ ذـوـ الـأـلـوـانـ التـيـ تـشـمـئـزـ مـنـهـ النـفـوسـ.. كلـ هـذـاـ يـؤـذـيـ النـاظـرـ.

المثل6:-«قل كلام الخير أو اسكت خير».

المثل أيضا مكون من جملتين: الأولى: قل كلام الخير. الثانية: اسكت خير. ربط بينهما بحرف العطف (أو) التخييرية. فالمثل ينصح المرء بالالتزام بأحد الأمرين على الخيار. إما أن يقول كلاما فيه خير. وإذا لم يستطع ، فعليه بالصمت، لأنه أفضل من

الكلام المؤذى، أو ما لا فائدة منه. وفي هذا المثل معنى وألفاظ الحديث النبوى الشريف.

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً، أو ليصمت...»⁽¹⁾.

وفي التركيب الشرطي، قد يتتصدر الأمر جملة جواب الشرط في الأمثال، كما يلي:

7-المثل: «إذا احمرت لغشية هيئٌ دبَابِيك لِلْمَشِيَّة، وإذا احمرت الصباح رجع دبَابِيك للمرأخ»⁽²⁾.

ومعنى المثل: إذا احمر الأفق عند غروب الشمس في فصل الشتاء ، فملحوظات الفلاحين تعتقد: أن اليوم الموالي سوف يكون صحوا، أو الطقس جميلا. وعليه فعلى الرعاة أو المسافرين أن يهيئوا مواشיהם للخروج للرعي أو السفر. أما إذا احمر الأفق في الصباح عند شروق الشمس، فقد يكون اليوم مغيمما والطقس مضطربا، مما على الرعاة إلا الرجوع وإعادة المواشي إلى المراح، وهو مكان مبيت وتجمع الأغنام.

8-المثل: «إذا الدُّغْثُ شُوفَ تَحْتَ رِجْلِك»⁽³⁾.

ومعنى المثل إذا لدغتك (لسعنك) عقرب مثلا. فانظر تحت رجلك، أي أنها قريبة منك. ويضرب في الرجل، يصيبه الغير بمكروه كسرقة، أو تخريب أملاك، أو إفشاء أسرار... فليبحث عن المتسبب في ذلك من بين الأقربيين إليه. وهذا ما تقوم به أجهزة التحري في كثير من الأحيان لتجد المجرم من بين هؤلاء.

والمثل مكون من تركيب شرطي، جوابه فعل الأمر: شوف. وغرضه التوجيه والتحذير من مكر الأقربين. وهو بهذا المعنى تعبير مجازي دلالته مؤثرة ، عبر فكرة التمثيل والمشابهة التي تساوي بين لدغ العقرب، وضرر الأقرباء.

9-المثل: «إذا كنت زين استر روحك من العين، وإذا كنت شين استر روحك من الفضائح» وهذا المثل مكون من جملتين شرطيتين، جواب كل منها فعل أمر: استر. وغرضه النصح مع الإحساس بشيء من غضب الناصح من تصرف المنصوح؛ لحضه وتحريضه على العمل بالنصيحة.

⁽¹⁾ - العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مجلد 11، ص308.

⁽²⁾ -الذاكرة الشعبية بوسعداء.

⁽³⁾ -الذاكرة الشعبية بوسعداء.

ومما يلاحظ على كل جمل الأمثال السابقة سواء أكانت كبرى أم صغرى، مركبة أم بسيطة، أن فيها شيئاً من الموازنة، وأن فيها انتفاخاً وإنغلاقاً يشي باكتفائها واكتمالها.

جـ- أسلوب النهي:

أسلوب النهي هو الوجه السلبي لأسلوب الأمر؛ فإذا كان الأمر طلباً بفعل أمر معين؛ فإن النهي طلبُ بالامتناع عن فعل ما؛ فالمعنى الأصلي: (طلب الكف عن الفعل) والامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة هي المضارع المجزوم بلا الناهية⁽¹⁾.

والنهي كغيره من الأساليب الإنسانية الطلبية يأتي بصور نهي حقيقة، وأخرى مجازية، فتجده «يخرج عن معناه الحقيقى»، إلى معانٍ مجازية تفهم من سياق الكلام وبمعونة القرائن التي توحى بالمعنى البلاغي الذي يفهمه الأديب من تنوّقه للنص، وهذه المعانى المجازية هي التي ترتفع بأسلوب عن وظيفته التقريرية في مجرد الفهم والإفهام وتعطيه دلالات وإيحاءات فنية، تتمتع الفكر وتثير الوجدان، وتحتاج أمام الأديب مجال الخلق والإبداع⁽²⁾».

ويلاحظ المطلع على الأمثال الشعبية أن قسماً منها جاء على أسلوب النهي؛ لما فيه من إمكانية تعبيرية ثرية؛ خصوصاً تلك التي يخرج فيها النهي عن المعنى الأصلي أو الحقيقى، فلا يعود أمراً بالكف والامتناع عن فعل ما، من مرسى إلى متلق، بقدر ما هو محمولات ثقافية، تمثل ما يشبه القوانين، أو التعاليم التي لا يجوز خرقها، بل ينبغي التمسك بها، بوصفها معايير أساسية يراعيها المجتمع الذي تستخدم فيه الأمثال.

ويأتي النهي بـ(لا) الناهية على صور، منها نهي المضارع بلا. أو يأتي مقترباً بالأمر كما في المثل:

المثل: 1-«سال امجب لا تسال طيب»⁽³⁾.

⁽¹⁾ ينظر: محمود أحمد نحلا، البلاغة العربية، علم المعاني، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002م، ص88.

⁽²⁾ ينظر: عبد الفتاح عثمان، دراسات في المعاني والبديع، مكتبة الناشر حلوان، مصر، 1982م، ص85.

⁽³⁾ رابح خادوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص77.

فهذا المثل مكون من وحدتين: أولاهما: أمر، طلب سؤال المجرّب، والعمل بنتائج تجربته. وثانيتهما: نهي، طلب الكف عن سؤال الطبيب، وعدم العمل بنصائحه. فالمنجرب ثبت نجاح تجربته. أما الطبيب، فنصائحه من كتب قرأها.

وهذه القاعدة معمول بها في الأوساط الشعبية، وهي تتسبّب على كل من يريد العمل في أي مجال: فلاحي، ثقافي، اجتماعي.. فهو يستشير أصحاب التجارب والخبرات لا أصحاب النظريات المجردة. وفي المثل نهي، غرضه النصح لا الإلزام.

وقد يرد النهي مضاعفاً أي باستخدام أكثر من تركيب نهي في مثل واحد، نحو:

المثل: 2- «لا تُكْبِغَ الغَرَارَةَ عَلَى فُمَهَا، وَلَا اتْسَامِي الْبَنْتَ لَأْمَهَا»⁽¹⁾.

و الغرارة: ظرف مصنوع من الشعر والوبر والصوف، تُحمل فيه الحبوب على الجمال، وعندما لا يجدون الوكاء الذي يربطون به فم الغرارة، يخللونها، أي يخيطون فمها بأعواد صغيرة. والعود منها يسمى: أَحْلَالْ. والجمل يحمل غرارتين على جنبيه، وفهمما إلى أعلى، لأن الغرارة لو كبت إلى أسفل لتسرّبت الحبوب من بين الأعواد التي خللت بها. وكذلك البنت عندما يزوجونها، يجب أن تسكن بعيداً عن أمها. لأن قريها من أمها يجعل الاتصال دائماً بينهما. وهذا قد يفسد العلاقة بين المرأة وزوجها أو أهله، بسبب كثرة التزاور. وفي المثل تكرار استعمال "لا" الناهية؛ لإيجاد التوازن، وتأكيد النهي الذي غرضه النصح المبني على تجربة. وفيه تشبيه حالة معنوية بحالة مادية لتقرير الصورة، وتوضيح الضياع الحاصل في الحالتين.

وقد يأتي النهي باستخدام (ما) بدل (لا) كما يستخدمها العامة في الأمثال الشعبية حيث يضعون -ما- مكان -لا- كما جاء في رباعيات المجنوب:

المثل: 3- ما يَعْجِبُكْ نُوَّار دَفْلَة == في الْوَادِ دَائِرٌ ظَلَائِلٌ

ما يَعْجِبُكْ زَيْن طَفْلَة == حَتَّى اتَّشُوف لَفْعَائِلٍ

ففي هذه الرباعية نهي بما، بمعنى : لا يُعجبك، وفيه نصح وإرشاد لمن أراد الزواج؛ عليه أن يختار ذات العمل الصالحة، والصفات الحسنة أولاً، ولا يغتر بالجمال؛ فقد لا يطابق

⁽¹⁾ - الذاكرة الشعبية بيوسعادة.

المظهر المخبر، كما هو الحال في نبات الدفلة الذي منظر زهوره جميل؛ لكنه دون رائحة، كما أن طعم عياداته مر.

والمثل يشبه حالة بحالة، وكأنه يقدم الدليل على صحة ادعائه.

د-أسلوب الاستفهام:

يعد أسلوب الاستفهام أحد الأساليب المتميزة، التي تدخل في نطاق الدرس الأسلوبي وهو من التراكيب التي تحمل في ذاتها إمكانيات الاتصال بين المرسل والمتلقي؛ لما ينطوي عليه من مضمون وجذاني ونفسي، ولما يتتيه من وسائل تأثيرية، تجعل فعلها في المتلقي فالاستفهام أو السؤال من «أكثر التراكيب اللغوية الفنية استدعاء للمثيرات عند المتلقي»؛ فهو يمارس إثارة الدهشة الناجمة عن قطع رتابة التلقي المستكين، ورضوخ المتلقي لخمول وطأة استقبال التراكيب الجاهزة ، ويمارس فعل المفاجأة التي تنتهي جمود التوقع لتشاءجدية حيوية حركية بين المبدع والمتلقي عبر تركيب السؤال؛ ذلك الذي يجعل المتلقي فاعلاً أصيلاً في التجربة الإبداعية، بما تضمنه من جدلية لا تزول بين المبدع والمتلقي»⁽¹⁾.

والاستفهام في معناه الوصفي: طلب أحدهم العلم بشيء لم يكن معلوماً قبل ذلك، بإحدى أدوات الاستفهام، وهو في معناه الأصلي معنى من المعاني يطلب فيه المرسل من المتلقي، أو المتكلم من السامع أن يعلمه بما لم يكن معلوماً عنده من قبل.

يرد الاستفهام في الأمثال «بوصفه أحد الأساليب الإنسانية التي تتيح إمكانية واسعة للتعبير عن معانٍ، ودلائل شتى، تخرج عن معنى الاستفهام الأصلي إلى معانٍ بلاغية مجازية تفهم من السياقات التي يرد فيها الاستفهام، وبعد السؤال من الأساليب التالية في الدلالات والإيحاءات التي يصعب تحديدها؛ فهي كثيرة غزيرة ومتخلطة متشابكة»⁽²⁾.

والاستفهام قد يأتي في تركيب تتصدره أداة استفهام، أو تتوسطه، وقد يؤدي بفعل أو بنغمة صوتية؛ فهو تعبير تأتي دلالته في بعض الأحيان من خارج التركيب، بحيث يكون للسياق وال موقف والانفعال، والمرسل والمتلقي، دور وأثر في تحقيق الدلالة. وفيه يمكن أن يتحول التركيب الخبري إلى استفهام.

⁽¹⁾ سعيد بلبع، أسلوبية السؤال: رؤية في التنظير البلاغي، ط١، دار الوفاء، القاهرة، 1999، ص 77.

⁽²⁾ سعيد بلبع، المرجع السابق، ص 85.

وإذا خرج الاستفهام عن معناه الأصلي، فهو ينمازح مع طبيعة المثل المتضمن استفهاماً، فالمرسل لا ينتظر جواباً عن استفهامه من المتنقي.

والأمثال الشعبية حفلت بأنماط مختلفة من التركيب الاستفهامي، الذي انزاحت دلالته إلى دلالات أخرى، نحو:

المثل: 1- من هو أبوك يا البغل؟ قال: خالي الحصان.

فأدلة الاستفهام تصدرت التركيب، والاستفهام هنا ليس الهدف منه معرفة الجواب؛ لأنّه معروف. وليس الهدف منه التحدث عن أصل البغل. وإنما المستفهم قصد الاستهزاء بأفكار المتنقي، خارج موضوع هذا السؤال، والامتعاض من ردوده حول موضوع معين. بطريقة غير مباشرة.

ومن صيغ الاستفهام بغير الأدوات المعروفة في كتب اللغة، ذكر ما يلي:

المثل: 2- يا امزوق من برة، واش حالك من داخل؟

صيغة الاستفهام: (واش حالك من داخل) بمعنى: كيف حالك من داخل. وهذه الصيغة (واش) في العامية الجزائرية يختلف معناها حسب السياق. فهي في هذا التركيب بمعنى: كيف. وهي بمعنى - ماذا - في التركيب: واس اتحوس: ماذا تزيد؟ وقد تستعمل مكان حرف الجواب -نعم- عندما تتدادي، يا فلان. يقول المنادى: واس... وهذه الصيغة جاءت ضمن التركيب، ويجوز أن تتتصدره؛ فنقول: واس حالك من داخل، يا لمزوق من برة؟ على حسب الاهتمام بالمتقدم. وقد تستعمل: واس، بمعنى: من، للعاقل نحو:

المثل: 3- قالوا: واشكون عدوك؟ قال لو: صاحب مهنتك. أو صنعتك.

وهذا المثل مكون من جملة استفهامية وجوابها، أي أن السؤال أُستئنف بجوابه. فالسائل أجاب؛ فهو لا يبحث عن جواب. لا شك أنه يرشد المتنقي ويذكره بالعداوة الخفية والغيرة المستحكمة بين أصحاب المهنة الواحدة، كالتجار والحرفيين... بسبب الترويج لبضاعتهم، واحتقار السوق، أو بسبب إعجاب الناس بمقدرتهم والتحدث عنهم.. وأداة الاستفهام: واشكون: مركبة من: واس + كون. بمعنى: من يكون؟

وطبيعة المثل الإهامية الإرشادية، تَطلَّبت صياغته بشكل تببيهي مع ما فيه من شعور بسخط نفسي، حول هذه الظاهرة السيئة.

ومن صيغ الاستفهام في الأمثال الشعبية أيضاً، صيغة -أعلاه- التي تكرر كثيراً في التعبير العامي، ومنه:
المثل: ٤ يا معزّة مكيش قادرة تولدي. أعلاه تطرّدي؟

وأدلة الاستفهام هنا هي : (أعلاه). بمعنى: لماذا. ومعلوم أن المرسل لا ينادي المعزّة، ولا يسألها؛ وإنما يلوم المتلقى عن تصرفاته التي لم يستطع تحمل نتائجها. فهو كالمعزّة التي حملت وهي صغيرة، لا تستطيع الولادة. فالاستفهام هنا خرج عن معناه الأصلي أي طلب المعرفة، وانزاح إلى معنى مجازي، هو اللوم والتوبیخ. وهو مثل يضرب في حق كل من اتصف بهذه الصفات.

ثالثاً- دراسة تطبيقية على بنية المثل الشعبي:

١- التقنية البنائية:

التقنية البنائية التي تقوم عليها أسلوبية الأمثال الشعبية تعتمد التكرار، ولبيان ذلك لا بدّ من تحليل بعض الأمثلة الشعبية، وقبل التحليل ندرج على تعريف التكرار.

تعريف التكرار في اللغة:

هو من الكر، وهو الرجوع، يقال كرّه وكرّ بنفسه، يتعدّى ولا يتعدّى، والكرّ مصدر: كرّ عليه، يكرّ كرّاً و كروراً، وتكراراً، عطف وكرّ عنه: رجع، وكرّ على العدو يكرّ: ورجل كرار و مكر: وكذلك الفرس، وكرّ الشيء و كركره: أعاده مرة بعد أخرى، والكرة المرة والجمع كرات، ويقال: كرّرت عليه الحديث وكركرته: إذا ردته عليه، وكركرته عن كذا : إذا ردته والكرّ: الرجوع عن الشيء ومنه التكرار.

قال الجوهري: كرّرت الشيء تكريراً وتكراراً. قال أبو سعيد الضرير: تفعّل، و تفعّال، فقال: تفعّل بالكسر اسم، و تفعّال بالفتح مصدر، وتكرّر الرجل في أمره أي تردد. والكركرة من الإدارة والتردد. قال: وكركرة الرحي تردادها^(١).

ولفظ التكرير أو التكرار - من الناحية الصوتية- يظهر في كل منهما حرف الراء مرتين، والراء ذاته حرف له صفة التكرار؛ لأنّه عند النطق به ساكنًا لتحديد مخرجـه، لا

^(١)- ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ١٣٥-١٣٦.

يقطع صوته اللسان بالتقائه تماماً مع مقابله من الفك العلوي، بل يظل مرتعشاً به زمانه يكرره.

التكرار في الاصطلاح:

يعد التكرار من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبي، وقد درسها البلاغيون العرب، وتتبهوا إليها عند دراستهم لكثير من الشواهد الشعرية والثرية، وبينوا فوائدها ووظائفها⁽¹⁾. والتكرار مصطلح عربي كان له حضور عند دارسي البلاغة العربية. فتكرار الكلمة أو اللفظة أو الجملة: إعادةها أكثر من مرة في سياق واحد، أو إعادة وحدات صوتية وفق نظام معين. وقد يكون التكرار بتكرار اللفظ الواحد لفظاً ومعنى، أو تكرار المعنى فقط. وهناك فرق بين التكرار والإعادة؛ فالتكرار يقع على إعادة الشيء مرة، أو عدّة مرات. أمّا الإعادة ف تكون للمرة الواحدة فقط⁽²⁾.

وفي التعليمية: تكرار الدرس، إعادة نفسه دون تغيير الأمثلة أو النماذج، وهذا يناسب من كان غائباً أو لم يسمع ما قدّم. أمّا من كان حاضراً ولم يفهم فهذا تناسبه الإعادة؛ وهي تكرار الدرس أو إعادة بشكل آخر، وبأمثلة أخرى، مع المحافظة على الهدف⁽³⁾. قال ابن فارس: «ومن سنن العرب التكرير والإعادة، إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»⁽⁴⁾. ومن أوجه التعليم المفيد كما يرى ابن خلدون في مقدمته، قوله: «.. وهذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاثة تكرارات. وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك، بحسب ما يخلق له، ويتيسر عليه»⁽⁵⁾.

والتكرار في الأمثال الشعبية، يعلم الحمار، أي مهما كان الفرد بليداً أو أقل ذكاءً؛ فإن تكرار الأفعال أو الأقوال لا بد أن ترسخ في ذهنه، وتصبح عادة، كما هي عادة الكلام. وفي هذا يقول المثل الشعبي: «التكرار يعلم الحمار»⁽⁶⁾. يقول ابن أبي شنب: أي يجعله عالماً.

La répétition apprend à l'âne; c'est-à-dire le rend savant.

⁽¹⁾ ينظر: ابن رشيق القميروني، العمدة في محسن الشعر، ط٥، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الجليل ، بيروت، 1981، ج 2، ص 73.

⁽²⁾ العسكري، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه، محمد إبراهيم سليم، د/ط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د/ت، ص 39.

⁽³⁾ حنفي بن عيسى، محاضرة للطلبة المفتشين بالمركز الوطني لتكون إطارات التربية، الجزائر، 1991م. حضرها صاحب هذه الأطروحة.

⁽⁴⁾ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن ذكريا، الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، سوريا، 1977م، ص 341.

⁽⁵⁾ ابن خلدون، المقدمة، ص 1030.

⁽⁶⁾ ابن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب، ص 179.

Aforce d'exercice on fait les choses facilement et bien.

أي بكثرة التمارين نجز الأشياء بسهولة وإنقان.

والتكرار: « هو أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثير ما، واللفظ المكرر منه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة؛ لاتصاله الوثيق بالوجودان، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماماً عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم في حكم المخاطبين، ممن يصل القول إليهم، على بعد الزمان والديار»⁽¹⁾.

والتكرار « يضع في أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة»⁽²⁾. وقد جاء التكرار في القرآن الكريم الذي هو أعلى مستوى للغة العربية.

يرى حضري جمال: أن حجاج التكرار يتمثل في توكييد الحمولة الدلالية لمضاعفة طاقة إقناعها، كما أنه وسيلة تتباهية تسهل تلقي خطاب الحاج وفهمه من متلقيه، وتقرأ صور التكرار بما يلائم سياقاتها أو بما ينسجم مع الدلالة العامة للنص القرآني؛ لكونها وسائل تختص بها لغة النص لغة التخاطب العادلة لتشحذها بالفعالية الحاججية بما يحقق مراد المخاطب من مخاطبيه. فالنحو في الآية: ﴿فَذُوقُوا عذابِي وَنَذْرٍ﴾ تكررت أربع مرات في السورة للذكر فهل من مذكر؟⁽³⁾ [الآية الأولى تكررت مرتين، والثانية تكررت أربع مرات في السورة]. وفائدةه أن يجدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادّكاراً واتعاذاً وأن يستأنفوا تتبها واستيقاظاً إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه⁽⁴⁾.

التكرار في الأمثال الشعبية:

التكرار من الوسائل الأساسية التي يبني عليها الإيقاع، خصوصاً إذا حالفه التوفيق في تأدية الدلالة المرادة. والتكرار في الأمثال من الأسس الأسلوبية التي تقوم على تمثيل

⁽¹⁾ - السيد عز الدين، التكبير بين المثير والتأثير، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1986م، ص 136.

⁽²⁾ - نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ط3 منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1967م، ص 67.

⁽³⁾ - سورة القمر، آية 39-40.

⁽⁴⁾ - حضري جمال، جماليات الإيقاع في الأسلوب القرآني، المجلة العلمية حوليات الآداب واللغات، الصادرة عن كلية الآداب واللغات بجامعة المسيلة، عدد 1، 2013، ص 160.

الوحدة العضوية في المثل وتكثيف التماثل^{*}، وتوفير أنواع مختلفة من التماثلات الصوتية التي تحقق إيقاع المثل وتسهم في إبراز دلالته⁽¹⁾.

وصور التكرار تتتنوع في الأمثال الشعبية، فمنها تكرار الحرف(الصوت)، وهو يقتضي تكرار حروف بعينها في الكلام مما يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف أبعاداً إيقاعية تشد السامع إليها، ومنها تكرار الألفاظ أو العبارات المتواقة مبنياً ومعنى؛ وهو تكرار يعكس الأهمية التي يوليه المتكلم لمضمون تلك الألفاظ أو العبارات المكررة، باعتبارها مفتاحاً لفهم المضمون العام الذي يقصده المتكلّم، بالإضافة إلى ما تتحققه من توازن في الأسلوب وتماسك في النصّ.

- مصطلحات الدراسة الصوتية:

وقبل إجراء دراسة تطبيقية على المستوى الصوتي، أحّبّ التعريف ببعض المصطلحات المستعملة في هذا النوع من الدراسة. وذلك أنَّ الكثير من الأمثال الشعبية تستعيير خاصية القافية والتوازن من الشعر، لأنَّهما الوسيطان الصوتيتان المحققتان جمالية الشكليين الأدبيين، والمساعدتان على سهولة روایتهما الشفوية، وبقائهما.

«فالملقب الصوتي الإيقاعي في الشعر يتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي:
(الوزن- والتوازن - والأداء).

1- الوزن: المجرد القائم على المقاطع والتقعيلات-سواء كان منتظماً أو حراً - مجاله الدراسة العروضية.

2- التوازن: أو الموازنات: ويتألّف من عناصر لغوية مشخصة، فهو عبارة عن تردد الصوامت (التجنيس) ، والصوائف (الترصيع)، اتصالاً وانفصالاً في مستويات من التمام والنقص، حسب تعبير القدماء، وتشكل القافية جزءاً من هذا النظام، باعتبارها تكرار صامت وصائب على الأقل، أما الاقتصاد على أحدهما، فيعتبر عيباً: "الإكفاء أو الإقواء" في الشعر.

*السيد عز الدين، التكرير بين المثير والتأثير، جاء في هامش، ص 7 (إن الحرف أو اللفظ المنطوق أو المكتوب، قد ذهب بذهاب حيزه من الزمان والمكان، فليس هو ذاته العائد، وإنما العائد مثله في الشكل والصوت، فإن إطلاق لفظ التكرير أو المكرر أو عودة الحرف - مبناه الجازات المشهورة، فالتكرير وما ماثله عائد على النوع باعتبار أفراده، وليس واقعاً على شخص الأفراد، لعدم قبولها إياه، وكان اللفظ الحق هو (التماثل)؛ إلا أنَّ آثرت عليه الجاز المشهور، الذي أصبح في مكان الحقيقة العربية).

⁽¹⁾ - السيد عز الدين، المراجع السابق، ص 7.

3- الأداء: وهو عملية التجسيد الشفوية، حيث يقوم القارئ أو المنشد بتأويل العناصر الوزنية والتوازنية وما يقع بينها من انسجام واختلاف في تفاعل مع الدلالة، اتساقاً واختلافاً (التضمين) وهذا تدخل مباحث التتغيم والنبر والوقف»⁽¹⁾.

- الجنس التام أو المطابق أو المشاكلة: وهو ما اتفقت أصواته واختلف معناه، مثل:
(الهوجل= الصحراء، الهوجل= الناقة . الساعة= القيامة، الساعة= الساعة الزمنية)

التجنيس: الخالص البسيط، غير المرصع بالحركات: ينطبق على:

- تجنيس الاشتغال أي اختلاف البنية الصرفية، وبقاء أصوات الجزر (الصوامت).
- التجنيس السجعي.

الترصيع: الخالص البسيط (غير الجنس) :

- اتفاق البنية الصرفية واختلاف الصوامت، مثل: غالب/ قائم /فاعل - حسود/ قنوع/ فعول.
- الترصيع السجعي. مثل قائم /نادم - حسود/ حقود.
- التوازن المقطعي واختلاف الصوامت.

الموازنة والسجع:

الموازنة أعم من السجع؛ لأن السجع تماثل أجزاء الفواصل، لورودها على حرف واحد نحو: الغريب/ القريب/ النسيب. وما أشبه ذلك.

أما الموازنة فنحو: القريب/ الشديد/ الجليل، وما كان على الوزن، وإن لم يكن الحرف الأخير واحداً.

وكل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعاً.

- «وقريب من هذا المفهوم، اعتبار الموازنة توازناً غير مسجوع، وهذا هو المفهوم الذي حدّد له عند البلاغيين المتأخرين.

- اعتبار الموازنة نوعاً من المقابلة، حين تعتبر الأخيرة جنساً أعلى، كما هو شأنها عند ابن رشيق، وتضم جانباً من البناء الصوتي»⁽²⁾.

⁽¹⁾ محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، المغرب: أفريقيا الشرقي، الدار البيضاء 2001م، ص 9-11.

⁽²⁾ المرجع السابق، ص 15.

«ومهما توسع مفهوم الموازنة والتوازن عند البلاغيين العرب، فإنه لا يعدو التعادل والتقابل، بين الأساق الزمنية القائمة على الكم المجرد (الوزن العروضي). أو الكم الشخصي المتجلي في الأساق الترصيعية، القائمة على التقابل بين أنواع الحركات والمد، ولم يشمل جانب التماثل الجرسى التجنisi إلا في نطاق ضيق، أي باعتباره حلية للترصيع والسجع»⁽¹⁾.

التوازن يرجع إلى أحد أمرين:

- تكافؤ طرفين وتناظرهما في نوع الحركات والسكنات والمد، كلياً أو جزئياً (الترصيع)
- تكافؤهما وتناظرهما في أنواع الصوامت، مع تناظر الحركات أو عدم تناظرها، كلا، أو جزءاً (التجنیس).

وإذا كان الشعر منظوماً، فإن الأمثل السائرة تشبه المنظوم في بعضها، وهو يقونان على تكرار من أنماط شديدة الاختلاف.

- تكرار وحدات تنعيمية (إيقاع) - تكرار أسجاع متماثلة في نهاية الوحدات الإيقاعية (قافية) وتكرار أصوات مجردة في النص (تجنیس).
- المقابلة: تضم عناصر دلالية وعناصر صوتية.

ويقوم التناظر فيها على الموافقة والمخالفة، مع مراعاة الموقف في التقديم والتأخير. ويؤتى بالموافقة بما يوافق، وبالمخالفة بما يخالف. وأحلى صور المقابلة الدلالية ما كان بين الأضداد.

أما المقابلة الصوتية ف تكون في الأوزان والازدواج، وخصصت بمصطلح مميز ملائم لها هو: الموازنة.

وبعد هذه اللمحات عن بعض المصطلحات المستعملة في الدراسة الصوتية، يمكن القيام بإجراءات تطبيقية بتوظيف هذه المصطلحات.

- أهمية الإيقاع الصوتي:

جمال الأسلوب في اللغة العربية يقوم على «الإيقاع الصوتي»؛ لأن اللغة العربية - الشاعرة - لغة فنية موسيقية، وإن عناصر الموسيقى الشاعرية تتجلي فيها أكثر من غيرها من

⁽¹⁾ المرجع السابق، ص 18.

اللغات. ويرجع ذلك إلى سببين: هما الغناء. وبناء اللغة نفسها على الأوزان»⁽¹⁾ والقرآن الكريم قام بالدرجة الأولى على الإيقاع الصوتي العبري، حيث نجد السورة تبدأ بإيقاع صوتي معين، فلا تكاد تعوده إلى نهايتها. فعندما يكون الجو العام الذي أطلق فيه الآيات جوا سريعا يأتي الإيقاع الموسيقي سريعا قويا، وعندما يكون الجو وانيا بطينا يأتي الإيقاع مسترسلأ رخيا.. ومثلا عن ذلك: سورة النازعات⁽²⁾، «حيث فيها إيقاعان موسيقيان متتسقان مع جوين عامين:

الأول: من أول السورة (والنازعات غرقا.. إلى قوله تعالى.. فإذا هم بالساهرة): حيث الإيقاع فيه متتسق مع الجو العام، فالإيقاع يظهر في هذه المقطوعة السريعة الحركة، القصيرة الموجة، القوية المبنى، وهو يتتسق وينسجم مع الجو العام؛ لأنـه «جو مكهرب، سريع النبض، شديد الارتجاف».

الثاني: قصة موسى في السورة (هل أتاك حديث موسى... إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) فالإيقاع الموسيقي يظهر في المقطوعة: «الوانية الحركة، الرخية الموجة، المتوسطة الطول» وهو يتتسق وينسجم مع الجو العام؛ لأنـه جو قصصي هادئ مسترسل»⁽³⁾

والأدب العربي الشعبي ليس بداعا من صنوه الأدب العربي الفصيح ، « فهو يشبهه ولا سيما القديم منه، في كثير من خصائصه التاريخية (الحضارية) لأنـه:

- 1- يقوم على الرواية الشفوية، كما كان أدبنا العربي القديم يقوم عليها.
- 2- يشيع في مجتمع تغلب عليه الأمية في معظم الأحوال.
- 3- يشيع في مجتمع تغلب عليه البداعة (وشظف العيش).
- 4- يجسد المطامح الساذجة لطبقة شعبية معينة، لا لشعب ينتظمـه جبل واحد، ومبدأ واحد، وهـدف واحد»⁽⁴⁾.

ولهذا كتب عليه أن يخضع لكثير من الخصائص الصوتية، التي تيسر روایته وانتشاره، وتجعلـه ذائعا بدون عسر؛ لأنـه بدون هذه المادة الصوتية في الرواية، تكون هناك

⁽¹⁾ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، شركة الشهاب، باتنة، الجزائر، 1988م، ص 94.

⁽²⁾ - سورة النازعات ، من آية 1- إلى 14 .

⁽³⁾ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق ، ص 171.

⁽⁴⁾ - عبد المالك مرزاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 138.

صعوبة كبيرة على ذاكرة الإنسان، في حمل هذه النصوص القصيرة وذكرها. «بالإضافة إلى أن المثل الشعبي يجب أن يكون استمراً للمثل العربي القديم، في صورته البنائية، ومثاليته البيانية، وخصائصه الصوتية العامة، حيث أننا نجده يتتوفر على معظم الخصائص الصوتية نفسها، والإيقاع نفسه»⁽¹⁾.

قولهم: زوج من عود، خير من قعود. عيش المضر، طوه من مقر. بمثل جارية فلتزن الزانية . لا ماءك أبقيت، ولا حرك أنقيت .

فهذه الأمثلة مسجوعة، وكل مقطع ينتهي بصوت يتكرر في المقطع الثاني من المثل في المثل الأول: الدال، وفي الثاني: الراء ، وفي الثالث: الياء والتاء المربوطة(ية)، وفي الرابع: القاف والياء والتاء المفتوحة.

وهذه الخاصية، خاصية الإيقاع الصوتي، هي التي اعتمدتها الأمثل الشعبية الجزائرية. ولأخذ فكرة عن تركيبة الأمثل الشعبية الصوتية، قام "حلبيم لحضر" بإحصاء الأمثل المدرجة في كتابه: صورة المرأة في الأمثل الشعبية الجزائرية. وحدد المرسلة منها، التي تكون من وحدة واحدة، أو وحدتين. ثم الأمثل الشعبية المسجوعة والموقعة. ومن خلال هذا الإحصاء، وجد أن عدد الأمثل المرسلة غير المسجوعة اثنان وأربعون مثلا. 190/42 بنسبة: 22.10% ومنها: الزوج ستة- البنات اعمارة الدار- اللي اعطى بنتو ينسى ارقادها- الله يستر الرجال اللي سترو اعيوب النساء .

وبعملية حسابية بسيطة نستنتج أن عدد الأمثل الموقعة أو المسجوعة هو 148 . 190/148 . بنسبة: 77.89% وهي نسبة عالية ، تمثل الأمثلة الباقية.

وهناك الأمثل المركبة من لفظين، ولكنها موقعة ، مثل: الخطاب رطاب . الضرة مرّة . ولكنها قليلة. « والمبدع الشعبي يعرف أن كل تباعد بين عدد ألفاظ وحدتين مقابلتين داخل نص مثل واحد، يُعَسِّر روایته ويعرقل سيرورته. يضاف إلى ذلك القطع الصوتي أو النشاز الذي يشوش على الإيقاع المنسجم، فيُضَيئِّن من جماليته، ويصبح أسلوبه بعيداً عن تقاليد البلاغة العربية في أصالتها ورصانتها»⁽²⁾.

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 139.

⁽²⁾ - عبد المالك مرتاض ، الأمثل الشعبية الجزائرية، ص 141.

التشاكل الإيقاعي والدلالي:

ولنأخذ المثل: «**اللي اسخف على ابرة اسخف على بقرة**»⁽¹⁾.

| التشاكل الدلالي | التشاكل الإيقاعي | المثل |
|-----------------------------------|--------------------------------|-------------------------------------|
| سرقة شيء صغير تماثل سرقة شيء كبير | اسخف على + رة اسخف على + رة | اللي اسخف على ابرة اسخف على بقرة |
| | | |

وأثناء الأداء تنطق الناء المربوطة هاء عند الوقف في نهاية كل مقطع.

و التكرار إما أن يكون كليا لجميع أصوات الكلمة، وإما أن يكون جزئيا لبعض الأصوات منها؛ كما يظهر في الأمثال⁽²⁾ المختارة في الجدول الموالي:

| الطبق أو المقابلة | النكرار الجزئي أو السجع | النكرار الكلي لأصوات الكلمة | المثل |
|----------------------------|-------------------------------|-----------------------------|--------------------------------------------------|
| | بين الشافي والباقي: (افي) | | 1-اخدم آ الشافي للباقي |
| يموت / يبقى | بين النفاق والرزاق (اق) | | 2- يموت النفاق ويبقى الرزاق |
| طاق / طاق | | طاق + طاق | 3- طاق على من طاق |
| | بين الجار و الدار (ال + ار) | | 4- الجار قبل الدار |
| تل / صحراء الكسرة / الوسزة | بين الكسرة والوسزة (سرة) | ماك + ماك فيك + فيك | 5-ماك تَلْ فيك الكسرة، ماك صحراء فيك الوَسْزة |
| | بين هيب وعيب (يّب) | | 6-هِيبْ لا ثُعِيبْ |
| تمد / تشند | بين تمد وتشد(ت + د) | اللي + اللي | 7- اليه اللي تمد خير من اللي تشند |

ومعنى الأمثال السابقة هي:

⁽¹⁾ - سعدي محمد، التشاكل الإيقاعي في نص المثل الشعبي الجزائري، ص33.

⁽²⁾ - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ص-ص (9-23-56-65-82-102).

المثل:1- اعمل أيها الشقي من أجل من سوف يبقى حيا بعد وفاته. و يُضرب في من يعاني الكثير من المتاعب لجمع الثروة دون أن ينتفع بها لبخله، ناسياً أن هناك من ينتفع بها بعد موته دون أن يشقى. وفيه ذم للبخل ودعوة للإنفاق دون إسراف.

المثل:2- يموت المنافق على الشخص، ويبقى رازقه وهو الله عز وجل. وهذا القول بمثابة عزاء لمن توفي أبوه أو الوصي عليه. وفيه دعوة للصبر وللرضا بقضاء الله.

المثل:3- قوي هذا وقوى غيره عليه، يقال في شأن عراك ضارٍ لا يرحم فيه أحد وهو عبارة عن قانون الغاب، الحق للأقوى، لا مبادئ ولا قوانين تحترم. وفحواه استكثار للحالة التي يصفها.

المثل:4- للعرب اهتمام كبير بالجيرة، والمحيط إلى درجة أنهم يمتنعون عن امتلاك بيت إذا كان المكان الذي يقع فيه غير مناسب، وفيه حث على احترام الجار ومساعدته.

المثل:5- لست تلا (منطقة الشمال الخصبة) فيك الكسرة (يعني القمح) ولست صحراء فيك الغنم. يستعمل هذا المثل للتعبير عن الاستخفاف الكبير الذي يبديه الإنسان تجاه الشخص الذي لا ترجى منه أي فائدة لصالح رفيقه. وفيه حث على مساعدة الغير.

المثل:6- كمن يرفع العصا ليشير بها أو يهدد، أو يهش، دون أن يستعملها في الضرب كي لا يحدث عيباً أو عطباً في المضروب. فهذا المثل كالوصية للوالدين أو المربيين الذين يبالغون في العقاب كالضرب المبرح، والمجازاة الشديدة بصفة عامة. وفيه حث على التربية بكيفية رحيمة.

المثل:7- لأن الإنسان الذي يأخذ دون أن يعطي، يكون لا محالة مدينا لغيره. وهذا يتنافي مع عزة النفس. وفيه حث على العمل من أجل الكسب، ثم التصدق على الغير.

تحليل بنوي صوتي دلالي لنماذج من الأمثلة الشعبية:

من المعروف أن الأداء الصوتي له تأثير قوي على التعلق بالأمثال، حفظاً وترديداً واستماعاً. عبر عنه ابن جنّي في (باب الرد على العرب عن اياتها بالألفاظ وإغفالها المعاني) أنه قال: «.. ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعاً لذٰل سامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديراً باستعماله، ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس به، ولا أنقذت لمستمعه، وإذا كان كذلك، لم تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له، وجيء به من

أجله..»⁽¹⁾. فابن جنّي يشير إلى البعد النفسي في العلاقة بين المثل والسجع، إذ أن النفس تميل إلى المثل المسجوع فتحفظه، وتتاذذ بإيقاعه، ومن ثم فإن حفظه مداعاة لاستدعائه، واستعماله في مناسبة ما، ولو لا السجع ما تحقق اللذة، ولا حصل الأنس، وما كان هناك حافز لحفظ المثل واستعماله. وفي تحليل الأمثلة الآتية، يتضح أثر السجع والإيقاع الناتج عن تكرار الأصوات.

المثل: 1- «احسبها كرمة وفيها الكرموس ووجدها كرمة وفيها الناموس». ويقال: وجدها ذكارة وفيها الناموس؛ لأن كرم التين فيه المؤنث، وفيه المذكر الذي يتکاثر عليه الناموس. بنية هذا المثل متماسكة مؤتلفة، لدرجة أنه يمكن ضم كل لفظ إلى نظيره، مع وجود كل منها في جملة.

فـ "احسبها" لفظ يوازي "ووجدها".

و "كرمة" لفظ يجانس "كرمة".

و "فيها" لفظ يجانس "فيها".

و "الكرموس" لفظ يوازي أو يوازن "الناموس".

فالتقنية المعتمدة في هذا المثل واضحة ، فهي تعتمد على:

- التكرار الذي قام على تردید لفظتين اثنتين مرتبين بنسبة 50%.

- التمايز اللفظي: حيث أن الألفاظ في المثل تقوم على تشكييلتين:

تشكيلة: (احسبها + ووجدها) ؛ وهي ذات طبقة بنوية واحدة.

تشكيلة: (الكرموس + الناموس)؛ وهي أيضا ذات طبقة بنوية واحدة، مما يعطينا تفسيرا آخر للمعادلة التي يقترحها عبد المالك مرتاض⁽²⁾ في هذه الفقرة.

فهناك ثمانية ألفاظ في المثل موزعة بالتساوي على جملتين اثنتين؛ بينما نجد أربع بنى فقط، بحيث شكل كل لفظ مع صنوه في الجملة، وحدة بنوية جعلته ينتمي إلى أسرته إما بالتكرار الصريح، وإما بـالحاقه عن طريق الملاعنة البنوية. والجدول الذي أورده الكاتب يوضح نسبة التكرار التي بلغت في المثل 76.19% وهي ذات دلالة كبيرة.

⁽¹⁾ - ابن جيّ، أبو الفتح عثمان بن جيّ، الخصائص، تحقيق الشريبي شريدة، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة، 2007م، ج 1، ص 276.

⁽²⁾ - عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 132-134.

الفصل الرابع: دراسة أسلوبية دلالية على المثل الشعبي:

| | | | |
|-------------------|------------|--------------|-------------------|
| الكرموس، (ال+موس) | كرمة وفيها | احسبها، (ها) | الثانية |
| الناموس، (ال+موس) | كرمة وفيها | ووجدها، (ها) | |
| %71.45 | %100 | %33.33 | نسبة التكرار فيما |

وبالتقنية نفسها يمكن تحليل الأمثال الآتية:

فالمثل: 1 - «اللي يبكيّني يبكيّني حي، اللي يُشبعني يُشبعني شيء»⁽¹⁾.

معناه، من يرد أن يبكيّني فليبكيّني وأنا حي، ومن يرد أن يطعمني فليطعموني شواء. و يضرب في من يريد أن يقدم خدمة، فعليه أن يقدمها في الوقت المناسب وبالطريقة اللائقة. ومن الناحية البنائية، يتربّك المثل السابق من جملتين اسميتين، عدد الأفاظهما ثمانية، موزعة بالتساوي على الجملتين في كل جملة أربعة أفاظ. وعدد البني فيها أربعة هي: (اللي - يبكيّني - يُشبعني - حي / شيء) (ونسبة التكرار حسب الجدول أدناه تفوق 87 في المائة).

| المثل | الكلمة لأصوات الكلمة | التكرارجزي |
|-----------------------------------------------------|-------------------------------------------------------|--------------|
| اللي يبكيّني يبكيّني حي اللي يُشبعني يُشبعني شيء | الي + اللي - يبكيّني + يبكيّني - يُشبعني + يُشبعني | حي + شيء (ي) |

تبّأ كل واحدة منها بالاسم الموصول الذي (ينطق في العامية: اللي⁽²⁾)، وصلته في الجملة الأولى: يبكيّني، تتكرر لتؤدي وظيفة الخبر. وكذلك الحال مع الجملة الثانية، حيث تتكرر الصلة - يُشبعني - لتؤدي الوظيفة نفسها. و الفعلان المكرران يتضمنان معنى الطلب - لام الأمر محذوفة، فليبكيّني، فليُشبعني -

و من الناحية الدلالية، تتضمن لفظة البكاء: العطف والرحمة والحنان، وهي معاني نفسية، تظهر في المعاملات من خلال الجملة الثانية: اللي يُشبعني يُشبعني شيء. والتكرار بالفعلين ليس الغاية منه تقوية جانب الخطاب في نص المثل فقط، وإنما مبعثه نفسي ومؤشره الأسلوبية دليل على أن هناك حاجات تحتاج إلى إشباع؛ فيتم التركيز على كلمة

⁽¹⁾ - قادة بوتلن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 86.

⁽²⁾ - مادن سهام، دراسة تركيبية للعامية الجزائرية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط 1، الأبيار، الجزائر، 2011م، ص 79. تقول الكاتبة: ولقد تبين لنا من خلال تحليلنا للمدونة أن العامية لا تملك إلا اسمًا موصولاً واحداً وهو "اللي" المستعمل في كل الحالات للمذكر والمذكر والمعنى والجمع.

بعينها. و استعمال الفعل يدل على الحركة و التغيير لأن الحدث فيه مرتبط بزمن، بعكس المصدر، وفي الفعلين المكررين -ييكيني، ييكيني- مقابلة ضمنية؛ لاقترانهما بالموت والحياة، فالتعبير بالبكاء يكون على الميت، لكن المثل يريده على الحي. وكذلك الحال مع الفعل -يشبني- لا يريد الشعب بأي شيء، إنما يريد الشعب بالشئ -واللحم المشوي أهم مأكول يقدم للضيوف- فهو يريد تغيير الفكرة السائدة، والانتقال من حال إلى حال. يعبر عنها المثل: «**لَمْحَبَّةِ بَحَافِ الضَّرُوسِ، مَا شِي بِحَبِ الرَّؤُوسِ**⁽¹⁾». حك الضروس كنایة عن الأكل. وإسناد الفعلين إلى الغائب، جعلهما يؤديان وظيفة إخبارية، وقلصا دور الذات في النسيج اللغوي، غير أن وقوع الأفعال الأربع على المفعول به (باء) المتلكل أمد المثل بشحنة انفعالية، فصار المثل يحمل قيمة خلقية اجتماعية عامة؛ و يتضمن إلحاها على أداء الفعلين بالكيفية المناسبة؛ لما في ذلك من تمتين العلاقات الاجتماعية.

ومن الناحية الصوتية، فهو قد شكل إيقاعا جليا خصوصا أن اللفظتين متجاورتان ولعل انتهاء الألفاظ المكررة في جملتي المثل بباء المتلكل، و اختتام الجملتين بباء ساكنة أي بسجع، خلق توافقا صوتيا، جعل الإيقاع واضحا، والأسلوب متسقا؛ مما يسهم في جذب انتباه المتلقي للمثل، كما أن محتوى المثل يتميز بالانسجام؛ لأنه يحيل إلى خلفية ثقافية تتمثل في تشابهه مع المثل: «**كَيْ كَانْ حَيْ شَاهِي تَمَرَّة، وَ كَيْ مَاتْ عَلْفُو لُو عَرْجَوْنَ**⁽²⁾». أي عندما كان حيا لم يجد من يساعدة ولو بتمرة واحدة، وعندما مات، وصار في غير حاجة إلى المساعدة، أتوه بعرجون تمر. و هذا الانسجام يعين على فهم أبعاد التجربة التي يتضمنها المثل؛ كما يساعد على حفظه وذريوعه بسبب استعماله في المواقف المناسبة.

المثل: 2- **دَسَّيْ زَينَكْ لَا يَنْشَافْ، دَسَّيْ شَينَكْ لَا يَنْعَافْ**⁽³⁾.

ينصح هذا المثل المرأة بأن تخفي جمالها وزينتها عن الناس، كما عليها أن تخفي عيوبها أيضا كي لا يعافها الناس.

⁽¹⁾ -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص.48.

⁽²⁾ - الذكرة الشعبية في منطقة بوسعدة.

⁽³⁾ - رابح خالوسي،موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص.786.

وبملاحظة بنية المثل نجده يتكون من جملتين فعليتين أفالاظهما ستة، موزعة على الجملتين بالتساوي، وبنية المثل متماضكة متوافقة، إلى درجة أنه يمكن ضم كل لفظ إلى نظيره، مع وجود كل منها في جملة، ولو قمنا بتغيير الترتيب النحوي لأحد مكونات الجملتين، فإن المعنى لا يتغير إلا من حيث الاهتمام بالمتقدم، فلو قلنا: زينك دسي لا ينشاف، شينك دسي لا ينعااف. فإن الدلالة العامة لا تتغير.

كما نجد في هذا المثل أن كل لفظ يشكل مع ما يماثله أو يجانسه أو يقابلها، وحدة بنوية، جعلته ينتمي إلى أسرته. إما بالتكرار الصريح، أو بإلحاقه عن طريق الملاعمة البنوية. حيث:

دسي - لفظ يجانس - دسي.

زينك - لفظ يوازي ويوازن ويقابل - شينك.

لا ينشاف - يوازي ويوازن - لا ينعااف.

ونسبة التكرار في هذا المثل تظهر في الجدول الموالي:

| | | | |
|-----------|-------------|------|-------------------|
| الثنائيان | | | |
| دسي | زينك، (ينك) | دسي | |
| دسي | شينك، (ينك) | دسي | |
| %83,33 | %75 | %100 | نسبة التكرار فيما |

وبجمع النسب نجد أن التكرار بلغ 86,11 في المائة. وهي نسبة عالية.

ومن الناحية الدلالية فالتكرار ليس الهدف منه إرضاء فلسفة بنوية لا تعدوه فحسب؛ ولكن للتأكيد على دلالة المكرر. فكلمة دسي مثلاً، هي فعل أمر مسند للمخاطبة وظيفتها وعظية، ودسي معناها استري أو أخفي، ولكن المخيال الشعبي اختار دسي إمعاناً في الستر لأن دلالة الدس أقوى من الإخفاء، فهو مربوط بالدس تحت التراب كما جاء في القرآن الكريم في شأن الموعودة، : ﴿.. أيمسكه على هون أم يدسه في التراب..﴾⁽¹⁾.

ولفظة "لا ينشاف" تقابل لفظة "لا ينعااف" لا من حيث المعنى المعجمي؛ ولكن من حيث المعنى الانزياحي، المعنى الدلالي المستخرج بعد نظر، فكلمة ينشاف، هي صيغة

⁽¹⁾- سورة النحل، آية 59.

مطاوعة من الفعل شاف(شاهد أو رأى)، أي أن زينك ينكشف للغير، وهذا يجعل من يشوف أو يرى الذين يقبل عليه بطريقة شرعية أو غير شرعية، وهي المقصودة. وكلمة: ينعاف، هي أيضا صيغة مطاوعة للفعل عاف. أي تجعل الناظر إليه ينفر منه ويبعد عنه؛ فدالة اللفظين: "إقبال وإدبار"، وهذه هي المقابلة بالتضاد. والدلالة العامة للمثل، أنه يوجه المرأة إلى الستر والتحجب في كل حالاتها.

وهذه المقابلة- بالإضافة إلى التوازن- تمتاز بعلاقات ترصيعية، علاقات كمية: تناظر وحدات زمنية، وتمتاز بعلاقات تجنيسية، وهي علاقات تلوينية، ومن هنا يتكامل الجانبان عند التقائهما.

وألفاظ المثل منتقاة ، فلا يمكن أن تستبدل لفظة بأخرى دون أن يختل النظام الصوتي، أو دون أن تتأثر الدلالة. فلو قلنا: دسي جمالك ، فهي لا توازن شيئاً. كما أن زينك أقل أصواتاً من جمالك ، وزينك أشرف منها دلالة. وفي القرآن:

﴿... ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها...﴾⁽¹⁾.

ففي القرآن «الزينة» ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب «ونذكر الزينة دون مواضعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر؛ لأن هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها، إلا لمن ذكروا في القرآن»⁽²⁾.

والزينة: لفظة مكثفة ، فهي تطلق على كل ما يزيّن الإنسان. ففي العامية تتطرق بفتح الزي، وسكون اليماء وفتح النون، و تدل على الجمال الطبيعي للمرأة، وعلى ما تزين به من حلي أو أصياغ أو لباس. كما أنها تدل على الصفات الخلقية الحسنة، و السلوكيات الحميدة التي يتصف بها الرجل أو المرأة. وتقابليها لفظة شيئاً في الدلالات المذكورة .

ولو عدنا إلى لفظة: "دسي" فإنها أيضاً منتقاة لا يمكن أن تعوضها كلمة أخرى وتعطي المعنى نفسه ، فدسي، أشرف من خبئي، أو أخفى، لقوله تعالى: ﴿إِذَا بَشَرَ أَحَدَهُمْ بِالأنثىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مَسُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءٍ مَا بَشَرَ بِهِ أَيْمَسَكَهُ عَلَىٰ﴾

⁽¹⁾ - سورة النور، آية 31.

⁽²⁾ - الرمخشري، الكشاف، م3، ص61.

هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون⁽¹⁾. فالدس أشد إخفاء لأنّه يتعلّق بالإخفاء تحت التراب، فاختيار المبدع الشعبي هذه الكلمة، يدل على شدة إمعانه في طلب الستر، وقد يكون هناك تعاّلٌ نصي بين المثل والآية مقومه خوف العار.

ولو عدنا إلى المثل: «دسي زينك لا ينشاف ، دسي شينك لا ينعاّف». من الناحية الصوتية، لوجدنا عند قراءته وتريديده عدّة مرات، أن الفنان الشعبي قصد التأثير في نفس المتلقي بواسطة نظام صوتي عجيب؛ بحيث يمكن لمنشدين أن ينشد الأول منهما وحده من المثل: (دسي زينك لا ينشاف) . والثاني الوحدة الثانية: (دسي شينك لا ينعاّف). دون أن يختل الأداء أو يتكسر الحن الشعري.

وهذا الإيقاع الصوتي لا يتصل بنهاية كل جملة (وحدة) فحسب، وإنما ينصب على سائر الألفاظ في الجملتين. بحيث أن كل لفظ في الجملة الأولى، يتحكم في لفظ يقابلها في الجملة الثانية لا من حيث البنية فقط، وإنما من حيث الخصائص الصوتية نفسها.

ومما يلاحظ أن الألفاظ ستة، و البني أو القوالب ثلاثة- أما الدلالة فهي متغيرة تمثل خمسة من ستة- ولو طبقنا الميزان الصرفي المعهود به في اللغة العربية، لكان كالتالي- في الجملتين- (فعلٍ فَعْلَكَ لَا ينفع)، (فعلٍ فَعْلَكَ لَا ينفع).

- إذا راعينا الأصل الثلاثي لهذه الألفاظ- (دسي، دس، دس)- (ينشاف، شاف، يشوف) وبإضافة إلى القالب الصوتي المذكور في الميزان الصرفي، فإن الصوت نراه متحكما في الأسلوب أكثر من ذلك، بحيث لم يرض بالقالب العام، بل انصب على المجانسة الصوتية المطلقة في لفظة: (دسي) ، والمجانسة النسبية في باقي الألفاظ: (زينك وشينك) ، (لا ينشاف ولا ينعاّف) ، ولما قمت بإحصاء التكرار الصوتي، وجدت أن أصوات الجملة الأولى المركبة من ثلاثة ألفاظ مكررة في الجملة الثانية، ما عدا صوتين في الجملة الأولى لا يجansان صوتين في الجملة الثانية، وهما (الزاي والشين) في الأولى، و (الشين والعين) في الثانية. وقد وجدت - عند دراسة هذا المثل بنبيويا- أن نسبة تكرار الأصوات بلغت فيه

⁽¹⁾ - سورة النحل، آية 58-59.

86.11% ، وهذه النسبة كبيرة جداً، جعلت أسلوب هذا المثل يرتفع إلى مستوى صوتي يقارب الشعر نفسه في مفهومه التقليدي أي "الكلام الموزون المقفى".

وبدت عبرية المبدع الشعبي في أسلوب هذا المثل، في الملاعنة الرائعة بين الألفاظ التي رصّها داخل كل وحدة. في نظام كلامي صوتي بديع، دون أن يكون هناك حشو أو لغو، دون أن يكون هناك ركاكة أو إسفاف.

هذه الروعة استمدّها المثل من الموازنة المسجوعة المرصّعة، في كل لفظتين متاظرتين في وحدتي المثل.

ولشدة الانسجام و الملاعنة بين الألفاظ المركبة لوحدتي المثل؛ أنه يمكن تحويل عناصر الجملة، بتقديم المفعول به في الجملتين، فنقول: زينك دسي لا ينساف، وشينك دسي لا ينعوا. وهذا التغيير لا يختلف به النظام الصوتي ولا النظام الدلالي.

وقد يرفع من المستوى الجمالي لأسلوب هذا المثل، أنه ليس قاعدة لأصوات تتردد دون معنى. وإنما للصوت دلالة، فهو يجمع بين جمال الصوت وشرف الدلالة. وانظر صوت (السين) في لفظة: دسي. التي تدل على الإخفاء؛ وأن هذا الدس يتم في خفاء فالكلمة تنتهي بسين ممدودة، والسين صوت مهموس، فكانه يعظ بصوت خافت لا يسمعه غير المعنى بالوعظ - كأنه يهمس في أذنها - فمعنى الستر الشديد، جاء بطريقتين: الدلالة المعجمية للفظ، والدلالة الصوتية للسين المهموسة.

إذاً فكل لفظ له وظيفتان: وظيفة صوتية، ووظيفة دلالية. بالإضافة إلى الوظيفة البنوية. فمثلاً، لفظة: "زينك" تقابل لفظة: "شينك"، مقابلة صوتية: لها الوزن نفسه - فعلك - مع تكرار (ينك)؛ أي بسجع مسكون الحرف الأخير في التعبير الشفوي؛ مما جعل الإيقاع واضحاً. واللقطان يتقابلان مقابلة معنوية، مقابلة التضاد. والمقابلة من المحسنات اللفظية بالإضافة إلى القيمة الإلهامية.

وقد يتضمن معنى المثل السابق : إخفاء الزين (الجمال) بسبب الخوف من العين. وإخفاء الشين (القبح) بسبب الخوف من الفضيحة.

وهذا المعنى الأخير، نجده صريحاً ومباشراً في مثل آخر، موجه إلى الرجل في صيغته الظاهرة.

المثل 3:- «إذا كنت زين، استر روحك من العين. وإذا كنت شين، استر روحك من الفضائح»⁽¹⁾.

ويملاحظة بنية هذا المثل يطالعنا أسلوبه الشرطي، المكون من جملتين شرطيتين، يربط بينهما الواو، وكل جملة تتكون من جملتين: جملة الشرط، وجملة جواب الشرط تربط بينهما -إذا⁽²⁾- الظرفية الشرطية- التي تتطق في بعض الأحيان: (إلى)، مثل: «إلى أعطاك العاطي ما تشقي ما تباطي»⁽³⁾. وبهذا فبنية المثل متماسكة مؤتلة. كما نجد في هذا المثل كل لفظ يشكل مع ما يماثله أو يجانسه أو يقابلها وحدة بنوية جعلته ينتمي إلى أسرته بواسطة التكرار الصريح الكلي أو النسبي.

فاللألفاظ المتتجانسة في جملتي المثل هي: (إذا- كنت- استر- روحك- من-) مجانية تامة. أما المجانية النسبية والموازنة، فنجدتها في (زين- شين). أما اللفظان الباقيان: (العين، الفضائح) فيختلفان في الشكل ويتفقان في الضرر. ونسبة التكرار في هذا المثل تظهر في الجدول أدناه:

| العين | من | روحك | ستر | زين | كنت | إذا | الثانية |
|---------|------|------|------|--------|------|------|---------------------|
| الفضائح | من | روحك | ستر | شين | كنت | إذا | |
| %20 | %100 | %100 | %100 | %66,66 | %100 | %100 | نسبة التكرار بينهما |

وبجمع النسب نجد أن التكرار بلغ 83,80% ، وهي نسبة كبيرة، تضاهي نسبة التكرار في المثل السابق.

ومن الناحية الدلالية، لا يختلف هذا المثل عن سابقه إلا من حيث السياق، أو المقام؛ فهو موجه إلى الرجل، إذا توفرت فيه شروط الجمال أو شروط القبح، ليس الجمال جمال الشكل الطبيعي؛ لأنه لا يمكن أن يستتر. إنما المقصود، الجمال المكتسب، وجمال الكسب الذي يمكن أن يُحسد عليه فيصاب بالعين. وكذلك القبح ليس المقصود به قبح الخلق؛ إنما المقصود قبح الصفات والسلوك السيئ الذي يعاب به ويقتضح. ولضرورة الستر في هذا

⁽¹⁾ عدلاوي علي بن عبد العزيز، الأمثال الشعبية ضوابط وأصول، ص.58.

⁽²⁾ مادن سهام، دراسة تركيبية للعامية الجزائرية ، ص108. تقول: ومن الملاحظ أن جملة جواب الشرط غير الجازم قد تفترن باللام أو الفاء، وقد لا تفترن، وكل الجمل الشرطية في عاميتها لم تفترن بفاء أو بلام.

⁽³⁾ - الذاكرة الشعبية منطقية بوعادة.

المجال كُرّر فعل الأمر (استر) ذو الدلالة الوعظية لخطورة ما يترتب على عدم الستر. و المخيال الشعبي اختار في توجيهه الرجل، الفعل: استر، المنتهي بالراء، وهي صوت مجهور مكرر. فكأنه يجهر بالنصيحة ويلح عليها، بتكرار اللفظ وتكرار الصوت؛ ليسمعها المعنى بها وغيره. أما في توجيهه المرأة، فقد اختار الهمس بالنصيحة، اختار الفعل دسي المنتهي بالسين قبل ياء المخاطبة وهو صوت مهموس ناسب المقام، مقام توجيه المرأة للإخفاء في خفاء.

ولكي ترسخ القيمة الخلقيّة التي يحملها هذا المثل في أذهان الناس، بثّها بأسلوب التكرار والإيقاع. الإيقاع الناتج عن تكرار الألفاظ، وتكرار الأصوات -السجع- في آخر الجمل الثلاث الأولى: الياء والنون (ز - ين / ع - ين / ش - ين). - وهو ما يسمى بالتسميط في الشعر، وهو أن يصيّر الشاعر البيت أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد - والوقوف على سكون النون، جذب انتباه السامع فردهه وحفظه.

والقيمة الخلقيّة هي عين ما يدعو إليه الدين الإسلامي الحنيف، من وجوب الحذر من الثرثرة بالنعم، وإظهار ما تفضل به الله على عبده من آلاء و خيرات، بطريقة تثير الآخرين؛ لأن ذلك مجيبة لحسدهم، وشر عيونهم. والعين حق كما ورد في تفسير آية ﴿وَمَنْ شَرِحَ إِذَا حَسِدَ﴾⁽¹⁾. أي نظرة العين. جاء في تفسير الألوسي: «.. ورب حاسد يؤذى بنظره عين حسد نحه ما يؤذى بعض الحيات بنظرهن، وذكروا أن العائن والحسد يشتركان في أن كلاً منهما تتكيف نفسه، وتتوجه نحو من تزيد أذاه، إلا أن العائن تتكيف نفسه عند مقابلة العين والمعاينة، والحسد يحصل حسد في الغيبة والحضور، وأيضاً العائن قد يصيب من لا يحسده من حيوان وزرع وإن كان لا ينفك من حسد صاحبه..»⁽²⁾. وفي تفسير الطبرى «.. أَنْ يَسْتَعِذَ مِنْ شَرِ عَيْنِهِ وَحَسَدِهِ»⁽³⁾.

⁽¹⁾ - سورة الفلق، آية 5.

⁽²⁾ - الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د/ط، بيروت، 1414هـ، 1994م، ج 16، ص 29، 507.

⁽³⁾ - الطبرى، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1415هـ 1994م، ج 7، ص 585.

وفي السنة، عن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُعوّذ الحسن والحسين يقول: «أعوذكم بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة و من كل عين لامّة»⁽¹⁾.

وهامّة: بالتشديد واحدة الهوام، ذوات السموم، وقيل كل ما له سم يقتل. وعين لامّة: هي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء.

ويتضح مما جاء في تفسير الآية الكريمة، وشرح الحديث الشريف، اعتماد المثل المذكور على خلقيّة ثقافية إسلامية فيما يتعلق بإصابة عين الحاسد المحسود بمجرد النظر إليه.

أمّا الشطر الثاني من المثل، ففيه تحذير من المجاهرة بالسوء، والمكابرة بفعل المنكرات؛ لئلا يفتضح صاحبها، ويصير حديث الخاص والعام.

ومما يلاحظ أن سورة الفلق احتوت على التكرار والإيقاع، تكرار لفظ: (شر) ثلات مرات. إطناـب للتبـيه على قبح وشـناعة هذه الصـفات، وهو تـكرار خـاص بعد عـام (من شـر ما خـلق)⁽²⁾. والتـوقـيع من خـلال التـتوـيع والتـكرـار فيـ الفـواـصل، بالـحـرف (الـقـافـ) فيـ نـهاـيةـ الآـيـةـ الـأـوـلـىـ وـالـثـانـيـةـ، وبالـحـرف (الـدـالـ) فيـ نـهاـيةـ الآـيـةـ الـرـابـعـةـ وـالـخـامـسـةـ. وهيـ فـواـصلـ مـتـمـاثـلـةـ فيـ حـرـفـ الرـوـيـ. وـيـبـرـزـ الإـيقـاعـ أـكـثـرـ عـنـ التـزـامـ الـوـقـفـ، الـوـقـفـ عـلـىـ السـكـونـ. وـهـذـاـ لـهـ فـوـائـدـ عـدـيدـةـ، مـنـهـاـ: اـسـتـراـحةـ الـقـارـيـ، وـتـدـبـرـ لـمـاـ يـقـرـأـ، وـكـذـلـكـ إـفـهـامـ السـامـعـ⁽³⁾.

وـ الفـاـصـلـةـ فيـ عـلـمـ الـقـرـآنـ تعـنيـ أـوـاـخـرـ الـآـيـاتـ فيـ كـتـابـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، وـهـيـ بـمـنـزـلـةـ قـوـافـيـ الـشـعـرـ؛ كـمـ ذـكـرـ السـيـوطـيـ: «ـ الفـاـصـلـةـ: كـلـمـةـ آـخـرـ الـآـيـةـ، كـفـافـيـ الـشـعـرـ، وـقـرـيـنـةـ السـجـعـ.. وـقـالـ الـقـاضـيـ أـبـوـ بـكـرـ: الـفـاـصـلـ حـرـوفـ مـتـشـاكـلـةـ فيـ الـمـقـاطـعـ يـقـعـ بـهـاـ إـفـهـامـ الـمعـانـيـ... [وـيـكـرـرـ الـمعـنـىـ فيـ مـوـضـعـ آـخـرـ]ـ فـيـقـولـ: .. فـاـصـلـةـ الـآـيـةـ كـقـرـيـنـةـ السـجـعـةـ فيـ النـثـرـ، وـقـافـيـةـ الـبـيـتـ فيـ الـشـعـرـ»⁽⁴⁾. وـفـيـ شـرـحـ الـآـيـتـيـنـ: «ـ كـتـابـ فـصـلـنـاـهـ...»ـ. «ـ آـيـاتـ

⁽¹⁾ - الزحيلي وهبة، التفسير المثير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 30، ص 476.

⁽²⁾ - المرجع السابق، ص 476.

⁽³⁾ - ابن الجوزي، أبو الحسن محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، د/ط، بيروت، لبنان، د/ت، ج 1، ص 224.

⁽⁴⁾ - السيوطي ، الإنegan في علوم القرآن، ج 3، ص 290.

مفصلات...»⁽¹⁾. يقول ابن منظور: « وكتاب فصلناه له معنیان: أحدهما تفصیل آياته بالفواصل. و المعنی الثاني: بیناه »⁽²⁾. ويقول: « وهي بمنزلة القوافي في الشعر»⁽³⁾ أي الفواصل.

وكذلك الحديث الشريف جاء أسلوبه محتويا على أصوات مكررة، (الألف، الميم، التاء المربوطة) أحدث إيقاعا داخليا مؤثرا في نفس المتلقى.

وهكذا لاحظنا أن التكرار والإيقاع الصوتي الذي جاء في أرقى أساليب اللغة العربية- القرآن الكريم، والحديث النبوی الشريف- جاء أيضا في الأمثال الشعبية الجزائرية التي تنتهي إلى التراث العربي. « ولقد ارتبطت وظيفته أكثر فأكثر بالجانب الدلالي؛ لأن الإيقاع يجاوز وظيفته الجمالية الخالصة إلى وظيفة أخرى أعمق غورا، وأبعد مدى، وهي الوظيفة الدلالية التي تجعل الإيقاع مجرد وسيلة لدعایة شعرية باردة فارغة»⁽⁴⁾.

خلاصة:

تطرقنا في هذا الفصل إلى أسلوب الأمثال الشعبية، ووجدنا أنها قدّمت في أسلوب جذب مؤثّر. حيث:

- أن الأمثال تسجيل قولي قصير يلخص مآثر الإنسان ومواعظه.
- أن المثل يمتاز بجمله القصيرة التي أتاحت له الفهم و السيرورة.
- أن جمل الأمثال يغلب عليها التركيب الاسمي الملائم لتسجيل الحكم ودومها.
- أن الأمثال الشعبية جاءت بأساليب إنشائية طلبية مختلفة؛ للتأثير في نفوس السامعين وشدّ انتباهم المتنقين. كما أن الأسلوب الخبري واضح في تركيبها الاسمي خاصة.
- أن الأمثال الشعبية الجزائرية تقترب كثيراً من اللغة الفصحى، مع احتفاظ علامات الإعراب أحياناً. وكل مثل له معنى ظاهر مباشر، ومعنى آخر يفهم من السياق أو المقام.
- أن ألفاظ المثل مختارة؛ غير أنها قد تتغير في الشكل عبر الزمن وتبعاً للبيئة، مع حافظتها على المحتوى الذي يبقى متشابهاً بين الشعوب التي تستعملها.

⁽¹⁾ - سورة الأعراف، آية 51. والآية 132.

⁽²⁾ - ابن منظور، لسان العرب، مجلد 11، ص 524.

⁽³⁾ - المصدر السابق، م 11، ص 525.

⁽⁴⁾ - عبد الملك مرتاض، أبي- دراسة سيميائية تفكيرية لقصيدة "أين ليلاي"، لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م، ص 158.

- أن الأمثال تُشبه المعاني المعقوله بالأشياء المحسوسة، ويتبين معناها من خلال المقام الذي قيلت فيه. مما يثير انفعال المتنقي ويجعله يحفظ المثل ويردده في المواقف المناسبة.
- أن الأمثال تعتمد على التكرار، على مستوى المعاجم والتراتيب؛ مما ينشئ التشاكل والتوازن والسجع ، ويحقق الوحدة العضوية في المثل، كما يتحقق تماسك نصه.
- أن تكرار بعض الحروف في الأمثال يعطيها أبعادا إيقاعية تشد السامع إليها.
- أن الأداء الصوتي المنبثق عن تكرار أصوات له تأثير نفسي قوي على التعلق بالأمثال حفظا وترديدا واستمتاعا.
- أن الأمثال تحمل قيم المجتمع وحكمه وتوجيهاته، بل تعطينا فكرة عن الحياة النفسية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة بين الأسلاف، وتشي بمدى انسجامها مع الموروث الثقافي العربي الإسلامي.
- أن هذه الخصائص الأسلوبية ساعدت على حفظ المثل، ونقل هذا التراث، عن طريق الرواية الشفهية قياسا على حفظ القرآن والشعر، وبخاصة في البيئة الأممية. والنماذج المدرروسة في هذا الفصل تؤكد ذلك.

خاتمة

إن انتشار الأمثال الشعبية، وتدالوها بين أفراد المجتمع، وتوظيفها في مختلف مجالات الحياة، وجود مُشابهات لها في ثقافات أمم أخرى، وبلغات شتى، يدل على أهميتها وتأثيرها على العلاقات بين الأفراد والجماعات. وهذا ما حدا بهذه الأطروحة إلى أن تعرف بالأمثال، وتشي بمدى تأثيرها وتأثيرها، وتتبئ عن أسلوبية الأمثال ومميزاتها؛ فالمطلع على فصولها-على الترتيب- يخرج بالنتائج التالية:

ففي تعريفها:

-أن الأمثال جنس أدبي حي، يمتاز بالحماية الذاتية من الاندثار .
-أن الأمثال الشعبية موجودة عند كل الشعوب؛ لأنها تحمل تجارب الأجيال وخبراتهم، وتعبر عن قيمهم واتجاهاتهم؛ ولذلك ركزوها في جمل قصيرة منغمة أحياناً؛ ليسهل حفظها وتدالوها، ونقلها بالمشاهدة من السلف إلى الخلف.

-أن الأمثال تمتاز بكثافة المعنى وإصابة المحرز ، ويتغير شكلها أحياناً حسب البيئة.
-أن المثل الشعبي يعتمد التشبيه والمجاز ، ويأتي غير معرب، و تغلب عليه صيغة الإفراد.
كالمثل: **اللي يحب الزين يصبن لغذابو**. لأنه موجه لشخص غير معين.(فهو يشبه حالة حالة: حالة من يسعى لنيل امرأة جميلة بحالة من يسعى للارتفاع في سلم الحياة الاجتماعية، فكلاهما عليه أن يصبر لما يلاقيه من تعب).

-أن الأمثال الشعبية سواء أكانت موجزة أم قياسية، جاءت في الكتب السماوية، كما هو الحال في الإنجيل وفي القرآن. كما جاءت في الحديث النبوى الشريف.

-أن الأمثال الشعبية في التراث العربي لاقت اهتماماً كبيراً؛ حيث بدأ جمعها منذ القرن الثاني الهجري. فأول كتاب مطبوع، للمفضل محمد بن الضبي (كتاب الأمثال) نحو 170هـ.
والأمثال الشعبية الجزائرية شُرع في جمعها وشرحها منذ بداية القرن العشرين، ومن أوائل الجامعين محمد بن أبي شنب. في كتابه (أمثال المغرب والجزائر).

وفي تأثيرها وتأثيرها:

-أن التأثير والتأثر يمس مختلف عناصر الحياة، وأن الأفراد والمجتمعات يؤثر بعضها في بعضها الآخر بواسطة الاحتكاك، أو بسبب الحاجة أو الإعجاب.
- أن أمثال أية أمة تأثرت بأمثال أمم أخرى، وأثرت في أمثال غيرها عبر الزمان والمكان.

- أن الأمثال الشعبية تأثرت بما جاء في الكتب السماوية، وفي غيرها، وعبرت بها - بلفظها أو معناها - أو أحدثت بعض التغيير على الشكل أو المضمون. كما هو الحال في المثل الذي ذُكر في الإنجيل (العهد الجديد): «فَإِنْ كُنْتَ لَا تَجِدِي مِنَ الشَّوْكِ تِينًا». ففي المثل العربي: «إِنَّكَ لَا تَجِدِي مِنَ الشَّوْكِ العَنْبَ». ويُكاد يكون المثل العربي هو نفسه المثل الإنجيلي، بتغيير اسم الفاكهة فقط. التين / العنبر.

- أن الأمثال الشعبية متشابهة في أغبلها لدى الأمم المختلفة اللغة، بين الشرق والغرب. وهذا التشابه يظهر في المعنى. وأحياناً يظهر في اللفظ والمعنى معاً. كما رأينا في هذه الأطروحة.

- أن التشابه بين الأمثال كان: إما بسبب التأثير والتأثير الناتج عن الاحتكاك المباشر بين الشعوب، واطلاع البعض على ما عند البعض الآخر. أو بفضل تشابه تفكير البشر وخصوصهم في بعض الأحيان للظروف نفسها التي أنتج فيها المثل.

- أن وجود تشابه كبير بين الأمثال العربية، والأمثال الفرنسية أو الإنجليزية... أو غيرهما من اللغات المختلفة، يصعب تحديد المؤثر الأول؛ وذلك أن الأمثال قديمة قدم الكتب السماوية؛ وفي بعض الأحيان يُنشئ الناس أمثلاً مقيسة على ما جاء في الكتب السماوية؛ فالمثلان الشعبيان العربيان، (حتى يشيب الغراب، أو حتى ينور الملح) اللذان يعبران على استحالة حدوث الأمر، نجد أثراًهما الدلالي في الإنجيل وفي القرآن. ففي الإنجيل - مرقس 10/25: (فمرور الجمل في ثقب الإبرة أسهل من دخول الغني إلى ملکوت الله). وفي القرآن قوله تعالى في سورة الأعراف، آية 40: ﴿...وَلَا يَدْخُلُونَ جَنَّةً حَتَّىٰ يَلْجُ الجَمْلُ فِي سَمَاءِ الْخِيَاطِ...﴾. فالتعبير عن استحالة حدوث الأمر، في العبارات الثلاث استعملت فيه عناصر الطبيعة المرئية، الحيوان. للدليل على الاستحالة.

- أن الأمثال الشعبية الجزائرية تمتاز بشكلها الوجيز الموقع، وبمضامونها المتأثر بالتوجيهات الإسلامية والموروث الثقافي العربي؛ كما رأينا من خلال الدراسة التناصية؛ مما جعلها تلقى إقبالاً لدى المتلقين، ورواجاً بين مختلف طبقات المجتمع.

وفي تأثيرها :

- أن الأمثال لأهميتها وظفتها الكتب السماوية، والأحاديث النبوية، في التوجيهات الدينية والخلقية، وذلك بفضل خاصية التصوير التي تمتاز بها، حيث تجسد المعنوي في شكل المحسوس.

- أن الأمثال الشعبية وظفتها كبار الأدباء والخطباء وكتاب الرسائل، والمفكرين والدعاة لتوضيح أفكارهم، وتوصيتها، وتدعمها بالأدلة والحجج قصد إحداث تأثير في المتلقى. نفسيا جماليا، أو أيديولوجيا فكريا.

- أن الأمثال الشعبية لها تأثير قوي على سلوك الأفراد والجماعات، فهي توجه بصفة مباشرة وغير مباشرة؛ بما تحمله من دلالات نفسية واجتماعية. وبما تثيره من عبر وعظات في خلق المتلقين الوارثين حكم الآباء والأجداد، المرتبطة بعواطفهم تجاه البيئة الطبيعية والاجتماعية والدينية، والتاريخية.

- أن الأمثال الشعبية الجزائرية حملت الكثير من قيم المجتمع الجزائري واتجاهاته، وأساليب تعاطيه مع ما يصادفه من عقبات في علاقاته الفردية، أو الجماعية أو القومية.

وفي أسلوبها :

-أن لغة الأمثال الشعبية الجزائرية، تمتاز بغلبة الطابع العربي الفصيح على مفرداتها وترانيمها، مع التخلی عن تطبيق قواعد النحو والصرف أحيانا.

-أن الأمثال الشعبية الجزائرية الموجزة أكثر رواجا من الأمثال القياسية، لسهولة حفظ الأولى لقصرها وتنعيمها، وصعوبة الثانية لطولها وعدم تنعيمها.

-أن جمل الأمثال الشعبية يغلب عليها التركيب الاسمي الملائم لتسجيل الحكم ودوامها.

-تمتاز الأمثال الشعبية بتكرار أصوات في آخر و حداتها؛ مما يعطي الوحدات أبعادا إيقاعية تشد السامع إليها.

-تمتاز الأمثال الشعبية بالتكرار على مستوى المعاجم والتركيب؛ مما ينشئ التشاكل والتوازن والسجع ، ويحقق الوحدة العضوية في المثل، كما يحقق تماسك نصه،

-أن تكرار الفاظ أو عبارات يدل على أهمية المكرر؛ فالتكرار يعد مفتاحا لفهم المضمون.

-أن الأداء الصوتي المنبثق عن تكرار أصوات، له تأثير نفسي قوي على التعلق بالأمثال حفظا وترديدا واستمتاعا،

- أن هذه الخصائص الأسلوبية ساعدت على حفظ المثل، ونقل هذا التراث عن طريق الرواية الشفهية، قياساً على حفظ القرآن، والشعر، وبخاصة في البيئة الأممية.

ـ وللدور الهام الذي يمكن أن تؤديه الأمثال في تحسين السلوك، وفي تمتين العلاقات بين أفراد المجتمع، وللدفع بالناشئة إلى العمل، وأداء الواجب الأسري والمجتمعي والديني والوطني، من الضروري أن توظف في النشاطات المدرسية، وفي النشاطات الترفيهية، عبر كل الوسائل الإعلامية، على أن تتنقى وتهذب، بحيث تكون هادفة إلى التحسين. ولنا عبرة في وجودها في أهم الكتب السماوية، ألا وهو القرآن الكريم.

لعل هذا البحث قد أشار إلى التأثير والتأثير الموجود بين الأمثال الشعبية الجزائرية وغيرها من الأجناس الأدبية، كالأمثال العربية وغير العربية، من خلال النماذج المذكورة. غير أن التحديد الدقيق للأمثال المؤثرة الأولى، يحتاج إلى دراسة أعمق وأطول وأشمل يمكن أن تتم في مراحل لا حقة إن شاء الله.

ملخص الأطروحة

ما يلاحظ أن الكثير من الأمثل الشعبية الجزائرية، تتشابه مع أمثال قيلت بلغات أجنبية. كما أن شكلها أو مضمونها يقترب بحسب متقاوتة من الموروث الثقافي العربي الإسلامي. وعليه تناولت هذه الأطروحة الموسومة بـ: الأمثال الشعبية الجزائرية بين التأثر والتأثير دراسة تناصية دلالية تناولت هذه الظاهرة، وعالجتها عبر مجموعة من الفصول. ففي الفصل الأول: تعريف المثل. وفيه تم التطرق إلى معنى التراث، ومعنى المثل عند اللغويين والأدباء، مع التعريف على مصريه ومورده، وتوضيح الفرق بينه وبين الحكمة، وتحديد أنواعه، ورصد كتب الأمثال القديمة المطبوعة.

والأمثال جنس أدبي هادف لم تخل منه النصوص الدينية، كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكذا الإنجيل، ففي هذه النصوص أمثال متعددة منها الموجزة السائرة، ومنها القياسية، ومنها الكامنة. ولقد جاء في الأطروحة مجموعة من الشواهد.

أما المثل الشعبي الجزائري فلم يختلف كثيراً عن المثل العربي إلا من ناحية عدم احترام القواعد النحوية. تطرق هذا البحث إلى نشأة المثل وخصائصه ومميزاته ودوره، وختم بذكر مصنفات كتب الأمثال الشعبية الجزائرية.

أما الفصل الثاني فقد درس فيه التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية، وبدأ بتعريف التأثر والتأثير مع التطرق إلى تطور العلوم والحضارات من خلله؛ حيث أثرت الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الغربية في مختلف المجالات، ومنها المجال الأدبي. ثم تحول هذا التأثير من الأدب الغربي إلى الأدب العربي، وقدّمت بعض الشواهد لكلا التأثيرين. ولم تتأم الأمثال الشعبية عن هذا التأثير، فقد هيمنت اللغة العربية على مختلف مجالات الحياة الإسبانية في القرون الوسطى، ولا غرو أن تتأثر الأمثال الإسبانية في الشكل وفي المضمون - بالأمثال العربية في الأندلس. وال Shawahed على ذلك موجودة في الأطروحة، كما أن التشابه بين الأمثال، لوحظ بين أمثال عربية وأخرى إنجليزية أو فرنسية والعينات المذكورة دليل عليه.

وأبرزت الدراسة التناصية تأثر الأمثال الشعبية بالموروث الثقافي العربي الإسلامي. حيث عالج البحث معنى النص و التناص عند القدماء والمحدثين، ثم أظهر هذا التناص من خلال الشواهد الكثيرة، في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وكذا في الشعر وفي الأمثال العربية.

وفي الفصل الثالث دارت الدراسة حول تأثير الأمثال الشعبية في مختلف مجالات الحياة. ومنها المجال الأدبي، والشاهد تبين أن الأدباء والخطباء والكتاب قد وظفوا الأمثال في مختلف الأجناس الأدبية كالشعر والرواية، والخطابة والترسل.

أما تأثيرها في المجال النفسي، ففي البحث حديث عن أثر الثقافة في سمات الشخصية، وفيه مظاهر المكونات النفسية التي تظهر من خلال الآليات الداعية النفسية التي تعبر عنها بعض الأمثال الشعبية.

أما تأثيرها في المجال الاجتماعي، فهو غير خاف. فالإنسان اجتماعي بطبيعة و الأخلاق في التراث العربي، عبرت عنها الأمثال الشعبية بالتفير من بعض السلوكيات المضرة، أو بالترغيب في الاتصاف ببعض الصفات الحسنة.

وفي الفصل الرابع: تعلقت الدراسة بأسلوبية الأمثال ودلالتها. فكان التعريف بمصطلح الأسلوب والأسلوبية أولاً، ثم التعرض لأسلوب المثل من حيث الفاظه، ومستواه البنوي والدلالي، وأنواع جمله، وتحليلها في التركيب الثاني، مع التطرق إلى الأسلوب الإنساني في بعض الأمثال، حيث خرج عن غرضه الظاهري إلى دلالات مجازية أخرى، كالتجييه والإرشاد مثلاً. وعنىت الدراسة في جانبها التطبيقي بظاهرة التكرار في الأمثال. ومن خلالها تم شرح مصطلحات الدراسة الصوتية التي وُظفت في دراسة بعض الأمثال صوتياً ودلالياً حيث أبرزت أهمية الإيقاع الصوتي، التكرار، التناقل الإيقاعي والدلالي من خلال تحليل بعض الأمثال.

ومما يستفاد من هذه الدراسة، أن الأمثال جنس أدبي يحمل تجربة أو حكمة ركزت في قول موجز سائر، يعتمد التشبيه والتعميم أحياناً، وهو موجود في ثقافات كل الأمم بالخصوص نفسها، وهو قديم قدم الكتب الدينية، ولذلك فأمثال الأمم تتشابه. إما بسبب سرعة تنقل المثل بينها، وتأثير بعضها في بعضها الآخر عن طريق الاحتكاك، أو بسبب تشابه تفكير الناس؛ لأن النفس البشرية واحدة، مع اختلاف الظروف أحياناً. وعليه يصعب تحديد المؤثر الأول، إلا إذا كان المثل الثاني في لغة، يحمل الألفاظ والمعاني نفسها في لغة أخرى.

الكلمات المفتاحية:

- الأمثال الشعبية الجزائرية- التراث الثقافي - التأثير والتأثير - التشابه بين الأمثال -
- النص و التناص-الأسلوب -أسلوبية الأمثال ودلالتها- التكرار -

Résumé de la thèse

Il est à remarquer qu'un nombre important de proverbes populaires algériens comportent des similitudes avec d'autres proverbes dans d'autres langues étrangères. Ils manifestent aussi des ressemblances dans leurs formes et leurs contenus à des degrés divers par rapport à la culture arabo islamique. Et c'est pour cela que cette thèse intitulée : les proverbes populaires algériens , étude de l'intertextualité et de la sémantique - s'est penché sur ce phénomène et l'a traité à travers quatre parties.

Dans la première partie est défini le proverbe. Nous y traitons la signification de la notion de patrimoine culturel et du proverbe chez les hommes de lettres et les linguistes ,tout en signalant ses origines et son contexte d'utilisation ainsi que les anciens livres en rapport avec ce genre littéraire. Les proverbes sont un genre littéraire à visée morale, où sont reproduits parfois des textes religieux tel que le coran , le hadith et même l'évangile. Les proverbes peuvent avoir plusieurs formes sur le plan structurel .Ils peuvent être succincts à usage courant, exprimer une comparaison ou enfin faire l'objet d'une certaine discrédition par rapport au genre. Nous en donnons dans cette thèse quelques exemples .

Quand au proverbe populaire algérien , il n'est pas très différent du proverbe arabe en dehors du fait qu'il transgresse les règles de la grammaire. Nous abordons aussi dans cette thèse l'apparition du proverbe , ses caractéristiques , ses fonctions et nous terminons par l'énumération des livres traitant du proverbe populaire algérien.

La seconde partie traite de l'influence exercée ou subie par le proverbe populaire. Nous l'entamons par la définition de la notion de l'influence des proverbes ainsi que l'évolution des sciences et des civilisations à travers ce genre. Nous faisons apparaître l'influence de la civilisation arabo-musulmane sur la civilisation occidentale dans les différents domaines et en premier lieu dans le domaine littéraire. Puis nous soulignons l'autre influence de la littérature occidentale sur la littérature arabe. Nous citons quelques exemples pour les deux formes d'influence. Le proverbe populaire n'est pas en reste par rapport à cette influence .La langue arabe véhiculaire alors de ce genre s'est introduite dans la vie des espagnoles au moyen âge et le proverbe hispanique a subi cette influence dans sa forme comme dans son contenu . Nous en citons aussi quelques exemples .Par ailleurs nous relevons une similitude entre les proverbes arabes et d'autres proverbes français ou anglo-saxons . Nous en proposons aussi quelques exemples.

L'étude de l'intertextualité a fait apparaître l'impact de l'héritage culturel arabo-musulman sur le proverbe. Notre analyse prend en charge la sémantique du texte ainsi que l'intertextualité entre les anciens et les contemporains, de même qu'elle met en évidence l'intertextualité du proverbe avec le coran , le hadith, la poésie et les proverbes arabes.

La troisième partie étudie l'impact du proverbe populaire dans les différents domaines de la vie courante et en particulier le domaine littéraire. Des

illustrations montreront que les hommes de lettres , les orateurs et les écrivains ont investi le proverbe dans les différents genres littéraires tels que la poésie , la nouvelle, le discours

Quant à son impact psychologique , notre thèse traite de l'impact de la culture sur les signes de la personnalité et son contenu psychologique occulte qui se manifeste à travers des mécanismes défensifs traduits parfois dans certains proverbes populaires.

Sur le plan social , l'impact du proverbe est évident. Par sa nature , l'homme est social .les proverbes populaires font la promotion des valeurs morales en incitant à leur reproduction et condamnent les comportements nuisibles en appelant à s'en écarter.

La quatrième partie concerne l'étude de la stylistique dans le proverbe et sa sémiologie. Nous définissons d'abord la notion de style et de stylistique puis nous nous penchons sur le style dans le proverbe du point de vue du lexique ,de son niveau structural et sémiologique ,de ses types de phrases ,et leur analyse dans leur structure binaire, tout en abordant le style discursif dans certains proverbes qui s'écartent de leurs objectifs déclarés vers d'autres significations sous entendues telles que la recommandation et le conseil.

Dans son côté pratique , notre étude s'est intéressée au phénomène de la répétition dans le proverbe. Nous y expliquons la terminologie de l'étude phonologique mise en fonction dans l'étude de quelques proverbes sur le plan phonétique et sémantique. Celle-ci a fait apparaître l'importance du rythme , de la répétition , de la similitude rythmique et sémantique à travers l'analyse de quelques proverbes.

L'intérêt de cette étude réside dans la démonstration que le proverbe est un genre littéraire qui traduit une expérience sociale ou une sagesse exprimée dans un support succinct et courant bâti sur une comparaison ,avec parfois une musicalité.

Le proverbe existe dans toutes les cultures avec les mêmes caractéristiques .Il est aussi ancien que les anciennes écritures religieuses. Ce trait confère aux proverbes des similitudes quelle que soit la culture dont ils relèvent. Cela pourrait s'expliquer par la rapidité du transfert d'une culture à une autre et les échangent qui s'opèrent entre elles ou par l'unicité de la pensée humaine malgré les changements contextuels. Ceci rend la détermination du facteur influent assez complexe , sauf si le second proverbe exprimé dans une langue comporte les mêmes termes et le même sens que celui exprimé dans une autre langue.

Mots-clés :

Proverbes populaires algériens– patrimoine culturel–L'impact et la vulnérabilité– similitudes entre les proverbes– Texte et intertextualité– style – la stylistique dans le proverbe et sa sémiologie- Répétition.

SUMMARY OF THE THESIS

It should be noted that a significant number of Algerian popular proverbs have similarities with other proverbs in other foreign languages .They also manifest resemblances in their forms and content at varying degrees according to the Arabo-Islamic culture .And this is why this thesis has been entitled : The Algerian Proverbs,a study of the intertextuality and the semantics by approaching this phenomena and treating it through four parts.

In the first part there is a definition of the proverb.We treat the meaning of the concept of cultural heritage and the proverb among men of letters and linguists, while noting its origins and context of use as well as old books related to this kind of literature.The proverbs are a literary genre referring to moral, which are sometimes propagated religious texts such as the Koran, the Hadith, and even the gospel.The proverbs can have multiple forms at the structural level.They can be succinct in the common use, expressing a comparison or they can be of some discretion in relation to genre.We provided some relevant examples in this thesis.

As for the Algerian popular proverb, it is not very different from the Arab proverb besides the fact that it violates the rules of grammar.We also discuss in this thesis the appearance of the proverb, its characteristics, functions ,then we finish by listing the books dealing with the Algerian popular proverb.

The second part deals with the influence exerted on or by the popular proverb We begin by defining the concept of the influence of proverbs and the evolution of science and civilization through this kind .We expose the influence of theArabo-islamic civilization in the literary area .Then we highlight the other influence of Western literature on Arab literature .We have equally included examples for both forms of influence. .The popular proverb is not outdone by this influence. Arabic language as a medium of this genre has introduced it in the life of the Middle Ages Spanish and the Hispanic proverb has had the impact of this influence in its form as well as in its content .We have also cited some examples.In addition, we have revealed a certain similarity between Arab proverbs and other French or Anglo-Saxon.We do equally supply some relevant example proverbs .

The study of the intertextuality has also demonstrated the impact of the Arabo-Islamic cultural heritage on the proverb.Our analysis do take into charge the semantics of the text as well as the intertextuality between the old and the contemporary;and in the same time,it does even highlight the intertextuality of the proverb with the Koran, the Hadith, poetry and Arab proverbs.

The third part studied the impact of popular proverb in different areas of everyday life and especially the literary field.Some illustrations show that men of literature, orators and writers have invested the proverb in different literary genres such as poetry, short stories, speeches, etc ...

As to its psychological impact, our thesis deals with the impact of culture on signs of personality and psychological hidden content that could be manifested through defensive mechanisms which are sometimes translated into some popular proverbs .At the social level, the impact of the proverb is

evident. By nature, man is sociable, the popular proverbs do promote moral values by encouraging their reproduction and condemn the harmful behavior by calling to thwarting them.

The fourth part concerns the study of .the stylistics in the proverb and its simiology. We first define the notion of style and stylistic, then we look at the style in the proverb from the perspective of the lexis, its structural and semiotic level, its types of sentences, and their analysis in their binary structure, while addressing the discursive style in some proverbs that deviate from their stated objectives to other meanings such as those heard in the recommendation and advice.

In its practical side, our study has focused on the phenomenon of repetition in the proverb. We have explained the terminology of the phonological study being put into operation in the study of proverbs at the phonetical and semantic levels of a set of proverbs. Such a study has tried to reveal the importance of rhythm, repetition and the rhythmical similitude and semantics through the analysis of some proverbs.

The advantage of this study is the demonstration of the fact that the proverb is a literary genre that reflects a social experience or wisdom expressed in a concise and current support built on a comparison, sometimes with some kind of musicality.

The proverb exists in all cultures with the same characteristics. It is as old as the ancient scriptures belonging to religions. Such a feature gives proverbs similarities regardless of the culture they belong to. This fact could be explained by the speed of the transfer from one culture to another and the exchanges that take place between them, or the uniqueness of human thought despite the difference between their contexts. Such change makes the determination of the influencing factor rather complex , unless the second proverb is expressed in a language which contains the same terms and the same sense as that expressed in the other language.

Key words :

Algerian Popular proverbs- cultural Heritage- The impact and vulnerability- similarities between proverbs- Text and intertextuality- The method- the stylistics in the proverb and its simiology- repetition.

ملحق الأمثال الشعبية المستعملة في هذه الأطروحة

أ_ أمثال الفصل الأول:

| الصفحة | المثل | رقم |
|------------|-------------------------------------------------------|-----|
| 35 | علة الفولة من جنبها | 1 |
| 36 | البرمة تكحال من جنبها | 2 |
| 278-38 | إذا عطاك العاطي ما تشقى ما ثباطي / أو إلى عطاك العاطي | 3 |
| 39 | القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود | 4 |
| 39 | اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب | 5 |
| 41 | ما يبقى في الوادي غير أحجاره | 6 |
| 41 | احبني اليوم، واقتلني غدوة | 7 |
| 246-244-44 | ونّي قبل ما يحيك السين | 8 |
| 45 | اللي يركب جملين يتشرّك | 9 |
| 45 | اللي تتقاڭ عند السكة، تتقاڭ عند المحراث | 10 |
| 183-52-46 | اللي تخدمو طيعو، واللي ترهفو بيعو | 11 |
| 46 | شكرتني أم وخالي | 12 |
| 47 | كلب سوء، يحب اللعنة لمولا | 13 |
| 134-47 | خوك خوك لا يغرك صاحبك | 14 |
| 47 | خوك من واتاك موش خوك من أمك وباباك | 15 |
| 49 | اللي أعطى كلمته، أعطى رقبته | 16 |
| 199-49 | الكلام كي البارود إذا خرج ما يرجعش | 17 |
| 49 | اللي شفتو راكب على قصبة قل له مبروك العود أو الحسان | 18 |
| 50 | برة وردة وجة قردة | 19 |
| 50 | تنهّكم و الضحك علّيها و شوّهم و الدم يجيها | 20 |
| 50 | النار تولد الرماد | 21 |
| 51 | إيدي يا إيدي واتعبى يا رجلي | 22 |
| 52 | ما يتتفقوا اثنين حتى يعودون الدرك على واحد | 23 |
| 98-52 | العبد في التفكير والرب في التببير. | 24 |

ب_ أمثال الفصل الثاني:

ملحق الأمثال الشعبية المستعملة في هذه الأطروحة:

| | | |
|------------|----------------------------------------------------------------|----|
| 270-86 | اللي اسخف على ابرة اسخف على بقرة | 25 |
| 161-91 | إذا حسّن صاحبك بِلْ أنت | 26 |
| 92 | اللي جا أجيُلو يمْدِ رِجلُو | 27 |
| 92 | اللي غاب عن العين بنساه القلب (البعد ايجفي) | 28 |
| 250-192-92 | الملاوعة من لحنش من جر لحبل تدوى | 29 |
| 261-194-93 | قالُوا من عدوك؟ قالوا صاحب صنعتك | 30 |
| 93 | عين ما تشوف، قلب ما يوجع | 31 |
| 93 | يتعلموا لحسانة في روس ليتامة | 32 |
| 95 | كب القدرة على فمهما تطلع البنت لمها | 33 |
| 95 | الجايح كيما أتوصيه والحادق كيما يلقى | 34 |
| 97 | الرجال تلاقى والجبال ما تتقاش | 35 |
| 97 | ما اتعدش بقريك حتى ايُوْت الطَّكُوك/ طكك يا طكوك ما في قلبك هم | 36 |
| 99 | بن الكلب، ولا احليلو | 37 |
| 99 | عشب الليل قاع أخضر | 38 |
| 100 | القشة التي قسمت ظهر البعير | 39 |
| 101 | عيش تشوف، وعيش تسمع | 40 |
| 102 | ما اتلخلط روحك مع النخالة ما يُنْقَبُ الدجاج | 41 |
| 103 | اعقب على واد هدار وما تعقبش على واد ساكت | 42 |
| 168-104 | اللي خاف اسلم، واللي اسلم سعدت أيامُو | 43 |
| 104 | حبني كي خوك، وحاسبني كي عدوك | 44 |
| 105 | حب الكلب من فمو حنان تقضى حاجتك مئو | 45 |
| 106 | جا يسعى، ودر تسعه | 46 |
| 106 | العجلة من الشيطان | 47 |
| 120 | عد ارجالك واسقي الماء | 48 |
| 209-120 | الكلام الحلو يرضع اللبة/ أو اللسان الحلو يرضع اللبة | 49 |
| 121 | اللي ما عندو شاهد كذاب | 50 |
| 220-121 | اللي تكل على الله و اذراعوا أولادو ما جاعو | 51 |
| 122 | الصابر جابر ومن رحمة الجواب ينال | 52 |
| 122 | هبو حيز من صبو | 53 |
| 123 | الباجل للراجل | 54 |

ملحق الأمثال الشعبية المستعملة في هذه الأطروحة:

| | | |
|-------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| 123 | كيد النساء كيدين، وكيدهم يا حُزُوني - راكبة على ظهر السبع، وتنقول لحدا يأكلونني | 55 |
| 124 | كلمة الصباح إذا ثبدلت العشيّة تُرْدُ المسلمَة يهوديّة | 56 |
| 125 | يُقول للكلاب هُشْ، ويُ يقول للخاین هُشْ | 57 |
| 125 | شوية لربى، وشوية لفابى | 58 |
| 126 | الإبرة تكسى غيرها وهي عريانة | 59 |
| 126 | اللي حلب حلبيّة ايديرها في شكيوتو | 60 |
| 270-231-127 | اليد اللي تمد خير من اليد اللي تشتد | 61 |
| 127 | الظلم ما ايروح سالم | 62 |
| 128 | ادفع ما في الجيب، ربى يُجيب | 63 |
| 128 | اللي يُبِرُّو السحّار في عام يُبِرُّو الفراص في دقيقة | 64 |
| 129 | الصدقة تُسجّي وتُثجي وترثيد في العمر | 65 |
| 130 | مَكاشْ قاع اللي اخذات بوها والا خوها غير اللي اخذات اعدوها | 66 |
| 130 | إيليس قال: ما يغْلَبْني غير اللي يُشَاور | 67 |
| 269-131 | الجار قبل الدار | 68 |
| 225-132 | اللي يُزوجها على مالها يُموت افقر، واللي يزوجها على ارجالها يُموت احقر، واللي يزوجها على دينها ايحب ربى والنبي بشير | 69 |
| 133 | الحيا من الدين | 70 |
| 134 | الحيا يولد الحوليات | 71 |
| 135 | عند الشدة والضيق يظهر العدو من الصديق | 72 |
| 135 | اعريضَة الحافر في الخير اتعافر | 73 |
| 136 | هربت من قطاع الرؤوس طحت في وكمال بنى آدم | 74 |
| 136 | كل شيء يبرى يا هبرة غير كلام العيب | 75 |
| 137 | الكلب ما يأكل خوه | 76 |
| 137 | الفارس من اركب اليوم | 77 |
| 210-198-137 | اللي خرجت من الفم تسمى دين | 78 |
| 138 | كل اجديد عندو لذة | 79 |
| 138 | اخطيك من الشردید وماكلاه القديد | 80 |
| 139 | اضربني وابكى، واسبقي واسكى | 81 |
| 139 | خذ طريق العافية ولو دائرة، و بنت العم ولو بايرة | 82 |

| | | |
|---------|-----------------------------------------------------------------------------------------|----|
| 169-140 | أزرق عينيه، لا تحرث و لا تسرح عليه | 83 |
| 141 | عاش من عرف قدره | 84 |
| 141 | كُونْ كي السَّمَارِ إِذَا جَاهَ السَّيْلِ اِبْسَنْدَ وَإِذَا رَاحَ السَّيْلِ اِبْسَنْدَ | 85 |
| 142 | المحلوبة حليب والمعصورة دم | 86 |
| 143 | الهَدْرَةُ عَلَيَّ وَالْمَعْنَى عَلَى جَارِتِي | 87 |
| 143 | قال لك: الذيب ما يأكلش العظم حتى ايقيسو على طوبئتو | 88 |
| 143 | العروس يشكراها فمهما وإلا أنها | 89 |
| 144 | مداحات العروسه أنها و خالتها | 90 |
| 144 | ما حك جلدك مثل ظفرك | 91 |
| 144 | خذ راي اللي ابيگاك، وما تخدش راي اللي ايضحكاك | 92 |
| 164-146 | اعمل الخير و انساه، و إذا اعملت الشر اتفکرو | 93 |

ج_أمثال الفصل الثالث:

| | | |
|-------------|----------------------------------------------------------------|-----|
| 163 | كي طاب اجنانو نايف جيرانو | 94 |
| 165 | الملح ما ايدؤد | 95 |
| 166 | الشجرة لا تهرب من عروقها | 96 |
| 166 | ماء الجبل ما ايسيل إلى أعلىـ أو الواد ما يحمل من ذيلو | 97 |
| 166 | جرح الكبد لا يضر إلا صاحبه | 98 |
| 166 | إذا شبعت الكرش اثقول للراس غني لي | 99 |
| 167 | لا تمشي الأرجل إلا حيث ايهب القلب | 100 |
| 168 | يد الزائر في يد المزار | 101 |
| 168 | اللي في عمرو مدة ما تقتلوا شدة | 102 |
| 169 | ما يبقى في الواد غير حجاره | 103 |
| 169 | الشامي شامي والبغدادي بغدادي | 104 |
| 257-250-169 | اسأل مجرّب ولا تسأل طبيب | 105 |
| 250-169-169 | كي تجييها شعرة، وكـي اتروح تقطع السلسل | 106 |
| 169 | اعطيها بالدين، وما اتلوجهاش في الطين | 107 |
| 169 | لوكان يحرث ما يبيعوه | 108 |
| 169 | الدوام يتقب الرخام | 109 |
| 169 | زواج ليلة تدبـره عام | 110 |
| 172-169 | النخالة تجلب الكلابـ أو القمح الـ أحبابـ والنخالة الـ لكـلـابـ | 111 |

ملحق الأمثال الشعبية المستعملة في هذه الأطروحة:

| | | |
|--------------|---------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| 169 | مذبوج للعيد، و الا للعاشروا | 112 |
| 170 | اللحم إذا ائنْ لَيْهِ أَمَالِيَهُ | 113 |
| 171 | د اخدم يا التاوس للناس | 114 |
| 248-173 | يتمسكن حتى يتمكن | 115 |
| 255-173 | كول ما يعجبك والبس ما يعجب الناس | 116 |
| -252-250-182 | يا مُرَوَّقٌ من بَرَّ واش حالك من داخل | 117 |
| 260 | | |
| 183 | الزعاف يُخَرِّج السر | 118 |
| 183 | القط كِي تَبَعُّدو الشَّحْمَه اِيُّقُولُ أَخْ مَنْتَهَا | 119 |
| 184 | تارك الصلاة اِيُّقول: باب الجامع اِمْبَلْع | 120 |
| 184 | اللي خانوها يديها تقول بي السحور | 121 |
| 184 | اللي ما يُحَبُّ يَتَرَوْجُ، يُقُولُ من زَهْرِي لِمَعَوْجُ | 122 |
| 184 | لو كنت نملك الإبل نذبح حاشي، وكِي عُدْتُ نَمَلْكُ الْغَنْمَ مَا نَحْكَمْشِي | 123 |
| 185 | كل أجرب حَكَاك وكل خائن شَكَاك | 124 |
| 185 | اللي فيه اِيدُّورو في الناس | 125 |
| 185 | لا يظن السفيه إلا ما فيه | 126 |
| 186 | كل منقوص منحوس | 127 |
| 186 | معزة ولو كان طارت | 128 |
| 260-252-187 | من هو أبوك يا البغل؟ قال: حالى الحصان | 129 |
| 187 | ما ينكر أصله غير البغل | 130 |
| 187 | الخادم تُعاشي بشبوب لالها | 131 |
| 250-187 | الدجاجة تبيض والديك يوجعو قاعو | 132 |
| 188 | كرعين اليتيم قطاعين الحصير | 133 |
| 188 | إذا اتصاكيت الخيل اتجي في الضعف | 134 |
| 188 | فلان امسح في صاحبو الموس | 135 |
| 250-189 | الحادق كِيما يلقى و الجايح كِيما اتوصيه | 136 |
| 190 | الغنم إذا كان فَائِدُهَا عَرْوُسٌ امْقِيلُهَا سَدْرَيَةٌ | 137 |
| 256-190 | إذا أحمرت العشية هيء دِبَابِيك لِلْمُشِيشَة، وإذا أحمرت الصباح رَجَعْ دبابيك لِلْمَرَاجُ | 138 |
| 190 | العام اييان من خريفو | 139 |

| | | |
|-------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| 191 | الترفاس يصطاد بالقصيص | 140 |
| 256-192 | إذا لدغت شوف تحت رجليك | 141 |
| 255-192 | كول ودرث ولأكول وفرث | 142 |
| 277-256-192 | إذا كنت زين استر روحك من العين، وإذا كنت شين استر روحك من الفضائح | 143 |
| 193 | اللحم يجي للي ما عندهش سنين | 144 |
| 194 | اللي اعطاه بوه ما يفكلو حوة | 145 |
| 194 | إذا انفاحت العجوز والكلة يدخل ابليس الجنة | 146 |
| 194 | الغيرة اللي قتلت ميرة | 147 |
| 194 | اللي ابغاث خوها تتصحب امرأتو | 148 |
| 195 | لو كان ما لعناد ما ثجيب النساء لولاد | 149 |
| 195 | الغيرة تردد لعجوز صغيرة | 150 |
| 195 | القلب اللي ما ايغيز ولا ايحير يستاهل ففة اسعيير | 151 |
| 196 | الخلطة اثردي والجرب يعدي | 152 |
| 244-196 | الشركة هلكة | 153 |
| 196 | داري نستر عاري | 154 |
| 196 | اللي عرسو في قلبو واشن الللو بعراس الناس | 155 |
| 197 | اقعد وحداك ما تشوف شيطان ما تسمى مئو | 156 |
| 197 | اللي صلى وخل اوصل للجنة أولى | 157 |
| 197 | اللي يصلّي ويترك يدخل النار مفترك | 158 |
| 198 | ثلاثة اتحمّر الوجه: صلاة لفجار، وزواج لبكاز، ومعرفة الناس لكتار | 159 |
| 198 | المؤمنين عند أقوالهم | 160 |
| 198 | راس مال الرجل كلمتو | 161 |
| 199 | قالت موكة: أنا خير من ثلاثة: اللي قال كلمة وما وفاتها، واللي دار قصة وما املاها، واللي كبرت بنتها وما اعطيها | 162 |
| 199 | من عنده في الدار بنت عنده بونبة Bombe | 163 |
| 199 | اللي يولي على قيه غير الكلب | 164 |
| 199 | كلامك زيدة كي يطلع النهار يذوب | 165 |
| 201 | الخارجية من فريقها ناشف ريقها | 166 |
| 205 | أنا نقول لك يا سيدى، وأنت أعرف مربطك / أو أعرف منزلتي | 167 |

| | | |
|---------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| 249-208 | لسانك حسانك إن صنته صانك، وإن هنته هانك | 168 |
| 208 | اللي جَرْحَ القلب و ادْمَاهُ، واش من عين تلقاءه | 169 |
| 255-208 | قل كلام الخير أو اسكت خير | 170 |
| 209 | الصَّمَتْ حِكْمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ لَحْكَائِمْ، لَوْمَا تَصَمَّصِيْمْ وَلَدَ الْحَجَلَةَ مَا يُجِي لَحْنَشْ هَائِمْ | 171 |
| 209 | الفِمَ المَزَمُومَ مَا تَدْخُلُو ذَبَانَةً وَالْفِمَ الْمَحْلُولُ تُعْشَشُ فِيهِ | 172 |
| 209 | كُلُّ شَيْءٍ بِبِرَا يَا هَبْرَةَ * غَيْرَ كَلَامِ الْعَيْبِ | 173 |
| 210 | مَانَعْتَبْ فَأَنْجُوْغَ عَبْهَ = لَحَدِيثُ عَنِي يَتَعَادْ نُثْمَا مُدِينَةُ رَحْمَةَ = وَهُمَا ابْطَالُ وَاجْوَادُ | 174 |
| 210 | كُثْرَةُ التَّتَبَاشِ تَجْرِحُ السَّنَنِ | 175 |
| 211 | الَّلِي مَا يَقْدَرْشُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ فِي عَامٍ، يَدِيرُهُ الْفَرَاضُ فِي سَاعَةٍ | 176 |
| 211 | الخرا في لحيتو وهو يقول: وين ريحتو | 177 |
| 211 | الجمل لو كان يُشوف حدبو تنقطع رقبتو | 178 |
| 214 | الضيف ضيف، ولو كان يقعد شتاء وصيف | 179 |
| 214 | ضِيَقَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ | 180 |
| 214 | رَدْلَةُ مُسَرَّهَدَهُ، وَلَا ضِيقَهُ مَرَمَدَهُ | 181 |
| 215 | زَعَالَكَ ضِيَقَهُ، وَلَا غَرَازَ بِهِ | 182 |
| 215 | الجود من الموجود | 183 |
| 215 | الضيف اللي ما تُحَبُّو تَرِبُّو، وَغَرِبُّو، إِذَا ثَكَّمْ كَذُبُّو | 184 |
| 215 | أَعْطَنِي عَبْسَتَكَ، مَا أَرْدَتْ خِبْرَتَكَ | 185 |
| 216 | الَّلِي جَاءَ بِلَا عَرْضَةٍ يَقْعُدُ بِلَا فَرَاشٍ | 186 |
| 216 | الَّلِي لَقَى بَيْتَ حَيْرٍ مِنْ بَيْثُو، يَدْعِي عَلَى بَيْثُو بِالْخَلَاءِ | 187 |
| 216 | الضيف ما يَشَرَّطُ وَمُولُ الدارِ ما يُفَرَّطُ | 188 |
| 217 | يد الزائر في يد المزار / لحية الضيف في يد المضيف | 189 |
| 218 | الله يرحم من زار وخفف | 190 |
| 218 | ضيف عام يَلْزِمُ لَهُ الدِّيَحَةَ، وَضِيفٌ شَهْرٌ لَهُ مَاكَلَةُ امْلِيَّةَ، وَضِيفٌ كُلُّ يَوْمٍ أَعْطَهُ اطْرِيَّةَ | 191 |
| 218 | الناس بالناس والناس برب | 192 |
| 219 | لَمْحَامِيَّةٌ تَعْلَبُ السَّبْعَ | 193 |
| 219 | يد وحدها ما تصفق | 194 |

ملحق الأمثال الشعبية المستعملة في هذه الأطروحة:

| | | |
|-------------|-----------------------------------------------------------------------------------|-----|
| 219 | عُودْ وحدو ما افْشَا وفارس وحدو ما اغْزَا | 195 |
| 219 | الرفاقة اشربها، والا اكربها والا ارحل وحط اعليها | 196 |
| 219 | اللي ما يعاون خوه في الضيق، ما يلقى في الشدة رُفيق | 197 |
| 248-220 | من عندي ومن عندك تتطبع، أما من عندي براك تقطع | 198 |
| 220 | اللي ناداك ناديه، ولو كان عمرك فيه | 199 |
| 221 | اللي اكْلَا خرفان الناس يُوجَدْ حَرْفَانُو | 201 |
| 221 | اللي اتَعَشَّى مع الضياف أَيُوجَدْ اغْدَاهِم | 202 |
| 248-221 | اللي باعَكْ بالبلوط ، بيعُو بِقُشُورُو | 203 |
| 222 | اللي حبَكْ حبو ولو كان أبوه أوصيف ، واللي كرهَكْ أكرهُو ولو كان أبوه شريف | 204 |
| 222 | دير يدك على قلبك، كما توجعك توجع صاحبك | 205 |
| 222 | حُكْ لي انْهَكْ لَكْ | 206 |
| 246-224 | ما يعجبك نوار دفلة - في الواد داير ظلليل + ما يعجبك زين طفلة- حتى تشوف الفعایل | 207 |
| 244-225 | زواج ليلة يحتاج لو تببير عام | 208 |
| 254-248-226 | مَلْسٌ من طينك يَسْجُنِي لَكْ | 209 |
| 226 | بنت عمك ترقد همك | 210 |
| 226 | بن عمي بَحْلَاسُو خَيْرٌ مِنَ الْبَرَانِي بِلْبَاسُو | 211 |
| 226 | امرأة غريبة ودمنة قريبة | 212 |
| 226 | عليك بالسَّانِيَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَرْأَةِ الْغَرِيبَةِ | 213 |
| 257-246-227 | لا تُكْبِ لَعْزَارَةَ عَلَى فُمْهَا، ولا تُسَامِي الْبَنْتَ لَمَهَا | 214 |
| 254-227 | خُوذُ بنت الناس إذا ما لقيت لهنَا تلقى لخلاصن | 215 |
| 247-227 | الراجل عيبو في جيبو | 216 |
| 227 | قُعادٌ بَيْثُ بُوها ولا زواج لفضايح | 217 |
| 228 | البيوت يخلوها الرَّغَارِبُتْ وَإِلَّا لَمَسَالِبِتْ | 218 |
| 247-229 | العَوْدُ ولد كراعه، والراجل ولد اذراعه | 219 |
| 229 | فلان مُولَّا دُرَاعْ | 220 |
| 229 | صنعة في اليد خير من دينار في الجيب/ أو صنعة في اليد خير من عقد في الجيد | 221 |
| 229 | الخدمة مع النصارى، ولا لقعاد اخصارى | 222 |

| | | |
|---------|-------------------------------------------------------|-----|
| 252-230 | سبَبْ يا عبدي وأنا انْعِينَكْ | 223 |
| 230 | الرِّزق بالعمل لا بالأمل | 224 |
| 230 | السَّبَع يُفْخِرُوهُ اثْنَوْهُ | 225 |
| 230 | اَخْدُم بِصُورْدِي وحاسِب الْبَطَّال | 227 |
| 230 | الصَّابَة عَوَام والحرث دُوَام | 228 |
| 254-231 | اَخْدُم عَلَى رُوحِك تَعْجَبُ النَّاس | 229 |
| 231 | اَعْمَل كَمَا يَعْمَل جَارُك وَالْحَوْل بَابُ دَارُك | 230 |
| 231 | يَفْنِي مَالُ الْجَدِين، وَتَبْقَى حَرْفَةُ الْيَدِين | 231 |
| 231 | الَّلَّيْ مَا يَمْدُ بَيْدُو مَا يَحْمَازْ خَدُو | 232 |
| 232 | كَلْمَة أَعْطَيْنِي مَا حَلَّاتْ مِنْ يَبْغِينِي | 233 |

د-أمثال الفصل الرابع:

| | | |
|--------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| 242 | الشيعة للقمح واللذة للملح | 234 |
| -246-245-244 | الخطاب رطاب | 235 |
| 269 | | |
| 244 | الَّلَّيْ مَا اَخْدَأْ رَأَيْ كَبِيرُو، الْهَمْ تَدْبِيرُو | 236 |
| 244 | الَّلَّيْ مَا شَاعِرُك، مَا تَدَبَّرْ عَلَيْهِ | 237 |
| 244 | مَا زَيْحَنَا وَاحْنَانْ نَصَلُوا اَنْ تَرْيَحُوا وَاحْنَانْ نَغَثُو | 238 |
| 269-245 | الزواج ستة | 239 |
| 247-245 | الَّلَّيْ خَلَفْ لَبَنَاتْ مَا مَاتْ | 240 |
| 245 | الَّلَّيْ مَا عَنْدُوشْ ابْنَاتْ مَا عَرْفُوهُ وَبَنْ مَاتْ | 241 |
| 245 | أَنَا نَجَرِي لَه باللَّقْمَة لَفْمَه، وَهُوَ يَجَرِي لَي بالعُود لَوْجَهِي. | 242 |
| 246 | الَّلَّيْ يُحَبُّ الزَّين يَصِيرْ لَعْذَابُو | 243 |
| 246 | الَّلَّيْ مَا تُصِيرْ عَلَى اَفْضَاهُمْ، مَا تُعِيشْ اَمْعَاهُمْ | 244 |
| 246 | بَكْ لَحاجَتَك اَقْضِيهَا ، وَاتَّصَنَتْ لِلَّفَال - بَنْتَك قَبْ الصَّوْم اَعْطِيهَا، قَبْ لَا يَكْثُر الْقِيل وَالْقَال | 245 |
| 246 | وَخُوذ لَبَنَاتْ عَلَى لَمَّاتْ، وَخُوذ القلم أو الخدم عَلَى السَّادَاتْ | 246 |
| 258-246 | ما يَعْجِبُك نَوَار دَفْلَة، فِي الْوَادِ عَامل اَظْلَالِي - ما يَعْجِبُك زَيْن طُفَلَة، حَتَّى اَشْفُوف لَفْعَالِي | 247 |
| 249 | الَّلَّيْ باَعَك بِلْبُلُوطْ، بِيَعُو بِقْشُورُو | 248 |
| 249 | مِنْ عَنْدِي وَمِنْ عَنْدَك تَنْطَبِعْ، أَمَا مِنْ عَنْدِي بِرَك تَنْقَطِعْ | 250 |

ملحق الأمثال الشعبية المستعملة في هذه الأطروحة:

| | | |
|---------|-----------------------------------------------------------------------|-----|
| 261-252 | يا معزة مَكِيشْ قادرة تولدي، أعلاه تَطَرْدي | 251 |
| 269 | البنات اعمارة الدار | 252 |
| 269 | اللي اعطى بنتو ينسى ارقادها | 253 |
| 269 | الله يستر الرجال اللي سترو اعْيُوب النسا . | 254 |
| 269 | الضرة مرّة | 255 |
| 270 | اخدم آ الشافي للباقي | 256 |
| 270 | يُمُوت النفاق ويبقى الرزاق | 257 |
| 270 | طاقي على من طاق | 258 |
| 270 | ماك تلْ فيك الكسرة، ماك صحراء فيك الوَسْرَة | 259 |
| 270 | هَيَّبْ لا تُعَيَّبْ | 260 |
| 271 | احسَبْها كرمة وفيها الكرموس -وَجَدْها كرمة وفيها الناموس | 261 |
| 272 | اللي بِيُكِيني بِيُكِيني حَيْ، واللي بِيُشَبَّعْني بِيُشَبَّعْني شَيْ | 262 |
| 273 | لَمْحَبَّة بِحَكْ الضروس، ما شِي بِحَبْ الرؤوس | 263 |
| 274 | كي كان حي شاهي تمرة، و كي مات عَلَقُوا لُو عرجون | 264 |
| 274 | دسي زَيْنَك لا يَنْشَافُ، دسي شَيْنَكْ لا يَنْعَافُ | 265 |

ثبات المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

| رقم | المصدر / المرجع |
|-----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 1 | -القرآن الكريم برواية ورش عن نافع. |
| 2 | -الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة. |
| 3 | -الأخطل، غيث بن غوث بن طارقة بن عمرو أبو مالك، ديوان الأخطل، دار البدر للطباعة والنشر الجزائر، د/ت. |
| 4 | -الأعشى، ميمون بن قيس. ديوان الأعشى ، ط1، إعداد محمد عبد الرحيم، لبنان: دار الراتب الجامعية ، 2008م. |
| 5 | الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان الأمير عبد القادر، جمع وتحقيق، شرح وتقديم، العربي دحو، ط3، منشورات ثالثة، الجزائر، 2007م. |
| 6 | -الإنجيل، العهد الجديد، النشرة الرابعة، ط2، جمعية الكتاب المقدس، لبنان، 2001م. |
| 7 | -الباهلي محمد بن حازم ، ديوان الباهلي ، نسخة الالكترونية، شبكة الكردي ، مكتبة الكردي الالكترونية. |
| 8 | -ابن برد بشار، ديوان بشار، قرأه وقدمه إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط1، سنة 2000. |
| 9 | -ييدبا الفيلسوف الهندي، كليلة ودمنة، تعریف ابن المقفع، دار البرهان، القاهرة، 2005م. |
| 10 | -الترمذی، أبو عیسیٰ محمد بن عیسیٰ بن سورۃ. الجامع الصحیح وہ سنن الترمذی، د/ط، تحقیق و تحریر و تعلیق محمد فؤاد عبد الباقي، دار عمران بيروت، لبنان، 1958م. |
| 11 | -أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام، ط1، تحقيق: محيي الدين صبحي ، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م. |
| 12 | -أ-الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البخلاء، تقديم وشرح وضبط وفهرسة يوسف المصملي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت ، 2000م. |
| |-ب- البيان والتبيين ، ط7، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1998م. |
| |-ج- كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر 1385هـ - 1965م . |
| 13 | -جرير، حریر بن عطیة. دیوان جریر، ط1، إعداد محمد عبد الرحيم، ، لبنان: دار الراتب الجامعية ، 2008 م، ص48. |
| 14 | -ابن جنی، أبو الفتح عثمان بن جنی، الخصائص، تحقيق الشريیني شریدة، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة، 2007م. |
| 15 | -ابن حزم، طوق الحمامۃ، ط2 تحقيق الطاهر أحمد مکی، دار المعارف، القاهرة، 1977. |
| 16 | -الخطیعہ، دیوان الخطیعہ، برواية وشح بن السکیت، دراسة وتبویب مفید محمد قمیحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. |
| 17 | -حوحو احمد رضا ، صاحبة الوحي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م. |

ثبت المصادر والمراجع:

- 18 - خدوسي رابع ، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، دار الحضارة ،1997م.
- 19 -أ_ ابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن خلدون. تاريخ ابن خلدون من كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للطبعات ، بيروت، لبنان، 1971م.
- ب- المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د/ط، 1982م.
- 20 -أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، د/ت، ج 4.
- 21 - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر ، سنة 1977م.
- 22 -ابن زهير كعب، ديوان كعب بن زهير، تحقيق د/ درويش الجودي، ط 1، لبنان: صيدا، بيروت، 2008.
- 23 -سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود، وعبد السلام القفاش، جمعية الرعاية المتكاملة، مصر، سنة 2000.
- 24 -الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الشافعي، إعداد وتحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، د/ط مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م.
- 25 -ابن أبي شنب محمد، أمثال الجزائر والمغرب، تقديم عبد الحميد بورابي، دار فليتis للنشر، المدية، الجزائر، 2013م.
- 26 -أ_ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه، محمد إبراهيم سليم، د/ط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د/ت.
- ب-..... ، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، و عبد الجيد قطامش، ط 1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2003م.
- ج-..... . الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق محمد علي البحاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، د/ط، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986م.
- 27 -العسقلاني،أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتاب للطباعة والنشر، د/ت،.
- 28 -الغزالى أبو حامد الغزالى، إحياء علوم الدين، د/ط، لبنان، دار الكتب العلمية بيروت، 1996م.
- 29 -الطبرى،أبو جعفر محمد بن حرير بن يزيد،الطبرى، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1415هـ 1994م.
- 30 -بن أبي طالب عليـأـ ديوان عليـأـ بن أبي طالب ، اعنى به عبد الرحمن المصطاوى، ط 3، دار المعرفة، بيروت، 2005م.
--ب- ، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، راجعه:عليـأـحمد حمود،المكتبة العصرية ،بيروت صيدا، د/ط، 2002م.
- 31 -ابن طفيل ، حيـأـ بن يقطان،مؤسسة هنداوى للنشر والثقافة، د/ط، القاهرة، 2012م.

ثبت المصادر والمراجع:

- 32 - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **الصاحبي**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، سوريا، 1977م.
- 33 - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1965م.
- 34 - محفوظ نجيب، **زقاق المدق**(رواية)، دار مصر للطباعة، القاهرة، د/ت.
- 35 - امرؤ القيس، **ديوان امرؤ القيس**، د/ط، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2002م.
- 36 - مسلم، أب الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، ط1، شرح النووي، ضبطه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، لبنان، د/ت.
- 37 - المعري أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاوي التنوخي المعري، **اللزوميات**، تحقيق أمين عبد العزيز الخاجي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، د/ت.
- 38 - الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، **مجمع الأمثال**، ط2 منقحة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د/ت.
- 39 - النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، **سنن النسائي**، شرح جلال الدين السيوطي، د/ط، دار الفكر، بيروت، د/ت.
- 40 - بن هدوقة عبد الحميد -أ- **أمثال جزائرية**، طبع المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، الرغایة، الجزائر، 1993م ب- **الجازية والدراويس**(رواية)، د/ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
- ج- **ريح الجنوب**(رواية)، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط4، سنة 1980م.
- د- **نهاية الأمس**(رواية)، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، سنة 1978م.
- 41 - وطار الطاهر ، اللاز،(رواية)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغایة، الجزائر، ط، جديدة سنة 2004م.

ثانياً المراجع:

- 1 - إبراهيم نبيلة ، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي** ، ط3، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م، 174ص.
- 2 - ابن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ط2، قدمه وعلق عليه،أحمد الحوفي وبدوي طبابة،دار نهضة مصر للطبع والنشر، د/ت، القاهرة.
- 3 - إسماعيل محمد بكر ، **الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية**: ط1 ، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
- 4 - الأشموني، علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين، الأشموني، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك** ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- 5 - الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د/ط، بيروت، 1414هـ 1994م.
- 6 - أمين أحمد، **النقد الأدبي**، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، لبنان، 1967م.
- 7 - بدیر حلمی ، **أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث**، ط2، مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية،

- سنة 1997 م.
- 8 - البرقوق، عبد الرحمن البرقوقي، دولة النساء ، ط1 ، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2007.
- 9 - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، **تفسير البغوي "معالم التنزيل"** حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وأخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1411هـ.
- 10 - بقشى عبد القادر، **الناص في الخطاب النبدي البلاغي**، دراسات نظرية تطبيقية، أفرقيا الشرق، المغرب، 2007.
- 11 - بلبع عيد، **أسلوبية السؤال: رؤية في التنظير البلاغي**، ط1، دار الوفاء، القاهرة، 1999م.
- 12 - بنيس محمد ، **الشعر العربي الحديث**، بنياته وإبدالاتها، ج3، الشعر المعاصر، دار توبقال، المغرب، 1990م.
- 13 - بوتارن قادة ، **الأمثال الشعبية الجزائرية**، ترجمة عبد الرحمن حاج صالح، دار الحضارة، د/ط، د/ت .
- 14 - بوحدادي خليفة ، **في اللسانيات التداولية**، مع محاولة تأصيلية في الدراسات العربية القديمة، ط1، بيت الحكم للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009م.
- 15 - بورايو عبد الحميد، **الأدب الشعبي الجزائري**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
- 16 - التبريزى الخطيب ، شرح ديوان أبي تمام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1994م.
- 17 - الشجى، أبو يحيى محمد بن صمادح ، **محتصر الطبرى** ، ط1 ، القاهرة، مكتبة الصفاء ، دار البيان الحديث . 2006
- 18 - توات الطاهر محمد ، **أدب الرسائل في المغرب العربي**، (في القرنين السابع والثامن)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
- 19 - الشعالى، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور(المتوفى 429هـ)، **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1401هـ، 1981م.
- 20 - حابر عبد الحميد حابر، آخرون،**مقدمة في علم النفس**، دار النهضة العربية، مصر سنة 1985م، د/ط.
- 21 - جبق عمر عثمان، **ألف مثل ومثل إنجليزي مترجم إلى اللغة العربية**، ط1، حلب، سوريا، 2008م.
- 22 - الجريبي محمد رمضان ، **الأدب المقارن**، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، د/ط، الجزائر، 2002م.
- 23 - ابن الجزري، أبو الحسن محمد بن محمد الدمشقي، **الشر في القراءات العشر**، دار الكتب العلمية، د/ط، بيروت، لبنان، د/ت.
- 24 - جعكور مسعود، **حكم وأمثال شعبية جزائرية**، ا دار المدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2008م.
- 25 - جلاوچي عز الدين ، **الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف**، منشورات دار الثقافة لولاية سطيف 2007.
- 26 - حسين طه ، **الأدب والنقد1** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، سنة 1973م.
- 27 - حلبيم لحضر، **صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية**، ط1 ، المؤسسة الصحافية للنشر والطباعة والاتصال، المسيلة، الجزائر، 2010م.
- 28 - حنفي بن عيسى، **محاضرات في علم النفس اللغوي**، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، سنة 1980م.

ثبت المصادر والمراجع:

- 29 -الحوت، محمد درويش، **أسنى المطالب في أحاديث مختلف المراتب**، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م.
- 30 -الخالدي صلاح عبد الفتاح ، **نظريه التصوير الفني عند سيد قطب**، شركة الشهاب، باتنة، الجزائر، 1988م.
- 31 -الخوي، أبو يعقوب يوسف بن طاهر الخوي، **فرائد الخرائد في الأمثال**، تحقيق عبد الرزاق حسين، د/ط، دار النفائس، الأردن، 2000م.
- 32 -خير البقاعي محمد، **دراسات في النص والتاصية**، ترجمة خير البقاعي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1998م.
- 33 -الداية فائز، **جماليات الأسلوب - الصورة الفنية في الأدب العربي**- ط2، دار الفكر، دمشق، 1996م.
- 34 -ديوبي جون، **المبادئ الأخلاقية للتربية**، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966م.
- 35 -رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1974م.
- 36 -الرافعى مصطفى صادق، **تاريخ آداب العرب**، ط2 ، لبنان: دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م.
- 37 -رباحى عبد الرحمن، **قال المجدوب**، ط1، على حساب المؤلف، الجزائر، وكيل التوزيع مكتبة الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود، 2000م.
- 38 -رشوان حسين عبد الحميد أحمد، **الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع**، د/ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993م.
- 39 -ابن رشيق القمياني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد قرقان، ط2، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1994م.
- 40 -الزحيلي وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1 سنة 1991م.
- 41 -الزركشي ، بدرا الدين محمد بن عبد الله الزركشي. **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، 1980 م.
- 42 -الزويني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد التزويني، **شرح المعلقات السبع**، ط3، لبنان: دار الجليل بيروت، سنة 1979م.
- 43 -زيغريد هونكة، **شمس العرب تستطع على الغرب**، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الحوري، ط3، دار الجليل بيروت، 1993م.
- 44 -السد نور الدين ، **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، دار هومة، الجزائر، 1997م.
- 45 -سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1983 .
- 46 -السعدي عبد الرحمن بن ناصر ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط3، موسوعة الرسالة، دار المؤيد، سنة 2005.
- 47 -أ- سعيدي محمد، **التشاكل الإيقاعي في نص المثل الشعبي الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.
- . بـ **الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق**. د.ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر ، 1998 .

- 48 - سليمان سعيد شوقي محمد، **توظيف التراث في روایات نجيب محفوظ**، ط1، القاهرة، إتراك للنشر والتوزيع، سنة 2000م.
- 49 - السيوطي جلال الدين، -أ- **المزهر في علوم الأدب وأنواعه**، د/ط، دار إحياء الكتب، بيروت، د/ت.
..... -ب- **الإنقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، صيدا، بيروت، سنة 1988م.
- 50 - شريط عبد الله ، **الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون**، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م.
- 51 - الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، الناشر مطبع أخبار اليوم، المجلد 16.
- 52 - شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي**، ط8، دار المعارف، مصر، د/ت.
- 53 - بن الشيخ التلبي، **منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص180.
- 54 - صالح أحمد رشدي ، **فنون الأدب الشعبي**، ط1، دار الفكر، 1956م.
- 55 - الصباغ مرسي ، **دراسات في الثقافة الشعبية**، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001م.
- 56 - الصبيحي محمد الأخضر ، **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه**، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008م.
- 57 - ضاوي سعد، **مدخل إلى علم اجتماع الأدب**، دار الفكر، بيروت، ط1، 1994م.
- 58 - ابن طباطبا أحمد العلوى، **عيار الشعر**، تحقيق عباس عبد الستار، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت 1983م.
- 59 - ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، شرحه وضبطه وعنونه ورتبه ، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1982م.
- 60 - عبد المطلب محمد ، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م.
- 61 - عثمان عبد الفتاح ، **دراسات في المعاني والبدائع**، مكتبة الناشر، حلوان، 1982م.
- 62 - عدلاوي علي بن عبد العزيز، **الأمثال الشعبية ضوابط وأصول**، منطقة الجلفة نموذجا، ط1، دار الأوراسية، الجلفة، ط1، 2010م.
- 63 - عز الدين السيد، **التكثير بين المثير والتأثير**، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1986م.
- 64 - العقاد، عباس محمود، -أ- **أثر العرب في الحضارة الأوروبية**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978م.
..... -ب- **شعراء مصر وبئاتهم في الجيل الماضي**، د/ط، طبعة نصبة مصر، القاهرة، 1981م.
- 65 - عمارة مصطفى محمد جواهر البخاري وشرح القسطلاني، المكتبة التجارية الكبرى، د/ت، ص58.
- 66 - العمري محمد، **الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية**، المغرب: أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2001م.
- 67 - العوبي رابح، **أنواع النثر الشعبي**، الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د/ت.
- 68 - قطامش عبد الحميد ، **الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية**، ط1، سوريا: دار الفكر، دمشق، 1988م.

- 69 - قطب سيد ، في ظلال القرآن، ط16 ، دار الشروق ، بيروت ، 1410هـ-1990م .17
- 70 - قطب محمد ، دراسات في النفس الإنسانية ، د/ط ، دار الشروق ، بيروت ، 1974 م.
- 71 - الكاتب ، أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تقدیم وتحقيق: حنفي محمد شرف ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط1 ، 1969 م.
- 72 - كريستيغا جوليا ، علم النص ترجمة فريد الزاهي ، مراجعة عبد الجليل ناظم ، ط2 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1977 م.
- 73 - مادن سهام ، دراسة تركيبية للعامية الجزائرية ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، ط1 ، الأبيار ، الجزائر ، 2011 م.
- 74 - مرتضى عبد المالك ، -أ- عناصر التراث الشعبي في -اللاز- دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1984 م.
- -ب- السبع المعلقات: تحليل انتروبولوجي / سيميائي لشعرية نصوصها ، دار الصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012 م.
- -ج- الأمثال الشعبية الجزائرية ، دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري ، د/ط ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، الجزائر ، 1982 م.
- -د- الألغاز الشعبية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م.
- -ه- أ.ي ، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" ، محمد العيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992 م.
- 75 - المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، ط3 ، دار الفكر ، دمشق ، 1974 م.
- 76 - المرزوقي محمد ، الأدب الشعبي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1967 م.
- 77 - المسدي عبد السلام ، الأسلوبية والأسلوب ، ط3 ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1982 م.
- 78 - مفتاح محمد ، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ط3 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992 م.
- 79 - مقتطفات من حدائق الشعراء ، أحمد مطر ، نزار قباني ، محمود درويش ، دار البحار للطباعة والنشر ، عمان ، الأردن ، د/ت.
- 80 - الملائكة نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، ط3 منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، 1967 م.
- 81 - مكي ، الطاهر أحمد ، -أ- دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمام ، ط2 ، الناشر مكتبة وهة ، القاهرة ، مصر ، 1977 م.
- -ب- الأدب المقارن ، أصوله وتطوره ومناهجه ، دار المعارف ، ط1 ، 1987 م.
- 82 - بن نبي مالك ، وجة العالم الإسلامي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، إصدار ندوة مالك بن نبي ، مشكلات الحضارة ، دار الفكر ، دمشق ، 1402هـ-2002 م.
- 83 - نحلة محمود أحمد ، البلاغة العربية ، علم المعاني ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2002 م.
- 84 - بن نعمان أحمد ، نفسية الشعب الجزائري ، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع الجزائري ، ط2 سنة 1997 م.
- 85 - النwoي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النwoي -أ- رياض الصالحين ، د/ط ، دار المعارف ، مصر ، 1987 م.

ثبت المصادر والمراجع:

--ب- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ط1، دار بن الهيثم، مصر، 2010.
- 86 -الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى-أ- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، طبعة جديدة منقحة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2012.
--ب- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- 87 -هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، نخبة مصر للطباعة والنشر، د/ط ، القاهرة، 2004.
- 88 -ومان توفيق، في الشعر الشعبي المعاصر، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، د/ت.
- 89 - اليوسفي الحسن، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ط1، حققه محمد حجي و محمد الأخضر، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1981.

المراجع الأجنبية

- Boumediene sid-Lakhdar Boumediene, Citations,Maximes, dictons et Proverbes, Editions Dar El Adib , 2007. 90
- Charlotte Schapira , Les stéréotypes en Français ; proverbes et autres formules, Ophrys, France 1999. 91
- Gérard Genette, palimpsestes, La littérature au Second degré ; Ed ; Seuil , 1982. 92
- Jean-Loup Chiflet, 99 Proverbes à Foutre à la poubelle, éditions points, Paris, 2012. 93
- Labbani zohra nizeh et autres, Dictionnaire Des Mille et un Proverbes de l'oranie (ouest Algérie), Editions Dar el adib, oran, 1911. 94

المعاجم:

- سيلامي نورير، بمشاركة مائة وثلاثة وثلاثين اختصاصيا، المعجم الموسوعي في علم النفس، ترجمة وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2001. 95
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الوسيط، د/ط، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية، 1995. 96
- عاقل فاخر، معجم علم النفس، انكليزي - فرنسي - عربي - دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1985. 97
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس الحيط، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998. 98
- مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، 1974. 99
- المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أليسكتو، توزيع لاروس، 1989. 100
- المنجد في اللغة والأعلام، ط25، دار المشرق، بيروت، 1975. 101

ثبت المصادر والمراجع:

102 - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط 1، دار صادر بيروت، لبنان، 1410هـ، 1990م.

103 - Le grand Robert de la langue Française, Dictionnaire le Robert, édition 2, Paris, 2001

104 - Paul Robert , Micro Robert, dictionnaire du Français Primordial, le Robert, Paris, 1984.

المجلات:

105 - أوشاطر مصطفى ، القيم الأخلاقية وآداب السلوك الاجتماعي، من خلال الحكاية الشعبية في الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للتربية (مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية) الجزائر، 2005م .

106 - بنشريفة محمد، التأثير المتبادل بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية، مجلة جمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 95، أنتربانات: 2013/04/15.

107 - بونحالفة فتحي ، نظرية القيم في الأدب الإسلامي ، المجلة العلمية حوليات الآداب واللغات ، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، 2013. عدد 1

108 - حضري جمال، جماليات الإنقاص في الأسلوب القرآني، المجلة العلمية حوليات الآداب واللغات، كلية الآداب واللغات بجامعة المسيلة، الجزائر، 2013. عدد 1

109 - عيرون خالد ، تماثيل الأشكال والمفاهيم في الأدب الجزائري، منشورات المجلس الأعلى للتربية (مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية) الجزائر، 2005م .

110 - فراج طارق، وأنور أمين، مقال: من الأمثال الشعبية بالواحات، مجلة الفنون الشعبية ، العددان، 76-77 الهيئة المصرية العامة للكتاب، السنة 2007/2008 م.

111 - مرتاب عبد المالك ، مقال: «دلالة الأمثال والحكم الشعبية على نقاوة عاميتها» ، الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، عدد 25 سنة 1975 م.

المنشورات:

112 - وزارة التربية الوطنية ، استعمال الترميز العالمي والمصطلحات العلمية في المناهج التعليمية الجديدة، منشور رقم: 881 / 2003. الجزائر .1-3، الفقرة: 2003/09/10

أنترنات:

113 - ابن طفيل ar.wikipedia.org/wiki/ 2014/09/20 من ويكيبيديا الموسوعة الحرة، انتربانات يوم

114 - رضا عامر ، تحليلات التأثير والتأثر بين الأدبين العربي والغربي قديماً/ حديثا. info@aswat-elchamal.com 2014/09/27 يوم

115 - نيكولو مكيافيلي ar.WiKiPedia.org /wiki 2014/11/07 يوم

116 - لترمذى أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذى، الأمثال من الكتاب والسنة، www.al-mostafa.com-pdf000680

117 - من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/wik 2013/12/18 يوم

المقابلات:

118 - حلبيتم الدخيلي - رحمة الله - (عاش مابين سنة 1911-2005م) وهو أب صاحب هذه الأطروحة.

119 - حنفي بن عيسى، محاضرة للطلبة المفتشين بالمركز الوطني لتكوين إطارات التربية، الجزائر، 1991م. حضرها صاحب هذا البحث.

120 - سديرة حمية -رحمها الله- عاشت بين (1924-1981م)، أم صاحب هذا البحث .

الفهـ رسـ

| الصفحة | المحتـوى | مقدمة |
|--------|-------------------------------------------------------|-------|
| أ | الفصل الأول: تعريف المثل | |
| 1 | تمهيد..... | |
| | أولاً المثل في التراث العربي..... | |
| 2 | التراث لغة..... | |
| 3 | التراث في الاصطلاح الأدبي..... | |
| 6 | الاهتمام بالمثل | |
| 7 | تعريف المثل العربي في اللغة و في الاصطلاح الأدبي..... | |
| 13 | تعريفه عند علماء البيان..... | |
| 14 | مضرب المثل ومورده | |
| 15 | الحكمة والمثل والعلاقة بينهما..... | |
| 16 | الحكمة في اللغة و في الاصطلاح الأدبي | |
| 17 | الفرق بين الحكمة والمثل..... | |
| 18 | كتب الأمثال | |
| 19 | أنواع المثل العربي..... | |
| | ثانيا : المثل في النصوص الدينية..... | |
| 20 | 1_ المثل في القرآن الكريم، أنواعه وبلاغته..... | |
| 21 | أ_ المثل الموجز السائر في القرآن الكريم..... | |
| 22 | ب_ بلاغة المثل القرآني..... | |
| 24 | ج_ المثل القياسي في القرآن..... | |
| 25 | د_ ما يسمى بالأمثال الكامنة..... | |
| 27 | 2_ أمثال الرسول-الأمثال الموجزة..... | |
| 30 | _ الأمثال المفصلة..... | |
| 31 | 3_ الأمثال في الانجيل..... | |
| | ثالثا تعريف المثل الشعبي: | |
| 34 | 1_تعريف لغة واصطلاحا..... | |

| | |
|---------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 35 | المثل السائر 2 |
| 37 | نشأة المثل الشعبي 3 |
| 40 | خصائص المثل الشعبي، و مميزاته 4 |
| 48 | أهمية المثل ودوره 5 |
| 53 | مصنفات الأمثال الشعبية الجزائرية 6 |
| 54 | خلاصة:..... |
| الفصل الثاني: التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية | |
| 56 | تمهيد..... |
| 57 | أولا التأثير والتأثر |
| 57 | التأثير والتأثر لغة واصطلاحا..... |
| 59 | بداية العلوم وتطور الحضارات..... |
| 63 | تأثير الحضارة العربية في الحضارة الغربية..... |
| 69 | تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي..... |
| 70 | النموذج الأول: أ- تأثير طوق الحمامنة في كتاب الحب محمود... ب- تأثير العربية في كتاب الحب محمود..... |
| 71 | ج-المشابهات بين طوق الحمامنة والحب محمود..... |
| 72 | د-النموذج الثاني:تأثير قصة حين بن يقطان..... |
| 75 | تأثير الأدب الغربي في الأدب العربي..... |
| 84 | ثانيا التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية:..... |
| 87 | أ-هيمنة اللغة العربية على مختلف مجالات الحياة الإسبانية |
| 89 | ب-تأثير الأمثال الإسبانية بالأمثال العربية |
| 94 | ج-التشابه بين بعض الأمثال العربية والإنجليزية |
| 99 | د-التشابه بين بعض الأمثال العربية و الأمثال الفرنسية |
| 107 | ثالثا تناص الأمثال الشعبية مع القرآن و الموروث الثقافي العربي الإسلامي |
| 108 | النص و التناص لغة واصطلاحا |
| 110 | فكرة التناص عند النقاد العرب القدماء |
| 115 | التناص في النظرية النقدية الحديثة |
| 117 | موقع التناص وأهميته |
| 119 | دراسة تناصية تطبيقية |
| 119 | تناص الأمثال الشعبية مع القرآن الكريم |

| | |
|-----|------------------------------------------------|
| 126 | تناص الأمثال الشعبية مع الحديث النبوى الشريف |
| 134 | تناص الأمثال الشعبية مع الشعر والأمثال العربية |
| 134 | أولا_ تناص الأمثال مع الشعر العربى |
| 139 | ثانيا_ تناص الأمثال الشعبية مع الأمثال العربية |
| 147 | خلاصة:..... |

الفصل الثالث: تأثير الأمثال الشعبية في مجالات الحياة

| | |
|-----|-----------------------------------------------------|
| 150 | تمهيد:..... |
| 151 | أولا: تأثير الأمثال في المجال الأدبى:1- تعريف الأدب |
| 156 | 2-تأثير الشعر بالأمثال..... |
| 161 | 3-تأثير الأمثال في الخطابة..... |
| 163 | 4-تأثير الأمثال في الترسل..... |
| 165 | 5-تأثير الأمثال في الروايات..... |
| 176 | ثانيا تأثير الأمثال الشعبية في المجال النفسي..... |
| 176 | أ-أثر الثقافة في سمات الشخصية |
| 179 | ب-مظاهر المكونات النفسية |
| 182 | ج-الآليات الدافعية النفسية |
| 182 | 1-الكتب |
| 183 | 2-التبير |
| 185 | 3-الإسقاط |
| 186 | 4-التعويض النفسي |
| 187 | 5-التقمص |
| 188 | 6-إلقاء اللوم على الآخرين |
| 189 | 7-الذكاء |
| 189 | 8-الاستدلال |
| 191 | 9-الترابط |
| 192 | 10-الحسد |
| 194 | 11-الغيرة |
| 196 | 12-الانطواء |
| 197 | د-الاتجاهات والقيم..... |
| 197 | 1-الاتجاه الدينى..... |

| | |
|-----|------------------------------------------------------------|
| 198 | 2-الوفاء والصدق.... |
| | ثالثا: تأثير الأمثال في المجال الاجتماعي |
| 202 | أ-الإنسان مخلوق اجتماعي |
| 203 | ب-الأخلاق في التراث..... |
| 207 | ج-توجيهات الأمثال..... |
| 207 | 1-استعمال اللسان |
| 210 | 2-الغيبة |
| 212 | 3- النميمة..... |
| 213 | 4-الضيافة..... |
| 215 | 5-صفات المضيف..... |
| 217 | 6-سلوك الضيف..... |
| 218 | 7-التعاون..... |
| 221 | 8-المعاملة بالمثل..... |
| 223 | 9-المصاهرة..... |
| 224 | 10-صفات المرأة المطلوبة للزواج..... |
| 227 | 11-صفات الرجل المقدم على الزواج..... |
| 228 | 12-العمل وأداء الواجب..... |
| 233 | خلاصة..... |
| | الفصل الرابع: دراسة أسلوبية دلالية على المثل الشعبي |
| 235 | تمهيد:..... |
| 236 | أ-الأسلوب..... |
| 240 | ب-الأسلوبية..... |
| 242 | ج-ألفاظ الأمثال الشعبية..... |
| 243 | -المستوى البنوي والدلالي..... |
| 244 | -تركيب المثل الشعبي..... |
| 246 | -أنواع الجمل في المثل الشعبي..... |
| 248 | -بنية المثل في التركيب الثنائي..... |
| 251 | ثانيا: المثل والأسلوب الإنساني:..... |
| 252 | 1_أسلوب النداء:..... |
| 254 | 2_أسلوب الأمر..... |

| | | |
|-----|-------|------------------------------------------------------|
| 257 | | 3_أسلوب النهي..... |
| 259 | | 4_أسلوب الاستههام..... |
| 262 | | ثالثاً: دراسة تطبيقية على بنية المثل الشعبي |
| 262 | | أ_ التقنية البنائية: التكرار لغة واصطلاحا..... |
| 264 | | ب_ التكرار في الأمثال الشعبية..... |
| 265 | | ج_ مصطلحات الدراسة الصوتية..... |
| 267 | | د_ أهمية الإيقاع الصوتي |
| 269 | | ه_ التشاكل الإيقاعي والدلالي..... |
| 271 | | و-تحليل بنوي دلالي لنماذج من الأمثلة |
| | | الشعبية |
| 282 | | خلاصة..... |
| 283 | | خاتمة:..... |
| 287 | | ملخص الأطروحة:..... |
| 289 | | Résumé de la thèse |
| 291 | | SUMMARY OF THE THESIS |
| 293 | | ملحق الأمثال الشعبية المستعملة في هذه الأطروحة:..... |
| 301 | | ثبت المصادر والمراجع:..... |
| 311 | | الفهرس:..... |